

Princeton University Library



32101 058324474

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

القسم الثاني
من شرح نهج البلاغة

بحوث وآراء تتبعها الواقع والحضارة الترنينية

أو

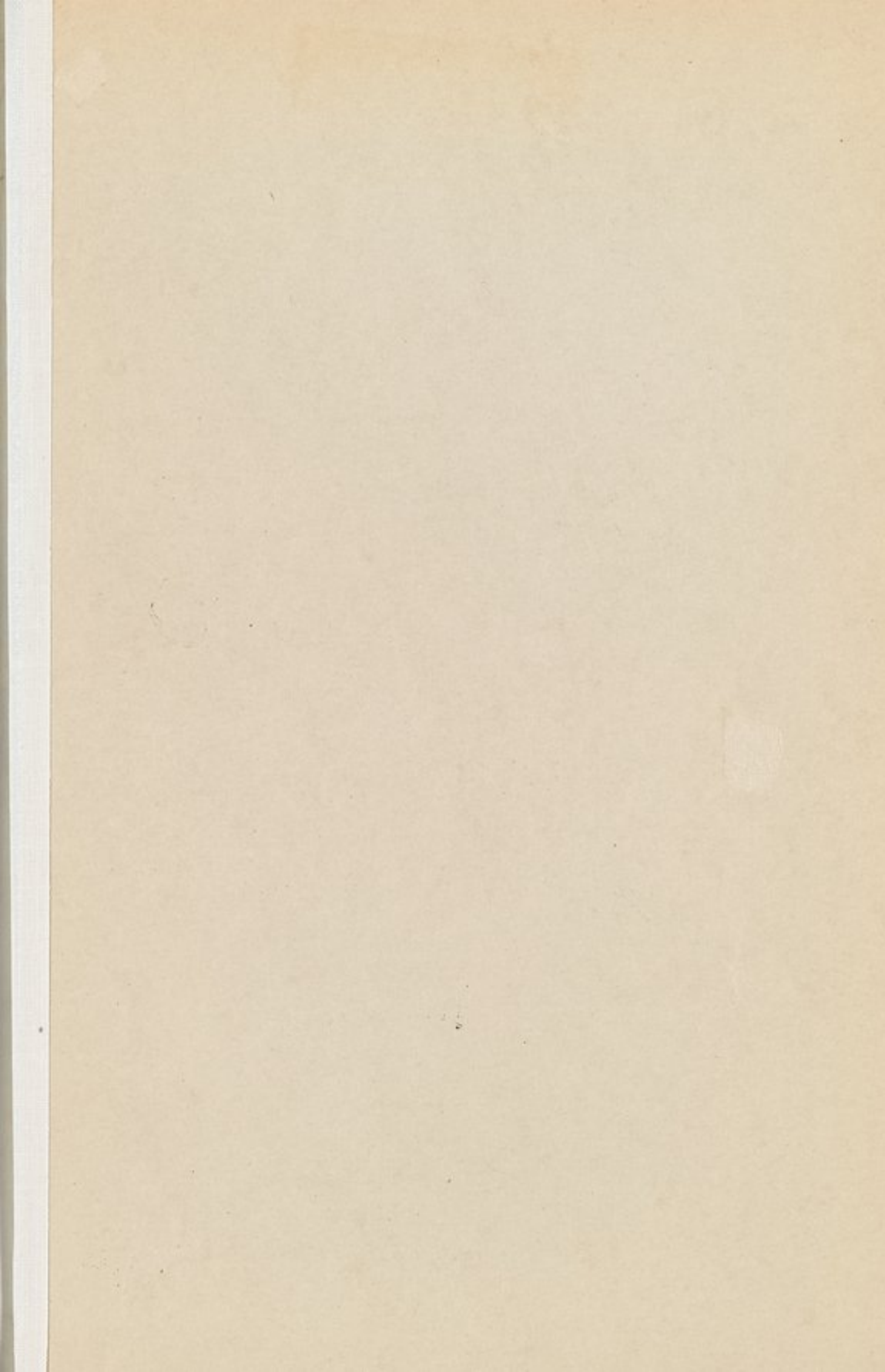
نهج البلاغة في معارفه وفنونه

تأليف المفتقر إلى رحمة مولاه العنبي محمد الكرّمى

عنه

١٣٩١

المطبعة الغليّة بقم





(RECAP)

DS 36

.8

.K37

qism 2

في التأسيس
تكملة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والصلوة والسلام على انبيائه الكرام و اوصيائهم العظام لاسيما خاتمهم
محمد وآله عليهم الصلاة والسلام. اما بعد فهذا الجزء الذي بين يديك
هو ثاني اجزاء شرحنا الموضوعي على نهج البلاغة تقدمه للقراء بعد
مرور سنتين على طبع الجزء الاول حامدين لله و راجين الفسحة للعر
حتى تتلاحق بقية اجزاء هذا الشرح النفيس في عالم الظهور والله هو
المساعد و المعين .

في التأسيس

منقذ

مكتبة

٣- نهج البلاغة فى المواعظ والزواجر

ان لامير المؤمنين على عليه السلام فى المواعظ و الزواجر خطباً هيمنت على اقسى النفوس فامتلكتها بلا اختيار ولاغربة فانه عليه السلام طرح فيها انواعاً من المثل العالية بحيث لا تتلى على انسان الا وتأخذه رعدة فى جميع مفاصله وتتأثر لسماعها جميع مشاعره ويجب لها قلبه ويخضع لسلطانها لله - ولا جرم - فانها ليست صياغة الفاظ فقط او تجويداً فى سبك التراكيب فحسب او اصافاً لا تشفى الاعن قوة خيال بل هى عصاره روح عالية و جوهر حقيقة صافية اودع فيها ناطقها افلاذ كبده وأشع عليها من انوار عقله وكبسها بما عرف من المعارف وما أوتى من المواهب وما حصله من التجارب وما أشعر الله به مثله من رواد الحقائق حيث ازال عنهم حجاب المادة فتوغلوا فى شهود الحقيقة وعرفوا ان الحياة الفاضلة للانسان وراء ما يهدف اليه جماعة الناس من حب الجاه والمال والتكالب على الشهوات والتدافع على نيل الرغبات من اى طريق حصل وانها هى الحياة القائمة على المثل الرائعة والصفات البارعة وان الانسان لا يجوز له أن يحسب نفسه من الدواب سواء أكان قائلاً بمبدأ يقفء اليه العبد فيجزيه على احسانه احساناً وعلى اسائه اسائة ام لم يكن قائلاً بذلك وان كان هذا مجرد فرض لم تتحققه فى مثالى طلع الى الوجود من البشر:

وانما عمنا هذا الملاك لان شعور الانسان قاض بلزوم السلام العام والانفاق والوثام ووجوب التعاون والنضام والاحسان الى كل ذى كبد رطبة والصدق والرفق والحياء و الوفاء والمؤاخاة والمواساة حتى يجيء الاجتماع من طريق ذلك هادئاً مرتاحاً لا يشكو فيه احد من احد ولا تنقل فيه الحياة على ذى روح وان التخلف عن هذه الملاكات موجب للعذاب المستمر والانهيار المحتم والقلق الدائم والحياة الفاسدة والمعيشة المضطربة و الهياج الذى لانطاق الاقامة عليه وكل هذه التموجات العارمة فى الحياة البشرية نتيجة اعطاء التوازن من اليد بما عاد معه الانسان من أضرى حيوانات الكون فلا تراهم من جراء

هذه العقد النفسية الا عابثاً مفسداً مخرباً متحيزاً للباطل طالباً للإطاحة بكل موجود جانياً ما استطاع الى الجنابة فعلا ولا غرابة اذا شأهت منظره العالم في عين اغلب افراده فحسبوا الحياة من اعظم الموبقات التي افترنت بهم و أطالت ضرائهم و بأسائهم والحق معهم في ذلك فان لكل ذى روح مستدعيات طبيعية اذا لم تحصل له فقد طال من سببها عذابه و استمر اضطرابه و الصبر و التحمل انما يعقلان في حدود صحيحة قابلة للهضم لامطالماً :

وعلى هذا الاساس يعود كل من يسافر في الكون ليقف على ماجرى فيه آسفاً مجروح العاطفة كارهاً للحياة والاحياء جميعاً لما يرى من الوان الشقاء التي تنبوعنها النفس و تمجها الروح و تستقدرها العاطفة الانسانية :

اما المثاليون فقد رصدوا أنفسهم لتقليل هذه الوبلات بتعديل الروحيات في مجارى الحياة و ضربوا للانسان الامثال الراهنة على مادعوه اليه من الخطط و النماذج و قالوا له لا يخلو الانسان من احدى حالتين قطعاً فاما يحاول الحياة الدنيوية ليسعد فيها واما يضيف الى ذلك ما نطق به الله من الحياة الثانية في النشأة الاخرية و هو على محاولته الاولى او الثانية لا يستطيع ان يحيى كما يرغب الا بتحديد خطواته و تعديل روحياته و ذلك لا يكون الا بتطبيق حر كاته و سكناته على محاسن الاخلاق و لا تعب عليه في ذلك الا في اول رياضته و متى مرتت نفسه على ذلك اعتاد و لا مشقة مع العادة في كل شيء :

وليس المنظور بالدعوة الى الزهد في الدنيا الا ذلك للعلم القاطع بان حركات الانسان اذا تركت هي و ما صادفت و نفسه اذا افلتت في هذا الفضاء الواسع من غير رصيد عليها جاء الانسان يتخبط من ناحيتهما في الحزن و السهل و في الحزن مشاكل و عقبات و في السهل مجاهل و متاهات و مع عدم الرصيد الواعي و الرقيب الهادي اذا تورط السالك في المشاكل و المجاهل راح منها ضحية خبطه فيعود من اشقى الوجودات الحية في حياته و أضيعها بعد مماته :

و حقاً ان المثاليين في بنى آدم اتعبوا انفسهم في مصلحة اخوانهم فسد بهم من سعد و هو القليل و انحرف عنهم من انحرف و هو الكثير و بهذه الكثرة التافهة شأهت منظره الحياة

فطلعت فى وجه عابس رغم ما فيها من ظواهر خلافة وطلاوة جذابة الا انها لما كانت قشراً لآب فيه للاعم الاغلب من الناس لم يكن لهاى وقع فى قلوبهم لا فإلسهم من كافة بركاتهما و ابتلائهم ببلايا جمّة اذهلتهم عن استشفاف هذه المرائى الاخاذة : فمع تمام الاسف حيث ضاعت تعاليم هؤلاء الاوفياء لاخوانهم من البشر ولم يستفد منها الارقم ضئيل : و من تلك المخطب ماجاء فى نهج البلاغة وغيره ان صاحبنا لامير المؤمنين عليه السلام يقال له همّام كان رجلاً عابداً فقال له يا امير المؤمنين صفلى المتقين حتى كأنى انظر اليهم فتناقل عليه السلام عن جوابه ثم قال يا همّام اتق الله وأحسن (فان الله مع الذين اتقوا و الذين هم بحسنون) فلم يقنع همّام بهذا القول حتى عزم عليه فحمد الله واثمى عليه وصى على النبى صلى الله عليه وآله ثم قال عليه السلام :

اما بعد فان الله سبحانه وتعالى خلق الخلق حين خلقهم غنياً عن طاعتهم آمنان معصيتهم لانه لا تضره معصية من عصاه ولا تنفعه طاعة من اطاعه فقسم بينهم معائشهم ووضعهم من الدنيا مواضعهم فالمتقون فيها هم اهل الفضائل منقطعهم الصواب وملبسهم الاقتصاد ومشيتهم التواضع غصوا أبصارهم عما حرم الله عليهم ووقفوا اسماعهم على العلم النافع لهم نزلت انفسهم منهم فى البلاء كالتمى نزلت فى الرخاء ولولا الاجل الذى كتب الله عليهم لم تستقر ارواحهم فى أجسادهم طرفة عين شوقاً الى الثواب وخوفاً من العقاب عظم الخالق فى أنفسهم فصغر مادونه فى أعينهم فهم والجنة كمن قدر آها فهم فيها منعمون وهم والنار كمن قدر آها فهم فيها معذبون قلوبهم محزونة وشروهم مأمونة و أجسادهم نحيفة وحاجاتهم خفيفة و انفسهم عفيفة صبروا اياما قصيرة اعقبتهم راحة طويلة تجارة مر بحة يسرها لهم ربهم ارادتهم الدنيا فلم يريدوها واسرتهم فقدوا انفسهم منها اما الليل فصافون اقدامهم تالين لاجزاء القرآن يرتلونه ترتيلاً يحزنون به انفسهم ويستثيرون به دواء دائهم فاذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا اليها طمعا وتطلعت نفوسهم اليها شوقاً وظنوا انها نصب اعينهم واذ مروا بآية فيها تخويف أصغوا اليها مسامع قلوبهم وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها فى اصول آذانهم فهم حانون على او ساطهم مقترشون لجباهم واكفهم وركبهم وأطراف اقدامهم يطلبون الى الله تعالى فى فكك رقابهم واما النهار فحلما علماء ابرار

اتقياء قدبراهم الخوف برى القداح ينظر اليهم الناظر فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض و يقول لقد خولطوا و لقد خالطهم امر عظيم لا يرضون من اعمالهم القليل ولا يستكثرون الكثير فهم لانفسهم متهمون ومن اعمالهم مشفقون اذا زكّى احد منهم خاف مما يقال له فيقول انا اعلم بنفسى من غيرى و ربي اعلم بى منى بنفسى اللهم لا تؤاخذنى بما يقولون واجعلنى افضل مما يظنون واغفر لى ما لا يعلمون :

يقال اتقاه بتقيمه اذا خاف منه و لاحظ جانبه وقد تخصصت كلمة التقوى فى الاصطلاح بمن يخاف الله فيما منع و حرم و يجتنب الشبهات مخافة ان تدنيه من المحرمات: بل اخذت لها ما بين المتدينين طابعا خاصا وهو التحلى باخلاق الله و اخلاق انبياءه المرسلين و عباده المخلصين :

و بعبارة اخرى التقوى فى اللغة هى الخوف و ملاحظة جانب الطرف بتحديد النفس امامه و فى عرف العارف تربية النفس على ادب الشريعة و رياضتها على الاخلاق التى فرع عنها الانبياء و حواريوهم المترسمون لخطواتهم بداعى تهذيب النفس و تثقيفها بالثقافة النفسية الراقية حتى يكون لها ميز واضح على الحيوانات الهاملة من انسان وغيره و الهدف هو التعاضم بالنفس الانسانية من ترسبها فى حضيض المادة القذرة و نيل مرضاة الله و الحصول على المقامات العالية التى اعدّها للعبادة المتقين: و لا ريب ان هذا الهدف من ارقى الاهداف: و الاثار الناتجة عنه ثلاث فصول :

(الاولى) راحة المتقى فى حياته من متطلبات نفسه و تنزياتها فان النفس الحيوانية البهيمية متى أرسلت فى فضاء رغباتها جاءت تطلب كل شىء حتى تستحيل بها الضراوة الى الجنون المحض او ما هو قريب منه و نظرة واحدة الى ما تصبو اليه نفوس البهيميين من ملوك و خلفاء و امراء و اثرياء مستهترين و ما فعلوه و يفعلونه من الهنات النابية عن كل ذوق فى شتى مراحلهم الشهوية تكفيما للاستدلال على ما نقول فالانصراف بالنفس بسد ابواب المقاسد و الرغبات المادية امامها من اعظم الخدمات لها و الاحسان اليها و العطف عليها و لهذا السر طالت بالمتقين أعماهم و خفت على الدنيا حاجاتهم و أمنت غوائل الحياة نفوسهم :

(الثانیة) قطعاً متى انشمر احد طرفى التفاعل عن الميدان بقى الطرف الاخر مفرداً لنفسه فلا يعود يتأثر من احدا ويؤثر فيها احد ونتيجة هذا ان الحياة العامة مع التقوى تكون من أيسر الاشياء استمراراً و بقاء للانسان فان هذا التطاحن القائم بين الناس نتيجة التعديت الموجبة لتنازع البقاء ولولاها لما حصل لنا موس تنازع البقاء بين البشر اقل مفهوم فان مفاصد الاجتماع على طوله وعرضه من فساد المرء نفسه فانا صلح صلح الاجتماع بشرائه :

(الثالثة) الوصول الى الغايات الشريفة من رضوان الله تعالى فى الآخرة واحساس كل انسان من نفسه انه وجود ممتاز له قابلية وثمن وكل هذه الانار الثلاثة طافحة على وجود المثاليين فى العالم على قلتهم وجوداً ولذلك كانوا غرراً فى جبين الدهر تعظمهم كافة النفوس و تحبهم كل القلوب وتخضع امامهم حتى فراغته الاجيال :

هذا هو المنظور بالتقوى وبالعارف المتقى واما اسفاف المتصوفة وانحيازهم بانفسهم الى خرقهم الخاصة وأهازيجهم الشوهاء فذاك خبل او دجل لان كل ظاهرة قدسية لا بد وان تستمد قدسيتهما اما من الشرائع السماوية وممثلها العظام واما من طريق العقول المنحازة عن المادة الى تربية الفضائل الاجتماعية وليس عند القوم شىء من ذلك على ما طلوعوا به الى الوجود من شذون فى العلم والعمل و اندفاعهم الى شكليات جافة لا مقيلاً لها من الشرائع ولامن العقول الناضجة اصلاً على ان الجهل قد تعدى بيبعضهم ان يتعاضم بنفسه حتى على الانبياء وحتى تسفل الوضع بكثيرين من المنتسبين اليهم الى أن يجيئوا من افسق ما خلق الله وازذلهم عملاً و اجهلهم بالعلم وموازينه .

ونحن قبل الشروع فى الترجمة عن فصول ما سلفناه من الخطبة يجب علينا ان نرفع النقاب عن وجه نقاط نظرية ربما يستشكل فيها اوان الموازين العقلية لا تساعد عليها : منها البحث عن دواعى الخلقة : فنقول .

لما ذا خلق الله الخلق

جاء في آيات الذكر الحكيم : ما خلقت الجن والانس الا ليعبدون : ومن الواضح ان العبادة معناها اظهار العبودية و لازم ذلك ان المبدأ الاعلا له غاية مهمة في اظهار المخلوقات عبوديتها له وان استحضار هذه الغاية كان هو الدافع لاصل الخلقة والحال ان في ذلك مؤاخذات عقلية :

(منها) ان المبدأ الاعلا حسبما استطاعت العقول ان تتوصل الي معرفته وجود قائم بنفسه ازلا وابدأ مستجمع لكافة الصفات العالوية اذما من صفة يفرض فيها علو وارتفاع الالهى موجودة فيه من قدرة جبارة و حاكمية مدهشة وعظمة مجيرة للعقول و علم لا يحد بحد و حكمة خارجة عن حدود السبر والاستقصاء وان كان المبدأ تعالى ذاتاً و صفة لم يتوجه اليه العقل الامن طريق كائناته هذه الا أن هذا الطريق كاشف عنه لامحقق لاصل وجوده وكل وجود يفرض في هذه الصفات ويتسم بهذه السمات يكون غنياً عما سواه في جميع انحاء وجوده فكيف تكون غايته من الخلقة هي اظهار المخلوقات خضوعها له و عبادتها اياه فان في ذلك نوعاً من الحاجة الى عبادتها له او نوعاً من اظهار التجبر البعيد عن مقصد الحكيم :

(ومنها) أن اظهار العبودية لا يخلو في عامة صورته من تذلل وخنوع وكل ذلة وخنوع تأباه العقول المتحررة لنفسها والمبدأ الاعلا الذي هو غنى في كافة شؤونه عن كل ما سواه و حكيمة في كل ما ينتسب له كيف جاز عليه ان يقرن مخلوقاته بالتذلل وان يجعل خلقتها بصورة تحس معها بالذلة التي تستقذرها : نعم المعقول في هذا الباب هو ان يتكلف العاقل من نفسه عبادة من يراه ينعم عليه عفواً ويمده بالمعونة و الاحسان ابتداء لأن يكلفه المنعم نفسه وان خف هذا التكليف على من انعم عليه لانه في قبالة احسان مرغوب له مقبول عنده :

(ومنها) ان العبادة لا تخلو من مشقة وان قلت وليس من الحكمة ايجاد المخلوق

ثم التحميل عليه بما كان منه في راحة و هو في بطون العدم حيث لاشقاء ولإسعادة في عالم الأعدام والذي يتعقل لمقام الحكمة البالغة هو إيجاد المخلوق ليتنعم بالسعادة وحدها وان لا تمر عليه حتى خاطرة الشقاء فضلا عن ما لبسته :

هذه جملة المحاذير التي تتعقل في هذا الباب بناء على الظهور البدوي الذي يستفاد من الآية المصدر بها البحث : واما حق القضية فهو : ان المبدأ الاعلا كما مر وصفه في غاية الاستغناء عن كل ما سواه لاحتمائه على كافة الكمالات العالية المرموقة المنقطعة النظير وكل وجود يكون بهذه المثابة يجب بالوجوب العقلي عليه ان يبرز آثار عظمته ليستفاد منها فان قيل لامجال لهذا الوجوب قبل خلق الخلائق ان لا وجود لمستفيد حينئذ حتى يتقرر من طريقه الوجوب قلنا ذلك وارد لو لم يكن بالاستطاعة تهيئة المادة القابلة للاستفادة ولو كان ذلك ممكناً وجب لاظهار العظمة اللازمة الاظهار فقط بل لا يصل السعادة الى من به ان يستمتع بها فتكون في البين فائدتان احدهما كشف الواقع المهم وثانيتهما جعله في معرض الاستفادة لمن به ان يستفيد وقد تكفل ناحية واحدة من هذا المعنى ما جاء في الاثر : كنت كنزاً مخفياً فاحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف : واما الناحية الثانية و هي ان يستفيد المخلوق القابل للاستفادة من هذا الكنز العظيم فمغفولة في الاثر المزبور ولا مانع من أن يكون الشيء الواحد مقدمة وذا مقدمة باعتبارين اثنين احدهما في طول الاخر فيصير ذا مقدمة بعد أن يكون مقدمة :

و اما المنظور بالتكاليف كلها عباديها وغير عباديها فهو سن النظام لكيفية الاستفادة من جلائل ما احتوى عليه وجوده تعالى وما يجلب السعادة للمرء نفسه ولا يشكل بان القادر الحكيم كان بمقدوره ان يجبل الخلائق على صورة تكون معها في غنى عن التدريب والتمرن والتعلم لموجبات السعادة وطرقها فاننا نجد بضرورة عقولنا ان الاكتساب بشيء من العناء أذمن الاكتساب براحة تامة وان نتائج الاجتهاد اهم من مؤاتاة الصدف وان ما يحصل من طريق البحث والتنقيب أعلاما يحصل بالجبل والغريزة مثلا لا يرب ان العارف باللغة العربية من طريق علومها النظرية اقدر عليها من العارف

بها جبلة فان الجبلة انما تعطيه النطق الصحيح بها مادة واعراباً من دون تمييز لمنشأ المادة ولا لجهة اعرابها باللون الطالعة به:

مثلا العربى القح بالجبلة يطلق لفظ القصم بالفاء على كسر الشىء من غير ان يبين ويطلق لفظ القصم بالقاف على كسره مع اليمينونة لكنه غير ملتفت الى جهة ذلك اما الوارد فى اللغة العربية وروداً عن امعان يفهم سر هذا التفاوت بين المعنيين من طريق الفاء والقاف فان القاف شديدة فى لفظها والفاء لا تملك هذه الشدة وهو محسوس من طريق التلظظ والعربى بجبلمته لا يغفل ذلك ولكنه لا يتوجه اليه اما الباحث النظرى فهو صاحب التوجه الى هذه النكات ونظائرها وكم من فاصلة بين المعرفة السطحية والعميقة

وفى هذه الدقائق من شحذ الفكرة وتربية الذهن وثقيف النفس ما لا يخفى اثره فى العقول الناضجة : و ليس فى العبادات حتى المحضة منها ما هو فارغ عن موجب السعادة للمرء فى دنياه فضلا عن أخراه مثلا نفس التدبر فى اذكار الصلاة و اورادها مما يعطى النفس معنوية بها ترفع عن كثير من الرذائل وبذلك تتوفر سعادتها فى هذه الحياة كما جاء فى آيات الكتاب العزيز ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر : و اما النظم الباقية فهى كلها لا رائة طريق المعاش الصحيحة التى تناسب الانسان بما هو انسان اذن فليس فى البين تحميل على المخلوق لغاية خارجة عن حدود نفسه ومعنى ليعبدونى ليطيعونى فيما أريده لسعادة انفسهم وعن هذا المعنى أعرب امير المؤمنين عليه السلام فى خطبته الآنفة الذكر حيث قال : فان الله سبحانه خلق الخلق حين خلقهم غنياً عن طاعتهم آمناً من معصيتهم لانه لا تضره معصية من عصاه ولا تنفعه طاعة من أطاعه : ومعنى ذلك انه تعالى فى نفسه غنى عن طاعتهم لما يوجب سعادة انفسهم وآمن فى نفسه ايضاً من معصيتهم لما يوجب راحتهم و نفعهم و انما لا تضره معصية من عصاه لان كل من دونه عاجز عن تناوله بسوء كما لا تنفعه طاعة من أطاعه لانه مستجمع لجميع موجبات العظمة قبل ان يخلق الخلق بأسرهم و لان المخلوق فى ذاته ضعيف بالنسبة الى خالقه فكيف يستطيع ان ينفعه : اذن فالمحاذير الآنفة الذكر قد انحلت بهذا اللون :

(١) انه ليس المنظور بعبادة الخلق له هو حاجته الى عبادتهم و انما المنظور

سعادتهم في انفسهم واما اظهار العلو الواقعى من طريق اعطاء النتائج العالية فهولدى التحقيق لا يحتاج الى مؤنة ازيد من اعطاء النتائج نفسها فان النتائج العالية هي التي تقوم بأعلاء مقام معطيها :

(٢) واما اظهار العبودية بامثال النظام المقرر لنيل السعادة فليس فيه خضوع الا لسعادة نفس الخاضع و خضوع الانسان لنفسه لاذلة فيه قطعاً و فضلاً عن ان العقول المتحررة لاتأبوا تأنس به و تدعو اليه و ليس فى الباب تكليف من المنعم بلزوم الخضوع له من المخلوقات التي انعم عليها جزاء لانعامه بل من أحسن فلنفسه و من أساء فعليها :

(٣) واما ان فى العبادة مشقة ولا معنى للتحميل على مخاوق كان فى راحة من عناء هذه المشاق حينما كان فى بطون العدم فبا لوجدان البشرى - من غير ربط بمقام العابد والمعبود - نرى ان الحاصل بالامونة لاوقع له فى النفس ومتى قل وقعه قل اقبال النفس عليه وتلذذها به فالمشاق غير المحرجة فى سبيل نيل سعادة قطعية الحصول مرغوبة للنفس نعم المشاق المحرجة تتأثر منها و تعدها تحميلاً على العاطفة و من حسن الصدف انه تعالى ما جعل علينا فى الدين من حرج : نعم الاحراج حاصل فى بعض الامور التكوينية وقد تكلمنا فى باب الشبه الموردة على حكمته تعالى عن بعض منها فليراجع ما اسلفناه :

- ونقول ايضاً -

الى اى حد تجيز العقول تفاوت الناس

فى ارفاقهم ومقاماتهم

بالبيان المحسوس نرى ان جد اصحاب الهمم فى تحصيل المعاش وتركيز الجاه فى الكثير من مساعيهم مما يثمر لهم المعيشة الحسنة والجاه المنظور كما نرى ان نوع من يخلد الى البطالة والكسل لا يعيش الا مغموراً من ناحية شخصه ضائقاً من جهة رزقه كما نرى ايضاً ان كثيراً من المساعى الحازمة لا يثمر و جملة من السعى الضعيف

تربو على السعى القوي في نتائجه وثمراته فهل ان هذه القضايا طبيعية محضة او ان الجميع وليد صدف طائفة او مانعة او ان كلا من السعى القوي والضعيف اعداد خالص واعطاء النتائج يكون من طريق الغيب: ثم ان فعل الغيب هل هو بالارادة الصرفة غير المعللة بعلة معقولة نظير ان يعطى المعطى منا سائلا يسأله و يمنع الاخر للداع في اعطاء الاول الا لانه سأله وللحرمان الثاني الا انه لم يشأ أن يعطيه: وبعد أن تكون معقولة فهل يجوز أن تكون معقولة في نفسها ولو لم تنكشف للعقلاء فيكون معنى الحكمة هو تركيز الفعل او الترك على المصالح الواقعية ولو كانت خفية على أنبه العقول مستورة على أقدر المشاعر حسا اولابد من انكشافها حتى تسكن أنفس الجميع الى ما قضى عليهم وقدرد: كل هذه الترددات يجب فحصها واقتناص العلم ان امكن اقتناصه من طريق هذه الفحوص :

(١) اما ان ربط المساعي على تفاوتها من قويا و ضعيفا مثمرها و عقيمها واختلاف ثمرات المثمر منها الى الصدف المحضة فهو امر لا يكاد يتعقل لان المجارى العظيمة المهمة المنتشرة انتشاراً فائناً عن حدود الضبط لا يمكن أيكالها الى الصدفة العمياء فان الصدفة لا تستطيع ان تعالج مجارى العالم كلها : و اصولا الصدفة ليست بعلة والمجارى المشار اليها شؤون ذات حدود قد طفحت على مجموعة الكرة الارضية فى شرقها و غربها و بيض افرادها و سودها و مثل هذا لا يحال به الى الصدق الاعتبارية:

(٢) و اما انها جارية على ميزان طبيعى خالص فيبطله ان النتائج على هذا الميزان يجب ان تكون طبقا لمقدماتها فالنتائج الكثيرة تابعة للسعى الكثير والمتوسطة للمتوسط والضعيفة للضعيف وان لانتيجة حيث لاسعى لكن العيان المكشوف قد ابطل هذا كله بصور كثيرة جداً لا يجوز أن يعبر عنها بفلتات الصدف فكم من سعى جاد قد اخفق ومتوسط قد جاء بالخير الجزيل غير المترقب ومنكمش فى بيته انفتحت فى وجهه ابواب رزق واسع غير محتسب وما الى ذلك مما لا يحصى فاذن لاميزان طبيعيا فى البين :

(٣) و اما ان هذه المساعي على تفاوتها الموعأ اليه اعداد محض و ترتيب

النتائج عليها قلة وكثرة قوة وضعفاً من فعل فاعل مختار شاء كل حالة بحياها الى كل انسان بخصوصه فهو في اصل الفكرة معقول الا ان العقل لما تميز طرف الفعل حكيمياً في ابداعه لم يرض ان يذعن للفكرة المذكورة الا بتفسير واضح :

والعقل في حدود قدرته على تفسير المشكلات حلل جملة منها وعجز عن تحليل الباقي : اما الذي استطاع تفسيره وتعليقه فهو انه يجد من المعقول اختبار كل شخص من اشخاص المكلفين بما تنكشف به دخاله وروحانيته وتثبت به انسانيته وعاقليته و انه ماذا يفعل بالقدرة اذا حصلها وبالعلم اذا حاز عليه وبالمال اذا تمكن منه وبالصحة اذا وجدها وبالعيال والاولاد اذا وقعوا تحت قيمومته وبالعكس ماذا يكون منه اذا عجز وهل يتوجه الى رفع جهله اذا كان جاهلاً وكيف يكون مع الاعواز اذا اقترن به فقر وعلى اى وضع يكون مع المرض وكيف به اذا وقع تحت قيمومة غيره خصوصاً وهو يرى ان الشرائع جعلت للفائزين في هذه المضامير درجات رفعة و علو في النشأة الاخرى .

فلم يعجز العقل انه لم حاز فلان على مقام السلطنة والآخر على كرسى الوزارة والثالث على حكم الامارة والرابع على مفاتيح الكنوز العظيمة والخامس على المال الوافر وان كان دون صاحب الكنوز والسادس على البنية البدنية السالمة في جميع ادوار الحياة والسابع على جمال الخلقة والثامن على الزوجة الحسنة الملائمة والتاسع على الحياة الدارجة بهناء : و: و: الى ما هو رديف ذلك :

كما لم يعجزه انه لم لم يصر فلان سلطاناً ولا الآخرون زبناً ولا الثالث اميراً ولا الرابع صاحب كنوز ولا الخامس متمولاً ولا السادس ذا جسامه ولا السابع جميل الصورة ولا الثامن ذا زوجة شكيمة ولا التاسع ذا حياة دارجة بهناء في كافة ادوارها بعد أن يحصل لكل واحد من هؤلاء متطلبات ضروراته الواقعية وحياته التي اقترن بها من غير أن يسببها لنفسه : فهذه التفاوتات كلها قابلة للتفسير والتحليل عنده و غرض النظر عن زوائدها ونواقصها :

لكن الذي يعجز العقل هو ما يراه من بؤس البائس لحد الاعجاز لا بتسبب منه

فيرى ان خلقه مثل هذا وتقدير مثل هذا البؤس عليه لاتعقل له علة بالمره خصوصاً اذا اقترن هذا التقدير بجزع هذا المخلوق من وجوده المعذب ولا يصح الجواب بان مثل هذا يضاعف له الجزاء الحسن فى الآخرة فان الافراط والتفريط الخارجين عن حدود المنطق والا غماض ليسا من الحكمة فى شىء اصلا لكننا اسلفنا ان هذا الطرف من اطراف الخلقه وشؤونها قليل بالنسبة الى غيره الكبير لكنه مع ذلك طلسم لايحل وان مستوى العقل البشرى لاشىء بالنسبة الى هذه العوالم القهارة التى لا يمكن تعقلها بالتفصيل لاعظم العقلاء فى طول الاجتماع وعرضه .

- ونقول ايضا -

اقسام البشر ثلاثة منحرفون : ومعتدلون : وملتقون :

(١) الانحراف معناه هو الشذون عن النظام اللازم للحياة وكل شذون عن النظام الصحيح جرم والانحراف عن الميزان المعقول جنائية و كل جرائم الدنيا و جنائياتها وليدة الشذون المذكور و الانحراف المزبور و كافة الجرائم و الجنائيات من فعل الانسان نفسه تسبباً او مباشرة فان القاتل المتعمد لا يدخلو أمره بين أن يقتل صاحبه لغرض شخصى قد خلقتة ميوله واهواؤه الضالة من حسداورقابة محضه او للاستيلاء على ما يملكه الطرف مع عدم احتياج من القاتل اليه او يكون مبعوثاً عن انسان يحمل مثل هذه الروح الخبيثة ويغريه بقتل انسان مظلوم او يكون المقتول هو الباعث لاقدام طرفه عليه بالقتل وكل هذه الشقوق هى من فعل الانسان نفسه تسببياً مرة و مباشرة اخرى والتسبب كما يكون من غير المقتول يكون من المقتول نفسه و باستطاعة الجميع من المباشر والمسبب أن يقرنوا أعمالهم بالنظام الصحيح فلا يحصل فى البين هضم ولا ظلم ولا هضم ولا ظلم ولا مهزوم ولا مظلوم : وكافة ماجرى فى الكون او يجرى من عيث و افساد وتخریب و تدمير لا بد وان يكون مرتين بشق من امثال تيك الشقوق التى سردناها . والانحراف ناشىء اما عن الجهل بمبادئ الفضيلة التى لاتكون الحياة بدونها واما من طريق الاغراء بالجهل اذن فليس الفهم و العلم بمفردهما كافيين لطرد الرذائل عن

المجامع الانسانية بل لا بد من اخلاء الميدان في وجه العلماء الصالحين وطر دكل من يتخذ العلم والفهم وسيلة للاضلال والتجهيل:

مثالاً الزمرة الوافرة من سكان المدن قديماً وحديثاً لاتعدم الفهم المتعارف الذي تستطيع من طريقه ان تدرك قبح الرذائل وشرافة الفضائل و ليس الذي يهجم بها على الرذائل و مجانبة الفضائل هو الاشتهاء المجرد فان الرعيل الوافر من الناس لا يعدمون مواقع شهواتهم من الطرق المشروعة كل بحسب بيئته التي يعيش فيها وذوقه الذي يتذوقه الا ان الذي يميل بهم اكثر عن مواقع الصواب الى مراكض الجهل والافساد هو اغراء اصحاب العاهات النفسية لهم بأن من وظيفة الانسان النشيط هو مديده وسائر عوامله المستطاعة له الى كل مظنة يستطيع التسرب اليها ولا معنى للخمود والجمود بالمرّة الواحدة وهذا اللحن من القول هو الذي صير التناص حرفة لجملة من الناس على تمكنهم من العيش الشريف خارج أطار التناص : كما وسع الميدان للمقتيات والغلمان لسحق نوايسهما للملحاجة الى المعيشة ولا بداعى اطفاء الشهوة فان احراز المعيشة واطفاء الشهوة لا يتوقفان على مثل هذا التبذل المقتضح المرذول وقس على ذلك كافة الانحرافات التي اتخذها اهلها مهناً وحرفاً : بل قد يتعدى التسفل بجملة من الاشراف الاصطلاحيين الى الاغراق في الجهل حيث يقوم طرف منه بواجب الشهوة المتفرغنة وكل ما يؤثر من سخف الخلفاء والملوك واثرياء الدنيا المتبذلين هو من هذا القبيل:

وليس الاغراء بالجهل شارة عصر مخصوص من بين العصور كما انه ليس مختصاً بالمتجاهرين بالاحاد دون المتسترين باسم الدين فقد لقيت البشرية انواعاً من المتتهتكين الداعين الى الجهل بانواع البيان المغرى نثراً ونظماً وقد تصادم حول ذلك ارقام واسعة من شعراء ملهيين وكتاب معجبين ومؤلفين كثيرين بذلوا جهدهم في تحسين القبائح و تضعيف الفضائل للناس بصورة تخفى رموزها على الاغرار ويتعمى سوءها على البسطاء

نعم فعل الاغراء بالجهل كل فعله في عصرهاته الحضارات الدارجة اليوم التي ألبت الالحاد الاحاد في اكثر المتطقلين على موائد العلم فأخذت صر خاتهم تموج في كل مجمع وعلى العناون البارزة من كل مجلة وجريدة وتبعث بها الى كافة الاسماع اصداء

المكبرات والراديووات وتجسمها تجسيماً جنوياً شاشات السينما آت والتلفزيونات و مسارح التمثيل فلا تسل عما أصاب العالم بشر اشرده من هياض عارمة تجاهرت بأخس أنواع الفحشاء والصفات المرذولة حتى اصبحت الفضيلة عاراً على صاحبها وحتى اصبحت القوى الدولية تسير كل هاته الانحرافات بين المجامع بقهر السلاح وحتى جاءت وزارات المعارف التي التزمت تثقيف الناس على عاقبة ما من اعظم المجلبين على الثقافة الصحيحة والهادمين لمباني الفضيلة واصبح لا يخرج من هاته المدارس انسان ذكر أكان ام ائني الأفسد أفي جميع انحاء وجوده وهذا التموج العارم الذي تشهده حواس البشرية كلها ماهو الا من نتيجة الاغراء بالجهل :

(٢) المعتدلون : ويراد بالاعتدال وسطية الانسان بين الفضيلة والرذيلة وبعبارة اخرى هو انطواء الانسان على روح مرنة محافظة فهو ان لابس الانحراف فبمجاملة وان فعل الفضيلة وجد نفسه معتبطة بها والى هؤلاء الاشارة بقوله خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً وهذا الفريق كان يشغل في القديم فراغاً واسعاً من الاجتماع البشرى وهو في العصر الحاضر لا يشغل اكثر من رقعة مختصرة منه وانه على علته ممن تؤمن بوائقه اولا اقل تهضم جرائمه وليت ان مجامعنا البشرية اليوم احتضنت هذه الروح فكانت الحياة معها قابلة للاستمرار ولو بتعثر ولكن ليس من ذلك أثر .

(٣) المتقون : التقوى في اصطلاح اهلها هي الخوف من نتائج البادرة نفسها فلا يكذب صاحبها حذراً من تضرر المكذوب عليه من طريق هذا الكذب و لو كان تضرره يسيراً وتزداد هذه الملكة سوخاً في صاحبها فيعود لا يكذب حتى لو كان الكذب غير ضار باحد لانه خلاف الواقع ويضيف الى ذلك متعالياً في تطهير نفسه حتى يتحاشى عن ابداء كثير من الواقعات التي لا تعود بخير على احد ذلك لانه قد راض نفسه رياضة اراد بها ان تكون منبع خير ومعدن حكمة ورحمة فلا يفعل ما لاخير فيه وان كان مباحاً ولا يقول ما لا نفع فيه وان كان جائزاً : وهذه الروح هي النمط العالي من الارواح التي تبطنها البشر في كافة عصوره وهي التي استطاعت ان تستعبد القلوب و تأسر العقول لكيانها المجيد فتري الجيل بعد الجيل يقدر المتقى و يحترمه من صميم قلبه ذلك لان الحق

المكشوف له هيمنة على العقول والقلوب شاعت اصحابها ذلك أمأته :

وقد اهاب شيخ المتقين عن اوصافهم فقال : فالمتقون في الدنيا هم اهل الفضائل ، ثم بسط مفهوم هذه الكلمة بقوله ، منطبقهم الصواب اي لا ينبعث اشدا قهم بشيء الا بما يصيب ثغرة الواقع لتكون مؤنتهم من طريق التكلم واجدة لثمنها الوافي وهو القول عن اصل و اساس و كذلك يجب على العاقل ان ينزه لسانه الذي هو اهم بضعة فيه عن الجزاف فضلا عمالا واقعية له ؛ وملبسهم الاقتصاد ، الاقتصاد هو الاعتدال بين التوسع والتضييق اذ لا يريد ان في التوسع خروجاً عن مقدار الحاجة وفي التضييق شبه احرار بالنفس وكلاهما مورد انتقاد اما في التوسع فلان في مجموعة الخلق من هو معوز وسدعوز المعوزين من اعظم الخدمات الاجتماعية واما في التضييق فلان الاحراج بالنفس تعقيم لها عن جريها في مجارى الحياة المعتدلة وفي التعقيم المزبور مضار نفسية لا تحصى ، ومشيهم التواضع ، التواضع مأخوذ من الضعة وهو التنزل بالنفس وليس المنظور بذلك اذلال النفس وتحقيرها فان اذلا لها اماتة لها و لكن المنظور هو جرها عن افق التكبر الفارغ وافهامها انها ناقصة بعد وان كانت جادة في مضمار الكمال لتستلهم من الفضائل والمعالي ما هي مفلسة منه فعلا ، غصوا ابصارهم عما حرم الله عليهم ، غض البصر جمع اطرافه حتى لا ينبعث مند انوار واسعة اولا ينبعث منه نور بالمرّة وهو المراد هنا وانما فعلوا ذلك لعلمهم ان الخالق الذي خلقهم انما حاول اسعادهم بما سن لهم من طرائق وكبسهم من عمول وجعلها من اهم الناصحين لهم المحبين لسعادتهم ، ووقفوا اسماعهم على العلم النافع لهم ، لانهم علموا ان هاته الاجهيزات العظيمة من سمع و بصر وغيرهما انما اودعت في بناهم البدنية ليستثمر من طريقها أجل المنافع و اجل منفعة السمع هو اخذه للعلم المفيد بحال النفس اولا وبحال الاغيار ثانياً من باب ان الانسان من اهم الوظائف عليه مشاركته فيما ينفع الاجتماع ويقدمه الى الفضل والكمال ، نزلت انفسهم منهم في البلاء كالتى نزلت في الرخاء ، اي انهم اناس لا اقتضائيون من حيث التقيد و الاهمال فلم يفرضوا لانفسهم فريضة خاصة يرونها من لازم حياتها فتقبل عليهم الحياة حين يفقدونها ولا انهم اركسوها في مهاوى الاهمال حتى تعود من سقط

المتاع فى اعينهم وفى ذلك اهلاك لها وهو غير جائز فى شرع الحياة التى تراد للتعالى والتكامل ، و لولا الاجل الذى كتب الله عليهم لم تستقر ارواحهم فى أجسادهم طرفه عين شوقاً الى الثواب و خوفاً من العقاب ، فان قيل هل هذا التعبير من الامام عليه السلام تخييل محض أريد به بيان شدة اتصالهم بالمبدأ الخلاق و مزيد فئائهم فيما اعده للسابقين من عباده اوانه كشف لحقيقة ثابتة وهو ان الانسان باستطاعته ان يفرق ما بين روحه وبدنه من غير اجهاز عليها ولا ريب ان شدة العلق والميما بشىء مما تذهل الروح عن البدن وتحيل من وجود الانسان موجودين ممتازين روحاً منصرفه الى هوايتها الخاصة وبدناً عا طلاعن الاستفادة منها الخاصة نفسه وليس ببعيد بالنسبة الى هذه الشدة اذا زادت بالتكيف وذات الروح فى مقاصدها الخاصة ان تؤثر على الحياة الجسمية آثاراً واحدة يكون من نتائجها انفصال الروح عن البدن غاية أن لارادة الله دخلا فى ذلك فيكون التفانى فى المحبوب من الاعدادات القوية لحصول الفناء باذن الله ، عظم الخالق فى انفسهم فصغر ما دونه فى اعينهم، هذه العبارة عظيمة جداً وهى بدورها تحكى عن واقع مكشوف فان كل من يستجلى ظاهرة من مظاهر الحياة وتتركز فى نفسه تركزاً عن حساب دقيق يعود معها زاهداً اشد الزهد بكافة ما سواها وهكذا المتقى العارف يعود مع فناءه فى الله مستحقراً لكافة ما سواه ان لا يرى لغيره قيمة ولا اهمية ، فهم والجنة كمن قدر آها فهم فيها منعمون وهم والنار كمن قدر آها فهم فيها معذبون ، اى انهم لمزيد تحقيقهم من المطالب و تعمقهم فى حساب أى شىء يستعرضونه يرون ما هم بصدده كالمجسم الممثل و من جملة ذلك الجنة و النار اللتان أوعد الله تعالى بالاولى منهما للمطيعين و توعده بالاخرى العاصين فهؤلاء المتقون على انهم فى النشأة الاولى والجنة والنار من توابع النشأة الاخرى لكنهم لم يريد يقينهم بالله وبما وعد وتوعد به تجسمت الجنة لهم قبل كينونتها فهم بالفعل من مشاهدتها كانوا فى نعيمها ما عملوا صالحاً يفضى بهم اليه كما تجسمت النار لهم قبل اراتها فهم من مقابلتها كانوا فى عذابها يرحون ما عصار بهم وكانوا عن آياتهم معرضين قلوبهم مجزونة ، اى انهم على حذر دائم من فعل اى خلاف يفرض مخافة ان يوقعهم

التساهل في اعمالهم والتشاغل بالملهيات فيما لا يحمدون عقباه وليس حزن قلوبهم من التشاؤم بالحياة بلاداع معقول كما هو شيمة قليلى النشاط ، و شروهم مأمونة ، لانهم راضوا أنفسهم على الخير فلم يجد الشر منفذاً الى وجوداتهم وليس الشر الا من صفات اصحاب العاهات النفيسة اذ ان الله منها ومنهم ، واجسادهم نحيفة ، ليست النجافة من شرائط التقوى و لامن لوازم المتقى فان جسامته الابدان لا تربط كلياً بالاكباب على الدنيا ولذائذها نعم لما كان المتقى فى شاغل عن تربية بدنه بتربية نفسه كان ذلك مما يدعونوعاً الى هزال البدن ونحافة الجسم ، وحاجاتهم خفيفة ، اى ان احتياجهم الى عرض الدنيا قليل لانصراف غاياتهم التى هم بمددها عن الشهوات الحيوانية والمقاصد المادية ، وأنفسهم عفيفة ، فان الشره انما يقترن بمن لا يعرف من الحياة الا ظواهرها التافهة واما الذى يقيس الحياة الانسانية بما هو مقياسها فهو من أعف الاعفاء وأعظم العظماء ،

صبروا اياما قصيرة اعقبتهم راحة طويلة، لا ريب ان كبح جماح النفس مما يحتاج الى معالجة الصعوبات لكن النتائج المتحصلة من طريق هذه المتاعب تنسى كل مشقة اقترنت بالمرتاح فى ثنايا سفره الى مقصده العريض ، تجارة مربحة يسرها لهم ربهم ، و ليست الراحة الطويلة التى يحظى بها المتقى فى الآخرة هى الربح الوحيد من مرابطته للعمل الصالح فى دنياه بل راحته هو فى دنياه من مشاق الميول المتناقضة و الاهواء المتراكبة و راحة الناس من مزاحماته لو لم يكن انساناً صالحاً من أجل الارباح و اوفر المنافع : كما لا ريب ان تيسير الله لعبده هذه الارباح له من أعظم النعم عليه ، ارادتهم الدنيا ، من طريق الميول الحيوانية و الشهوات الاندفاعية ، فلم يريدوها ، لانهم لا يحسون بلذة بل يجدون أن هذه اللذائذ الانتهازية مشوبة بالآلام واسعة و منازعات فاضحة و كل عاقل يأبى لنفسه الافتتاح ، و أسرتهم ففدوا أنفسهم منها ، كلذى نفس هوا سير نفسه منذاول وجوده لكن دائرة العقل متى اتسعت بالانسان تحت عناية منه كان ذلك اول منفذ لخلاصه من هذا الاسر، اما الليل فصافون أقدامهم تالين لاجزاء القرآن يرتلون ترتيلاً ، خصوصية الليل فى العبادة هى

سكونه وفراغه الواسعان حيث يستولى النوم على كل ذى روح الا من انتهز هذه الفرص لمطالعة نفسه و مناجاة عقله و منادمة روحه و اما صف الاقدام فلان القيام من مظاهر الخضوع لعظمة العظيم وكفى بالقرآن ورداً للسان العارف فان فى مضامينه متعة النفس ولذة الاسماع وقد أشعرنا عن ذلك فى مباحث آنفة ، يحزّون به أنفسهم ويستثيرون به دواء دائهم ، المراد من تحزين النفس كسر نخوتها وكبح جماحها وردها الى نصابها اللائق بهامن الانكماش الى التواضع اللازم و تعريفها بالحساب الصحيح انها دون ما تحسب لذاتها من حساب وافى وعلو ضافى كما ان المراد ببدء النفس انواع جهالاتها وخطبها فى ضلالاتها ودواء هذا الداء عميم الوجود فى مضامين الكتاب العزيز ، فاذا مروا بآية فيها تشويق ، بنعيم الجنة ونيل مرضاة الله ، ركنوا اليها ، مرددين لها متميزين معانيها مثلذ ذين بمضامينها ، طمعاً ، فى أن يكونوا من أهلها متى قاموا بلازمها ، و تطلعت نفوسهم اليها شوقاً ، فان النفس تغتبط بما يسرها خصوصاً اذا كان خالصاً من شوائب الآلام و المشاق ، وظنوا انها ، اى ان ماتعرب عنه آيات النعيم ، نصب أعينهم ، قريبة منهم وفى تناول أيديهم ، واذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا اليها مسامع قلوبهم ، حتى تعرف موارد الخطر بتدبر ، وظنوا ، من باب انهم عقلاء متميزون ، ان زفير جهنم وشهيقها فى أصول آذانهم ، كأنهم يطالعون هذا العذاب المدهش وجهاً لوجه حيث لا ريب حينذاك ، فهم ، لذاك ولهذا ، حانون على أوساطهم ، اى جاعلون أوساطهم ملتقى انحناء رؤسهم و أرجلهم كطرفى القوس بالنسبة الى وسطه ، مقترشون لجباههم واكفهم وركبهم وأطراف أقدامهم ، و هذه هى المواضع التى تحمل بدن الساجد فى سجوده وتكون له كالفرش الممهّد ، يطلبون الى الله ، فى اذكار صلاتهم ، فى فكك رقابهم ، من أسرار المعاصى و الانحرافات : هذا عمل المتقين فى اطراف الليل التى يقتنصونها من ساعات ليا ليهم ، واما ، هم فى ، النهار ، حيث لا بد من السعى و الافاضة لطلب رزق و مباشرة عمل و تحصيل علم وافادة معلوم ، فحلما ، لا يعطون توازنهم من أيديهم للبوادى تبدر أمامهم وان اعطى غيرهم كل توازنه لاقل ما يحسبه سوء وبراها وواجباً له ، علماء ، اى لا يكفون من الدنيا بصرف مؤمنات المعيشة فان الانسان مع هذه الحالة لا يفترق عن سائر

الحيوانات الا بالشكليات فقط بل يمشون و راء العلم النافع آخذين له و معطين ،
أبرار ، يقومون بواجب الخلق الفاضل فيبرون بالكبير ويحدبون على الصغير ولا تنشمر
بهم الانانيات الى الجفاف الممقوت .

اتقياء ، لا يتسرعون في اى عمل يفرض ولا يفعلونه الا بعد التروى والتأمل حذراً
من أن يقعوا في متهاة اخلاقية ، قد يراهم الخوف ، من كل موجبات الانحراف ، يرى
القداح ، فهم نحف الجسم ، ينظر اليهم الناظر ، في عرض ما ينظر لغيرهم ممن اهتم
لتربية بدنهم وسمن جسمه ، فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض ، بل هم اصح ابداناً
وامزجة من المتكالبين على الحطام ودليل ذلك ان دنيا البشرية قد شاهدت في عموم
ادوارها صحة هذا المضمون فوجدت الزهاد والعباد والمثاليين أطول أعماراً من المترفين
ذلك لان في الترف انها كاللطبيعة باستخدامها آلة في استيفاء الشهوات المذبية للبدن
اما الانسان الذى يقتصر من عيشه على حفظ سلامته باستيراد الاصول الاولية و دفع الفضول
اللازمة الدفع فهو في امان من ارتكاس طبيعته وانحراف صحته وبذلك تستمر سلامته و
يطول تبعاً لذلك عمره ، ويقول ، عند ما يراهم مطرقيين مفكرين في طريق ما يأخذونه
ويذرونه منصرفين عما سوى ذلك من ترديد النظرات العابثة والحركات الزائفة كما يفعل
ذلك اكثر الناس ، لقد خولطوا ، في عقولهم ، ولقد خالطهم امر عظيم ، يعود لاصلاح
دينهم ودينامهم ، لا يرضون من أعمالهم ، الصالحة ، القليل ، منها بل يحبون الاستكثار
من العمل النافع ، ولا يستكثرون الكثير ، منه لان الخير ومهما كثر فهو خير ، فهم ،
دائماً ، لانفسهم متهمون ، فلا يرسلونها هي و رغباتها ، ومن اعمالهم مشفقون ، حذر
أن تكون قد لابت ما لا يشرع لغفلة وعدم التفات و ليست كل الغفلات معفوة لابن
آدم بل يجب على الانسان ان يراعى نفسه حتى لا يقع في المحاذير ، اذا زكى أحد
منهم ، فقيل في حقه انه انسان تام العيار في اخلاقه ومذاهبه وسائر شؤونه .

خاف مما يقال له ، حذراً من ان يوكله هذا الاطراء الى الاستنامة عن فعل
الحق و مجانبه الباطل ، فيقول انا أعلم بنفسى من غيرى ، وهى عبارة صادقة ما فيها
شك فان الانسان ومهما كان واقفاً على حقيقة الشخص فان الشخص المزبور أعرف بنفسه

من غیرہ فہو ادری بما اخذ واعطى وفعل وترك ، وربى اعلم بى منى بنفسى ، ذلك لان الانسان قد تعذب عنه نفسه ويغيب عنه ذهنه اما الله الواعى الذى لاتأخذه سنة ولا نوم ولا غفلة ويعلم بمكنونات الضمائر فہو اعلم بالانسان منه بنفسه : ونرى المتقى وراء قوله الآنف يناجى ربه ويقول ، اللهم لاتؤاخذنى بما يقولون ، لاننى لم ادعهم اليه واجعلنى افضل مما يظنون ، فان مواقع الخير لاتقف على حد خاص واننى ارغب ان اكون مہما استطعت فى الرعیل الاول من الاخيار ، واغفر لى ما لا يعلمون ، من خطایاى وما ارتكبتہ عالمًا او غافلاً من المعاصى فى دنياى :

ثم أفاض **عليه السلام** فى الحديث عن علامات المتقين و انہم بم يعرفون وعن اى سمة يفرعون : و قبل ذلك يجب أن يعلم بتوسع ان المثالية مع الايمان بالمبدأ كما عليه المتدينون الواقعيون غير المثالية القائمة على انسانية الانسان فقط و أن الفاصلة بين المؤمن عقيدة والمادى مذهباً ومہما كان معتدلاً شاسعة جداً : ذلك : لان المؤمن عن عقيدة دينية يرى ان المبدأ الاعلا وجود قائم بجميع الصفات العالية والكمالات الراقية وانه ما خلق الخلق الا لهدف عال جداً فى كلنا نشأتيه معاً : اما الدنيوية فجعلها ميدان سباق فى الفضائل النفسية واما النشأة الاخرية فاعتبرها دار مستمتع بمواهب هذا السباق المہم كما انه اعتبر الانسان فى دنياه روحانياً اكثر منه مادياً و جعل المادية فيه اعداداً لقيام روحانيته بأعمالها الجليلة و ان المثالية المطلوبة منه مثالية روحانى لا صرف كونه انساناً حسن الاخلاق شريف الصفات بعيداً عن الموهنات الاخلاقية كما اعتبر أن أهم منافع الوجود الدنيوى الشاخصة فى عرصة العيان انما خلقت لاجله حتى يتخذها وسيلة لتقويم بنية حياته الاعدادية لعملة العبادى المثالى المنظور :

اما المادى الذى يعتبر أن هذه العوالم ناشئة عن سلاسل تحولات طبيعية فى جمادها و نباتها و حيوانها و انسانها و شمسوسها و أقمارها ومجراتها وما الى ذلك وان الانسان من بينها وجود حيوانى خاص وانما حصل على هذه المواهب الفكرية من طريق التمرن كما يمرن الحصان و الكلب والقرد على حالات يشاكل فيها حالات الانسان و انه ليس بمخلوق ابتدائى ولاموهبة العقل فيه هبة حادثة فغاية ما يمكن أن يقول۔ وذلك اذا

اعتدل في سليقته ايضاً - ان البذرة الاولى لهذه العوالم و اعطاء ظاهرة الحياة للاحياء منها جاءت من قوة اعلالا تتميزها ولا نعرفها وانما تلجئنا اليها مزاحمة العلم لنا في طريق بحوثنا عن كينونة هذه الكائنات غير المتناهية الواسعة الى أبعد حدود السعة المحيرة للعقول بمحتوياتها المدهشة - واذا اعتدل ايضاً قال - ان الانسان وان كان حيواناً بتمام هويته الا انه لما ترقى بنفسه وشكل له جامعة ممتازة عن سائر الموجودات وجب عليه أن يستفيد من هذه الثقافة لنفسه في أطار مجتمعه فانه لما خرج من الاهمال المزعج الذي كان يعاني مضاره حينما كان وحشاً خالصاً الى هذه الحضارة لزمه أن يسعى لتهديبها أكثر وتهديبها لا يكون الا باستخدام العلم في طريق العمل وذلك بان يصدق في اقواله و أفعاله ويرفق بذويه وآله بل وحتى بالاباعد عنه لحمته و نسباً و يدارى الافراد ولا يغت بهم حتى يستطيع ان يستفيد من مرونته ما يفقده في اعمال خشوته و يمنع نفسه من التجاوز على حقوق الاغيار لعلمه أن حق الغير ملك له فكما لا يجب أن يزاحمه احد على ملكه الخالص لا يجوز له أن يزاحم احد على شيء من حقوقه ليحفظ بذلك توازن الحياة بينه وبين غيره وأن لا يدع للظلم في كل شيء منفذاً في الاجتماع الذي هو من أبعاضه حتى تتسنى له المعيشة المعتدلة وأن يسن هو والعقلاء الآخرون نظاماً تكفل لهم السعادة في دجالي هذه الحياة وأن يلتزم الجميع بتنفيذها والمحافظة عليها وان يتحلى كل فرد من طريق المعارف بكل خير توحى به المواهب الفكرية لخير البشرية جمعاء .

فهذا الذي صورناه في حقه أقصى ما يمكن تعقله بالنسبة اليه لكن هذه الروح وان اشتركت في نتائجها العملية مع ما عليه برامج الدين في امثال هذه الميادين الا انها تفرق عنها في جهات حساسة اخرى :

- منها - ان القائم بهذه الفكر الراقية عند المتدينين هو المبدأ المقدس الاعلا وأنه هو الذي ألهم هذه العقول بهذه المعاني الجسام وانه المعلم الاول والمربي الاكبر والموجه الاعظم الذي لم يترك العقول لنفسها في هذه الميادين الخطرة بل عضدها بالتوجيه القائم بكتبه المنزلة على انبيائه العظام الذين التزموا على عاتقهم أهم الخدمات الدينية الاجتماعية بسوقهم البشرية جمعاء من طريق تشويق الحجج البوالغ المشفوعة

بالعمل الصادق الى مقاييس السعادة جهد المقدور معين عن كل ذلك بانه ليس من
أكياسهم الخاصة وانما هو تنفيذ لارادة الخالق العظيم كل الخير بمخلوقاته :
ومنها- ان نتيجة هذه الاستقامة ليست للحياة الدنيوية فقط بل لنشأة اخرى
أهم أعظم و هي نشأة الاخرة السرمدية التي لانتهى الى حد والتي تكفلت النعم
كلها للمتقين بالماعين رأيت ولاذن سمعت ولاخطر على قلب بشر .

- ومنها- ان الانحراف عن البرامج المذكورة ليس مما يربك الحياة على الاحياء
فحسب فيذهب الظالم والمظلوم الى عالم الفناء الذي لا انتباه بعده ولا حساب يتعقبه
بل سوف يعيد الله الخلق ظالمهم ومظلومهم فيأخذ للمظلوم من الظالم ما يأخذه العزيز
المقتدر العادل للمهضوم من هاضمه :

فهذه الفوارق أساسية تختلف معها حياة البشر اختلافاً واسعاً فكم من فرق بين من
يفعل الخير مع الناس بحسب الثقافة البشرية لاكثر وبين من يفعله لانه يجده لزاماً
عليه وانه مع التخلف يؤاخذة اقوى الاقوياء الراصد له بما يظهر ويضمّر مؤاخذه شديدة
لاتبقى عليه ولا تندر :

امّا ذاك الاول فلا يدور في خلد من هذا شيء اصلا فلوانه شاء الانحراف لما آخذ
نفسه الا بالخطأ فقط من دون أن يحسب لها عقاباً لا عاجلاً ولا آجلاً وهكذا لا يحسب لفعله
الخير ثواباً الا ارضاء وجدانه لا ازيداما ذاك فيرى انه فضلا عن ارضاء وجدانه فقد ارضى
ربه الذي يملك ناصيته والذي أعد له جنة عرضها السموات والارض فهل ترى أن هذه الدوافع
والزواجر على نمط واحد - لا - بل بينهما من الفروق الشيء الكثير الذي لالتقى معه
على حد :

ولهذا نجد الثقافة البشرية اليوم ثقافة جوفاء لاتأثير لها على حركات الانسان
وسكناته فالبروفسور الذي أتعب فكره في الدراسة عشرات السنين وأخذ بعد ذلك يدرس
ويحاضر في اهم الجوامع التي يشد اليها الرحال ويكتب في اعظم المجالات رواجاً ويأخذ
على كتابته الاجر العظيم لانراه في نفسيته الاخلاقية ومهما اتزنت يساوى اقل المتدينين
في خوفه و حذره من ارتكاب المعاصي ومقارفة السيئات ذلك لانه لا يجد في نفسه

وازعاً ملحوظاً من ناحيته : اما المتدين فيجد في نفسه الخوف عند ارتكاب المعصية ويظهر انكماش ذلك على سخنات وجهه وبشرة جلده :

و هذه الفوارق هي التي جعلت المتدين القليل البضاعة يكسر من مادة قوته الضرورية له و لعياله مبلغاً يشتري به الرسالة العملية في الاحكام الشرعية ليطبق على نظمها ما يجوس خلاله من حركة و سكون في كافة مجارى حياته خائفاً من اهمال نفسه اشد الخوف :

اما المثقف المادى فان طالع منشور حقوق البشر الذى تصافق على تدوينه عقلاء الاجتماع فيما يقال وضمن اجراء اكثر الدول بما لديها من حول وطول فلهايته أن يقف على منتجات عقول العصر لاكثر و لذلك نراه - كما نرى نفس مدونى المنشور و كما نرى المدعين لضمان اجراءه ايضاً - غير متأثر عملاً بما فيه ولا خائف من الانحراف عنه بعد ان وجد مدونيه منحرفين و أن ضمناً اجراءه فاسقون :

وعلى هذا الاساس شاع الانحراف بين عامة البشر وكثر السخف واستشرت المفاسد و انتشرت السيئات و الجرائم الى حدود لا توصف هي بمنظرو مسمع من الجميع : ولهذا اصبح موقف المتدين في هذا العصر موقفاً حرجاً جداً لانه يواجه دنيا مادية حادة في ميولها واهوائها :

كما ان الباحث والمفكر المتدين اليوم غير الباحث والمفكر بالامس فان ابن سينا او نصير الدين الطوسي انما استطاعا ان يهيمنوا على عقول جوامعهما المعاصرة لهما فلانهما لم يواجها دنيا مادية و لا جيلاً مادياً و لذلك تمكنا أن يؤثرنا بمعونة حسن ظن الناس بهما ذلك التأثير الذى اثاره فى تثبيت عقائد الناس بالله و بعموم ما وراء الطبيعة .

ولو أتاحت لهما الصدق أن يقارنا فى الوجود دنيا البشرية فى هذه العصور لوجدنا فى طريقهما العلمى من المشاق والصعوبات ما يعجزهما انصافاً امام هذه الآراء الدارجة والبحوث المدونة والعقليات السائرة وروحيات اهل الزمان والحق ان المتدين المجاهد بقلمه و فكره و عمله فى هذا العصر له اهمية عظيمة بين حملة الافلام والمفكرين

والمثاليين المعتقدين :

.. ودونك ما ذكره امير المؤمنين عليه السلام من علامات المتقين: قال عليه السلام : فمن علامة أحدهم أنك ترى له قوة في دين وحزماً في لين وإيماناً في يقين وحرصاً في علم وعلماً في حلم وقصداً في غنى وخشوعاً في عبادة وتجملاً في فاقة وصبراً في شدة وطلباً في حلال ونشاطاً في هدى وتحرجاً عن طمع يعمل الاعمال الصالحة وهو على وجل يمسى وهمه الشكر و يصبح وهمه الذكر يبيت حذراً ويصبح فرحاً حذراً لما حذر من الغفلة وفرحاً بما اصاب من الفضل والرحمة اذا استصعبت عليه نفسه فيما تكره لم يعطها سؤالها فيما تحب قرة عينه فيما لا يزول وزهادته فيما لا يبقى يمزج الحلم بالعلم والقول بالعمل تراه قريباً امله قليلاً زلله خاشعاً قلبه قانعة نفسه منزوراً أكله سهلاً أمره حريزاً دينه ميمته شهوته مكظوماً غيظه الخير منه مأمول والشرمه مأمون ان كان في الغافلين كتب في الذاكرين وان كان في الذاكرين لم يكتب من الغافلين يعفون عن ظلمه ويعطى من حرمه ويصل من قطعه بعيداً فحشه ليناً قوله غائباً منكره حاضراً معروفه مقبلاً خيره مدبراً شره في الزلازل وقور وفي المكاره صبور وفي الرخاء شكور لا يحيف على من يبغض ولا يأنم فيمن يحب يعترف بالحق قبل ان يشهد عليه لا يضيع ما استحفظ ولا ينسى ما ذكر ولا يناز بالالقب ولا ياضار بالجار ولا يشمت بالمصائب ولا يدخل في الباطل .

ولا يخرج من الحق ان صمت لم يغمه صمته وان ضحك لم يعمل صوته وان بغى عليه صبر حتى يكون الله هو الذي ينتقم له نفسه منه في عناء والناس منه في راحة أتعب نفسه لاخرته وأراح الناس من نفسه بعده عن تباعد عنه زهد ونزاهة ودنوه ممن دنامنه لين ورحمة ليس تباعده بكبر وعظمة ولادنوه بمكر وخديعة : قال فصق همام صعقة كانت نفسه فيها فقال امير المؤمنين عليه السلام أما والله لقد كنت أخافها عليه ثم قال هكذا تصنع المواظ البالغة بأهلها فقال له قائل فما بالك يا امير المؤمنين فقال عليه السلام ويحك ان لكل اجل وقتاً لا يعدوه وسبباً لا يتجاوزه فمهلا لاتعد لمثلها فانما نث الشيطان على لسانك .

وفي شرح ذلك نقول لكل شيء علامات يستدل بها عليه والمتقون لا يشنون عن

عن ذلك ، فمن علامة احدهم انك ترى له قوة ، وهى الصلابة ، فى دين ، اى مغموسة فيه بحيث لاتعبث بأفكاره الحوادث فتضعف من دينه وتقلل من يقينه ، وحزماً ، وهو الجهد والنشاط مغموساً ، فى لين ، وهو السهولة والامنافاة بين الوصفين فان الحازم هو النشيط ولين العريكة هو الخلق وما احسن هذين الوصفين مجتمعين ، وايماناً ، عريقاً ، فى يقين ، لا قشرباً لا يشف عن اساس محكم ، وحرصاً فى ، طلب ، علم ، لان العلم هو طريق الحياة الصحيحة لكن بشرط تطبيقه على الخارج والافصرف المفاهيم العلمية لاقيمة لها الابقمدار تزويق الالفاظ وحسن ربط المعانى بعضها ببعض وسوف نتحدث عن جوهر هذا المعنى فى بحث عنوانه الانسان بين صلاحياته ، وعلماً ، مغموساً ، فى حلم ، فان جملة من اهل الفضيلة يتحاشى الانسان ملاقاتهم ليبوستهم فى المجالات العلمية ، وقصداً ، وهو تعديل نظام المعيشة ويقال فى مقابل الاسراف والتقتير ، فى غنى- نفس اوانه مع كونه غنياً تراه ذاقصد لايسرف ولا يقتر ولكن يصرف فاضل ثروته على المعوزين ، وخشوعاً ، وهو التواضع بحسن سمت : مقروناً ، فى عبادة ، لاسمت مجرد ، وتجملاً ، وهو الطلوع بمطالع الميسورين ، فى فاقة ، اى مع فاقته واعوازه ، وصبراً فى شدة ، اى هو صبور فى الشدائد ، حمول فى المشاكل لايجزع للكوارث تحل بساحته ، وترى له ، طلباً ، وسعياتأمين امور معيشته ولكن ، فى حلال ، و ، تجدله نشاطاً ، واستقامة ومثابرة على العمل ولكن فى هدى ، وعلم ودين ومعرفة .

وتحرجاً عن طمع ، بل ان طلب وسعى ونشط للعمل فلاستيفاء حق خالص عن الجشع والاستكثار ، يعمل الاعمال الصالحة وهو على وجل ، مخافة أن لاتكون خالصة ، يمسى وهمه الشكر ، لله على ما آتاه فى يومه ، ويصبح وهمه الذكر ، لما يستقبله من يقظته وسعيه فى بياض نهاره فان تكن جوارحه مشغولة بعمل فليكن لسانه مؤدياً لله واجب ذكره ، يبيت حذراً ، من كل ما يجب الحذر منه لدين ام لدنيا لامتغافلا ، ويصبح فرحاً ، مسروراً ، حذراً لما حذر ، من ناحيته تعالى تشريةاً وارشاداً ، من الغفلة ، فان المسؤولية وان كانت لاتوجه الى الغافل حين غفلته ولكنه يلام على تركه للحذر المؤدى اليها ، وفرحاً بما أصاب من الفضل والرحمة وافل ذلك الحياة التى هى اعداد لكل فضيلة ونيل كل خير وحياسة كل سعادة ، ان

استصعبت عليه نفسه فيما تكرد، فجمحت به ولم تطاوعه الى ما هو خير في نفسه وان كان تقيلاً عليها غير مرغوب لديها، لم يعطها سؤالها فيما تحب، و ترغب و ان كان في نفسه مشروعاً تأديباً لها، قرّة عينه فيما لا يزول، وهو النعيم المقيم و حسن الاحدوثة دنيا واخرى، وزهادته فيما لا يبقى، و هو التلذذ بالتوافه التي لا ينعم بها الانسان الا حين الملاسة على ما يشوب اكثرها من الآلام والاسقام، يمزج الحلم بالعلم. اى ان حلمه لالترايبية في مزاجه وانما هو عن علم بفضل الحلم وما يؤتبه من خير عميم للمحليم، والقول بالعمل، اى لا يقول قولاً الا و يشفعه بالعمل والا كان هازلاً لاجاداً و كاذباً لا صادقاً ومراثياً لا واقعياً، تراه قريباً أمله قليلاً زلله، اى انه لا يمنى نفسه بما هو بعيد عليه و اذا زلت به خطاه فبندره لا يعتمد بها ولا تؤخذ عليه لاخذ الحائطة لنفسه في كل اموره خاشعاً قلبه، فلا يتزى به كما تفعل قلوب المتغترسين بهم وخشوع القلب له تأثيره القهار في خشوع الاعضاء نظير ما قيل :

واذا حلت الهداية قلباً نشطت للعبادة الاعضاء

قناعة نفسه، بما تهيأ لها وتيسر لديها، منزوراً أكله، بقدر ما يبلغه الى حاجاته و يقيم صلبه فهو ياكل الزاد لاجل ان يحمله الزاد لاجل ان يحمل الزاد سهلاً امره لا يحتاج في ادارته الى مؤنة تعنت به، حريزاً دينه، اى ان دينه مصون بالمواظبة عليه والبعدهما يوهنه، ميمة شهوته، لانصرافه الى عمارة روحه، مكظوماً غيظه، لعلمه ان من لا يملك غيظه، لا يستطيع ان يملك اية ناصية من نواصي اموره و اذا كان كذلك اخفق في كافة شؤونه، الخير منه مأمول، لحيه للخير المطلق ولا يؤمل ممن هذا دينه الا الخير فحسب، والشر منه مأمون، لان ابتغاء الشر من شيم النفوس الساقطة، ان كان في، مجلس، الغافلين: كتب في، ديوان، الذاكرين، لان لسانه ان كان غير لهج بذكر الله فقلبه معمور به، وان كان في، مجلس، الذاكرين، وان كان لم يشاركهم لسانه بالذكر - لم يكتب من الغافلين، لتعهد قلبه ربه على كل حال .

يعفو عن ظلمه، لان الانسحاب عن الحق الشخصى ملك طلق للشخص والعافى عند القدرة عما يختص به لغرض عقلائي يعد من المحسنين المحنكين، و يعطى من

حرمه ، لان المقابلة بالمثل فى القطيعة ونظائرها مما يروج سوق الرذائل بين الناس ، ويصل من قطعه ، ليبين له ان من احسن اخلاق المرء مواساته لآخوانه ، بعيداً فحشه ، لان تثقيفه لنفسه و تربيته لروحه يزعانه عن هذه المستقذرات ، لينا قوله ، مع كل احد يرجى فيه الخير ولو بعد حين لان لين القول جازب للعاطفة كما قال تعالى و قولاً له قولاً لينا لعله يتذكر اذ يخشى ، غائباً منكروه . فلا يؤب ، حاضراً معروفه ، فلا يغيب لانه لما راض نفسه على خلال الخير بعد عنه الشر بعد الاقرب معه ولا زمه الخير ملازمة لافرقه معها ، مقبلاً خيره . لاقباله عليه ، مدبراً شره ، لادباره عنه ، فى الزلازل ، و الاضطرابات من اى نوع كانت ؛ وقور ، لا يعطى اتزانه من يده ، وفى المكاره صبور ، لا يبدى الجزع من نفسه ، و فى الرخاء ، و العافية ، شكور ، لمن عافاه وارخى له ، لا يهيف ، ولا يجحف بالقول والعمل ، على من يبغض ، بل له من دينه وأدبه اعتدال يزعه عن الافراط والتجاوز .

ولا يأنم فيمن يحب ، فلا يكذب فى مقام الاشادة به ولا يغالى اذا افاض فى فضله ، يعترف بالحق ، بداعى دينه ووجدانه ، قبل أن يشهد عليه . الحق فيبدي كتمانها ويضعف ايمانه ، لا يضيع ما استحفظ ، لاماته وعريق ايمانه ، و لا ينسى ما ذكر ، من ناحية ربه والادلاء عليه فهو دائماً على ذكر من وظائفه وتعهده لما ألقى على عاتقه ، ولا يناز بالالقب ، لان دينه يمنعه عن أن يسىء الى غيره ويزعه عن ارتكاب الباطل ، ولا يضار بالجار ، بعد ان عرف ان ذلك من سوء الجوار وقد ندبه الشرع والعرف الى الاحسان اليه والتعهد له لان الجار اقرب انسان فى المحيط الاجتماعى ، ولا يشمت بالمصائب ، الواردة على اعدائه لعلمه ان ذلك ليس محلاً للشماتة لان اصابة الحوادث عامة فى عموم الخليقة و يكون الكثير منها من دون تسبيهم ، و لا يدخل فى الباطل ، لا لان دينه يزعه عنه بل لان عقله وفتوته يأتیان له كل رذيلة والباطل لا يكون الا فى الرذائل فقط ، و لا يخرج من الحق ، لا فى صغير ولا فى كبير لمنافاة ذلك كله للدين و شيم الصالحين ولا اعتراف كل عاقل ان الحق هو الصراط السوى الذى يجب ان يسلكه كل من اراد الحياة الصحيحة .

ان صمت لم يغمه صمته ، لسلامة الصمت من كل آفة وبعده عن كل مؤاخذة ولا يلام عليه صاحبه الا اذا اقتضى الموقف منه كلاماً يهد به باطلا ويشيد حقاً ، و ان ضحك لم يعل صوته ، كما يفعل الخفاف من بنى آدم لعلمه ان ذلك ينا في متانة الرجل وما يجب عليه من وقار واتزان ، وان بغى عليه صبر حتى يكون الله هو الذى ينتقم له ، اما فى عاجلة الدنيا واما فى آجلة الآخرة والمراد بصره حيث لا يستطيع الانتقام مباشرة لنفسه هوسكونه عن السعى الى المقتدرين عليهم يأخذون له بحقه وينتقمون له من ظالمه و الداعى الى ذلك هو ان تحمل منة الاغيار فيه مشاق روحية لا تنكر والله لا يريد لعبده المؤمن به أن يذل ما دام للعة طريق و احد الا قل من تلك الطرق تظايره بالمتانة و ان غضب حقه ، نفسه منه فى عناء ، لاندفاعه الى ميادين العمل المقرب لله سبحانه .

والناس منه فى راحة ، لكف نفسه عن كل ما يؤذى الناس او يخذش عواطفهم أتعب نفسه لآخرته ، حتى يحرزها حيث النعيم المقيم والهناء الدائم والجهود التى يبذلها العاقل يجب ان تكون وراء الاهداف العالية و لا اعلا هدفاً من تحصيل الفضل الدائم والحياة الباقية . وأراح الناس من نفسه ، لقبضه على زمامها وانصرافه بها الى شؤنه الخاصة به حيث لاتزاحم الاغيار ، بعده عن تباعد عنه زهد ونزاهة ، اما زهده بالمعاشرات وكثرة الارتباطات فلعلمه انها تقوده فى الاعم الاغلب الى ما لا يرضاه لنفسه ولا لغيره واما نزاهته فهى للترفع بنفسه عن مظان الاذى الذى يلحقه من الغير و يلحق الغير من طريقه بسبب كثرة الارتباطات والانغماس فى المعاشرات ، ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة ، بالمدون منه ولطف به لانه انسان قد ارض نفسه على خلال الخير فلا يكون منه ما يؤذى ، ليس تباعده ، عن الاغيار ، بكبر ، عليهم واعتقاده فى نفسه انه أعظم وأجل من ان يعاشرهم ، وعظامة ، لشخصه بترجيح نفسه على من سواه اعتباراً مجرداً كما هو يدن ضعفاء النفوس ، ولادنوه ، من غيره ، بمكرو و خديعة له ، حتى يستدرجه بذلك و يجعله قنطرة لتنفيذ مقاصده :

وفى خاتمة هذا الشرح نشير الى نكات :

(١) ان ما ذكره على عليه السلام من اوصاف المتقين ليس هو بشعرولاخيال كما يقوم الشعراء بدورهم في تجسيم اشياء لانه يحقق لها من العيان وقد لا تتحقق اصلا : وانما هو عرض لصفات معقولة في نفسها قابلة للتحقق في الخارج بل هي متحققة في كل جيل ضمن افراد قلائل :

(٢) ان هذه الشروح المفصلة في الاخلاق العالية على ما تقتضيه من رياضات مهمة واجهاد للنفس مقبولة بل محبوبة لكل انسان عندما يتصورها مقرونة الى الحياة السعيدة و لكن ضعفه عن مقاومة ميوله النفسية الساقطة هو الذي يقعد به عن الاستشعار لها والتلبس بها :

(٣) الفرق بين علي عليه السلام وهمام في ان علياً لم يتأثر بما سرد من هذه الشروح العالية بل كان في سرده على رسله وعاداته المستمرة معه وان هماماً تأثر بها بمجرد فهمه لها واساغته اياها هو أن علياً عالج هذه المشكلات الاخلاقية منذ صغره وتلبس بها من آماذ بعيدة فكانت عادية له واما همام فقد جوبه بما لم يسبق به بهذه الصورة فتأثر بها هذا التأثير الحاد :

(٤) ان لحالات النفس آثاراً فعالة تاتي بالعجائب والغرائب فكما أمات الخوف جباناً والحب انساناً وما الى ذلك :

(٥) هل كان موت همام اثرأ لتأثره بما سمع او كان بأجل صادف فان كان الاول لم يصح قوله عليه السلام في جوابه للقائل - ان لكل اجل وقتاً لا يعدوه - وان كان الثاني لم يكن لموت همام في هذه المصادفة اي اثر ووزن بل يكون موته كموت السائرين :

(٦) هل ان الاسباب الطبيعية اعدادات فقط وان المؤثر في النهاية هو ارادة الخالق او ان الاسباب الطبيعية هي كل المؤثر بعد جعلها من الخالق اسباباً لمسبباتها و الاول مخدوش بان مثل نزول البرد الثقيل على مزرعة قد حان حصادها يؤثر من حينه ولا تبقى مهلة للارادة في الفناء او البقاء و الثاني مخالف لما جاء في الشرائع من القضاء والقدر وان النتائج مرتبهة بهما او نقول بالتفصيل فيها فبعضها يكون اعداداً و بعضها يكون علة تامة : وتكون مسألة همام من قبيل الاعداد فان قلت كان من

نظرك ان الطبيعة لانا موس لها وانما هي اعداد خالص قلنا نحن الان لم نجد عن ذلك فان مثل نزول البرد الثقيل لا نعتبره سبباً طبيعياً خاصاً و انما نعتبره سبباً وجهه الله الى المحل الذى اراد اصابته و صرفه عن المحل الذى لم يرد اهلاكه فهو ان اعتبره الناس سبباً طبيعياً ففي ظاهره و العلة الفعالة هي ارادة الله به و قد جاء تعزيز هذا المطلب فى كتاب الله حيث يقول (سورة النور الآية ٢٤) وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء و يصرفه عن من يشاء : و بعبارة اخرى نفس نزول البرد فى ظاهر الطبيعة سبب صورى للافناء و باعثة ارادة الله لنزوله و الاهلاك به فهو من اول نزوله الى آخر تدميره مسوق بارادة الله :

و نجمع فيما يلى ما ذكرناه فى النكات الآتية و نقول لاريب ان ما بسط شرحه عليه السلام فى حق المتقين من اعلاما يمكن تصويره فى الانسان الجامع اصفات الخير والمعروف كما ان كل انسان يود بفطرته السليمة ان يجيء على الوصف لما فيه من اخلاق عالية يسعد بها صاحبها فى حياته المادية والمعنوية و لكنه لا يرى ذلك سهلاً لاستدسائه الرياضات العالية و المغامرات المهمة و على هذا فلا استبعاد ان يصعق نظيف الباطن من استشفافه لهذه الصفات لمزيد حبه لها و علوق نفسه بها : و للحالات النفسية من جين و شجاعة و حب و بغض و ما الى ذلك آثار مدهشة على النفس و من جعلتها الفناء من طريقها : و الفرق بين على و همام حيث هجمت عظمة التمثيل عليه فأردته صريعاً و لم يتأثر على بأكثر مما كان متأثراً به و ان علياً راض نفسه من الصغر على هذه الفكر فلم يفاجأ بها و اما همام فقد فوجيء بما لم يعهد فآثر عليه هذا التأثير لكن يجيء الكلام فى قوله ع اللقائل له فما بالك يا امير المؤمنين و يحك ان لكل اجل وقتاً لا يبدوه و سبباً لا يتجاوزوه فان موت همام ان كان لاجل محتوم لم يعد اى وزن لتأثير كلام على عليه السلام فيه بل يكون موته كموت اى انسان آخر فى اجله المحتوم عليه و ان كان موته لشدة تأثره بما سمع لم يكن للاجل بما هو اجل مرضوعية تنسب اليه هذه الموتة : فما هو المنطق الفصل فى المقام : فهل ان الاسباب الطبيعية اعداد و تقدمه القضاء المحتم و يكون التأثير النهائى للقضاء و القدر : فمثلاً يكون التبخير و ملاقاة البخار للهواء البارد اعداداً للمطر و لا يكون المطر الا بأذن الله و قس على ذلك نظائره : او

أن الآثار المترتبة عليها آثارها وان ارادة الله في جعلها الاولى وخلقها بما هي عليه من خصوصيات لا تحتاج الى تعقب ارادة منه أخرى في مقام التأثير مثل الله الذي خلق النبات السام أراد به لما خلقه ان يفعل مفعوله من دون أن يتوقف على ارادة ثانية منه في تأثيره : لكن هذا التصوير يناهى معنى الآجال المحتممة لانها تفيد اناطة التأثير بها لا بالاسباب الظاهرة ومهما كانت فعالة : ثم ان تصوير الاعداد في الاسباب الطبيعية معقول في جملة من صورها نظير ما مثلنا به من التبخير وتعقب المطر له تارة وعدم تعقبه أخرى لكن هناك اسباباً لا يعقل فيها تخلف آثارها عنها كنزول البرد الثقيل على الزروع المستحصدة وانلافه لها بمجرد نزوله عليها فكيف يتعقل في هذا ونظيره انه اعداد والاتلاف الاجال المحتممة او بعبارة أخرى للقضاء المبرم نعم انما يتعقل القضاء المبرم في أصل تقدير نزول البرد الثقيل وتكون نسبة اثر الاتلاف الى البرد نسبة حقيقية : اما مسألة همام فهي تنطبق على الاعداد انطباقاً تاماً لان الطبيعة الانسانية قابلة لان تتأثر بتأثيرات واسعة الاطراف وقد تصل بالانسان الى أن يكون جنازة ولكنه يبقى مع ذلك حياً فيتعقل حينئذ ان يكون الموت منسوباً لاجله الخاص :

وقد اخذ المرحوم الشيخ حسن الدمستاني البحراني رحمه الله جملة مما أورده امير المؤمنين عليه السلام في خطبته هذه ونظمه في قصيدة تخلص فيها الى رثاء ابي عبدالله الحسين عليه السلام فقال :

من يله المردبان المال والامل	لم يدرما المنجيان العلم والعمل
من لى بصيقل الباب قد التصقت	بها الرذائل والتاقت بها العلل
خذ رشد نفسك من مرآة عقلك لا	بالوهم من قبل ان يفتالك الاجل
فالعقل معتصم والوهم متهم	والعمر منصرم والدهر مرتحل
مطى الانام هي الايام تحملهم	الى الحمام وان حلوا او ارتحلوا
ام يولد المرء الافوق غاربها	يحدوبه للمنايا سائق عجل
يامنفق العمر في عصيان خالقه	افق فانك من خمر الهوى ثمل
تعصيه لأنت من عصيانه وجل	من العقاب ولا من منه خجل

تشرى بها لهما في الحشر يشتمل
وانت عنه برغم منك تنتقل
عيناه او عاقه عن طاعة كسل
فقم بجحج دجى لله تبتهل
طيب الكرى في الدياتجى منهم العقل
من رق ذنبهم والدمع ينهمل
قسى نبل هم ام ركع نبل
عمش العيون بكى ماغبها كحل
او خولطوا خبلا حاشاهم الخبل
يفرط بهم طمع يوما ولا وجل
او يغضبوا غفروا او يقطعوا وصلوا
ولا يميل بهم عن وردهم ميل
الا على معشر فى كربلا قتلوا

انفاس نفسك ائمان الجنان فهل
تشح بالمال حرصا وهو منتقل
ما عذر من بلغ العشرين ان هجعت
ان كنت منتهجا منهاج رب حجى
الاترى اولياء الله كيف قلت
يدعون ربهم فى فك عنقهم
نحف الجسم فلا يدرى اذا ركعوا
خمص البطون طوى ذبل الشفاه ظما
يقال مرضى وما بالقوم من مرض
تعادل الخوف فيهم والرجاء فلم
ان ينطقوا نكروا او يسكتوا شكروا
ولا يلم بهم من ذنبهم لم
ولا يسيل لهم دمع على بشر



ونحن قد أعربنا فى موشح مبسوط عن جملة من محتويات ما تعرض له الامام

عليه السلام فقانا تحت عنوان .

فكرة وعبرة

ليت فكرى لم يبارحه الجمود
واستحالت بيض ايامى سود

انا من تجوال فكرى فى عذاب
نهب القوة منى والشباب



فترانا فى مطاويه وجوم
بأهاليه وفى اخرى يعوم
كـمان مبعوث عقول وفهوم

لعب الدهر بنامذ الازل
مرة يركب اعطاف الجبيل
اترى الداعى الى هذا العمل

فجرت تقعد طوراً وتقوم
وان استجمع انواع العلوم
وبه قد ادركوا حتى النجوم
بل تمشى فى مجاريه العموم
فقصارى حظه بؤس وشوم
وانمجت من بعده حتى الرسوم
وبه دسوا الدواهي والسموم
انكرت سيماه احداق الشهود
وكفانا السوء فى هذا الوجود

ام ترى الدنيا تعاطتها الحيل
لا يرى الحربها غير الفشل
فاز فى لذاتها اهل الدجل
وعلى هذا مشت كل الدول
واذا عفت كريم فاعندل
عاش فيها بائسا حتى ارتحل
فمتى يصدق تاريخ الاول
بل متى يثبت للسمع كتاب
نور الله لنا نهج الصواب



كل ما الانسان نالته يداه
دسه فيه انقياداً لهواه
لم يكدره بشوب و اشتباه
ليس تشكومه حمقاً و سفاه
ضاحكاً من زعمنا جرماً أناه
ان أطاع الدين فى درك مناه
فى نظام العقل او شرع الاله
تاركاً كل النواميس و راه
غير تأمين هواء لا هداه
فى المجالى بالذى فيها جناه
عن هوى النفس و تحظيم القيود
بالغاً فى غيه اقصى الحدود

فلقد عانت يد الانسان فى
هل ترى حقاً خلا من سخف
او ترى المنطق منه قد كفى
ام ترى الدنيا مشت فى شرف
فغرت اشدافه فى صلف
يحسب الدنيا مجالا لا يفى
عيشه فيما يراه منتفى
فجرى مستهتراً فى سرف
لا يرى فى سيره من هدف
فجنى شر الجنى لا يختفى
داعياً فينا بتمزيق الحجاب
فهقا الكل اليه وأجاب



مالها اخنت على كل البقاع

صرخة العصر الجديد المزعجه

وأطارت نير العقل شعاع
 و لاهليها غدا منها التباع
 دهمتنا بقوى لا تستطاع
 فأطعنا و المقاييس تطاع
 صادفت عجماً رتاعاً ورعاع
 ليس يدري هل له فيه انتفاع
 وضعه العارى لستر لو يباع
 ضيعو الرشد على النشأ فضاع
 ديبه كفرو و دنياه ارتجاع
 فاشل الامال مكذوب الوعود
 وعليه وحشة البؤس تسود

هدت الدين و اوهت منهجه
 و غدت دنيا المعالي حرجه
 كيف طرنا لاخيول مسرجه
 ام ترى المنطق أدلى حججه
 لم يكن للقوم غير البهرجه
 و جئها النشأ لدرب فاتجه
 سلبوه الصون حتى احوجه
 هم يهذي الحركات السمجه
 عاش فنى بؤس لاقصى درجه
 و جرى بسبح فى بحر سراب
 و اذا بن النور فى واد يباب



من بناء شامخ قد جملوه
 من جمال فى جسم و وجوه
 من رقيق النور فيه هوجوه
 لحظى مثل ما يحظى بنوه
 واصف الوضع بما قد لأك فوه
 و بأتعاب ذويه رفعوه
 نال منها فاقدم المال وذوه
 و على الوضع جنى مستعمروه
 وانبروا للعظم حتى طحنوه
 فمتى يخبو ضرام اججوه
 ونزا الناس بها نزو القرو
 و عدوا شتى المجارى والقصد

كم بهذا العصر ملهى للحدق
 و به للمحسن مادق ورق
 و الى ما شئت فى طول الشقق
 فترى العصر بوضع ما سبق
 قال لكن ليت شعرى هل صدق
 اترى هذا البنا قام بحق
 وهل الدنيا التى عنها نطق
 لا لعمرى وضعنا صار أشق
 أكلوا اللحم و نمتوا بالمرق
 انضجت اكبادنا نار الحرق
 ما الدنيا نا غدت دنيا ذئاب
 شهروا فى نيلها ظفراً و ناب



يعطف النفس الى الخلق الجميل
ويريه العيش فى المرعى الوبيل
واسع الفسق لتبريد الغليل
و تريح النفس بالعيش الجليل
عمل السوء و تشويش السبيل
و به افتى الورى كل نبيل
ان يبيحوا ماله النفس تميل
ان يهيجوا الناس عن كل مقيل
فمتى نسعد و الوضع عليل
فى الورى بين خفيف و ثقيل
و بخبث النفس جاوزنا اليهود
فهو بالشوك غذا لا بالورود

عجبا كيف غذا الانسان لا
ما الذى يثنيه عن كسب العلا
أترى الشهوة زجته الى
فمجارى الحق تروى الاملا
ليس فى الدين حرام ما خلا
و بهذا قال كل العقلا
و متى العلم اجاز الفضلا
و ثبات النفس تدعو الجهلا
و اذا سرنا فكنا هملا
و كذلك اليوم صرنا مثلا
دأبنا فحش و قذف و سباب
و اذا من ربنا اخضر الجناب



فمشى يخبط فى كل طريق
لائقاً فيه الهوى اولايلىق
يحرز اللذات و العيش الانيق
ورعاً الا من العقل العتيق
فاسترقوا العيش فى العصر الرقيق
بعد طول التيه للرشد يفيق
فعدت دنيا اولى الدين بضيق
فى عباب الهم والبلوى غريق
و أراهم سوءه هذا العشيق
من بدا للناس فى وجه صفيق

شدت عصر النور فى اخلاقه
لا يرى الا هوى احداقه
زاعماً أن هدى اشواقه
ما صدوف المرء عن أنواقه
حرر العصر بنى آفاقه
مرض الكل فهل من ناقة
و كم استشرى خنا فساقه
بل غذا الكون على اطلاقه
حرب الوضع على عشاقه
وكذا يعرب عن أعراقه

ومحال ان يرى حسن المآب
ان ذا العصر لاهليه عقاب
من قضى العمر بكفر وجحود
نحسه قوض عنهم بالسعود



ليت شعري ما الذى يصلحنا
لم نجد فى كل ما قيل لنا
قد فحصنا فى القديم الزمنا
ورأينا عصرنا مرّ الجنا
ودرسنا الشرع درسا متقنا
ليس فيه غير تأمين الهنا
فيه الدين مصون والدنا
ألق العدل به ضافى السننا
لا ترى من انت فيه وأنا
غاية القصد له اللطف بنا
ولكم اعطى جزيلًا وأثاب
واذا شدّد للجاني العذاب

ومتى تسعد هذى الامم
ورأيناها ملاكسا يعصم
فوجدنا الوهم فيه يحكم
كفر الناس به واجترموا
فوجدنا العيش فيه ينعم
أعربت عن ذلك فيه النظم
غضة والحق فيه معلم
والنسي وامييس به تحتـرم
عنده الكل عزيز مكرم
وبه العرض مصون والدم
من اخير النفس بالخير يعود
فلان الجرم للبلوى يقود



كل ما فى الشرع من حكم تراه
هو للفرد هداه من هواه
هل ترى يسعد فرد فى دناءه
أن تقل قدأحرز الناس الرفاه
هذه الدنيا تولاه السفاه
كم قضى قاض بجور واشتباه
و تعالى بالجنايات علاه
لم يؤاخذة على ماقد جناه

فهو فى نظم البرايا لازم
ولسير الوضع فيه ناظم
ليس للشرع عليه حاكم
بالحكومات فقول ظالم
و استوى جاهلها والعالم
وانبرى للحق منه هادم
و مضى و الثغر منه باسم
حاكم عدل وحكم صارم

وعلى هذا قضى العمر سواء
اسفا لم يدرك الشرع مناه
عاث فيه دجل القوم فعاب
جعلوه سبباً للانتهاك

☆

☆

☆

كم على مر القرون الخالية
من فقيهه يدعى او راويه
اوقضاة نصبته الحاشيه
لا تراها مفتياً بل طاغيه
سخرتهم سلطات جائيه
فمشت بهم البرايا راضيه
يا اله الله سواماً ثاغيه
ليس من ذنب الذئاب الضاربه
خلى الله عقولا وافيه
قصر الخلق و حاشا باربه
ما على الله ملام و عتاب
سخر الله لنا حتى السحاب

☆

☆

☆

ناعما و الوضع منه ناغم
بل تولاه مبير غاشم
بهوى الراوى وتزوير الشهود
وأحاله مؤسراً للمنفود

لنفتت فيه أفوايد جزاف
اوشيوخ للاحاديث خراف
فمشت تفتح ابواب الخلاف
يقضب الاحكام من غير انتصاف
تخذتهم مدركاً للانحراف
تحسب الله دهاها وأخاف
رتعت فيهن ذؤبان عجاف
أن لهى الراعى عن السرح وعاف
فلما ناخضعت للارتجاف
مذ أعاروا عنقاً للاعتساف
حيث بتنا فى دجى الجهل همود
وجرى من فضله فينا وجود

جاء ممن يدعى الدين افتراء
مذ أعاروه نفاقاً و رياء
و به نالوا الثريا و الثراء
لرفاه المرء عيشاً و اعتلاء
ورعاً هدياً و فضلاً و اباء
و تولاه انزواء و ازدراء

ان يكن قلّ ذو الدين فذاك
كثر الريب به و الا رتبك
نصبوه شبكاً دون الشباك
و جدوه فى الورى خير ملاك
فجرى بستن من ليس هناك
و بهذا لحق الدين انتهاك

و رأوا في رفعه كل عناء
و جلوه للورى بعد انزواء
و طواهم - لترقيك - الفناء
و أعاروك سموا و ارتقاء
بعد ما غابت عن الغاب الاسود
ليس تخشى فيك غدرأ لليهود

☆ ☆ ☆

بحريم لمبايك العظام
من مرام فيه نحى و نظام
انهم قد حفظوا فيك الذمام
رتعت فيها و حوش و هوام
واهن القوة ما بين الانام
قدماً في الدهر مرعى المقام
ماضى العزمة مقضى المرام
لك من اتعابهم بيت احترام
فمشوا فيك مغذاً للامام
لحجاز و عراق و شام
ليس تعطو لركوع و سجود
بزحوف و جنود و بنود

☆ ☆ ☆

وسل الاحزاب بل سل خبيراً
هذه الحومات موتاً ممقراً
و جبان فر من اسد الشرى
فارح الخطب اذا الخطب عرا

أين من شادوا علاه للسماك
قوّموا اعواده و هى ركاك
اين - يادين - الاولى را حوافداك
قللوا عنك و قد أفنوا عداك
أفتدرى رتعت فيك الكلاب
رتعت ثم انثنت ملاى العياب

☆

كم يد يا دين عانت لودريت
أفحموا أهوائهم فيما حويت
أحرزوا دنياهم منك وليت
انت ما بينهم جيفة ميت
طوحت فيك الليالى فأتيت
اين - يا دين - الاولى فيهم مشيت
قارعوا فيك المنايا فاغتديت
كرسوا فيك القوى حتى بنيت
كنت من دنياك فى أصغر بيت
كنت فى يثرب نضوا فارتميت
بل لك انقادت على الرغم رقاب
ضيقوا فى وجههم كل الرحاب

☆

سل بنا بديراً وأحدأ و حنين
كيف ذاقت من سيوف كاللجين
كم بها خر شجاع لليدين
و بها يعرف بين الجحفلين

حيدر حين استفتت حيدر
 كان عنه من له الامريرى
 فى الدفاع المرعن خيرالورى
 و تعدوها الى ام القرى
 و أذاقوهم ذعافاً ممقرا
 مستطيل وشهيد أعذا
 ومواض كسروا عنها الغمود
 برجال هى لله جنود



بجزيل الخير حتى انقلبت
 تلکم الانجم حتى احتجبت
 سيئات كآثرتها و ربت
 هذه الدنيا و فينا احتربت
 و أعناها على ما رغبت
 صابياً حيث به الدنيا صبت
 بالهوى غالبها فانقلبت
 ووعت لما بها الداء ثبت
 و قد استصعت عليها و أبت
 ان تولى العمر بالمرء و بت
 و تولى لاه جود و صدود
 و هو يحتاج الى بذل الجهود



ادركوا من وضعها ما هى فيه
 و ان اغتر بما فيها السفية

و قد امتاز بها رؤية عين
 ذاك خواض الميادين فأين
 و بنو قبيلة نالوا كل زين
 أخضعوا كل القرى حين ايين
 و له كالوا العدى ديناً بدين
 ومشى الا صحاب للحرب فيين
 اوقدوا الحرب بنيران الحراب
 فتحوا للز باباً بعد باب

أسفاً لم نمض هذى الازمنه
 فتمهاوت سنة بعد سنه
 و اتت ترهق تلك الحسنه
 كفرت جهراً و كانت مؤمنه
 و غدت بالسوء فينا معلنه
 و اغار الكل منا رسنه
 و أتت ارواحنا مرتبه
 سفلت حتى غدت مهمته
 اترى الخيرات منها ممكنه
 تعقم اليقظة من بعد السنه
 و محال نيله ما فيه خاب
 ليس يأتى صدفة نيل الرغاب

لست ادري هل بنو الدنيا سواء
 شخصوا ان مجاليتها رياء

ليس يهوى مكثه فيها النبيه
 بين اهليها تراه أو تريبه
 يبطش القادر حتى بينيه
 وانزوى من عيشها ما ترتجيه
 فأفادوه وصاروا من ذويه
 واليهم ينتمى كل وجيه
 وغدوا ليس لهم فينا شبيه
 شاد في اقدارهم حتى الفقيه
 لآباء كرام وجدود
 لافضل لم تشيده النقود



في بنى آدم من معجى صحيح
 و بها مال قديماً كل ربح
 وتمنى قرمها الموت المريح
 زمن فى خيره جد شحيح
 مذغدوا لم يعرفوا معنى القبيح
 ليس فى المخلوق محض وصریح
 صاح فيها فطريح و جريح
 و غدا قرداً بتعبير فصیح
 ألسن الناس به جهراً تصیح
 او عفاً تجتليه فى صبيح
 قبح السيد منهم و المسود
 او يردهم قال يابئس الورود



و رأوا أن البقا فيها بلاء
 كلها غش و غدر و افتراء
 ليس فيها مسرح للضعفاء
 حبس الاحرار فيها الانزواء
 وجرى للعيش فيها اللؤماء
 وبهم دون الورى خص البقاء
 وعلیهم دارشعر الشعراء
 فاذا هم عظماء شرفاء
 واذا المجد بتحسين الثياب
 وبتشديد قصور و قباب

عبثاً حاول من يبنى الشرف
 هذه الدنيا تعاطت بالسخف
 قرع الحر بها ناب الاسف
 كيف يؤتى العيش فيها بترف
 طاب للناس بها أكل الجيف
 كل من تلقى غناء وحشف
 كثرة تلافية لیت التلف
 سخف الانسان منها فاستخف
 لم يقل دروين فى ذاك جنف
 هل ترى فيهم صلاحاً بظرف
 او ترى فى جمعهم خيراً يصاب
 من يذوقهم يلقيهم سماً و صاب

انا من دنياى لم أفهم سوى
 قد مشوا من غير شرط فالهوى
 دينهم رغبتهم ثم القوى
 نصروا أهوائهم حتى هوى
 و على هذا بنو الدنيا سوا
 كذب الكل عياناً و انزوى
 ليس هذا النشأ فيما قد حوى
 قد عرفنا الداء لكن ما الدوا
 طال بالفكر سراه فداوى
 و أصاب الرشد فينا مذر وى
 رصد النهب به حتى الذباب
 كم حسبنا فتعدانا الحساب

اننى و الناس فى قيد حياة
 حاكم فى سير كل الطبقات
 تصرف الدنيا لهذى الرغبات
 كل تشريع تعاناه الهداة
 و ان امتازت بها المدعيات
 عنهم الصدق فهم منه عراة
 جاء بدعاً بل عموم المنشآت
 ليت شعرى و بما نرجو النجاة
 عاجزاً عن حل هذى المشكلات
 ان ذا الكون مجال للجنة
 و زوى الخبث به دود لدود
 فى صديق هو كالخصم اللدود



ومن كلام له **عليه السلام** (ج ٣ ص ٤٨ وما بعدها من النهج الحديدى) قاله بعد تلاوته
 ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر: ونحن قبل الورد فى ايراد كلامه و شرح مادته نذكر مقدمات
 تكون رصيذاً للوقوف التام على مقاصده المهمة: فنقول :

الحياة و الموت بين المبدأى و المادى

-- اما من الوجة الطبيعية - فالطبيعى يرى ان الحياة ظاهرة تطرأ من
 اقتران بعض المواد ببعض الكميات و كيفيات خاصة تحت شرائط معينة فان حصول
 هذا الاقتران عنده يستلزم تلبس تلك المواد بظاهرة الحياة و اما زوال هذه الظاهرة عنها
 فتارة يكون با سباب طبيعية مكشوفة تفقد المواد قابليتها لبقاء الحياة معها و أخرى
 يكون با سباب غامضة من اسباب الطبيعة لكنها مجهولة عنده تفقد المواد - كذلك -
 تلك القابلية :

و اما الحياة عند المبدأى فهى ظاهرة يوحي بها الى المادة باستقلال فى هذا الالبحاء

اذا المادة الهامدة لا تقتضى من نفسها شيئاً الا يجعل شأنية ذلك الشىء فى وجودها والشأنية وحدها لا تبرز الى الفعل الا بارادة مبرزة وعامل مؤثر يجعلها منشأ اثران فجعل الشأنية يحتاج الى جاعل ومبرز الشأنية الى الظهور هو العامل فاقتران المواد حتى مع كونها ذات شأن لقبول الحياة بمجرد غير كاف لطلوع الحياة عليها وقيامها بالتأثيرات الحاصلة من اجلها :

هذا مضافاً الى ان الحياة ليست من مقولة واحدة فى التأثير ولو من ناحية اختلاف قوابلها فتأثير الحياة فى النبات غير تأثيرها فى الحيوان وتأثيرها فى الانسان غير ذينك التأثيرين كما ان تأثيرها فى قوابل كل صنف من هذه الاصناف الثلاثة متفاوت منشعث وبعض هذه التفاوتات نا شىء من نقص فى القابل وبعضها حاصل عن الكسل فى استخدام القابل لنفسه واستثماره من وجوده. هذا المعنى هو الذى فرق بين النوابغ والخامدين ومما اسلفناه يستدل على ان شأنية كل واحد من الاصناف الثلاثة الموماً اليها لقبول ظاهرة الحياة غير شأنية الأخرى وان اشعث شأنياتها يوجب اشعث اصل موادها طبيعة فتكون مادة كل واحد منها غير مادة الاخر جوهر أو ان تشابهت فى الظواهر أحياناً :

ومضافاً الى كل ماسلف فان القوم بعد أن توسعوا فى تحليل اهم الاشياء الطالعة فى الوجود وجزئاً موادها تجزئة دقيقة جداً قائمة على تحليلات كيميائية لا يستراب فيها وعرفوا ان الدم مثلامهى هويته وبم تقوم وجوده حتى صار هذا السائل المخصوص كما عرفوا هوية القلب والكبد والطحال والكيتين وما الى ذلك معرفة لم ينبق ورائها مجهول وان الوجود الانسانى مثلاً كيف يستطيع الاحتفاظ بحياته ولاية نقيصة تعرض عليه يعطيها من يده كان من لازم معرفتهم هذه. مع مراعاة ادعائهم الآنف فى عروض ظاهرة الحياة للمواد - تحصيل الحياة بأى سر صوره بعد صف المواد القابلة لها وجمع شرائط حصولها وهم اعرف الناس بالمواد المزبورة وادرى بكل شرائطها كما يكون من لازمهم اعادة الحياة للموتى بعد ترميم النواقص التى سببت فقدان الحياة فان كل ما اسلفنا البيان عنه مادى موجود فى محيط المادة وهم اعرف الناس بها كما وكيفا وشرطاً فى الاقترانات والتركيبات والتحليلات فعلا م نراهم عاجزين عن تحصيل هذه الظاهرة كعجز الجاهلاء المساكين : اذن فخلاصة المطلب ان ايجاد المادة ووجودها فى الخارج يحتاج

الى موجد وجعل الشأنيات المتفاوتة في قوا بلها يدعو الى جاعل وأخرجها من الكمون الى الظهور يقتضى عاملاً مؤثراً وهذا كله يجب ان لا يحصل اذا لم يكن لما وراء الطبيعة وجود : فان قال الطبيعى لم يثبت عجزى نهائياً عن اقتناص الحياة لما أوّلفه من الاجزاء المادية فعسى ان يؤدى بحثى الى استفادة هذه النتيجة كما انى فى طريقى الى تربية النطفة خارج رحم الام و تصييرها انساناً تام الخلقة حياً يطوى مراحل الحياة كما يطويها الجنين داخل الرحم وبعد ذلك فى خارجه قلنا له على فرض ان توفى لتصفيف الاجزاء التى تراها مادة مستعدة لطروء الحياة عليها ثم نظراً للحياة لا يكون ذلك دليلاً على ان المواد بنفسها خلقت الحياة لنفسها لان ذلك امر مبهم مستور لا يعلم مدى ارتباطه بها الامن طريق شأنيتها لقبول الحياة لا اكثر و كل ما كان على هذا الملاك لا يكون دليلاً المدعيه: فاذا لم تستطع الطبيعة ان تثبت ذلك لنفسها بالقطع كان عزوه الى ما وراء الطبيعة لازماً ان لا بد من علة فى البين و دعوى ان الطبيعة ازلية كانت بلا مكون باطله ببراين جمّة اسلفنا الكلام عليها آنفاً و يجيء فى ما نستقبله من بحوث تامة ذلك.

و اما الموت عند المبدأ فهو اعطاء ظاهرة الحياة بايحاء من معطى الحياة: و تعلق المادى بالاسباب الطبيعية المكشوفة التى تفقد المواد قابليتها لبقاء الحياة معها قد يقبل منه اما الاعتراف بالموت مستنداً الى سبب طبيعى مجهول فى نفسه انهما هو وفى تأثيره انه كم مقداره و هل ينتج الموت فى تأثيراته أولاً فهو مأخوذ عليه بانك من اين عرفت ان السبب المميت الذى تجهله تمام الجهل سبب طبيعى ليس غير فعساه يكون غير طبيعى كما انك كيف عرفت انه ينتج الموت بعد أن جهلته تمام الجهل :

نعم حصول الموت مع مجهولية السبب لا يثبت للمبدأ عقيدته بان الذى ازال ظاهرة الحياة هو الذى اعطاها بارادته لزو الهافان كان مندرجه السمع فان السمع لا يفوت بين الموت عن سبب ظاهر وعن لاسبب ظاهر ويرى ان الجميع انما كان بارادة الله وان الاسباب فى ظاهر الطبيعة اعدادات فقط سواء فى ذلك مكشوفها ومجهولها: مضافاً الى ان السمع لا يقنع المادى الا بعد الزامه باصل الموجد الخلاق الموصوف بصفاته المقررة عند الموحدين كما ان

السمع لا يثبت المطلب الفلسفى الا بعد أرجاعه الى خضوع العقل للفاعل المختار : نعم فى المجارى الطبيعية ما يؤيد السمع بأننا نرى انساناً تلدغه الحية لدغاً قوياً متكرراً فلا يموت حتى مع عدم المعالجة ونرى انساناً آخر تلدغه الحية من ذاك القبيل فيموت مع اقوى المعالجات ومن هذا الرديف شىء كثير فى مجارى الحياة فيجوز لنا ان نستدل من هذا ونظائره على ان هناك بدأ فعالة وراء الطبيعة نفسها و لو قصرنا نظراً على الطبيعة وحدها وتعلمنا بان هناك معقمة طبيعية غامضة صانت ذاك الملدوغ الذى لم يمت مع عدم تميزنا لهذه المعقمة وجوداً وتأثيراً لا شكك علينا هذا المطلب اشكالا يجرنا عن اقناع انفسنا وجواب سائلنا وهذا المطلب وان لم يكن برهاناً قاطعاً على اسناد ازالة ظاهرة الحياة الى ما وراء الطبيعة الا انه مؤيد للسمع اتم تايد . هذا كله فى الحياة والموت من نظر المبدأ أى والمادى بالنسبة الى الوجهة الطبيعية : واماها من وجهة المثل والاخلاق فكما يلى :

للموت والحياة مفهومان منفردان عندا لمادى والمثالى فالمادى يرى الحياة ظاهرة حيوانية خاصة لا يستهدف منها الاكثر من نيل الرغبة وتحقيق الشهوة ومتابعة الميول والتلذذ بمجارى الاهواء ويرى الموت اعطاء هذه الظاهرة من اليد بعلة من العلل القاضية عليها من طرق الطبيعة كما اسلفنا ان الهيكل العظمى بعد انكشاف ظاهرة الحياة عنه يتلاشى الى الابدال ان يستعيد حياته مرة اخرى او ينال جزاء جرائمه او مراحمه غير ما ناله فى حياته الاولى : هذا كل ما ينطوى عليه المادى من عقيدة فى الوجود الانسانى فضلا عن غيره :

واما المثالى فانه وان رأى الحياة فى الانسان بظاها ظاهرة حيوانية الا انها ليست كل الملاك فى هويته فالانسان الحى ليس حيواناً طالعاً بظاهرة الحياة فحسب بل هو فى نفسه خلق ابتدائى لا يرتبط بخلقه الحيوان فى شىء وان وجوده المادى الحى جعل أعداداً لتصرف العقول فيه بحاكمية الشرائع السماوية عليها تصرفاً قائماً على براهين خاصة ليست هى الميول الحيوانية والاهواء النفسية وان موته بأجل مقدر ممن خلقه وأبدعه و ان فناءه بالموت من هذه النشأة من طلائع حياته الثانية التى أعدها

الخالق له ليؤتية فيها جزاء عمله ان خيراً فخير و ان شراً فشر اذن فكم من فرق بين العقيدتين .

ومن هدف التحوليين فى قولهم ان الحيوان اصل قريب للانسان منه تحول فكان من افراده العقول القهارة التى زعزت الكون باعمالها الجبارة هوايقاع التقارن بين هذه الموجودات المدهشة والعجماوات من الحيوانات فى فكرة جوهرية استهدفوا من ورائها تحقيق اهدافهم الرمزية وهى ان الانسان لا يجوز له ان يترفع بنفسه على الحيوان الا بمقدار ما يترفع الكلب المعلم على كلب الهراش فكما ان الطغيان الطبيعى فى الحيوان يسوقه الى الافتراس والمغالبة يدعوه ايضاً الى التساقد بين ذكرانه و انائه من دون عقد ولا شرط ولا سابقة معرفة ولا اختفاء فى اجراء هذا العمل فان الانسان يجب ان يكون مثله لانه حيوان بالافاصلة وان ما يتصوره لنفسه من حدود وفواصل خيال محض لا يشف عن واقع تحته وهذا هو الغلط الذى افترض به هؤلاء التحوليون ووقعوا من طريقه فى مشاكل علمية من ناحية وحيوانية من ناحية ثانية وعلى اساس هذه القاعدة المنحرفة انحرف عن التوازن والاعتدال كل حجر اقيم عليها :

الطبيعة

ان اغنية الماديين بالطبيعة ونواميسها وتفاعلها العظيم لم تنزل كما لا تزال ورد السنتمهم فى كل آن حيث يعتبرون ان كل ما فى الوجود من قليل وكثير وحقير وخطير وهامد ومتحرك فى اى عالم يفرض هو من الطبيعة والى الطبيعة وان نواميسها المنظمة وقوانينها المحكمة قد قامت وتقوم بكل ما جرى ويجرى فى الكون وان ليس وراء الطبيعة شىء آخر كما لاجابة وراء نواميس الطبيعة الى اى عامل يفرض فالكون كله من طريق النواميس الفعالة فيه يتفاعل فى جميع آتاته من الازل الى الابد وكل ما وجد ويوجد فيه هو من أثر ذلك : ونحن يجب علينا ان نبحت عن معنى الناموس اولاً ثم نفيض فى تحليل مدعياتهم: اما الناموس فهو القاعدة الكلية التى تمشى على كافة مشتقاتها مشياً واحداً كما يقول النحاة كل فاعل مرفوع و كل مفعول به منصوب وكل ما شذ من ذلك شىء فهو

خطأ هذا هو الناموس لكنه لا وجود له في الطبيعة لا بنحو الكلية القاطعة ولا بنحو الاعم الاغلب ان جوزنا في تطبيق النواميس اعمية واغلبية خصوصاً في الطبيعي منها. و الافاضة في تحليل مد عياتهم هو ان الانسان بمجرد و روده في البحث عما يحضنه الكون من شتات موجوداته وما يحنوى عليه من شؤنه وحالاته يجد الخروج عن النظام سنة والانفلات على الناموس مطرداً والانشعاث في الحالات والشؤون لا يحدث ولا يحصر بحاصروكل نظام و ناموس يكونان بهذه المثابة يعطيان هويتهما من ايديهما فلا يعود النظام نظاماً ولا الناموس ناموساً.

بدليل انا نرى الصلب الواحد والرحم الواحد وما يتنزل من ذلك من مواد ويرشح من هذا من لزيج ومخاط وما يحصل بينهما من اختلاط وتلاقح في اعماق الرحم يجب بحكم ناموس الطبيعة ان يكون واحداً في النتيجة لامن حيث الفردوا لتوأم ولا من حيث الذكورة والانوثة وان كان كل من هذين الحثيين محل نظر وبحث بل من حيث الطول والقصر والوسامة والدمامة والذكاء والبلادة وما الى ذلك من سمات وصفات فانك لا تجد على الاطلاق اثنين من مواليدهذين الابوين متحدين والعيان اكبر برهان لنا على ذلك فاذا لم يكن عامل في البين غير الطبيعة التي كثرت من بيوض هذين الاثنين افراداً وافرة وجب بحكم هذه الطبيعة ان لا ينشمر الاولاد عن ابوينهما في كافة ميولهما و غرائزهما التي كانت جارية في مجارى طبيعتهما والحال ان الامر ليس كذلك فباى ناموس نعلل هذا الانحراف الهائل وعلى اى نظام نطبق هذه الانشعاثات :

على اننا لو توسعنا في ابعاد هذه النظرات وجدنا كل واحد من محتويات هذا الكون غير الاخر فاي كوكب في السماء يتحد مع الكوكب الاخر والحال ان ام الكوكبين من المنظومة الشمسية واحدة وهي الشمس وهلم القول في غيرها من المنظومات : بل واي ورقة من شجرة تتحد مع الورقة الاخرى مع تلاصقهما في المنبت تخطيطاً وهيئة وشكلاً : وقس على ذلك كل ما في الكون : أمثل هذا يقال له نظام و ناموس :

و نرى ان الاثنين الواجدين لمزايا مشتركة تقريباً يتشبان بواسطة واحدة مستوية بينهما فتنتج وساطتها في احدهما وتخفق في الاخر لا شيء سوى ما يعبر عنه

الناس بالتوفيق : فما العلة في ذلك من مجارى الطبيعة وشؤونها اذا كان كل شىء فيها هو منها واليها :

وليس بمقدور الباحث ان يحيط باشباه هذا ونظائره ومهما حاول الاحاطة فمانا ليت شعرى يكون موقف اللبيب بين هذه القضايا أيطرح عليها حجاب الاهمال والتناسى فان عقله لا يجيز له ذلك ولا يهدأ عن محاولة فهم هذه الاسرار : ام يلتجأ فى حياها الى الطبيعة فقد صارت فى نظره ام الاطلاسم : ام يعزوها الى ما وراء الطبيعة فذلك ما تقرؤه تالياً :

ما وراء الطبيعة

فلما لم يكن فى البين ناموس طبيعى ثابت نستطيع من طريقه أن نعزو الآثار المتحصلة اليه مباشرة من غير تأمل لان العلة الطبيعية تأخذ برتبة معلولها من دون أن تخايره والجهتنا هذه الآثار الى ان نعللها بعلة تقوم بها و ليس عندنا من العوامل المفروضة الا الصدفة والصدفة ليست الا ظرفاً لحصول الاثر ولا مساس لها بالتأثير أصلاً - كما ستقرؤه - والا النواميس الطبيعية وهى كما عرفت غير قادرة على ان تجر اليها رقاب المعلولات قهراً لحصول فجوات عقلية بينها وبين الآثار - كما قرأت - الا فى قليل نشير اليه : اجبرنا العقل : من طريق حصول الاثر على لزوم تعليله بعلة غير الصدفة وغير ناموس الطبيعة وليس ذلك الا ما وراء الطبيعة فالنسبة الى ما وراء الطبيعة نسبة قطعة الحصول للعقل اذ لا مفر منها :

بتوضيح ان الصدفة معناها حصول الشىء او العثور عليه من دون احتساب نظير أن تخرج من بيتك لمقصد معين او غير معين ويخرج زيد من بيته كذلك وتلتقيان على نقطة وكنت راغباً ان تراه فهذه الملاقاة يقال لها ملاقاة بصدفة والعلة فى حصولها هو سيرك من بيتك وسير زيد من بيته ايضاً والصدفة صارت ظرفاً لهذا الحصول لا اكثر : وهكذا يقال فى كافة الصدوف سواء علم السبب فى حصول الشىء او العثور عليه ام لم يعلم فان الصدفة لا يزيد معناها عن كونها ظرفاً لحصول الحاصل او العثور عليه و انها

ليست من التأثير فيه في قليل ولا كثير:

واما النواميس الطبيعية فقد عرفت الحال عنها جملة ونزيد ذلك توضيحاً فنقول لا يختلف اثنان من القائلين بالنواميس الموماً اليها بان السمّ مثلاً قاتل او مزعج فان ارادوا بذلك ان السم بشرط التأثير قاتل او مزعج فقد عبروا عن توضيح واضح وبعبارة اخرى فقد اناطوا الناموس الطبيعي بحصول الاثر فمتى حصل الاثر اعتبروا ما عبروا عنه بالناموس الطبيعي علة طبيعية و متى لم يحصل عزلوه عن عرش ناموسيته و هذا غلط مقتضح اذن فليس السم بما هو سم قاتل او مزعج بل بشرط التأثير قاتل او مزعج و هو كما تراه :

وان ارادوا بهذا العنوان مصاديقه المعروف عنها التسميم لتأثيرها ذلك معمولاً فانما نجدها تعقم مرة و تؤثر اخرى مثلاً هذا الحنظل يأكله بعض الناس فلا يتسمم و يأكله بعض آخر فيتسمم بل يموت ونظيره كثير في السموم وغيرها من المواد : أفيقال هناك موانع وقفت امام تأثيره فيمن لم يتأثر به فنحن لانرى له مانعاً ظاهرياً بل يتناوله من يتناوله بصورة عادية لم يتخذ لها اي تدبير سابق واحالته الى سر طبيعي غامض طفرة عن الميدان وجدل فارغ ام يقال ان العادة كسرت من فعالية السم فنقول اما او لا فان العادة انما تحصل بعد الممارسة فما كان الحائل عن التأثير في المرة الاولى و الثانية : واما انايا فاننا اذا اعتبرنا في تأثير الناموس الطبيعي عدم العادة وعدم المانع الذي نفترضه افتراضاً سقط هذا الناموس عن ناموسيته وعلى فرض حصول الاثر عند استعماله لا يبقى في النفس يقين يربط هذا الاثر بهذا الناموس لا حتمال ان يكون المؤثر شيئاً لا نعلمه فصادف تأثيره تناول السم و متى كانت النواميس بهذه المثابة سقطت عن العلية المحتممة ولم يبق فيها الاحتمال عليتها وهو غير كاف في الناموس الطبيعي وفي كل علة طبيعية .

اذن فالقدر المسلم من كل ذلك ان الطبيعة اعداد خالص للمؤثرات و رائها هي التي تقوم بالتأثيرات وان تأثيرات ما وراء الطبيعة اختيارية وليست بقسرية : وبعبارة اوضح : ان عامل ما وراء الطبيعة يجب ان يكون مختاراً في تأثيره لا موجبا حتى يتسنى لنا أن نفهم انه بالارادة شاء ان يموت من مات بأكل الحنظل وباختياره اراد ان

يبقى من أكله ولم يمت وعلى مثل هذا كافة الانشعاعات التي تعرضنا لذكر بعضها وسكننا عن الاكثر الاوفر:

وهكذا يقال في ماجاء في الشرائع من الامر بالدعاء وانه يستجاب وبصلة الارحام وأنها تطيل العمر ونظير ذلك ممارب عليه اثر وقد يحصل الاثر مرة واخرى قد لا يحصل فان جميع ذلك من الدعاء وصلة الرحم أعداد خالص فقد يشاء الله نرتيب ما وعد به من الاثر وقد لا يشاءه غاية يأتي الى الميدان أشكال خلف الوعد عليه لكنه ليس بوارد ان لم يأت في الشريعة صريحاً ان الدعاء بمجرد تمام الأعداد وانه يستلزم الاجابة فقد يكون هو و نظائره بعضاً منه وان مارتب عليه من الاثر من باب القضية المهمة لا القضية الكلية و القضية المهمة تلازم الجزئية وقد حصل في الخارج اثر لبعض الدعاء وصلة الارحام استدراك: ليس منظورنا من نفي التأثيرات عن الطبيعة ان موادها المتشتملة فاقدة للخواص المجعولة في اعماقها من وجودها وخالقها بل منظورنا انها ليست كل المؤثر فيما تؤثر فلا يستطيع احد ان ينكر ان شرب الماء يروى وان تناول الطعام يشبع الا ان يشاء الله في الأكل والشارب وجود علة تعقم ذلك فيعود صاحبها يشرب الماء ولا يرتوى ويأكل الطعام ولا يشبع: اذن فلا تدافع بين الاعتراف بتأثير الطبيعة وبين أن يقال ان هناك سائقاً لها في تأثيرها هذا او معقماً لها عن فعلها:

فان قيل كيف يصح لنا أن نزع ان الغيب شاء فرى اوداج فلان فمات وهو يناقض ما نراه بالوجدان ان القاتل المتعمد مختار في فعله وانه بارادة نفسه لداع من الدواعي التي دفعته الى هذا العمل فعل هذا الفعل ولذلك رتب عليه الشارع القصاص وان يقيد من نفسه وان يكفر كفارة الجمع وان يتوب فاذا كان القاتل المتعمد مسوقاً من الغيب بالالغاء فما هذا الذي يجده من الاختيار ويحس به من تمام الارادة ولم يجب عليه شرعاً ان يقيد من نفسه ولم يجوز لاولياء المقتول ان يقتلوه منه فيقتلوه كما قتل صاحبهم ولم تجب عليه الكفارات الثلاث التي لم تجتمع الا لاهمية الجريمة ولم تجب عليه التوبة والاستغفار فان كل هذه المطالب تعود لاغية انا قلنا ان فعل القاتل بقضاء وقدر عليه وعلى من قتله: فهل أصل موضوع القضاء والقدر باطل وهو تكذيب لشريعة السماء او ان تيك المطالب

الآنفة كذب وهي صدق بالوجدان الصريح وأطباق العقول والعقلاء عليها او هناك طريق جمع بما يرتفع به كالا المحذورين بأن نقول ان مجال القضاء والقدر محدود بالتكوينيات واما الامور التكليفية فهي بالاختيار وبعبارة اخرى كل موارد الاحكام الشرعية خارجة عن منطقة القضاء والقدر : و مرادنا بالتكوين كل ما هو خارج عن قدرة الانسان و بموارد الحكم الشرعى كل ما هو داخل في منطقة اختياره فتمام الخلقه و نقصانها والموقفية بالبيع و الشراء و المحرومية فيهما من الامور التكوينية المشمولة لحوزة القضاء والقدر واما انشاء عمل القتل من القاتل المتعمد بما انه من موارد التكليف واهذا حرم الشارع اقدام الانسان على قتل الانسان بلا مجوز فليس من مجارى القضاء والقدر و هكذا اقدم الانسان على قتل نفسه ليس من القضاء والقدر لانه مورد تكليف وهو الحرمة :

فان قيل ما تقول فى الموت فهل ترى كل موت بقضاء وقدر او ترى بعضاً منه مشمولاً لذلك دون بعض فالموت الذى لا يكون بفعل الانسان المختار يكون بقضاء وقدر و الذى يكون بفعله لا يكون بقضاء وقدر لان فعل الانسان المختار من موارد الحكم الشرعى و بناء على المبنى كل الموارد الشرعية ليست من وادى القضاء والقدر ولا ترى فى الشرائع القائلة بالقضاء والقدر تفكيكا بين الموتين :

فان قيل ان مورد الحكم الشرعى هو الاقدام المباشرة لعملية القتل وانه هو الحرام واما النتيجة المتحصلة منه و هى الموت فليست من موارد الحكم الشرعى فلا مانع ان تكون بقضاء وقدر قلنا ان تحتم حصول النتيجة مستلزماً لتحتم حصول مقدماتها المنتجة لها فتقع حينئذ بالقسر لا بالاختيار فمن قضى عليه بأن يموت قتلاً كان ايقاع عمل القتل به ضربة لازب فلا يكون هذا الايقاع باختيار موقعد فلا يكون حراماً الا ان يقال ان عدم التعيين فى الموقع لهذه العملية يخرجها عن القسر والاجزاء فيكون القادم على ذلك مختاراً فى فعله وان كانت النتيجة محتمة الحصول لكنه يسأل فيقال ليس هذا من نظائر ان يلجأ انسان الى فعل ما من افعال غير محدودة قلنا هو مثله الا ان هذا الملاك لا يخرج بالانسان عن اختياره فهو من قبيل الشبهة غير المحصورة التى لا قيمة للعلم الاجمالى

فيها لالداعى العسر والحرج بل لان النفس لاتعتمد به اذا كان بهذه المثابة كما يراه كل انسان وجداناً :

ثم نعيد الكرة على ما اسلفناه من الحديث عن الطبيعة وما وراء الطبيعة بنحو عصاره له وتحقيق لبحوثه فنقول : وجود اى شىء يفرض ولو بهوية اخرى وحصول شأنية التأثير فيه وظهور اثره الى الخارج كل مرحلة من هذه المراحل يحتاج الى عامل وعلّة وبدونهاما يكون الحكم بوجوده وحصول شأنية التأثير فيه وبروز اثره اعتبارياً : مثلاً الطعام بما هو لا يستطيع ان يوجد من نفسه دماً ونراه عندما تهضمه المعدة وتجذب خلاصته يستحيل فى جملة منه دماً خالياً بحية فعالة متفاوتة فى الهوية والحال ان السنخية بين هذه الهوية وتلك معدومة لان كل طعام مطبوخ وهو الاكثر من الاطعمة يفقد كل خلاياها الحية بالطبخ والاضاح فما الذى أحاله الى مادة اخرى بهوية ثنائية ذات خلايا حية وهى الدم وعلا ما نرى هذا الطعام نفسه يختلف باستحالاته فى الذكور والاناث كما وكيفاً فيكون الدم فى المرء وغيره فى الرجل مضافاً الى ان هذا الطعام نفسه تأكله الاسماك الكبار والحيتان فلا يستحيل منه الى الدم الا شىء لا يعتد به لان وجود الدم فى الاسماك والحيتان قليل جداً بالنسبة واغلب ما تحتوى عليه هو اللحم والشحم فعامل هذه الاستحالات المتفاوتة ما هو وموجد هذه الشأنيات فيهما هو ومبرز هذه الشأنيات الى عالم ظهور ما هو ايضاً .

فان قيل فاعل كل ذلك هو تطلب هذه الحيوانات بطبيعتها هذه الاستحالات المتفاوتة الى دم مرة والى لحم وشحم اخرى قلنا ليست الطبيعة سوى مواد مشتتة فى أصلها فما الذى صفها بعضاً لبعض وصير منها هوية واحدة لها متطلبات خاصة فهل اصطفت المواد من نفسها بعد انشعائها بغريزة طبيعية فيها فان كان كذلك كان من اللازم تشكل الحيوان والانسان والنبات من نفسه بدون حاجة الى زرع وتلقيح وطى مراحل جنينية وان صفها امر خارج عنها فما هو ذلك الامر طبعاً يكون الجواب انه امر خارج الطبيعة وورائها: ثم نجر الكلام الى هذا الدم الذى يستحيل فى الحيوان الى مادة منوية بهيجان الشهوة الجنسية - على ما يقال - فنقول هل الشهوة الجنسية بتحريكها قادرة على احالة الدم وسلخ هويته الخاصة منه الى مادة منوية تحتوى من الخلايا على ما يغير تماماً خلايا

الدم بما هو دم فان فرضناها قادرة على تحويله فما الذى أقدرها على أن توجد فى المادة المنوية هذه الخلايا اللقاحية التى كل خلية منها بذرة يتكون منها حيوان تام الاجهيزات كأحد هذه الحيوانات التى نشاهد ها تسرح وتمرح ولم كانت الشهوة الجنسية : وهى رغبة نفسية تدعو كلا من الذكر و الانثى الى الاختلاط و التقارب بدون أن يتصورا فى طريقهما مسألة اللقاح وتوليد المثل : تستدعى افراز مادة فى مقام التقارب والاختلاط ولم كانت المادة التى تتقاضاها هى المنى اما بتحويل الدم اليها او تكوينها ابتداء او احالة مادة اخرى اليها ولم لا تكون المادة هى الودى او المذى او الودى مما لا يكون واجداً لخلايا اللقاح .

ثم كل من الخلية المذكورة والمؤنثة اذا كان واجداً لتمام شأنيات انخلاق الذكر الكامل والانثى الكاملة فما الذى احوجه ان يتحد بصاحبه اتحاداً كاملاً وما الذى أهاب بالخلية المؤنثة بعد ان ترد الخلية المذكورة فى دائرتها ان ترشح من نفسها رشيحاً تمنع به وروداية خلية مذكرة أخرى حتى لا يفسد ما حصل من اللقاح فان هذه الظاهرة ظاهرة قوية تستدعى شعوراً وافراً و ارادة تامة و خلاقية قوية :

و ان لم يكن واجداً للشأنيات المزبورة بل الشأنيات التامة تحصل من اتحاد المادتين فما الذى يوجب انخلاق الانثى مرة والذكر أخرى على بعد المسافة بين الخليقتين فى كافة الاجهيزات و الظاهر ان كان انخلاق الذكر لطغيان الخلية المذكورة على المؤنثة اذن فما دخل المؤنثة فى هذا اللقاح وهكذا يقال ان كان انخلاق الانثى لطغيان الخلية المؤنثة على المذكورة فما دخل المذكورة فى اللقاح المزبور :

ثم ان الشهوة الجنسية تستمر مع الذكران و الاناث طوال أعمارهم حتى تسقط بناهم الطبيعية عن هذا الحس و فى كل هذه الادوار عند انبعاث الشهوة يفرزان المادة المنوية عند التقارب الجنسي فلم نرى الرجل تبقى خلاياه المذكورة خالقة اما الانثى فتقف عن قبول اللقاح فى حدود اليأس عن المحيض فلم تياس المرأة و هى تامة النشاط كثيرة الاكل والدم :

ويقذف رحم المرأة الجنين فعلا م ينخلق اللبن فى ثديها وهل حاجة الطفل الذى

هو وجود مستقل عن وجود امه تؤمنه بهذا الداعي ان قلنا ان الشهوة الجنسية تحرك طبيعة صاحبها لتحويل بعض المواد الموجودة فيه الى منى فذاك قد يكون له وجهان هذا التفاعل في وجود واحد مرتبط ببعده ببعض لكن الطفل وجود مستقل في كل طبيعته منفصل به عن طبيعة امه فكيف يؤثر احتياجه الى الغذاء في تكوّن اللبن من وجود آخر منحا عنه ولم لا يحصل نظير هذا العمل لغير الطفل مع امه وان حصل بين امرة غير والد و بين انسان آخر فشى لا يعتد به : وهل تؤمن الاحتياجات لذويها ما هم بحاجة اليه وحتى مع السعي في سبيلها والكدح فيها - كل ذلك خلاف الواقع المكشوف - ان الحاجة قد تؤثر من ضغطها الجنون في صاحبها وهو لا يستطيع ان يحل عقدة واحدة من عقدها :

وانذا كانت الخلية المذكورة حصيلة تامة من الرجل الذي فصلها عن نفسه والخلية المؤنثة كذلك فلم نرى هذه الحصيلة عندما تطوى مراحلها وتجيء الى الخارج انساناً متفاوتة مع صاحبها في كل اشياؤه الخلقية والخلقية الا في بعض الظواهر العامة التي لا قيمة لها فتري الولد يخالف الوالدين في الوسامة والدمامة والطول والقصر والفتنة والبلادة والحياء والوفاء والشجاعة والجبن وما الى ذلك وما يشاهد بعد ذلك احياناً من الاتفاق في المشارب الذوقية في الحياة فانه نتيجة التربية والتدريب من الوالدين القيمين على الولد المطيع لهما من بواعث الخلقة ونتائج البنوة :

فالتبيعة والطبيعيون بالاسر لا يستطيعون امام هذه المسائل التي هي غيظ من فيض لا يتناهى اقل حراك وجواب للعجز المحقق منها ومنهم جميعاً الى الابدلان لسان هذه الاسئلة وراء البحث عن المادة بما هي مادة تحلل وتجزأ بالمشاريط الطبيعية وكل ما أبدوه او يبدوونه من علوم الطبيعة انما هو بحث عن امور حاصلة لا بحث عن كيفية الحصول واسراره :

وهذا الذي تحدثنا عنه آثار لا تكون بدون مؤثر والعجز في الطبيعة يقطعها عن صلاحية التأثير فلا بد من وجود مؤثر ورأئها يملك الصلاحية التامة في ذلك : ونسبة ما وراء الطبيعة الى الطبيعة كنسبة النقيض الى النقيض حيث يستحيل عليهما الرفع كما يستحيل الوضع فكما يستحيل ان لا يكون المؤثر الضروري اللزوم طبيعياً ولا غير طبيعي يستحيل

ان يكون طبيعياً وغير طبيعى فى عرض واحد من غير التثام بينهما بأن يكون كل واحد منهما جزء العلة على انه مع فرض قيام الطبيعة بكل التأثيرات كما يقول الماديون يكون فرض ماوراء الطبيعة لغواً :

مع ان الطبيعة التى درسنا طرفاً منها فى بحثنا السابق لا تبرز نفسها الا بعرض ماكنة قد صفت آلاتها لتعمل و ان الذى صنعها ورتبها وأشرف ويشرف على عملها امر ورائها أوجدها وقام عليها يلاحظ حركاتها وسكناتها ان صح لنا هذا التنظير ولا يكاد يصح الا بطور اجمالى ضعيف ذلك لان التوسع والتدقيق فى المعارض الطبيعية يعطينا الانشعاع العمومى فى كافة مجاريها كما اشرنا الى ذلك مكرراً فى هذه الفصول وفى غيرها وبسطنا نماذج منه :

فان قيل ان الجهل بمنشأ هذه الآثار هل انه من قوى ومؤثرات منبثة فى كوامن الطبيعة ولا نهتدى اليها او من خارجها لا يجيز لنا أن ننسبها الى الطبيعة لا ننا نجهل أصل تأثيرها فضلا عن الجهل باصل وجودها كما لا يجيز لنا ان ننقل عنها الى ما وراءها قاطعين فى النسبة اليه وعلى ذلك يبقى المؤثر هل انه الطبيعة او ما ورائها غامض الهوية علينا و ان لزمننا الاعتراف باصل وجوده : وعلى هذا لاتصل النوبة الى تركيز ماوراء الطبيعة ونتيجته سقوط كل ما يقوله الماديون والموحدون :

قلنا ليس الامر كذلك فان الطبيعة ليست الا هذه المواد المطروحة بين ايدينا والعلاقات الموجودة بين بعضها وبعض ومع الفحص الدقيق عن طرف قليل منها يستكفى الباحث فى تبطنها : مثلاً : اذا قال قائل ما هو عامل هذه الاستحالات المتفاوتة يستحيل الطعام فى جوهره الى دم فى الانسان و الى شحم ولحم فى الاسماك الكبار والحيتان لندرة وجود الدم فيها بالنسبة الى اجسامها وما تطعمه ويستحيل الدم الى منى بطلب من الشهوة الجنسية و الى لبن شهى للرضيع و الى غير ذلك فهل الفاعل لجمع ذلك هو تطلب هذه الحيوانات بطبيعتها لهذه الاستحالات المتفاوتة قطعاً يصح للمجيب ان يقول ان الطبيعة ليست سوى مواد متشتمة فى اصلها فما الذى صفها بعضاً لبعض و صير منها هوية واحدة لها متطلبات خاصة فهل اصطفت المواد من نفسها بعد انشعائها الجاذبية

قائمة فيها فان كان كذلك كان من اللازم تشكل الحيوان والانسان والنبات من نفسه بدون حاجة الى زرع وتلقيح وطى مراحل جنينية وان صفها امر خارج عنها و نفث في كواهنها امثال تيكك المتطلبات كانت الطبيعة حينئذ مادة مسخرة له ليس لها من الامر اقل شىء وبهذا يؤاخذ الماديون الزاعمون بان التحول خلق من الحيوان هوية الانسان فانا نقول لهم اذا كان اصطفاف المواد بعضاً لبعض كافياً فى الخلقة و فى تنوع الانواع وحصول هذه الموجودات فلم انقطع ذلك العمل فلا يكون الحيوان الا بما لاقحة ذكره واثاء والانسان كذلك والنبات كذلك حتى الذى يبرز منه لنفسه .

ولم لم يمض التحول على طريقه فتستحيل الحيوانات كلها او بعضها الى أناسى اذن فلا بد هناك من صاف يصف ويوجد العلاقات وبذلك شهد الحيوان من نفسه على نفسه انه انما يكون من طريق الملاقحة خاصة لا بالتحول وشهد الشهادة نفسها كل اناسى العالم وبمثلها شهدت نباتاته بل وكل اشياؤه :

وهكذا نقول اذا كانت الشهوة الجنسية تقتضى افراز مواد لاطفاؤها فلم افترت هذا السائل المخصوص - المنى - دون سائر المواد واذا افترت المنى بداعى اطفاء الشهوة فلم افترته نا خلايا حية تحمل كل استعدادات الانسان التام الخلقة وان الخلية المذكورة فى الرحم نراها تتطلب الخلية المؤنثة فمن وهبها بهذا الالهام كما انه من وهب الخلية المؤنثة عند ما ترى المذكورة ان تبرز من نفسها حدة يقصدها المذكور ويلج فيها ومن وهب هذه المؤنثة ان تقوم من فورها بترشيح سائل يمنع ورود اى مذكر الى دائرتها ان هذه الالهامات القوية خارجة عن حدود المواد الطبيعية بماهى مواد طبيعية لانها ليست من سنخها : ثم كما اسلفنا اية رابطة طبيعية بين خروج الجنين من بطن امه وانقلاب الدم فى ثديها الى لبن او حدوث اللبن من نفسه بدون تحول من الدم فان الحاجة الى اللبن المنطوية فى وجود الجنين لا تماس لها بدم الام اواية مادة اخرى منها حتى تحركه للتحول الى لبن والدم فى نفسه لا يملك القدرة على تحويل هويته الى هوية اخرى فتارة يصير منياً واخرى لبناً شهياً : وهكذا الاجزاء البيض الدموية التى هى حصيللة من هضم الغذاء وجذب جوهره و تحوله الى دم منتشر فى كافة ابعاد بدن الانسان كيف استطاعت وهى بهذه

الهوية ان تظهر بمظاهر الكمي الحذر المتيقظ الذي يعمل لمصلحة قومه جهد مقدوره فقد ذكر الطبيعويون في خواصها انها لاتزال ذات حملات عنيفة على الجراثيم والمواد الخارجية فانها تحاصرها و تبتلعها و تهضمها مثلاً على اثر انغماس أبرة في البدن لو تسربت اليه عدة ميكروبات اخذت هذه الميكروبات تتغذى بالمائع المالىء لفضاء ما بين الخلايا ومن طريق تحركها تبعث بسمومها اليه فيحصل من ترشح السموم ورم وألم وتعفن في المزاج في هذا الموقع تتنبه الاجزاء البيض وتخرج من عروقها الضيقة لتبارز الجراثيم فهنا يحصل هجوم من الميكروبات ودفاع من الخلايا المزبورة بترشح السم من الاولى وترشح ضده من الثانية فاذا قاومت هذه الخلايا مقاومة تامة انتهت المنازعة بينها وبين الميكروبات بالقضاء على هذا العدو فتجف الجراحة و يهفت الورم وكل ما أصاب الخلايا من نقص وجهد يترمم سريعاً واذا عجزت عن دفاعها اخذت رقم الميكروبات يتكاثر الورم يزداد وتقرب الحالة من الخطر فهذه الاعمال التي يعجز اهل الشعور القوي والارادة الحاسمة والقدرة النافذة كيف ملكتها هذه الاجزاء ومن اين جاءت لها : ان هذه المعارك المنظمة قد يجعلها الدهاة من ابطال الحروب :

ان كل هذا ليس من سنخ المواد الطبيعية ولا هو من شأنها بل هو مرتين بعوامل أخرى في غاية الدقة والحكمة والقدرة والشعور العظيم والاختيار المطلق والطبيعة ليست بازائها الاعداد أخالصاً وهذه العوامل هي ماوراء الطبيعة الذي اشعرنا به وهذه الاعمال والآثار المحيرة للعقول هي التي الجئنا الى الازعان بوجوده وهي بنفسها التي حكمت به انه المبدأ الاعلا اوجبت له الوجود الذاتي لان الوجود المفاد يسقط صاحبه عن المبدئية العليا لان كل ما سواها مخلوق والكلام في الخالق للجميع :

وعلة العلل اصل كل الاصول الخالق لكافة ما في الوجود لم يخلق ذلك من اللاشيء او من العدم كما يعبر به ناقصوا التعبير فان اللاشيء والعدم سلوب محضة فكيف تكون مادة للخلق نعم خلقه لها بأبداعه ايها وبما ان العقول المأنوسة بصنعة الصانعين تعرف الصنعة بانها تحوير وتطوير لما كان موجوداً في مادته بصورة اخرى الى موجود آخر بصورة ثانية نراها تستغرب الابداع المادى بل لاتكاد تسيغه فهماً ولكن العقول المتحررة من

هذه النظرات العامية لاترى غرابة في أبداع المادة وايجادها بعد أن لم تكن لان الميزان العلمى وراء النظر المربوط بالعادات فالتفت الى ذلك حق التفاته :

الموت

وهو اعطاء ظاهرة الحياة من اليدوعلمه من الامراض والحوادث كثيرة وما يكون لا بسبب مكشوف ليس بقليل وقد ثبت من طريق الشرائع ان ذلك كله اسباب عاملة لارادة غيبية شاعت موت من تريد اماتته فى فاصلة من فواصل حياته وأن ليس باستطاعة الطبيعة ان تطغو على حى من الاحياء فتميته قبل حلول أجله او تستمر ببقائه بعد حلوله وهذا المعنى فى نفسه معقول لكنه يحتاج الى كاشف يبرزه :

ونحن اذا فحصنا حالات الافراد مع الامراض والحوادث أقامتنا قيامة العجب حيث نرى انساناً يموت من حمى يوم و آخر يستمر مع الامراض المهمة عشرات السنين : ونرى انساناً تصيبه رصاصة واحدة ولو فى غير مقتل فيموت و آخر يكون هدفاً للرصاص فيبقى مع ذلك حياً ورب انسان يقع عليه بنيان بعظمته فيرضه ولا يميته وانسان آخر يموت من حجر صغير يصيبه وقس على ذلك ما لا يعد ولا يحصى : كما رأينا الانسان العالم الذى لا يشكوا شيئاً يموت وهو يمشى :

ومن استجلاء هذه القضايا نستطيع ان نتردد فى كون هذه الحوادث والامراض هى العامل الوحيد فى الاماتة وأن لادخل لعوامل ورائها فى القضاء على الحياة و بما ان الغيب أصبح القاعدة الاساسية لنا فى كل الاشياء و انه العلة الوحيدة فى استخدام اى اعداد يفرض كان لزاماً علينا ان نمشى مع هذا القانون الذى الزمنابه البحث الحر وانتقادت له العقول السليمة ولا يضرنا ان نجهد تفسير كل ما يعرض لنا من مشكل فى سائر نواحي الخلقة و الشؤون العامة والخاصة للمخلوقات لعلمنا بمحدودية مداركنا و عدم تناهى الاكوان و ما فيها بعد ما اثبتنا الاحجار الاساسية لكافة هذه النواحي بالدليل القاطع :

وكما وجب علينا أن ندين بالغيب بالنسبة الى عامل الحيوه والموت يجب علينا

ان ندين ايضاً بكل مائت من طريقه و اما الزوائد المعزاة اليه حيث يتركها العقل الناضج فلا علينا لو ألويها عنها صفحاً:

وهكذا من وظيفة الباحث الحر ان لا يجيء مترمماً بحيث لا يدين لبالطبيعة الناقصة المبتورة كما لا يجوز له ان يعطى مداركه الفكرية و مواهبه العقلية من يده و يلقي بنفسه في احضان القشور والخرافات بزعم انها من قوانين الغيب و نواميسه و على هذا فقد أطبقت عامة الشرائع السماوية المحرف منها والحافظ لشرفه على وجود النشأة الثانية الانسان في ظرفها وعلى وجود النعيم والجحيم كلا لمستحقه والافكار السليمة تسيغ ذلك بل تراه ضريبة لازمة للزوم نيل السعادة للانسان مهما استطاع اليها سبيلاً بل لان تثبيت هذه الفكرة معاين على حراسة كافة الاحياء في هذه الدنيا فان البشر اذا تجافى عن هذه المفكرة عاد حيواناً ضارياً و لا يعود بمسكه قانون بعد أن يكون مدون القانون ومجرى القانون أمثاله في الروحية والانفلات على الواقع والوظائف اللازمة :

فما أهاب به على عليه السلام في خطبته التي تسمع اليها بعد قليل وعشرات سواها وهكذا ما صدح به غيره من عظماء المثاليين الابرار لابدمن تدريب العقول البشرية عليه وتطبيق مجارى الجامعة على وفقه حتى تسهل ملاسة الحياء على الاحياء وينتظم الجميع في نظام صحيح يغنيهم عن الجندى والشرطى والمحاكم والسجون وما كان على وتيرتها ان استطاعت هذه العوامل ان تثمر شيئاً - وهيئات :

والحق أن ما أفاض به امير المؤمنين في تجسيم حالة الانسان حياً وميتاً صحيحاً قادرًا بذش واسترسال في جلب الدنيا اليه وتمتعه بها بصنوف المتع المادية ومصارعته للطبيعة وكافة ما يدب عليها في استحصال ميوله واهوائه و مزاحمته للاغيار على كل ما يؤمن له العيش والراحة والترف : وساقطاً لجنبه على فراشه يعانى الآلام والاسقام جازعا اشد الجزع مما يلاقيه خائفاً ما يستطيع ان يخاف من هجوم الموت عليه ونهب حياته منه : والهلع الذى يشاهد عليه في هذه الاحوال ليس له نظير في كافة حالات الانسان: وجزاة هامة قد اعطت من يدها كل تيك التصرفات العارمة التي كانت تقوم بها

مع الحياة حتى تستذلها الحشرات ايما استدلال وحتى تعود مع العوامل الهدامة فتات رفات ينهار لهاذو البصيرة اذا قارنها فعلا بما كانت عليه قبلا - من أروع ما يمكن تصويره - وتحسيمه بما يدعوا الانسان ان يزهّد بحياة غير الزاهد ويسترخص كل غال من اللذائذ الدنيوية التي يكدح لها الكادحون ويحبب اليه الوفاق والاتزان والاعتدال في تحصيل المعاش بل يدعوه الى كل خير وفضيلة ويبعد به عن كل شرور ذيلة وكل هذا مما يخلق من الانسان موجوداً لا يجنى ولا يتجنى وذلك اقصى ما يرام من الانسان الذي تبني له المدينة الفاضلة : فحقاً ان امير المؤمنين قد استشف الحياة والموت معاً وعرفهما جهداً ما يمكن من معرفتهما وعرفهما للناس ممثلاً اعظم ما يقوم به ممثل مسرحي موفق في تمثيله وبذلك كان النموذج الاعظم لكافة المثاليين من بنى آدم :

اخطار الاحتضار والموت

لقد تعرض كافة المثاليين الى التشدد في هذه النقطة : وهي مسألة احوال الاحتضار والموت وما تستتبعه من احوال : واكثرها ما شاؤا من هز العواطف وتحريك الشعور حول هذه النقطة المومأ اليها ونحن لاجل تمحيصها التام نرى من اللازم ان نفصل البحث عنها وعمما يكون قريباً منها في المادة : فنقول :

الكذب بما هو مع غض النظر عن انشعاباته واحتفافاته في متبادر اهل اللسان هو ما كان خلاف الواقع اذن فليس منه ولا من الصدق ايضاً ما لا واقع له يهدف اليه كخبير الهازل المتضح هزله لطرفه و بعبارة أخرى كل لفظ لم يقصد به مدلوله مع اتضاح هذه الحالة للطرف لا يكون من مقولة الصدق والكذب بالمرّة لفقّد الواقع الذي يوزنان به وهكذا كل فاقد لهذه الموضوعية نظير قول ابراهيم عليه السلام بل فعله كبيرهم هذا فان اخباره هذا وان كان لا واقع له ينطبق عليه لكنه ليس من مقولة الصدق والكذب لان الصنم فاقد لصلاحية الفعل والترك واذا جاء في الروايات ان ابراهيم عليه السلام لم يكذب في قوله هذا فهو من باب السلب بانتفاء الموضوع سيق لمنظور اصلاحى كما سنبينه :

والكذب بما هو كما يكون في الاقوال يكون في الافعال فالذى يقول انا مريض

وهو صحيح كاذب في قوله كمن يظهر حالات المرض من نفسه وهو ليس بمريض فهو كاذب في فعله لانه خلاف واقعه : ثم الكذب بما هو مع غض النظر عن انشعاباته واحتقاقاتة كما اسلفناه هل هو عند العقلاء بما هم عقلاء وفي الاديان بخاصة دين الاسلام كما هو في متبادر اهل اللسان وله حكم خاص اولى وبهذا العنوان الاجمالي العام اولا حكم له الا بعد توزيعه في عناوينه وبعبارة أخرى هل كل ما هو خلاف الواقع على اجمال هذا العنوان العام كذب وحرام ذاتاً وباعتبار طروء العناوين ينحجب هذا الحكم بحكم العنوان الطارئ واذا زال هذا العنوان عادله حكمه الاولي :

او ان الكذب له اصطلاح خاص عند العقلاء او في الشريعة و انه ليس كل ما كان خلاف الواقع فهو كذب فقد جاء في جملة من الروايات الكلام ثلاثة صدق وكذب واصلاح بين الناس فقد جعل الامام الاصلاح قسيماً للصدق والكذب مع انه بالنظر الى بعض الاعتبارات من خلاف الواقع كما استشف عليه ونرى العقلاء ايضاً اذا وقفوا على اخلاص المصلح في وساطته لا يقولون في حقه انه كاذب معذور فهل يستفاد من ذلك ان للكذب عندهم اصطلاحاً خاصاً و بهذا الاصطلاح يحمل قبحاً عقلياً و حرمة شرعية او ان ذلك لاجل تغطية العناوين الطارئة على قبح ما هو خلاف الواقع واخفاء حزازاته : فلوان انساناً مع التفاته الى الواقع عبثاً تكلم بخلافه لالداع سوى ان نفسه دعتة اليه دعوة اعتبارية و لو أنه سئل عن داعيه بعد الاطلاع على خلافه لما أجاب بداع موزون سوى أن يقول اشتبهت ان اقول هذا القول فقلت مثلاً يسأل هل نمت بعد غدائك اليوم فيقول لا عن هدف خاص - لم أنم - مع انه نام ونظير هذا كثير ان صدور فهل ليت شعري يقال لمثل خلاف الواقع هذا انه قبيح عقلاً وحرام ذاتاً قطعاً لا مجال لمثل هذا الحكم عليه اذ لا مبرر للمحاكم بهو ليس لكل واقع اثر حتى تترتب على خلافه حزازة: نعم رياضة النفس على ترصد الصدق ولو في التوافه من الادب الرفيع والتذبذب بها تسفل و التسفل اذا خلا من الاضرار والمفاسد انما يكون عاراً أخلاقياً على صاحبه بانه غير مثقف ولا يجوز للعقول ان تحكم عليه بانه حرام وجريمة يستلزمان التنكيل والعقاب :

فالحق ان خلاف الواقع اذا لم يستلزم اضراراً و افساداً و ايقاعاً في الجهل المضر

ليس حراماً ذاتاً ولا قبيحاً عقلاً كما عليه جملة من العلماء نشير اليهم قابلاً وان كان الاولى تركه ترفعاً و الادلة القائمة على حرمة الكذب منصرفه عنه قطعاً بشهادة موارد ما يلوح عليها : ونستطيع ان نقول بصراحة ان كل واقع سحبت المصالح المهمة عليه حجاب الاهمال ذابت واقعيته فلا يعود خلافه القائم بالمصلحة خلافاً فلا يكون ما قام على هذا الخلاف كذباً ويكون خروجه عن الكذب موضوعياً لا حكيمياً ويصح بالحقيقة قول الامام الكلام ثلاثة صدق و كذب واصلاح بين الناس وهكذا ما جاء في الحديث لا كذب على المصلح :

ادلة تحريم الكذب : اما الكتاب العزيز فهو وان كثر فيه التنديد بالكاذب و المفترى والافاك الا ان اغلب موارد ذلك يدور على محور خاص كالتكذيب بالله و برسله وبآياته وما الى ذلك ومثل هذا لا يكون من الاداة العامة على المقام نعم انما يفيدنا نظير قوله تعالى (الآية ١٠٥ من سورة النحل) انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله : وقوله تعالى (الآية ٣٠ من سورة الحج) فاجتنبوا الرجس من الاوثان و اجتنبوا قول الزور : وقوله تعالى (الآية ٧ من سورة الجاثية) ويل لكل افاك ائيم :

واما الادلة من السنة فكثيرة نظير ما رواه محمد بن مسلم عن ابي جعفر عليه السلام قال ان الله عزوجل جعل للشرافقلا وجعل مفاتيح تلك الافعال الشراب و الكذب شر من الشراب (اصول الكافي باب الكذب) و عن العسكري عليه السلام جعلت الخبائث كلها فى بيت واحد وجعل مفتاحها الكذب (المكاسب المحرمة باب الكذب) وغير ذلك: واما العقل والاجماع فأمرهما واضح فى هذا الباب :

لكن كل ذلك لا يستفاد منه مثل هذا التنديد والتقبيح الوارد فى الآيات والروايات السالفة على مجرد مخالفة الواقع بما هى مخالفة و انما يستفاد منه ذلك شدة و ضعفاً فيما لو استلزم اضراً و افساداً و اغراءً بجهل مضراما اذا عرى منها ولو لم يتلبس بعنوان طارئ ذى مصلحة نظير خبر العايب الذى اسلفناه بانه قال لسائله - لم أنم - وقد كان نام مما لا يترتب على خبره موافقاً للواقع كان ام مخالفاً اقل ضرر ولا نفع بطور مطلق فمن المقطوع به انه غير مشمول لتلك الاسنة كما هو واضح لا قصر العقول دركاً نعم هو

كما اسلفناه من الانحطاط الاخلاقي الفاقد للترفع بالنفس كما يستأنس له مما جاء عن ابي عبدالله عليه السلام قال قال عيسى بن مريم من كثر كذبه ذهب به اؤه (اصول الكافي باب الكذب) ان لا ريب ان مفاد قوله تعالى انما يفترى الكذب او ويل لكل افاك اثم او واجتنبوا قول الزور او قول الحجة والكذب شر من الشراب و ان مفتاح الخبائث كلها الكذب انما هو الانحراف عن الواقع لايجاد المضار و ايقاع الفساد و خلق ما فيه حزازات و هتات على الاخص مع مراعاة ان معنى الافتراء هو الافساد و ان المبالغة في الافاك لها اثرها البليغ فيما هو المراد بمخالفة الواقع التي يرتكبها الانسان ولا يستريب عاقل في أن مثل خبر العايب المخالف للواقع الفاقد لكافة المضار و المنافع ليس من تلك المقولات بالمرّة : كما لا يستراب في ان السكران من الشرب قد يعربد و باختلال توازنه و اعطاء شعوره من يده قد يرتكب من الافساد الشيء الكثير الا ان جملة من الاكاذيب القائمة على خلاف عميق و انحراف عن الواقع بعيد قد تخلق من الفساد ما يكبر ضرره و يتسع نظاير شرره و لذلك يكون الكذب شراً من الشراب غير انه لاعمومية فيه بالحس و الوجدان بل رب شرب يؤدي الى افساد عظيم لا يعادله فيه اعظم الكذب : و سيجيء في موارد تسويغه ما ينقح المقام اكثر مما اسلفناه :

موارد تسويغه و كلمات جملة من الاعلام في المقام و جملة مما ورد فيه من الادلة السمعية قال المولى مهدي النراقي في كتابه النفيس جامع السعادات (ج ٢ ص ٣٢٤ من مطبوعة النجف) في فصل مسوغات الكذب : الكذب حرام لما فيه من الضرر على المخاطب او على غيره او لاجابه اعتقاد المخاطب خلاف الواقع فيصير سبباً لجهله الا انه اذا كان مما يتوقف عليه تحصيل مصلحة مهمة و لم يمكن التوصل اليها بالصدق زالت حرمة و ارتفع اثمه فان كانت المصلحة مما يجب تحصيلها كان الكذب فيه واجباً و ان كانت راجحة غير بالغة حد الوجوب فالكذب لتحصيلها مباح او راجح مثلها : كما روى ان رسول الله صلى الله عليه و آله لم يرخص في شيء من الكذب الا في ثلاث الرجل يقول القول يريد به الاصلاح و الرجل يقول القول في الحرب و الرجل يحدث امرءته و المرأة تحدث زوجها : و قال صلى الله عليه و آله ليس بكذاب من أصلح بين اثنين : و قال صلى الله عليه و آله لا كذب على

المصلح : وقال الصادق عليه السلام كل كذب مسؤل عنه صاحبه يوماً الا كذباً في ثلاثة رجل كابد في حروبه فهو موضوع عنه اورجل اصلح بين اثنين يلقي هذا بغير ما يلقي به هذا يريد بذلك الاصلاح ما بينهما اورجل وعد اهله شيئاً وهو لا يريد ان يتم لهم : وقال عليه السلام الكلام ثلاثة صدق وكذب واصلاح بين الناس قال وهذه الاخبار وان اختلفت بالمقاصد الثلاثة : اقول يعنى الخدعة فى الحرب والاصلاح بين الناس و وعد الرجل اهله و هو لا يريد ان يتم لهم و الرجل يحدث امرته و تحدثه لكن الشق الثالث و هو وعد الرجل اهله و تحدث الرجل الى امرته و تحدثها اليه باب واسع كما سيحىء التعرض له أخيراً .

قال : الان غيرها من المقاصد الضرورية التى فوقها ومثلها فى المصلحة يلحقها من باب الاولوية واتحاد الطريق والاختبار التى وردت فى ذم هتك السر وكشف العيوب والفواحش تفيد وجوب القول بعدم الاطلاع وان كان مطلعاً مع كونه كذباً فلا اثم على احد بصدور الكذب عنه اذا كان وسيلة الى شىء من المقاصد الصحيحة الضرورية له او لغيره من المسلمين - الى ان يقول - ويلحق بالنساء الصبيان فان الصبى اذا لم يرغب فيما يؤمر به من الكتابة وغيرها الابوعد او وعيدو وتخويف كان ذلك جائزاً وان لم يكن فى نيته الوفاء به وكذا لو تكدر منه انسان وكان لا يطيب قلبه الا بالاعتذار اليه بانكار ذنب و اظهار زيادة تودد كان ذلك جائزاً وان لم يكن صدقاً .

و قال صاحب الجواهر قدس سره فى كتاب الجهاد بعد قول صاحب الشرايع (ره) ولا يجوز التمثيل بهم وكذا لا يجوز الغدر بهم : نعم تجوز الخدعة فى الحرب كما صرح به الفاضل فى جملة من كتبه بل فى التذكرة دعوى الاجماع قال تجوز المخادعة فى الحرب وان يخدع المبارز قرينه ليتوصل بذلك الى قتله اجماعاً : ثم قال وروى العامة ان عمرو بن عبدود بارز علياً عليه السلام فقال ما احب ذلك يا ابن اخى فقال عليه السلام لكنى احب ان اقتلك فغضب عمرو فأقبل اليه فقال على عليه السلام ما برزت لاقا لثنتين فالتفت عمرو فوثب على فضره فقال عمرو خدعتنى فقال عليه السلام : الحرب خدعة : و فى خبر اسحاق بن عمار عن جعفر عن ابيه عليه السلام ان علياً كان يقول لان تخطفنى الطير احب

الى من أن أقول على رسول الله ما لم يقل سمعت رسول الله يوم الخندق يقول الحرب خدعة ويقول تكلموا بما أردتم : وقال الصدوق من الفاظ رسول الله الحرب خدعة : وفي خبر أبي البخترى المروى عن قرب الاسناد عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي عليه السلام انه قال الحرب خدعة واذا حدثتكم عن رسول الله فوالله لان آخر من السماء او تخطفنى الطيرا حب الى من أن اكذب على رسول الله ان رسول الله بلغه ان بنى قريظة بعثوا الى ابي سفيان اذا التقيتم انتم ومحمد أمددناكم و أعناكم فقام رسول الله خطيباً فقال ان بنى قريظة بعثوا الينا انا اذا التقينا نحن وابوسفيان امدونا وأعانونا فبلغ ذلك أبا سفيان فقال غدرت يهود فارحل عنهم : وقال عدى بن حاتم ان علياً قال يوم التقى هو ومعاوية بصفين ورفع بها صوته يسمع اصحابه والله لاقتلن معاوية واصحابه ثم قال فى آخر قوله ان شاء الله وخفض بها صوته وكنت قريباً منه فقلت يا امير المؤمنين أنك حلفت على ما قلت ثم استثنيت فما اردت بذلك فقال ان الحرب خدعة وانا عند المؤمنين غير كذوب فاردت ان أحرض اصحابى عليهم كى لا يفسلوا ولكى يطمعوا فيهم فافهم فانك تنتفع بها بعد اليوم ان شاء الله واعلم ان الله عزوجل قال لموسى حيث ارسله الى فرعون فاتياه فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وقد علم انه لا يتذكر ولا يخشى ولكن ليكون أحرض لموسى على الذهاب - اهـ محل الحاجة :

اقول مورد استشهاد عليه السلام بقضية موسى ليس لانه خبر خالف واقعاً فان جملة لعله يتذكر او يخشى ليست خبرية - وان كانت لا تنطبق على الواقع - بل لان نتيجتها التحريض ونتيجة أخباره هو عليه السلام التحريض كذلك فهو ليس بقاصد لمداول خبره بل قاصد للتحريض وهكذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بنى قريظة بعثوا الينا انا اذا التقينا نحن وابوسفيان امدونا واعانوا لم يقصد منه مداول خبريته لعدم قيام ذلك بنفسه قطعاً اذ الواقع له ولكن ساقه بداعى تخذيل اعداءه عنه وبهذه الدواعى المشروعة عقلا ونقلًا تخرج هذه الاقوال : قول الله : قول الرسول صلى الله عليه وسلم : قول علي عليه السلام : عن منطقة خلاف الواقع الواجد للحزاة و تكفى عناوين الحسن الذى لامراء فيه من عاقل : و يأتي فى انشاء البحث ما ينجع فى المقام :

وجاء في اصول الكافي (ملبغته على الحجر مع حاشية المولى صالح المازندراني عليه) في باب الكذب : عن ابي يحيى الواسطي عن بعض اصحابنا عن ابي عبدالله عليه السلام قال الكلام ثلاثة صدق وكذب واصلاح بين الناس قال قيل له جعلت فداك ما الاصلاح بين الناس قال تسمع من الرجل كلاماً يبلغه فتخبت نفسه فتلقاه فتقول سمعت من فلان قال فيك من الخير كذا وكذا خلاف ما سمعت منه : علق المولى صالح المازندراني على ذلك فقال امثال هذا الكذب ليس بمذموم في نفس الامر بل هو اما واجب او مندوب لان الكذب انما يذم ويترك لله تعالى فاذا كان معه سبحانه انقلب حكمه نعم الاولى ان لا يسمى ذلك كذباً لاشتهاره بكونه مذموماً بل يسمى اصلاحاً فهذا قسم ثالث بين اسمي الصدق والكذب كما نطق به عليه السلام :

وعن الحسن الصيقل قال قلت لابي عبدالله اناروينا عن ابي جعفر في قول يوسف ايتها العيرانكم لسارقون فقال والله ما سرقوا و ما كذب وقال ابراهيم بل فعله كبيرهم هذا فاستلوه ان كانوا ينطقون فقال والله ما فعلوه و ما كذب قال فقال ابو عبدالله ما عندكم فيها يا صيقل قلت ما عندنا فيها الا التسليم قال فقال ان الله احب اثنين و ابغض اثنين احب الخطر فيما بين الصفتين و احب الكذب في الاصلاح و ابغض الخطر في الطرقات و ابغض الكذب في غير الاصلاح ان ابراهيم انما قال بل فعله كبيرهم هذا ارادة الاصلاح ودلالة على انهم لا يفعلون وقال يوسف ارادة الاصلاح : علق المولى صالح المازندراني على ذلك فقال لعل المراد ارادة اصلاح حال قومه برجوعهم عن عبادة الاصنام :

اقول قطعاً لا اصلاح يراد في المقام سوى ذلك لان ابراهيم عليه السلام كان مع قومه في صدد اثبات الصانع الجامع لجميع صفات الكمال والجمال واثبات رسله و تكليفه كما هو صريح الايات المسوقة في هذا المجال فارادة اصلاحه هي ارادة تحويلهم من وضعهم الالحادي الفعلي المملوء بالانحرافات الى الوضع الذي يريد الله بوسيلة رسله القائمين باصلاح وظائفه وتنفيذها حتى المقدور فأصلاحه عليه السلام عائد الى اخلاقي

عام وليس هو من الاصلاح بين اثنين او فريقين متعادين. واما ارادة يوسف الاصلاح فستعرض لها اخيراً :

عن عيسى بن حسان قال سمعت ابا عبد الله يقول كل كذب مسؤل عنه صاحبه يوماً الا كذباً في ثلاثة رجل كابد في حروبه فهو موضوع عنه او رجل اُصلح بين اثنين يلقي هذا بغير ما يلقي به هذا يريد بذلك الاصلاح ما بينهما او رجل وعد أهله شيئاً وهو لا يريد ان يتم لهم : وعن معاوية بن عمار عن ابي عبد الله قال المصلح ليس بكذاب : اه : ما عن اصول الكافي :

وفي الوسائل (ابواب احكام العشرة باب ١٤١) عن جعفر بن محمد عن آباءه عليهم السلام في وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام قال يا علي ان الله احب الكذب في الاصلاح و ابغض الصدق في الفساد : الصدوق في كتاب الاخوان بسنده عن الرضا عليه السلام ان الرجل ليصدق على اخيه فينا له عنت من صدقه فيكون كذاباً عند الله وان الرجل ليكذب على اخيه يريد به نفعه فيكون عند الله صادقاً - اه :

وجاء في احياء الاحياء للفيض الكاشاني (في باب ما رخص فيه من الكذب) اعلم أن الكذب ليس حراماً لعينه بل لما فيه من الضرر على المخاطب او على غيره : الى آخر ما قال مما لا يتعلق لنا به غرض فعلا :

واذا ألممت بهذه النقول والآثار أدركت ان مادة الكذب المغروس في النفوس استقباحها لا تكون بهذه الهوية الا لما يترتب عليها من حزازات لالانها خلاف الواقع بما هو واقع وقد عرفت انه كم من واقع لا قيمة له في نفسه ومنه يعلم ان خلافه ساقط عن الاعتبار اساساً هذا مضافاً الى ان شبح الكذب لا يترائي في مخيلة اي عاقل يفرض من المشرعين كان ام من غيرهم في المخلص الذي يتوسط بين اثنين او فريقين لاصلاح شأنهما ومهما كثر خلافه عن الواقع في طريق التقريب بينهما بل يقال في حقه انه نعم الرجل نزيه الباطن مخلص للانسانية مسدد في منطقته مصيب في حديثه مثاب في عمله وسرداك - اولاً - ان قبح الكذب المغروس في الانه انما هو من أجل شيوع موارده المضرة كقبح ارتكاب عمل القتل في حال ان جملة مما يقال له كذب واجب عقلاً وشرعاً

وهكذا جملة من ارتكاب عمل القتل واجب عقلاً وشرعاً فهل ترى يكون هذا الواجب العقلي الشرعي من قماش ذاك المغروس في الاذهان بالضرورة لا يكون فان الواجب يستلزم على مخالفته العصيان المستلزم للعقاب و انما اطلق عليه لفظ الكذب توسعاً - وثانياً - الكذب الجائر بمقتضى استثنائه عقلاً وشرعاً ينسلخ من قبحه العقلي و من تحريمه الشرعي فلا يبقى منه الا لفظه الفارغ من معناه القبيح المحرم ويستحيل ان يكون مع استثنائه قبيحاً محرماً واما الكذب الراجح او الواجب فانه فضلا عن ذلك يحمل من طريق هذه العناوين الطارة الراجحة او الملزمة حسنها العقلي وثوابها الشرعي :

- وثالثاً - جاء في روايات عديدة اسلفنا ذكرها قول الرسول ﷺ ليس بكذاب من اصلح بين اثنين وقوله ﷺ ايضاً لا كذب على المصلح و قول ابي جعفر عليه السلام والله ما سرقوا وما كذبوا الله ما فعلوه وما كذب و قول ابي عبدالله المصلح ليس بكذاب وهذه التراكيب كلها وكل ما كان على طرازها تفيد نفي الحقيقة من اصلها الا ان تكون قرينة خارجية تصرفها من نفي الحقيقة الى نفي الكمال نظير علمنا من خارج بأن مفاد قوله لاصلاة لاجار المسجد الا في المسجد هو نفي الكمال لانفي الحقيقة بخلاف قوله لاصلاة الا بظهور فهو لاء الحجج في اقوالهم هذه أفادوا نفي حقيقة الكذب عن المصلح لانهم تسلموا حقيقته ونفوا عنه حكمه: وما رسل الحجج هذه الا قوال الاستيحاء عن الواقع نفسه وان ما عبر واعنه هو الواقع لانه من خلاف غايته انه واقع يتشخص بهدفه المقصود الذي دعا المصلح الى قيامه بالاصلاح ولهذا صرح الامام عليه السلام بكونه امراً ثالثاً بين الصدق والكذب فان المصلح الذي يقول لكلا المتباعدين كلا على انفراد ان فلانا ليس حيث بلغك عنه بل هو عاتب عليك لا مفند لك والعتب لا يكون الا حيث تكون الصداقة العريقة والقرب القلبي ونظير ذلك من هذه الكلمات المليئة للعواطف المذهبة لدنس القلوب المقربة للنفوس بعضاً من بعض فهذه الالفاظ لها واقعان تقاس اليهما الاول هو واقع اللفظ الذي شتم به الخصم خصمه والثاني هو الواقع الذي قرب المصلح الفاظ الخصم اليه ولطفها به وهو ارادته انه ليس بشاتم بل عاتب متوجد ينتظر منك غير ما صدر عنك او ما نقل اليه منك اما الواقع الاول فهو ليس من صدد المصلح بالمرّة لانه لا يريد تكرار شتائم الخصم لخصمه و ان الخصم لم يقلها فان ذلك مما ياباه خصمه

وقبيله لما ثبت عنده من صدور الشتيمة عليه من خصمه قطعاً والواقع الثاني الذي لطّف به مقالة الخصم الواضلة الى خصمه وانها ليست بشتيمة بل عتاب واستنكار هو هدفه .

وما قاله من الالفاظ في مقام الصلح مطابق له لامتخالف اياه اذن فالفاظه ليست خلافاً للواقع الاول وهو معزول هنا وانما جعلها الامام عليه السلام قسيمة للصدق والكذب لانها الصدق نفسه لوقوعها بين واقعين اذ اقيمت الى احدهما كانت خلافاً له والى الاخر كانت وفاقاً له لكنها لما كانت في معزل عن الواقع الاول كانت غير كذب حقيقة وكان المصلح من هذا الطريق صادقاً كما جاء في رواية الصدوق عن الرضا عليه السلام ومن هذا الطريق يسكون الصادق المعنت بصدق اخيه عند الله كاذباً لان واقعه الذي يتحدث عنه هو ايجاد العنت في اخيه وهو واقع افسادي يشترك مع الكذب في حرازاته:

ـ ورابعاً - العناوين الطارئة وهي المصالح المهمة التي تظراً على الواقع من لازمها القهرى انها تغطيه و تسحب عليه حجابها فاذا انحجب الواقع بالعنوان الطارئ صار الواقع الفعلي المنجز واقع هذه العناوين الطارئة فلا يبقى من الواقع الاولي عين ولا اثر فلا كذب مادام العنوان الطارئ مغطياً له حاجباً اياه:

والواقعان اللذان اشرنا اليهما آنفاً يتمشيان في وعد ووعد الوالى لمن تولى عليه قصداً لاستصلاحه وان كان حين وعده وو عيده لا يريد ان يحققهما خارجاً وهكذا الاهله وزوجته وهذا المعنى هو الذي اخرج هذه الوعود والتهديدات موضوعاً من دائرة قوله تعالى . كبر مقتاً عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون (الآية ٣ من سورة الصف) واصولاً ان هذه الوعود والتهديدات انما تحمل صورة الخديعة و الهدف الاصيل منها للانسان تركيز اولاده ونسائه و عياله في نصابهم الذي يجب ان يكونوا فيه ضرورة ان الانسان لا يخادع اطفاله ولا عياله لانهم نسخة اخرى لنفسه وهذه المقدمات انما يعملها في سبيل استصلاحهم لا انه يجعلها قنطرة لتنفيذ مقاصده المرموزة كما هو شأن كل مخادع لغيره :

ثم لا ريب ان الحرب التي تجوز المخادعة فيها هي الحرب المشروعة التي

اقيمت لدحض الباطل انتصاراً للحق جهاداً كانت ام دفاعاً فالدم الذي لا يقبل التقية الجائزة الجريان في كل شيء اذا ابيحت اراقتة فضلا عن ايجابها يعود كل شيء معه لاقيمة له فكل ما يوجب تشييت شمل العدو وخذلانه و الافراج عن الحق و انتصاره يكون من القوى التي الزم المكلف باعدادها لدك العدو فالخديعة اذا كانت حربة لتشيت شمل الباطل كانت جائزة قطعاً بل تكون واجبة اذا توقف الانتصار للحق عليها و اذا وجبت انسلخت من قبح خلاف الواقع و تلبست بالمحسنات العقلية و الا ثابات الشرعية : هذا ولم يمنع الشرع في طريق دك المبطلين من كفار و بغاة الا ما استلزم البعث نظير المثلة بالقتيل كما هو محرر في كتاب الجهاد من الجوامع الفقهية :

والاصلاح والاستصلاح كما يتناولان الاهل والازواج والاولاد والمتخاصمين من الناس بداعي اقرار الصلح والصفاء الداخلي والخارجي و طرد التشويش والارتباك والعداء في المنازل الشخصية و خارجها الاجتماعي يشملان بهذا الداعي و بوحدة الملاك والطريق الاصلاحات العمومية التي تتكفل اقرار النظام الشرعي و حفظ الحرمات و الحيثيات والحقوق بل و لا تعادل في الحقيقة بين اصلاح اثنين و استصلاح الاجتماع بأسره هذا مضافاً الى ما سلفت روايته من قصة ابراهيم عليه السلام :

و نحن نذكر الآيات المتعلقة بذلك او لا لتكون تمهيداً للبحث عن الرواية الواردة في شأنها : جاء في سورة الانبياء (الاية ٦٢ فما بعدها) قالوا عانت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاستلوهم ان كانوا ينطقون فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم اتم الظالمون ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم اف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون :

فقول ابراهيم عليه السلام بل فعاه كبيرهم هذا كلام لا واقع له ينطبق عليه وليس معلقاً

على شيء بل هو اخبار جازم وجملة ان كانوا ينطقون شرط لقوله فاستلوهم كما هو اوضح من ان يشار اليه ولا ربط لها بالجملة الخبرية السالفة من حيث التركيب الاربط استدلال و تعجيز والايات كما ترى مسوقة، في مقام استصلاح ابراهيم لقومه و نقلهم

من عبادة الاوثان التي لا تضر ولا تنفع الى عبادة رب السموات والارض الذي فطرهن وارسل الرسل مبشرين و منذرين : و مجوز هذا التركيب الذي لا واقع له من اصله لنسبة الفعل الى الصنم هو تنزيله منزلة الفاعل المختار بداعي الفات الاذهان الى ان هذا الكبير الذي اتخذه هذا المجتمع المتسفل في شعوره رباً حقيراً جداً لانه موجود هامد مسخر تصوره ايدي الصانعين باية صورة شاؤا و تجسيم مثل هذه المطالب الفكرية من اعظم البراهين على تحقيق المطلوب وتثبيت الاهداف العالية كهدف ابراهيم عليه السلام وعدم كذبه عليه السلام في عرض ما لا واقع له لانه مهتد به لافتاً قوياً لاذهان قومه الى انهم ضالون عن الطريق الصحيح اشد ضلالة وكان من لازمهم الافلاع عن هذا الانحراف باول تصور يستعرضونه وهذا الهدف من اهم الاهداف الاصلاحية العامة : واما ارادة يوسف عليه السلام للإصلاح بقوله ايتها العيرانكم لسارقون فهي انه اراد أن يجمع شمل ابيه بأولاده جميعاً ومنهم هو وان يعيد لهم ولنفسه حياة صالحة خالية من شوائب تلك المنغصات التي أوجدها اخوته بالتأمر عليه ومن طريق اتهامهم بالسرقة قبض اليها اخاه وشقيقه بنيامين و كان ذلك فاتحة اجتماع شمل آل يعقوب بقصتهم المعروفة :

فألى هنا قد استحصلنا من منظومات الكتاب و السنة صوراً من خلاف الواقع او ما لا واقع له مما يجوز عر ضد للاهداف المشروعة ما بين جائز مباح و راجح مندوب و واجب محتم (١) منها المكابدة في الحروب المشروعة لنصرة الحق ودك الباطل و قد قام بذلك عملا الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم في قضية بنى قريظة و تواطئهم مع ابي سفيان على امداده و اعانته متى اصطف في قبال نبي الاسلام كما سلف الحديث به من طريق صاحب الجواهر (ره) عن قرب الاسناد تأليف ابي العباس عبدالله بن جعفر الحميري شيخ القميين و وجههم الثقة عند كافة اهل الرجال : كما قام به الامام علي عليه السلام ما نقله صاحب الجواهر ايضاً من حديث عدى بن حاتم الوارد في فروع الكافي و تفسير القمي و الوسائل (٢) ومنها التحريض على تحقيق واقع مهم كما جاء عن علي عليه السلام في خطابه لعدى بن حاتم الذي اشرنا الى حديثه قريباً و اعلم ان الله عز وجل قال لموسى حيث ارسله الى فرعون فاتياه فقولا له قولاً لينا لعله يتذكر او يخشى و قد علم انه لا يتذكر ولا يخشى ولكن ليكون أحرص لموسى على

الذهاب : اه : فانه سبحانه لوقال موسى ان فرعون عصى عني لا يتذكر ولا يخشى ولكن مع ذلك اذهب اليه لصيرمنه انساناً مأبوساً من كافة اقداماته التي يقوم بها والمأبوس يفقد نشاطه بالمرّة ولما استطاع أن يوالى بخطاه الاصلاحية طول عمره وان يستنتج من ذلك تلك النتائج الجبارة في ذلك الفراغ واستخلاص بنى اسرائيل من اسر الاقباط (٣) ومنها الاصلاح بين المتعادين كما ورد في عدة روايات اسلفنا جملة منها (٤) ومنها وعد الرجل اهله وهو لا يريد أن يتم لهم (٥) ومنها تحدث الزوج الى زوجته و تحدثها اليه كما سلفت رواية هذا وذلك آنفاً (٦) ومنها ارادة الاصلاح العائلي كما في قضية يوسف و اتهامه العير بالسرقة (٧) ومنها ارادة الاصلاح العام العقائدي كما في قصة ابراهيم عليه السلام وقومه عند ما حطم اصنامهم الاكبيراً لهم وقال بل فعله كبيرهم هذا : كما مر حديث هذا وذلك سابقاً (٨) ومنها كل ما ورد تقيّة عن اهل البيت عليهم السلام (٩) ومنها ارادة ايقاع الاختلاف العلمى محافظة على بقاء الائمة و بقاء شيعتهم : قال الفقيه المحدث الشيخ يوسف البحراني في المقدمة الاولى من الجلد الاول من الحقائق (مطبوعة النجف) فصاروا صلوات الله عليهم محافظة على انفسهم وشيعتهم يخالفون بين الاحكام و ان لم يحضرم احد من اولئك الانام - اشارة الى ابناء العامة - فتراهم يجيبون في المسألة الواحدة باجوبة متعددة وان لم يكن بها قائل من المخالفين كما هو ظاهر لمن تتبع قصصهم وأخبارهم : فمن ذلك ما رواه في الكافي في الموثق عن زرارة عن ابي جعفر عليه السلام قال سألته عن مسائل فأجابني ثم جاءه رجل فسأله عنها فأجاب به بخلاف ما أجابني ثم جاء رجل آخر فأجاب به بخلاف ما أجابني وأجاب صاحبي فلما خرج الرجلان قلت يا ابن رسول الله رجلان من اهل العراق من شيعتكم قد ما يسألان فأجبت كل واحد منهما بغير ما اجبت به صاحبه فقال يا زرارة ان هذا خير لنا و أبقى لكم و لو اجتمعتم على امر واحد لصدقكم الناس علينا ولكن اقل لبقاءنا وبقائكم : وما رواه في الكافي عن موسى بن أشيم قال كنت عند ابي عبدالله فسأله رجل عن آية من كتاب الله عز وجل فأخبره بها ثم دخل عليه داخل فسأله عن تلك الآية فأخبره بخلاف ما أخبر به الاول فدخلني من ذلك ما شاء الله الى أن قال فبينما انا كذلك اندخل عليه آخر فسأله عن تلك الآية فأخبره بخلاف ما أخبرني

وأخبر صاحبى فسكنت نفسى وعلمت ان ذلك تقيية قال ثم التفت الى فقال يا بن اشيم ان الله عز وجل فوض الى سليمان بن داود فقال هذا عطاءؤنا فامنن او امسك بغير حساب وفوض الى نبيه عليه السلام فقال ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فما فوض الى رسول الله (ص) فقد فوضه الينا .

(٧) اقول يخال القشريون من المشرعين فى بت المطالب والقضاء فيها ان كلا من التقيية وايقاع الاختلاف المزبورين تعمية للحق وانغراء بالباطل خصوصاً وان مصدر ذلك امام حجة مفترض الطاعة قد نصب نفسه لاراءة الواقع والدلالة على الله وعلى احكامه ولكنهم عند ارسالهم لهذه الكلمات لا يتورعون فيما يجب النظر اليه من احتفافتها : نعم لاشبهة فى ان وظيفة الامام هى اراءة الواقع والدلالة على الله وان يكون فى طريق تحقيق هذين الامرين من المتفانين الاشداء الذين لا يؤخذ عليهم اقل تسامح وادنى النواء لكن هناك ما يجب الالتفات اليه اكثر واوفر هو ان الله سبحانه لما جعل الوظائف التكليفية على عباده اختيارية لهم و لم يقسره عليهم قسرتكوين وان كان لو شاء لهدى الناس اجمعين لكن ارادة المسابقة وانمام الحجة على خبث الخبيث وطيب الطيب تأبى القسر التكويني لان القسر لامحمدة فيه ولازم - كانت وظيفة الرسول والامام - هو الابلاغ والايصال والبيان للمكلفين لاكثر وكانت وظيفة المكلف عينا وظيفه تلميذ المدرسة من واجبه ان يسعى فى الاوقات المقررة لمدرسته ويهياً نفسه لمحاضرات اساتذته فاذا التوى هذا التلميذ عن وظيفته كان هو المقصر لا الاستاذ : ولم يلتجأ الائمة عليهم السلام الى التقيية الا خوفاً من انفس المكلفين المنحرفين الذين اعدوا انفسهم للاطاحة بائمة الحق والسعى بقتلهم او تشريدهم او انزوائهم فى قعور بيوتهم خائفين وجلين كما حصل كل ذلك فى الائمة انفسهم من طريق المكلفين من المسلمين لاغيرهم : ولا ريب ان مرواغة الشجاع فى ميادين الحروب لتسنى له الفرصة الغالبة و الفرجة الغائمة من أبرع صفاته وخير سجاياه حتى لا يخسر المعركة بتهوره ويخسر روحه واتباعه وهدفه الذى يجاهد من اجله تبعاً لذلك :

والائمة عليهم السلام لم يحاولوا فى تقيتهم الابقاء على ارواحهم وارواح شيعتهم من فابضى ازمة الوقت حتى يواصلوا اجر تلك الانفاس الضيقة التى لاقيمة لها فى الواقع بل حاولوا

وراء ذلك ابداء الواقع في الفرص المناسبة و ارائة الحق في الاوقات المنفرجة حتى لا تنقطع سلسلة العلوم الواقعية والعلماء الواقعيين الى ان تتشع الغيوم المتلبدة تماماً فحينذاك ينتفع من ينتفع بهذا الخير الجزيل الذي تجمع في الخزائن الضابطة الحافظة من تلك القطرات التي تواترت في الان المناسب بعد الآن المناسب الآخر : ولوانهم تهوروا لكان نصيبهم و نصيب علومهم و اتباعهم نصيب كل متهور من الفناء و التلاشي في آفات قصيرة : و كل ما صدر تقيّة فقد نبه عليه و اشير اليه في الفرص السانحة و لم يعد يختلط باطل التقيّة بحق الواقع و هذا كله مسجل في الجوامع الفقهية و الحديثية و الرجالية (١٠) ومنها الكذب في الصلاح كما جاء في وصية النبي ﷺ على ﷺ قال يا على ان الله احب الكذب في الصلاح و ابغض الصدق في الفساد : و الصلاح اعم من الاصلاح فكل ما فيه صلاح الفرد و المجتمع لاما عن ارتكاب خلاف الواقع فيه (١١) ومنها ما جاء عن الصدوق في كتاب الاخوان بسنده عن الرضا ﷺ ان الرجل ليصدق على اخيه فينال عنت من صدقه فيكون كذاباً عند الله و ان الرجل ليكذب على اخيه يريد به نفعه فيكون عند الله صادقاً : كأن يقول له ان اباك كان حمالاً و ان امك كانت تخدم في البيوت و كأن يقول له ان لك عندي جائزة عظيمة متى تركت الكسل و نشطت للعمل يريد بالاول تحقيره و بالثاني حفزه على العمل الذي ينجيد مع انه لا واقع لقوله ان لك عندي جائزة عظيمة :

و بناء على هذه المقدمات نقول ان من يستعرض الآثار الواردة عن حفاظ الشريعة في باب الاحتضار و الموت يجد فيها من تعظيم امرهما و فطاعة حال المحتضر ما لا يرى له اثرأ ملموساً في الاكثر الا و فر بمعنى انه لا يرى المحتضر هو في سكرات الموت يعالج آلاماً جسمية و اوجاعاً مادية تظهر على حركاته و تصرفاته بنفسه كمن يعالج الوجاع الشديد و الآلام المهمة بل يرى الاعم الاغلب في حالة بسيطة تشبه حالات تعاور الاعضاء و الافاقة على المريض و لا ريب انه لو كان الازعاج جسمياً و العلاج مادياً لظهر أثرهما بالقهر على المحتضر و مهما كان ضعيف الاعصاب و العضلات لان الشدائد تجمع في صاحبها قواه المتحللة و تبعثها الى النشاط و لوالى زمن ما اجابة لداعي المقاومة و هذا كما وعزنا

اليه لا يجده الحاضر عند المحتضر في نوع افراده فهل ترى ان المنظور بماورد في
 المآثور هي الآلام الروحية التي تعترك بالمحتضر وتسلب قراره فذلك مالا شك فيه فاننا
 نجد الانسان في مظان تخوفه من الموت يبدو عليه من الجزع ما لا يوصف ببيان ويود
 انه لو استطاع التخلص من هذا المأزق ولوبكل ما يجد ويمالك من كل ما يقدر عليه
 لفعل ونراه يضرع لكل من يحتمل فيه التنفيس عنه ضراعة لا يبذلها من نفسه عند جوعه
 وعرا وسائر الشدائد التي تقترن به وأصولا عذاب الالم الروحي فوق ما يتصور وهو في الاحياء
 الاصحاء يكون مبعث آلام جسمية مدهشة : وان كان المنظور هي الالوجاع المادية
 والآلام الجسمية فقد عرفت ان ظاهر الاحوال يابى ذلك وعليه فهل ترى ان هؤلاء الحجج حفاظ
 الشريعة والقوام على ضبط الاحياء واقامة النظام بينهم نما هو لو ابذل كل اى وسعوا مستواه الطبيعي
 وكبر وادائرته المصغرة بداعى اعلان حقيقته الخافتة والجهر بوجوده الضئيل كما قال من قال:

قامت تظللنى من الشمس نفس اعزّ على من نفسى
 قامت تظللنى ومن عجب شمس تظللنى عن الشمس

او من قال

لا تعجبوا من بالاغلا لته قد زرّ أزراره على القمر
 ونشروه بين الاحياء ليسمعه حتى الطفل الصغير فضلا عن المكلف الكبير فيكون ذلك
 مخوفاله في حياته عن مداناة المعاصى والجرائم واداعا عن مقارفة المآثم اصلاحاً للحياة العامة
 واستصلاحاً لهواة الانحراف من الاحياء بالاملاسة للكذب فيما قالوا لان ابراز الواقع
 الصغير بما يكبره بداعى التوسع في الاطلاع عليه ليس من خلاف الواقع نظير تكبير المجهر
 حجب شىء مئات المرآت بل آلافها فكما ان المجهر ليس بمزور للواقع بل هو ناشر
 له معلن به كذلك من يصف الجميل بانه شمس او قمر والجواد بانه بحر والشجاع بانه
 اسد ملبد : وقد سرح الفقهاء بان المبالغة ليست من الكذب: راجع مكاسب الشيخ
 الانصارى فى ذلك :

هذا كله بلا لزوم تورية فى كافة الموارد السالفة الذكر فان لسان تلك الادلة آب
 عن لزوم التقييد بها واصولا التورية اخت الكذب فيما يترتب عليه من خديعة

ومضار ومفاسد وإيقاع للطرف في الجهل المضل المخطب لا يفهم الاظهار اللفظوهي في نفس الناطق تشير الى خلاف الظاهر من لفظه ولذلك لاتجوز في غير موارد التسويغ لانها تدليس محض لاشك فيه :

وكما اسلفنا التهويل بما لاصله واقع ليس من خلاف الواقع وهو والمبالغة من مقولة واحدة : وقد جاء في سورة الصافات من القرآن المجيد قوله تعالى طلعا كأنه رؤوس الشياطين فان تشبيهه طلع الشجرة الجهنمية المحقق الحصول والوقوع برؤوس الشياطين تهويل احالة للمطلب على ما تركز في مخيلة السامع من صور كريهة بشعة مستنكرة للشيطان وللغول ونظائرهما : وقد جاء في كتب التفاسيرو من جعلتها تفسير الكشاف وشبهه برؤوس الشياطين دلالة على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر لان الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس لاعتقادهم انه شر محض لا يخلطه خير فيقولون في القبيح الصورة كانه وجه شيطان كانه رأس شيطان واذ صوره المصورون جاؤا بصورته على اقبح ما يقدر وأهوله : ونظيره قول من قال .

أيقتلني والمشرقي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

فكونه يملك مشرفياً ومسنونة زرقاً مما لا ريب فيه لكنه جلا هذا المعرض بصورة لها اعظم الاثر في النفوس والاذهان وهي الاغوال : فهذا كله ليس اغفالا واغواء للمخاطبين ومن تبلغهم هذه التراكيب لان الاغواء والاغفال انما دخلا في مقولة الرذائل والقبايح لانها تجعل الطرف قنطرة لتنفيذ ميول المغفل والمغوى والكاذب وفي مقام الاصلاح والاستصلاح والتأديب والتربية وتركيز النظام بين الناس وعلان الواقع الخفي لامنفذ لهذه الرذائل والقبايح بل المجال كله يكون لاحقاق الحق وتعديل جنبيات الحياة وما الى ذلك من الاهداف السامية التي هي محط الاجر والثواب والخدمة الانسانية عامها وخاصها :

والوعد والوعيد الجاربان على لسان الله في كتبه ولسان انبيائه واوصيائه في أية نشأة كانا حق وصدق لامرية فيه بل يجب ان يكونا من طريق المنطق العام اثابة للمحسن و تنكيلا بالمسيء نعم الوعد والوعيد تختلف السننهما في التعبير عن اداء

المقصد فتارة يكونان بعبارة مطلقة من تزيينات الكلام : تظير قوله تعالى (الآية ٧١ من سورة الزخرف) وفيها ما تشبیهه الانفس و تلذ الاعين : وقوله سبحانه (الآية ٧٠ من سورة الانعام) لهم شراب من حميم وعذاب اليم : و اخرى بعبارات مزينة بالبدايع الكلامية من الاستعارات والكنيات والتشبيهات وما الى ذلك مما هو كثير الوقوع في استعمالات البلغاء فان البليغ تارة يقول فلان جواد ويقف عند تعبيره هذا واخرى يقول هو البحر من اى النواحي اتيته فلجته المعروف والجود ساحله فهوان قال انه البحر لم يكذب لانه ليس من قصده انه بحر بالحقيقة الملموسة بل النى تستلزمه من بعض جهاته وتلك هى ان لجة البحر غامرة ومعروف ومدوحه نظير ذلك وساحل البحر دائماً خضل طرى واطراف ومدوحه كذلك خضلة طرية لحدبه على الوافدين والسائلين: واسان القرآن والسنة من احسن الالسنه البليغة فلا جرم اذا سار فى هذا المسير بما ينزع اليه فى تعبير المقاصد باسلوب ادبى فخيم فقد جاء فى الحديث عن رسول الله ﷺ يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك وقد أخطأ فى فهم هذا الحديث ونظائره رجلا ن كلاهما حمل الفاظه على المعانى الحقيقية المطابقة فأنكره أحدهما وهو المتجدد قائلاً ان جهنم ليست بحيوان حتى تزم بزمام وتقبله الاخر بكل حروفه من دون أن يفهم لها معنى وهو العامى و القشريون الذين لا يزيدون عليه فهما فى حال ان الحق لا هذا ولا ذلك وانما التركيب تركيب استعارى فقد شبهت جهنم لتكالب لهبها وتموج شعلها وتطاير شررها وشد زفيرها وشهيقها بالحيوان الشموس النشيط الهائج وكما ان مثل هذا الحيوان يحتاج فى ضبطه و تعديل حركاته والوقوف امام عرامته الى حبال وازمة فى رقبتة و يديه ورجليه فكذلك شأن جهنم لا أنها بالفعل ذات ازمة وملائكة متوثقين من تلك الازمة وقوفا امام ضغوطها وهياجها العارم: كما روى عنه ﷺ ايضا ان فى النار لحيات مثل اعناق البخت يلسعن اللسعة فيجد حموتها اربعين خريفاً و ان فيها لعقارب كالبغال الموكفة يلسعن اللسعة فيجد حموتها اربعين خريفاً: والرجلان الموماً اليهما آناً بقعان هنا فى حيص وبيص اكثر مما سلف فيأخذ المتجدد فى التفطيش عن اكبر حية و اكبر عقرب و رد لهما ذكر فى

قواميس الحيات والعقارب فقد يجد للحية وجوداً كعنق البختى ولكنه لا يجد للعقرب وجوداً كالبلغل الموكف ويقول ان امر اللسيح دائر بين اثنين اما ان يقضى عليه السم فيموت واما ان ينحسر عنه اثره فيشفى ولا مجال لخريف واحد مع الذى بيناه فضا عن الاربعين خريفا واما العامى والقشرى فيكل كل ذلك الى تصديقه الفاقد للتصور والحقيقة وراء ذلك كله وان مساق التعبير مساق كئائى خالص عن شدة العذاب وطول مدته بلامفهوم حقيقى لعظمة الجثة ولا للاربعين خريفا لانه غير مراد قطعاً بل الهدف المقصود بلاريب هورشة العذاب وطول ملازمته للمعذب ومع احراز ذلك فلا تكون خصوصية لعظمة الجثة وعدد الاربعين خريفاً كما لا قصد بنفس طول النجاد حيثما يقال فلان طويل النجاد و انما المقصود طول قامته وكم أطلق هذا القول على انسان لم ير شبح النجاد حتى فى نومه: وكم قيل ألف - اهلا وسهلا بك - ولم يرد به الاكمال الترحيب ومزيد العلق بالطرف قطعاً: كما جاء فى (الآية ٨٠ من سورة التوبة) ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم: فان المراد انك لو استغفرت لهم كثيراً لما افادهم عند الله شيئاً للبعد العميق بينهم وبين الله تعالى: وجاء فى سورة المعارج: سئل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذى المعارج تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة: وجاء فى سورة السجدة يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون: وجاء فى سورة الحج الآية ٢٧ وان يوماً عند ربك كالف سنة مما تعدون: وفسر فى كثير من الروايات الخمسون الف سنة والالف سنة فى سورة السجدة والالف سنة فى سورة الحج بيوم القيامة فأشكل جمع ذلك على غير اهل البصيرة فأخذ كل ، يأتى بوجه للجمع حتى يحصل الوفاق فى حال ان القرآن نفسه حل هذه المسألة البسيطة بما جاء منه فى سورة المزمل فكيف تتقون ان كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً: ولاريب ان هذا التركيب كئائى صريح والمراد به شدة الهول والفرع والجزع فليس العدم منظوراً ولا الشيب المتعارف مقصوداً: وقد جاء عن النبى ﷺ واوصيائه ما يرشد الى ما بيناه وفى كتب الحديث والتفسير ومنها مجمع البيان قيل يا رسول الله ما اطول هذا اليوم فقال والذى نفس محمد بيده انه ليخف على المؤمن حتى يكون اخف عليه من صلاته مكتوبة

يصليها في الدنيا : فان هذا الحديث صريح بانه ليس المنظور به الزمان و انما المنظور الشدة و لذلك قال عليه السلام ليخف على المؤمن : وعن الصادق عليه السلام لو ولي الحساب غير الله لمكثوا فيه خمسين الف سنة من قبل أن يفرغوا والله سبحانه يفرغ من ذلك في ساعة : الى غير ذلك مما هو صريح في المعاني الكنائية حتى في قوله عليه السلام لو ولي الحساب غير الله لمكثوا فيه خمسين الف سنة اي لمكثوا فيه زمناً متطاولاً جداً وقد يزيد في الحقيقة على غير الله بأضعاف على الخمسين الف سنة :

وهكذا لم يقصد غير المعنى الكنائي مما رواه على عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله تعوزوا بالله من جبّ الحزن او وادى الحزن قيل يا رسول الله وما وادى الحزن اوجب الحزن قال واد في جهنم تتعوز منه جهنم كل يوم سبعين مرة : فان جهنم ليست وجوداً ذالسان يتكلم او حساساً يتألم فتعوزها منه كل يوم سبعين مرة كناية عن شدة هول هذا الوادى وعظيم تموجه بناره حتى ان جهنم لتعود معه خفيفة على أهلها :

وجاء في الحديث ان الكافر ليجر لسانه فرسخين يوم القيامة : و هو كناية عن ان حرّ الموقف وهول القلب والجزع الذي يعتر به يطيل لسانه بشدة اكثر من المتعارف فيما نشهده من الحيوان الالاهث ولا مفهوم للفرسخين بالحقيقة اذ ليست بمقصودة حتى يشكل بان لسانه كم هو في نفسه حتى يكون الذي يجره منه بطول فرسخين .

وجاء في وصف الجنة ونعيمها من الحديث : ان رسول الله قال في قوله تعالى يحلون فيها من أساور من ذهب قال ان عليهم التيجان ان أدنى لؤلؤة فيها تضيء ما بين المشرق و المغرب : وهذا كما يقال وجهه كالشمس او كالقمر و كما لا استيحاش في هذا لانه تكبير واقع كالمجهر الذي يكبر الجرثومة التي لا ترى بالعين المجردة الى وجود عظيم وليس هو تزويراً له :

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال ان الرجل من اهل الجنة ليتزوج خمس مائة حوراء و اربعة الآف بكر و ثمانية الآف ثيب يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا : و هذه الاعداد لم يقصد بها مفهومها الحقيقي كما هوشأنها في قول الف - اهلا و سهلا - بل قصد بها تمام لذة الاعين و الانفس فان استطاع اهل الجنة ان يقوموا باكثر مما ذكر

في الاعداد الآنفة آتاهم الله ذلك لقدرته على كل مقدور اولا ولا خباره الصريح بان لهم فيها ما تشبهه الانفس وتلد الاعين ثانيا : ولا داعى مع ما اسلفناه للوقوع فى حيص ويص امام هذه الارقام حيث تؤخذ بمعناها الحقيقى المطابقى :

وعنه **عنه** انه قال فى قوله تعالى كانهن الياقوت والمرجان : ينظر الى وجهها فى خدرها أصفى من المرآة وان ادنى لؤلؤة عليها لتضى عما بين المشرق والمغرب وانه ليكون عليها سبعون ثوبا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك :

فكل من قوله **عنه** وجهها اصنى من المرآة وقوله ان ادنى لؤلؤة عليها لتضى ما بين المشرق والمغرب مطلب استعارى قد كبرت واقعد التشبيها الفخمة واما ان عليها سبعين ثوبا ينفذها البصر حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك فهو كناية عن رقتها ولطافة بدنها والأفرؤية الاحشاء حقيقة من وراء الجلد فضلا عن الثياب تكون من مشوهات الخلقة لامن محسناتها :

ونحن كما اوصانا الائمة **عليه السلام** بحسن الظن بالله نطن بالله فوق ذلك لقيام البرهان على انه قادر على كل مقدور وما ذكرناه آنفاً كله مقدور فى حد ذاته الا انه ليس المنظور بذلك ان نحمل هذه الالفاظ على معانيها الحقيقية المطابقة لانها غير مرادة بل يجب ان نراعى الحكمة فيها واما لا ريب فيه ان اهل اللسان يستعملون الاعداد فى جملة من المقامات للتجليل مرة وللتحقير اخرى ولنظائر ذلك مرة ثالثة فيقولون كما اسلفنا لمن يحبونه ويقدرونه الف - اهلا وسهلا - وقطعا هم فى مثل هذا الاستعمال لا يقصدون مدلول العدد كما يقصدونه فى البيع والشراء والمعاملات المالية : و يقولون على فلان الف لعنة والف نكال ولا يريدون بذلك قطعاً الا التوغل فى ذمه وتحقيره فمثل هذه التعابير فى لسان البلغاء اكثر من كل كثير والسنة الديانين فى مثل تلك المناسبات لاتعدو ذلك قطعاً أذهم يسوقون كلامهم الى هؤلاء المخاطبين كما يسوقه البلغاء اليهم و ليسوا هم بشاذين عن هذه الطريقة لان شذوذهم عنها يخرجهم عن عالم المحاوراة الدارجة بين اهل اللسان :

ثم المنظور بالنعيم والجهيم قطعاً هو ما يراه العقلاء تنعيماً وتنكيباً داخلين فى

حدود التصور الصحيح والله سبحانه قد عبر عن ذلك بقوله وفيها ما تشبهه النفس وتلد الاعين : ولهم شراب من حميم وعذاب أليم : فان غاية النعيم هو ما التذت به النفس وقصارى الجحيم هو ما تعذبت به عذاباً أليماً وليس وراء هاتين الغايتين غاية تقصداً صلاً ومحققات ذلك انما تكون بالمعقول منها فنحن كما اسلفنا لانمنع من صدق صدور مثل الحديث الذى آنفنا ذكره : يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك : عن مصادر التشريع ولا تعقب سنده بانه قوى اضعيف ولكن لانستطيع ان نفهم هذه العبارة بمعناها الحقيقية المطابقي فان جهنم ليست من المنقولات اولاً ولا من الحيوانات التى تزم بزمام ثانياً نعم نفهمها بمعنى استعارى قوى قدمناه آنفاً : وهكذا لانستطيع ان نفهم قوله ص الذى اسلفناه ايضاً : ان فى النار لحيات مثل اعناق البخت يلسعن اللسعة فيجد حموتها اربعين خريفاً وان فيها لعقارب كالبغال الموكفة يلسعن اللسعة فيجد حموتها اربعين خريفاً : بالمعنى الحقيقى المطابقي فانه وان كان لامانع من ان تضخم الحية والعقرب خلقه فتعادل الحية عنق الجمل البختى والعقرب البغل الموكف الا ان ذلك لا داعى له من طريق الحكمة فان السموم البليغة فى فعاليتها لاتتبع ضخامة الجثة بل تتبع قوة تدبيرها فى التسميم ولكن هذا التفخيم فى العبارة مبتن على ان الانسان يهوله منظر ومسمع العذاب المتسع وان كان يغرقه فى العذاب القليل منه مثلاً الانسان الذى يعرض على النهر الواسع العميق لاجل اغراقه فيه لا يمتعض امتعاضه من عرضه على البحر العظيم اذا اوقف على ساحله لاجل ان يلقى فيه مع انه جد عالم ان بعضاً من ذلك النهر يغرقه ويقضى عليه فلاحاجة الى البحر فى اغراقه اذا كان الهدف هو اغراقه لكن من يريد تعذيبه يورد عليه من الامتعاض الكثير مزيداً لايجاعه ولا نطيل عليك بعداً عرفنا المقاصد العقلائية ومغازى البلغاء من تراكيبهم التى يسوقونها فى مقام تفخيم المحبة والعداوة والتنعيم والتعذيب فصدق المادة محرز لا كلام فيه والتفخيم فى التعبير لاجل الترهيب والترغيب امر معقول غير انه لا يجوز حمله على معناه الحقيقى المطابقي لانه غير مقصود قطعاً لما اوعزنا اليه آنفاً غير مرة فالتفت الى ذلك اذق الالتفات :

فإننا تركزت هذه المقدمات من ذهنك فقد قال عليه السلام (ج ٣ ص ٤٨ وما بعده من النهج الحديدي) بعد تلاوته ألهاكم التكاثر حتى زرت المقابر . يا له مراماً بعده وزوراً ما أغفله وخطراً ما أفضعه لقد استخلوا منهم أي مدكروا وتناوشوهم من مكان بعيد أفبمصادع آباؤهم يفخرون أم بعد يد الهلكي يتكاثرون يرتجعون منهم أجساداً خوت وحركات سكنت ولأن يكونوا عبراً أحق من أن يكونوا مقتخراً ولأن يهبطوا بهم جناب ذلة أحجى من أن يقوموا بهم مقام عزة لقد نظروا اليهم بأبصار العشوة وضربوا منهم في غمرة جهالة ولو استنطقوا عنهم عرصات تلك الديار الخاوية والربوع الخالية لقاتل زهبوا في الأرض ضاللاً وذهبت في أعقابهم جهلاً لا تطؤون في هامهم وتستنبتون في أجسادهم وترتعون فيما لفظوا وتسكنون فيما خربوا وإنما الأيام بينكم وبينهم بواك و نوائح عليكم أو لثكم سلف غايتكم وفرأط مناهلكم الذين كانت لهم مقاوم العز وحلبات الفخر ملوكا وسوقا كل إنسان له في حياته فكرة من فكرتين فاما ان لا يرى نفسه الا حيوانا خالصا لا يعرف في مشيه قيماً ولا شرطاً سوى الاندفاع الى ما توحيه شهواته و لو كانت جنونية و نزواته ولو كانت وحشية وهذه الفكرة بشدة او ضعف هي التي تسود على أغلب طبقات الناس فلا تراهم الامندفعين بميولهم وما انطوى على نفوسهم من الاوهام والخرافات: ومما لا ريب فيه ان الرضوخ الى اندفاع الشهوة الفارغة نوع من الوهم والى تمنيات النفس ضرب من الخيال والى الميول العارمة قسم من الخداع فالذى عليه محبوبوا التشخيص حتى بالتوافه والحماقات وهواة الترف حتى بالخروج الى صحراء الخلاعة والرفاعات وبغاة الشرف حتى من طريق الخزعبلات لا يشك في كونه تطرفاً سمجاً بل جهلاً وسفهاً فان ارضاء مواقع الشهوة في الجسم الانساني يجب ان يكون محدوداً بعدمعقول وعلى حساب مشخص :

مثلاً الانسان المادى يحب التشخيص وهو غيبية للنفس الجاهلة وقد يعذرفى اصل هذا الهوى ولكن يجب ان يعمل بطرز موزون من طريق تحسين ظاهره وتجميله في ثيابه ووقاره في مشيه واذ كان من اهل الخدم والخول صحب منهم من يكون ردهاً له لأن يشذعن ذلك بصورة تعود عليه من المهازل من تزمته الشديد وتيئه البعيد وحر كاته الجالبة وتقيده

الباهت وقد تجىء به الحال الى أن يكون من المضحكات وعلى هذا الشذوذ اغلب المتغطرين
والمتمعتين من ابناء الدنيا سواء الملوك منهم والسوقة :

وهكذا الانسان المادى يحب التنعم بالمأكل والمشرب وهو له حظه من الاعتبار
لكن لا بأن يجيء المسرف المفرط المفسد فى حال ان رحمه القريب منه او جاره اللصيق
به يتلظى جوعاً وعطشاً وحاجة : وكذلك يحب ان يسكن القصر المشيد ويقتنى الرياش
والاثاث ولكنه يخرج بذلك عن حدود العقل والمنطق الى العبث والهوج وهلم
دوايك فى سائر رغبات النفس واندفاعاتها الهوجاء وليت أن مادة ذلك كانت لقى بين يديه
لم يزاحم بها نفسه او يغر على غيره وهذا من المستحيل فان المادة لا تنهياً للانسان
الابصر اعراك وعراك واعمال نفوذ بل قد تؤدى الى الاغارة وازهاق النفوس : والعيش الذى
مبدؤه امتصاص دماء الناس وآخره العيث والافساد ليس من العيش الانسانى بالمرّة بل ولا هو
من عيش الحيوانات ايضاً فان لكل حيوان خلقاً خاصاً فى معيشته وحداً لا يتجاوزه فى
الركض وراءه : اما الانسان المنهوم فلاحده : واما اذا جئت الى تشدقه بأبائه وامهاته و
داره وعقاره وخدمه وحشمه وماله ورجاله وجدت له من الاسفاف والهذو والهذيان ما لا يحيط
به وصف ولا بيان :

واما ان يرى نفسه مخلوقاً خاصاً قدر كز فيه من المشاعر والقوى الحاسة ما يتمكن
ان يمشى به على جادة مثلى وطريقة وسطى فله من المادة ما يقيم أوده ويصلح باله و
من المعنى ما يرضى به وجدانه وايمانه فلنفسه من وجوده سهم ولعقله منهم قسم وكل
من حكّم فى وجوده هذين العنصرين جاء معتدل الخطة مرضى الطريقة لا تضجر منه نفسه
ولا يتبرم به عقله واذا كان كذلك لم يفرط ولم يفرط ولم يجحف بنفسه ولا بغيره فلا تراه
حيواناً ضارياً ولا اهوج معتوها ولا متمماً ممقوتا ولا مفاخرأ مكاثراً ولا يعتز بذاته و
لا تلهو به الاعراض عن اخذ حظه من الجواهر وهذا هو الانسان المعتدل وان كان فى طرف
قلة بالنسبة الى ذلك الفريق :

واما فريق المثاليين الذين طردوا المادة والماديين عن ساحتهم وخلصوا الى
رياضة نفوسهم وتربية عقولهم فهو كالكبريت الاحمر بين افراد البشر ولا يجوز لنا ان

نتخذهم مقياساً للجامعة الانسانية لوعورة الطريق الذي سلكوه والاشارة بقوله تعالى
 الهاكم التكاثر الى الفريق الاول البعيد عن مرضاة لبهوربه :

ثم ان قوله تعالى الهاكم التكاثر يظهر منه انه خطاب لكل من يتأتى منه الانتهاء
 بالمكاثرة والمفاخرة نظير قوله تعالى ولوترى اذ وقفوا على النار في اصح احتمالاته
 سواء كان معتقداً بمبدأ ومعاد ام لم يكن لكن التدقيق في ما بعد ذلك من قوله حتى
 زرت المقابر كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون الى آخر السورة يشعر بان المخاطب
 الذي توعدده الله بأنه سوف يعلم هو الذي يعتقد ان من يخاطبه بهذا التوعيد اهل له و
 هذا لا يكون في الجاحد للمبدأ والمعاد بالمرّة لان التوعيد انما يؤثر فيمن لا يعتقد
 بعدم موضوعية المتوعد فيما توعد به : فان الضعيف في الواقع يجوز له ان يتوعد
 من لم يقف على ضعفه و اما الواقف عليه فلا مجال لتوعده : فالظاهر ان الخطاب
 بالهاكم التكاثر له نوع خصوصية بالمعتقدين بالمبدأ والمعاد وانما سيق لهم ليتأثروا به :

ثم ان الاعتبارات قسماً اعتبارات عقلائية تصلح ان تكون مطمحاً للنظر نظير اتخاذ
 الانسان للمتانة والرزانه شعاراً له ولو لاجل تركيز شخصيته بين الناس : واعتبارات قشرية
 لا تشف عن شيء نظير تمجد الانسان بسمن اكله وغلاء ثمن ملبسه وما الى ذلك : والناس
 بالنسبة الى الاعتبارات الدارجة اقسام ثلاثة (١) قسم سطحي قشري تافه بالمرّة وهم
 الذين يعتزون بما كلهم ومشاربهم وملابسهم ومساكنهم وما سوى ذلك من القشور الفارغة
 (٢) وقسم يعتز بالاعتبارات العقلائية الصحيحة كحسن ستمته و وقاره و قلة انحشاره
 بالفوغاء ونظير ذلك (٣) وقسم انما يعتز بالجواهر والفضائل لما فيها من جوهرية
 واقعية ولب أصيل : والقسم الاول هو الاكثر افراداً من كل الطبقات . والقسم الثاني
 له اهل واتباع وان كانوا أقل والقسم الثالث هو القليل وجوداً في عموم سلاسل الاجيال
 وهكذا قول امير المؤمنين عليه السلام في شرح الاية والتعليق عليها ، ياله مرأماً
 ما بعده ، يا حرف نداء دخلت على منادى محذوف وله جار ومجرور متعلق بمحذوف
 ايضاً و تقدير هذين المحذوفين في امثال هذه التراكيب يكون بحسب سياق الجملة
 فيقدران هنا بمثل قولنا يا ايها الناس اعجبوا له مرأماً و نصب مرأماً على التمييز للمجرور

ومرجع الضمير في قوله له من هذه الفقرة هو التكاثر و التفاخر بالاسلاف و الاسلاب و ما الى ذلك و ان كان ما توسع فيه **عقب** هو تفاخر الناس بموتاهم و رفات اسلافهم البالية يقول **عقب** اعجبوا ايها العقلاء لتفاخر الناس بالدوارس من عظام آبائهم وهو لوعقلوا مرام بعيد ومقصد سحيق وبعده من ناحية انه لا ينطوى على شيء يكون به الفخر لان الفخر انما يكون بالجوهريات المتأصلة والحقائق الراهنة لبالعظام الدارسة والرفات المتحطمة .

وزوراً ما اغفله. الزور من الزيارة اسم يقع على المفرد والجمع فيقال هو زور اي هو زائر وهم زوراي هم زائرون والمراد بزيارة المقتخرين برفات آبائهم وان كانوا بعيدين عن قبورهم انهم مع بعدهم عنها كالواقفين عليها المشيرين اليها المتمجدين بها في كونهم ما اغفلهم عن الصواب و بعدهم عن الواقع فان الميت لا يفتخر برفاته كما ان الحي لا يتمجد بيده و كل افتخار يكون من هذا القبيل لقيمة له والافتخار ان صح من الانسان فانما يكون بالمعالي الحقيقية التي لها اثر محمود ، و خطراً ما أفضعه ، اشارة الى الموت نفسه وانه فظيع شديد مزعج يجب ان يكون طريقاً للاعتبار لامحلا للافتخار ، لقد استخلوا منهم اي مدكر ، خلا الشيء اذا مضى و استخلى اذا تحدث عن الماضي والمنظور انهم تحدثوا عن امواتهم بما يجب ان يكون تذكراً ومعتبراً والادكار هو التذكر والاعتبار ،

وتناوشوهم من مكان بعيد ، التناوش هو التناول من بعد والمراد انهم بافتخارهم من طريق موتاهم ذهبوا الى مكان قد بعد عليهم وكان حرياً بهم ان يفتخروا بالحاضر العتيد لديهم وهو العمل الصالح لوملكوه :

أفبمصارع آبائهم يفخرون ، المصارع هو المكان الذي يسقط فيه المثخن بالجراحات واستعمل لقبر الميت ايضاً واصل الكلمة من الصرع وهو الداء المعروف الذي اذا فاجأ صاحبه صرعه الى الارض اي انامه اليها ، ام بعيد الهلكى يتكاثرون الهلكى جمع هالك وهو الميت والمكاثرة: هي قول الانسان لقبيله انا اكثر منك ما لاولدأ وآباء وامهات واعماماً واخوالاً وما الى ذلك ولا تكون المكاثرة الا بالماديات فقط:

واما المفاضلة بالمعنويات فهي على انها حق في نفسها لايجوز التظاهر بها اذلا مجال للمفاخرة بالمرّة عند اولي الالباب فان الفضل ما أظهر صاحبه وطلع به من نفسه نعم قد يجنح العاقل الى اظهار نفسه في مقام التعريف بها لمن يعرف عنه ضدها هو عايبه كتعريف زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام لنفسه امام اهل الشام الذين أشبعت اذهانهم بان هذا السبى من الترك والديلم لامن المسلمين فضلا عن كونهم الصفوة من آل محمد عليه السلام ، يرتجعون منهم أجساداً خوت، اى هم بافتخارهم بموتاهم يرتجعون الى انفسهم ابدانا بالية قد ضرب الدهر عليها. بجرانه فاصبحت حديثاً فارغاً لايشف عن امر محكم ولا متحدث عنه مبرم ، وحركات ، كانت عند تلبسها بالحياة كذلك لكنها بالفناء ، سكنت وخمدت ، ولان يكونوا اولئك الموتى ، عبراً . لهؤلاء الاحياء ، احق من ان يكونوا مفتخراً ، والعبرة بهم تدعو الى ترك المفاخرة والانشغال بالمكاثرة والاتفات الى صوب العمل الصالح والسعى المثمر .

ولان يهبطوا بهم جناب ذلة احجى من أن يقوموا بهم مقام عزه، يريد عليه السلام ان المفتخر برفات الموتى لدى التحقيق انما ينزل بافتخاره هذا الى فناء ذليل و ظل غير ظليل ولا يترقى من ذلك الطريق الى أن يقوم مقام عزة فان الحى اذا كان فخره بميت كان ساقط الحيثية في نفسه ومهما كان ميتة شريفاً لذاته نعم لا ينكر ان الانسان اذا بنى من فعله ما يزيد في فضله كان شرف أسرته نوراً على نوره ، لقد نظروا اليهم بأبصار العشوة، العشوة مرض في العين يقعد بها عن قوى الابصار اى ان نظرهم الى موتاهم لاجل ان يفتخروا بهم نظر عليل ولو كان نظراً صحيحاً صادقاً لكان نظر اعتبار لانظر افتخار ، و ضربوا منهم في غمرة جهالة :

ضربوا منهم اى بسببهم وبحر غامر اى عميق كثير الماء وشبهه بذلك كل ما يعمر الانسان من شىء ويستولى عليه والضرب هنا هو السير والمعنى انهم بسبب افتخارهم بهؤلاء الهلكى كالمغامرين في ارض مجهولة لهم لا يتصلون من سيرهم فيها بغاية بل كلما أمعنوا فيها ازدادوا جهلاً بمواقعها وغاياتها فهم الى الابد تائبون ، و لو استنطقوا عنهم عرصات تلك الديار الخاوية والرُبوع الخالية ، عرصة الدار ساحتها والخواوى هو البالى

والربوع هي المنازل اى ولو أن هؤلاء المفتخرين استنطقوا عن موتاهم ديارهم التى كانوا يسكنون ثم خوت من بعدهم والربوع التى كانوا ينزلون ثم خلت من وجودهم وهذا حقيقة يصدق فى القرى المتداعية والبلدان المتلاشية بالحوادث و الطوارق و بالمجاز والاستعارة على الاماكن التى كان يسكنها الموتى حال حياتهم ثم خلت من اشخاصهم واستوحش اهلها من بعدهم ، لقاتل ذهبوا فى الارض ضاللا ، اى هالكين منسيين مجهولين .

و ذهبتم فى اعقابهم ، اى على آثارهم ، جهالا ، فى عقولكم ان لم تصيبوا مواقع رشدكم و لم تعملوا الصالحكم ، تطؤون فى هامهم ، اى تمشون على هاماتهم اذقل ارض لم تكن مصرعا لميت و قبراً لمقبور ، و تستنبتون فى اجسادهم ، اى تزرعون فى التراب الذى استحال من رفاتهم و نوع مقابر القرى والضواحي كذلك فانها بعد أن تعطى جدتها تصبح مزرعاً ومستنبتاً عن هذا المعنى اخذنا بوالعلاء المعرى حيث قال

خفف الوطء ماظن أديم	الارض الامن هذه الاجساد
رب لحد قد صار لحداً مراراً	ضاحك من تراحم الاضداد
و دفين على بقايا دفين	من عهود الآباء و الاجداد
صاح هذى قبورنا تملأ الرحب	فان القبور من عهدنا
سران اسطعت فى الهواء رويداً	لا اختيالاً على رفات العباد

، وترتعون فيما لفظوا ، الرتع هو الاكل واللفظ هو الطرح من الغم والعبارة كناية عن انكم تأكلون مما تركوا من الحطام وتعيشون على ما لفظوه عن غير اختيار منهم ولارضاً صدر عنهم ، وتسكنون فيما خربوا ، اى فى خرائبهم الباقية بعدهم ، وانما الايام بينكم وبينهم ، اى فى مرها عليهم حتى ابادتهم وعليكم حتى تبيدكم ، بواك ونوائح عليكم ، تدعو بالويل والثبور لمصارعكم التى عليها تعرفون واتم عنها لاهون ، اولثكم ، اى آباؤكم المتداعون و اجدادكم المتحطمون ، سلف غايتكم ، فان الدنيا مجال سباق والغاية فيها الموت . ومن سلف من آباؤكم فقد وصل الى الغاية وارتهن بها و انتم فى الدرب سائرون و اليها و اصلون ، وفراط مناهلكم ، الفراط هم السابقون

والمناهل هی الموارد ای ان آبائکم و اسلافکم کالطلیعة من القوم تذهب
لسلاستقاء والباقون علی أثرهم ، الذین ، وان خنعوا وخضعوا فعلا فقد ، کانت
لهم مقاوم ، جمع مقوم وهی الدعائم ، العز وحلبات الفخر ملوکا وسوقا ، ای اعم من
ان یکونوا ملوکا فی مراتبهم اودون الملوک فان الجميع كانوا ممتطین لعروش العزة
منتعمین بالعظمة والیوم اصبحوا علی الوصف الذی آنفناه و السوق لفظ یقال لمن هو
دون الملك مقاماً ویطلق علی الواحد والجمع والمذکر والمؤنث وربما یجمع علی
سوق بضم السین وفتح الواو .

سلکوا فی بطون البرزخ سبیلا سلطت الارض علیهم فیه فأکلت من لحومهم و
شربت من دمائهم فاصبحوا فی فجوات قبورهم جماداً لا ینمون و ضمراً لا یوجدون
لا یفزعهم ورود الاحوال ولا یحزنهم تنکر الاحوال ولا یحفلون بالرواحف ولا یأذنون
للقواصف غیباً لا ینتظرون وشهوداً لا یحضرون وانما كانوا جميعاً فتشتوا والآفا فافترقوا
وما عن طول عهدهم ولا بعد محلهم عمیت اخبارهم وصمت دیارهم ولكنهم سقوا کاساً
بدلتهم بالنطق خرساً وبالسمع صمماً وبالحرکات سکوناً فکأنهم فی ارتجال الصفة صرعی
سبات جیران لا یتانسون و احباء لا یتزاورون قد بلیت بینهم عری التعارف و انقطعت
منهم اسباب الاخاء فکلهم وحید و هم جمیع و بجانب الهجر و هم أخلاء لا یتعارفون
لللیل صباحا ولا لنهار مساءً الجدیدین ظعنوا فیه کان علیهم سرمداً شاهدوا من اخطار
دارهم اقطع مما خافوا و رأوا من آیاتها اعظم مما قدروا فکلا الغایتین مدت لهم
الی مباءة فانت هبالغ الخوف و الرجاء فلو كانوا ینطقون بها لعیوا بصفة ما شاهدوا
وما عاینوا :

سلکوا فی بطون البرزخ سبیلا ، السلوک هو السیر و البرزخ هو الحاجز بین
الشیئین و فی اصطلاح اهل الشرائع هی الفاصلة بین الموت و البعث و بطون البرزخ
کنایة عن مسافة هذه الفاصلة ای ان مرور الزمان اخذ یطوی بهم فی مضامین البرزخ
سبیلا ، سلطت الارض علیهم فیه فأکلت من لحومهم و شربت من دمائهم ، ای انقصت
لحومهم بالتجفیف حتی أبلتها و دمائهم بالتخلیل حتی انفدتها ، فأصبحوا فی فجوات

قبورهم جماداً لا ينمون ، الفجوة هي الشقة و الفسحة فان جسد الحيوان بعد الموت بمنزلة الحجارة ليس مظنة للنشوء والنماء و لقد كان قبل ذلك كالغصن الغض يتقاطر طراوة ونداوة ، وضماراً لا يوجدون ، الضمار هو كل ما لا يرجى حصوله من دين او وعد اى ان وجودهم احياء بعد فنائهم امر لا يرجى الا ببعثهم يوم القيامة لنشأة ثانية غير هذه الحياة ، لا يفزعهم ورود الاهوال ، الفرع هو الخوف والاضطراب و الاهوال هي المخاوف الدائمة و انما يفزعون لفقدانهم كل وسيلة بها يكون الهول و الفرع من حاسة و قلب و شعور ، و لا يحزنهم تنكر الاحوال ، يقال تنكر له اذا بدل حالته معه وأضر له سوء وانما لا يحزنون لتنكر الاحوال لهمودهم وركودهم ولقد كانوا : حين كانوا احياء: يفزعهم ورود الاهوال و يحزنهم تنكر الاحوال لتأثير ذلك في مشاعرهم . ولا يحفلون بالرواجف ، حفل به اذا اعتنى منه والرواجف هي الباعثة للرجف والتزلزل يعنى ان الزلازل ترجف بقبورهم ومناخ اجسادهم ولكنهم لهمودهم لا يعتنون بها وكانوا من قبل يفرون الى طلب السلامة فى اقل من ذلك ، ولا يأذنون للقواصف ، القصف هو الضرب بشدة و اذن له اذا اعاره اذنه و استمع له و انما لا يعيرون اسماعهم للقواصف العادية لعطلة حواسهم عن درك ذلك و كانت آنفاً تضيق ذرعاً به غيباً ، جمع غائب ، لا ينتظرون ، قد أيس أهلهم من أوتبهم اليهم و عودهم عليهم ، وشهوداً ، اى تشهدهم الحواس ولكن ، لا يحضرون ، فى المحاضر و النوادي لبطلان ادوات ذلك فيهم .

وانما كانوا جميعاً ، اى مجموعين فى اطار قرية او بلدة واحدة ، فنشتوا ، كل ، انضوى فى جحر لاربط له بالآخر ولو كان قريباً منه لضخامة الحواجز القائمة بينهما ، والآفاً فافترقوا ، الالف جمع آلف كسراق وسارق وهو من يألف الانسان و يصادقه و يسكن اليه و افتراقهم تباعدهم الى الابدومثل هذا الافتراق ليس من شيمة الالف ، و ما عن طول عهدهم ، اى زمان مفارقتهم للحياة ، ولا بعد محلهم ، عن الاحياء ، عميت اخبارهم اى اندرست ولم يعد الاحياء يتحدثون بها ، و صمت ديارهم ، بحيث صارت لا تسمع دعوة الداعى ولانداء المنادى **نَسَبَ** الصمم الى ديارهم باعتبار أهلها الذين صموا

بعد الوعى وخفت حواسهم بعد اليقظة ، و لكنهم سقوا كأساً ، و هى المنية الناهية للحياة ، بدلتهم بالنطق خرساً وبالسمع صمماً و بالحركات سكوناً فكانهم فى ارتجال الصفة صرعى سبات ، السبات هو النوم يريد **تعالى** ان من يحاول وصفهم على ظاهر حالهم حيث همدوا على وجه الارض من غير ان يحقق فيهم نظره يقول انهم صرعى نوم قد غفوا غفوة عميقة وصرعى سبات مضاف و مضاف اليه .

جيران لا يتأمنون ، تأنس و استأنس به بمعنى واحد اذا سكن اليه و صافاه و انبسط له يقول **تعالى** انهم على تجاورهم فى المضاجع لامؤانسة بينهم بل كل قد انصرف بنفسه عن جاره لا يعلق منه بشىء ، و احباء لا يتزاورون ، فى حال ان الاحبة لا يبارحون زيارة بعضهم بعضاً ، قد بليت بينهم عرى التعارف . العرى جمع عروة و هى العقدة التى تكون محلاً للربط و الاتصال و البلاه و الاندراس اى ان ما يربط المعرفة بين هذا وذاك من الاحبة قد اندرس بين هؤلاء وروابط المعرفة هى ادامة الزيارة و التفقد و التعهد و مباداة العواطف و هذه كلها مفقودة فى ما بين الموتى ، و انقطعت منهم أسباب الاخاء ، و اسباب الاخاء هى اسباب التعارف الآ نفة الذكر و انقطاعها انعدامها ، فكلهم و حيد و هم جميع . اى ان الناظر الى حذب القبور فى المقبرة يجدها متقاربة متلاصقة و مجتمعة متصامدة و لكن أهلها و حدان لا رابطة بينهم و شتات لاجماع لهم و افراد لا ناظم لو حدانهم . و بجانب الهجر و هم اخلاء ، اى تراهم على قريتهم متهاجرين و قد كانوا ازمان حياتهم اخلاء متحابين ، لا يتعارفون الليل صباحاً و لا النهار مساء ، اى انهم انما يعرفون ما غمضت عيونهم عليه حال مفارقتهم للحياة فالذى مات بالنهار لا يعود يرى وراءه ليلاً و انذى مات فى الليل لا يدرك ان بعده نهاراً لا انقطاع حاسته عن تشخيص ذلك ، اى " الجديدين ، من الليل و النهار ، ظعنوا فيه ، عن هذه النشأة ، كان عليهم سرمداء ، و ليس المنظور ان النهار الذى فنوا فيه يبقى عليهم الى الابد نهاراً او الليل الذى توفوا فيه ليلاً بل المنظور ان الذى صحبهم من نظرهم الى دنياهم هو النظر الاخير الذى و دعوا به الحياة فكانه ملازم لهم الى الابد ، شاهدوا من أخطار دارهم ، التى إليها وفدوا ، افطع مما خافوا ، فى دنياهم فان الخبر ليس كالعيان ، و رأوا ، المتقون و العاصون جميعاً ، من

آياتها ، اى آيات الدار الاخرى من نعيمها و جحيمها ، أعظم مما قدروا ، لانفسهم - فالمتقى رأى من لطف الله به اكثر مما زوى فى نفسه والمذنب شاهد من نتائج ذنبه اعظم مما قدر لنفسه ، فكلا الغايين ، للمحسن والمسيء من السراء والضراء ، مدت ايم الى مائة ، اى الى مرجع ومعاد ، فاتت مبالغ الخوف والرجاء ، اى تعدت عن حدود خوفهم و رجائهم اللذين كانوا ينطوون عليهما ، فلو كانوا ينطقون بها ، اى بتلك الآثار التى عاينوها المحسن من النعيم والمسيء من الجحيم ، لعيا بصفة ما شاهدوا و ما عاينوا ، عى بالشئ وعى اذالم يهتد الى وجهه ويقال فى الجميع عيتوا وعيا مشدداً ومخففاً و معناه انهم لو استطاعوا النطق عما يواجهونه لعجزوا عن وصفه بالبيان ولم يهتدوا بوصف اللسان الى ما عاينوه بالعيان :

ولئن عميت آثارهم وانقطعت أخبارهم لقد رجعت فيهم أبصار العبر وسمعت عنهم آذان العقول وتكلموا من غير جهات النطق فقالوا كلحت الوجوه النواضروخوت الاجسام النواعم ولبسنا أهدام البلى وتكأدنا ضيق المضجع وتوارثنا الوحشة و تهكمت علينا الربوع الصموت فانمحت محاسن أجسادنا وتنكرت معارف صورنا و طالت فى مساكن الوحشة اقامتنا ولم نجد من كرب فرجا ولا من ضيق متسعا فلو مثلتهم بعقلك او كشف عنهم محجوب الغطاء لك و قد ارتسخت اسماعهم بالهوام فاستكت واكتحلت أبصارهم بالتراب فخشفت وتقطعت الالسنه فى افواههم بعد ذلقتها وهمدت القلوب فى صدورهم بعد يقظتها و عاث فى كل جرحه منهم جديد بلى سمجها وسهل طرق الآفة اليها مستسلمات فلا أيد تدفع ولا قلوب تجزع لرأيت أشجان قلوب و اقداء عيون لهم فى كل فضاة صفة حال لا تنتقل وغمرة لا تنجلي :

ولئن عميت آثارهم ، عمى الاثار تحطمها وانعدامها وتلاشيها بخلاف ما اذا كانت شاخصة قائمة فانها تشعر باعتدال الحال وقيامها بعمارها ، وانقطعت أخبارهم ، بحيث لم يعد يتحدث باسمهم متحدث كالفائب الذى يطول سفره و تنقطع عن اهله مراسلته و مكاتبته ، لقد رجعت فيهم أبصار العبر ، رجوع البصر فى الشئ تكرر فيه للتحقق منه وهكذا عين البصيرة تفعل فى الاشياء لتستفيد منها ما لم تعلم وتقف منها على السر

الخافی ، وسمعت عنهم آذان العقول ، من طریق التدبر فی أحوالهم والتفکر فی اوضاعهم وتکلموا ، ای الموتی ، من غیر جهات النطق ، المعمولة للانسان الناطق و هی لسانه واشداه ، فقالوا کلحت الوجوه النواضر ، الکلوخ هو التکشر بعبوس وانقباض والنواضر النواعم ای ان الموت أحوال من تلك الوجوه البواسم النواعم خلقة مفزعة تدعو الی الجزع والتضجر ، وخوت الاجسام النواعم ، يقال خوی اذا ذبل وبلی و الناعم هو الاملس من لینه ، ولبسنا أهدام البلی ، الاهدام جمع هدم وهو الثوب الخلق والبلا الاندراس ای لبسنا - بعدما کنا نتخیر اجد الالبسة وأطراها - أهداما خلقة من طریق الموت الذی یبلی کل جدید ، وتکاءدنا ضیق المضجع ، ای ثقل وشق علينا ضیق اللحد ولقد کانت القصور الواسعة تضیق بنا و یبطرنا وتنعمنا ، و توارثنا الوحشة ، ای تعاطیناها ما بیننا بعضاً من بعض حیث کل منافی هجر لصاحبه واعراض عن ألیفه وصدوف عن معاریفه ، وتهکمت علينا الربوع الصموت ، التهکم هو الاستهزاء والسخریة و الصموت الساکة والمنظوران المنازل التي کانت مأهولة بنا و معمورة بعمهدنا جاءت بعدنا بلسان حالها هازئة ساخرة بنا فاقائلة این قواکم التي صرفتموها فی هذه المبانی و عناياتکم التي بذلتموها فی عمارة هذه المغانی قد استبدلتم بها الحوداً ضيقة و حجوراً مظلمة و طوحت بکم الايام من ترف و نعيم الی ذل مقيم ، فانمحت محاسن أجسادنا ، ولم یبق منها الارفات ، و تنکرت معارف صورنا ، ای ان سماتنا التي بها کنا نعرف و نشخص قد تنکرت واستحالت بنا الی هياکل مطلسة او عظام محطمة ، وطالت فی مساکن الوحشة ، و هی القبور ، اقامتنا ولم نجد من کرب ، وشدة قد حلت بنا منذ امان ، فرجاً . ولا مخلصاً ولا من ضیق ، مساکننا ، متسعاً فلو مثلتهم بعقلک ، ای جسمتهم لعقلک بنفون بصیرتک فیهم کما تنجس الروایة علی مسرح التمثیل ، او کشف عنهم محجوب الغطاء لک ، ای کشف عن قبورهم و اوصالهم فیها فرايتهم رؤیة معاین مدقق و فاحص ممحص ، وقد ، الواو للحال ، ارتسخت أسماعهم ، ای تشبعت مسامعهم بالهوام کما تشبعت الارض بماء المطر والهوام جمع هامة وهی الحشرات ، فاستکت ، ای ضاقت من کثیر ما دخل فیها ، واکتحت ابصارهم بالتراب فحسفت ، ای غارت فی رؤسهم .

وتقطعت اللسنة ، اى انفصلت من منابتها، فى افواههم ؛ فصارت اعضاء عاطلة لا يستفاد منها، بعد ذلاقتها، اى حدتها وذرابتها فى النطق، وهمدت، اى ركدت، القلوب فى صدورهم بعد يقظتها، ويقظة القلب حركته للقيام بعمله الجبار، وعات. العيث هو الافساد، فى كل جارحة منهم جديد بلى سمجها، اى افسد جوارحهم عن العمل من ناحية وبالتشويه من ناحية ثانية دروس لم يكن ملاسأ لها حتى قبحها و شوه منظرها ، وسهل، جديد البلى والاندراس ايضاً، طرق آلافة، وهى الحوادث والطوارق المغيرة اليها، اى الى تيك الجوارح بعد ضعفها عن المقاومة، مستسلمات، ما بهان تدفع عن نفسها او تمنع عابثاً يعبت بها، فلا ايد تدفع: هذا البلاء، و لاقلوب تجزع، مما حل بها، لرأيت، جواب لومن قوله **لَقَدْ** فلو مثلتهم بعقلك او كشف عنهم محجوب الغطاء لك لرأيت، اشجان قلوب و اقداء عيون، شجن القلب حزنه و قذاء العين ما يزعجها و يسلب راحتها، لهم فى كل فضاة، حلت بهم، صفة حال لا تنتقل، من سوء الى تحسن بل الى أسوأ، وغمرة لا تنجلي، الغمرة هى ما يغمر الانسان من محنة وشدة وانجلاؤها انما يكون بنذابها كالغريق عند ما تسعفه الصدف فينجو من الفرق و يتنسم الهواء ويخرج من ضيق البلاء.

وكم أكلت الارض من عزيز جسد وانيق لون كان فى الدنيا غذى ترف وريب شرف يتعلل بالسرور فى ساعة حزنه ويفزع الى السلوة ان مضية نزلت بهضنا بغضارة عيشه و شحاحة بلهوه ولعبه فيينا هو يضحك الى الدنيا وتضحك اليه فى ظل عيش غفول ان وطىء الدهر به حسكه ونقضت الايام قواه ونظرت اليه المحتوف من كشب فخاطه بث لا يعرفه ونجى هم ما كان يجده وتولدت فيه فترات علل آنس ما كان بصحته ففزع الى ما كان عوده الاطباء من تسكين الحار بالقار وتحريك البارد بالحار فلم يطفىء ببارد الاثور حرارة ولا حرك بحار الا هيح برودة ولا اعتدل بممازج لتلك الطبائع الا امد منها كل ذات داء حتى فتر معلله ونهل ممرضه وتعايا اهله بصفة دائه وخرسوا عن جواب السائلين عنه وتنازعوا دونه شجى خبر يكتمون فقائل هو لما به وممن لهم اياب عافيته ومصبر لهم على فقده يذكرهم أسى الماضين من قبله فيينا هو كذلك على جناح من فراق الدنيا وترك الاحبة

اذ عرض له عارض من غصه فتحيرت نوافذ فطنته ويبست رطوبة لسانه فكف من مهم من جوابه عرفه فعى عن رده ودعاء مولم بقلبه سمعه قصام عنه من كبير كان يعظمه او صغير كان يرحمه وان للموت لغمرات هي أفضح من ان تستغرق بصفة او تعادل على عقول اهل الدنيا.

و كم اكلت الارض من عزيز جسد وانيق لون كان في الدنيا غذى ترف وريب شرف ، شبه **الرجل** ابلاء الارض للجسد حتى يصير رفاتاً بتناول الآكل من اطراف الغذاء حتى يأتي عليه كله او على اكثره و عزيز جسد من باب اضافة الصفة الى الموصوف اي الجسد الذي كان في حياته معزراً مكرماً وهكذا انيق لون اي اون معجب أخاذ للنظر وغذى فعيل بمعنى مفعول اي غذاه الترف وهو نعمة العيش وهكذا ريب شرف اي رباه الشرف وحاطه وقام بكفالاته على احسن ما يمكن ، يتعلل بالسرور في ساعة حزنه ، التعلل بالشىء هو تسلية النفس به و صرفها عما يؤذيها اي انه كان اذا عرض له ما يحزنه صرف بنفسه عنه حتى لا يتكدر عليه عيشه و وقته ، ويفزع الى السلوة ان مصيبة نزلت به ، فزع الى الشىء اذا توجه اليه بسرعة ليدفع به محذوراً طراً عليه او يستفيد منه فائدة والتسلى هو الهاء النفس عن المكروه بما يسر ، ضناً بغضارة عيشه وشحاحة بلهوه ولعبه، الضن البخل وغضارة العيش طيبه و طراوته والشح والشحاحة بمعنى وهو البخل ايضاً اي انما كان يتعلل بالسرور في ساعة الحزن ويفزع الى السلوان ان نزلت به مصيبة ليفر بطيب عيشه عما ينغصه وليبقى مستمراً على لهوه ولعبه فلا يقطع عن ذلك جزع او فزع .

فبينما هو يضحك الى الدنيا وتضحك اليه ، ضحكه الى الدنيا عبارة عن سروره بها لتنعمة فيها و ضحك الدنيا اليه اقبالها عليه ، في ظل عيش غفول ، شبهت النعمة الواسعة بالشاخص الذي له ظل عريض لا ينعدم عن افنيته والعيش الغفول هو الذي يغرى صاحبه بالغفلة حتى لا ينتبه الى امر سواه ، اذ وطى الدهر به حسكه ، اي أوطأ الدهر على حسكه فنبت شوكة في مترف بدنه وهذا من أعظم غدر الايام به حيث تقطع به ازماناً طوالاً تنيمه فيها على المهاد الوثير ثم تزعجه أزعاجاً فتجر على الحسك والسعدان ، ونقضت الايام قواه . اي بعد ان كانت قواه متصامدة يعين بعضها بعضاً على مقاومة الحوادث

واذا بالايام جاءت اليها تفل من حدتها وتكسر من شرتها وتضعفها عن قوتها والنقض هو الحل في مقابل الابرام الذي هو القتل ، ونظرت اليه الحتوف من كسب ، اى قربت منه المعاطب لتهلكه والحتوف جمع حتف وهو الموت والكسب القرب ، فخاطبه بث لا يعرفه ونجى هم ما كان يجده ، البث هو الحال والحزن والنجى هو الذى يسارك ويشاورك والهيم هو اعتلاج الباطن بما يثقل عليه اى فعاد يرى فى نفسه حالاً ما كان يعرفها من قبل واخذت الهيم تهمس اليه بما لاسابقه له به ، وتولدت فيه فترات علل آنس ما كان بصحته تولدت اى حدثت بعد ان لم تكن والفترات جمع فترة واضافتها الى العلل تفيد تناوبها عليه فتطفومرة وتسكن اخرى : تولد فيه ذلك حال كونه آنس ما يكون بصحته ، ففرع ، لهذا الطارئ الجديد الذى لم يسبق به ، الى ما كان عوده الاطباء ، فى بعض السوانح العابرة التى كانت تمر به مرآ ولا يكاد يخلو منها انسان ، من تسكين الحار بالقار ، بما ان الحرارة ذات هيجان فهى تكافح بالبرودة التى تخمدها وانقار هو البارد ، وتحريك البارد بالحار ، والبرودة لاقتضائها التجميد تنور بالحرارة ، فلم يطفى عبيارد ، حاراً ، الا ثور حرارة ، من ناحية ثانية ، ولا حرك بحار ، بارداً ، الا هيج برودة ، من طريق آخر

ولا اعتدل بممازج لتلك الطبائع ، اى ولا تناول دواء بسيطاً او مركباً وان كان معتدلاً بمزيج تلك الطبائع حيث حصل من طريق الكسر والانكسار فى نتائجها مزاج معتدل ، الا امد منها كل ذات داء ، اى الا كانت له مع اعتدالها مثيرة للامرض والاسقام كل ذلك لتأصل المرض فيه وشيوعه فى شراشر وجوده ، حتى فتر معلله ، المعلل هو المؤمن آنس الذى يلازم المريض ليؤنسه والفتور هو بطلان النشاط وانما يقتر معلله لا عراق المرض فيه ، وذهل ممرضه ، الممرض هو الذى يتعاهد المريض بوسائل راحته من دواء وغذاء وما الى ذلك والذهول هو التحير الناشئ مما يوجب الخوف وشبهه ، وتعايا اهله بصفة دائه ، تعايا اهله أى ظهر عليهم العجز عن وصف مرض مريضهم لغموضه واخذفه فى الاشتداد ، وخرسوا عن جواب السائلين عنه ، كيف هو وما حال مرضه ان لا يجدون جواباً لابهام الحال عليهم ، وتنازعوادونه شجى خبر يكتمونونه ، اى اخذاهل المريض فيما بينهم من دون ان يشعر هو بما هم فيه يتنازعون فى حاله بكلام محزن

لهم یکتُمونه علیه مخافة ان یشتد مرضه وتساء حاله اکثر مما هی علیه .
ثم بین علیؑ جهة تنازعهم بقوله ، فقاڈل هو لما به ، ای مفض للمرض الذی فیہ وفان به ،
وممن لهم آیاب عافیته ، ای وبعض یرجیهم بعود صحته له ، ومصبر لهم علی فقده ، ای
وقاڈل لهم علی فرض انه لا یصحو من علته هذه فان لکم فی السالفین أسوة ، ینکر هم
أسی الماضین من قبله ، أسی جمع أسوة والماضین الفانین بالموت ، فبینا هو كذلك
فسر علیؑ لفظ الاشارة بقوله ، علی جناح من فراق الدنیا وترك الاحبة ، یقال هو علی
جناح سفر ای عازم مقارب للحركة ، اذ عرض له عارض من غصه ، الغصة هی ما یقف
فی مجرى التنفس والمنظور بذلك هنا حشجة الموت ، فتحیرت نوافذ فطنته ، الفطنة
هی حسن الاتباه لدرک الشیء ونوافذها هی الحواس المؤدیة الیها والتحیر هو عدم الاهتداء
والمراد ان مشاعره اختلفت فی اعمالها فلم تقم بالوظيفة التي كانت تقوم بها آنفاً ، ویبست
رطوبة لسانه ، لضعف غدد الترشح عن الافراز بانھیار الحیاة ، فکم من مهم من جوابه
عرفه ، واهمیته من ناحية مسیس الحاجة الیه آنذاك وهی الوصیة بالامور اللازمة ومعنی
معرفته له شعوره التام به ، فعی عن رده ، ای عجز عن بیانه لبطلان آله انطق فیہ ، ودعاء
مؤلم بقلبه سمعه فتصام عنه ، والمراد بالدعاء الدعاء له بالعافیة واسترداد الصحة ، من
کبیر کان ، المحتضر ، یعظمه ، ککونه ولدأ للداعی ، او صغیر کان ، المسجی ، یرحمه ،
لکونه أباً له واظهاره الصمم عن الدعاء معناه تجاهله به حتی لا یجیب عنه والواقع انه
یسمع ولكنه لا یتستطیع الجواب فعرض ذلك بمنزلة من لم یسمع حتی یکلف بالرد ، وان
للموت لغمرات ، ای شدائد ، هی أفضع ، ای اشدواکثر ، من أن تستغرق بصفة ، واستعراض ،
او تعندل علی عقول اهل الدنیا ، ای تحسبها عقول اهل الدنیا عند ما توصف لها وتسمعها
معتدلة مستقیمة قابلة للتصدیق والاذعان والمنظور من العبارة النفی ای هی لا تستغرق
بصفة ولا تعندل علی العقول لان الناس لا یرون من ظاهر المحتضر الا شیئاً من ذلك لا کل
ما وصف ولذلك لا تخضع بالقبول الا تعبدأ ان كانت مؤمنة بالواصف :
وبعد فما قرأته هو العلم النافع والدرس الناجع ومذالوی البشر عنه کشحا ووقع فی
هذه الدیاجی المظلمة والحیاة المبهمة والجهل الذی لا رجاء معه بالسلامة و علی اثر

احتماد طقوس هذه الحياة وشيوع المنكر وكثرة الهنأة قلت : من قصيدة بعنوان

سفن الفضاء

يا جهل ته في قرننا العشرين
 قرن به نزت الطبيعة نزوة
 ان ابدعت فيه العقول ظواهيراً
 فيه نواطح للسحاب و انها
 و جوامع أخاذة بطلائها
 أقصى معارف أهلها أن يعرفوا
 والارض كم عاثوا بها وهي امهم
 عبثاً تحاول كشف اقمار السما
 و مجال ارجلنا يضحج تبرماً
 خلدوا السماء فلا تمسوا قدسها

☆ ☆ ☆
 و تشعبت منها النفوس ظنونا
 و يراء بعض جوهرأ مكنونا
 مذ أبرزته الضارى المجنونا
 ويرى الوجود لفضله مديونا
 ماشى القرون بها وساء قرينا

☆ ☆ ☆
 يا قرننا العشرين تعلم كم غدا
 فيك الخناجمت ذووه فلا ترى
 ما فيك الآ الظلم يرغو مزبداً
 اما المحق فلا تسل عن هضمه
 منك الوجود بغيه مشحونا
 في الخلق الآ السافل المطعون
 والكفر أصبح في زمانك دينا
 كم سيم نلا حقه و أهينا

بالدين منها العرض كان مصونا
والظلم ما بين الورى قانونا
الآ زفيراً صامتاً و أنينا
واكتض منه مشانقاً و سجوناً
نظماً : و يعبد اهلها دارونا
عبت اسى من عنفه و شجوناً
كان الفناء قرينها الميمونا
كان الوجود بقده مقررنا

☆

☆

☆

غثا ترى و ترى سواه سمينا
والحق كان لدى الجميع مكينا
فتنت جميع الكائنات فتونا
و ان استطل معارفاً و فنونا
نحتوه من صم الصفا تكوينا
كلا و لا يجدون فيه لينا

☆

☆

☆

بكرأ بها شهدوا الحروب و عوناً
ترك العيون تفيض منه عيوناً
فى الخلق الا المكمد المحزوناً
كلا و لا چنگيز نابليوناً

☆

☆

☆

مجد الزمان بفضله مرهونا
وامدّها من عقله تموينا
لسواه لم تتركه يسعد حيناً

باسم التحرركم أباحوا حرة
قرن به الارهاب أصبح حاكماً
خفتت به الانفاس حتى لا ترى
عمّ الوجود به شقاء شامل
لا بدع فى دنيا : لنين يديرها
سلكم أطاح الانقلاب بها وكم
و ثبت سمسرة التوحش و ثبة
صاحت بكل مقدس متألّه

عاشت اوائلنا و فى افرادهم
كل يسير بدربه متأدباً
اما زمان النور فالبلوى به
فيه ترى الا انسان وحشاً ضارباً
اننى التفت و جدت وجهها عابساً
لا يعرف المعروف فى اخوانه

يكفى الحضارة سبة ان الورى
كم لزّم منها فناء جارف
و حوادث سود طفحن فلا ترى
لم يبلغ الحجاج مبلغ هتلر

ما اضيع الا انسان فى عصر غدا
فهو الذى خلق الحضارة كلها
لكنما النار التى قد شبها

فيه اعتلا الاجلاف منا وانزوى
من كان فينا الصادق المأمونا
تعباً لدور فيه حائق ساقط
وقضى الشريف العمر فيه سجيننا
حقاً ان الزمان دار دورته وارتجلت فيه مفاهيم للعقل غير ما يدركه وتحور كل
شئ عن حقيقته اللازمة له وأصبح المنطق وليد الرغبات النفسية والعلم نتيجة الميول
الشخصية وانعدمت المقاييس بالمرّة الواحدة فهذا العالم الذى بعدت الشقة بين طرفيه
وانتشر افراده انتشاراً فأت الحصر والضبط وجاء كل واحد منهم علامة لنفسه سواء فيه
الذكور والاناث جاء بصبغة اخرى غير صبغة ما يعهد من الانسان العاقل فانا عهدنا الانسان
يضع كل شئ فى نصابه فيعتبر المثالية حقّة والعفة مقياساً من اعلا المقاييس وان كان
هو عاجراً فاجراً فلا ينكر ما للمثاليين من مقام شامخ وان مشى وراء الطبالين والراقصين
واللالطة والزنايين لكن عالمنا الحاضر ضرب بكل شئ فى عرض الجدار فما عاد
يعرف حتى اعظم دكتور فيه الانمويج رد فيه ورقصه بيديه ورجليه وصياحه فى عربده
وانتهابه كل شئ تمكنت منه يدها وكتبته للعواطف واستبداده بجعله وتحكيمة لميوله
ما وجد لذلك مساعاً وطريقاً يسلك فيه كما لم يعد يعترف للمثالية بمفهوم ولا للعفة
بمعنى وللحق بما وراء لفظه فعنده الحياة كلها سخف فى سخف وان كافة ما يقرر ويحرر
فى المدارس والكليات والجوامع مجرد اصطلاحات وعبارة اخرى صرف كلم جوفاء
وأن لاحقيقة من كل ذلك الا لما يؤمن الشهوة على طول ابعادها ولو كانت جنونية بحتة
وانجر هذا النوع من التفكير حتى الى ابناء الروح تاثرأ بالحالة السائدة التى تشرع
من القصر الابيض فى واشنطن وتختتم بالاكواخ فى اقصى اطراف الاهوار والآجام وطرف
من مصاديق ذلك تفرؤه فى المقال التالى :

صديق لى من ابناء المراجع العليا للمدين تعرفت عليه قديماً و كان سلالة طاهرة
من أب كريم يعتز بنفسه تأنفا عن الخضوع للمتغطرسين القابضين على زمام المادة
من طريق المرجعية لانه نشأ فى بيت مصون و على انه كان من بيوت اموال المسلمين
لم يبق فى قرارته درهم واحد يكون ذخيرة تقوم ببلغة هذا الشاب اذا توفى أبوه :
وقد توفى أبوه وهو فى سن قاصرة على - لاضمان - كما كان السلف الصالح من علمائنا

على هذه الطريقة يموتون عن لاشيء ويرسلون بعوائلهم الى صحراء جرداء من الحياة لامظنة فيها الامظنة التوكل على الله فحسب : وسوف تقرأ في المقالين الآتين - الشيخ مرتضى الانصارى - وعظمة المثاليين : ما يشبعك فهماً عن هذه النقطة :

وكان الذى يعين عوائلهم المنقطعين على مغالبة العيش ومنازلة الحياة امرين اساسيين يهونان عليهم كل الصعوبات و مهما كانت فى شدتها القناعة الى حد الاعجاز والايمان بقضاء الله وقدره وانهم سيجبرون غنائهم فى هذه الحياة بما أعد الله للبائسين القانعين المتوكلين فى الدار الاخرة من جميع المتع : وفوق هذا وذاك ان الايمان بمثل هذه المبادئ كان مائلاً مكانه الواسع من قلوب اناس يومذاك : وان اصبحت قلوب مواليد اولئك الناس فى عالمنا الحاضر ببداء بلقع من كل مفهوم وعقيدة يمتان الى تلك المفاهيم والعقائد : فياسبحان الله مقلب القلوب والاحوال .

كما كانت طرق المعيشة منحصرة بين اهل العلم نوعاً بالاستفادة من الوجوه الشرعية يتلقونها اما من مراجع الوقت او بالسفر الى المتدينين الواجدين : اما حيث طلعت طلائع القرن العشرين بألحادها بكل المبادئ وبذخها بالماكل والمشارب وما الى ذلك من الشهوات وحظها من مكانة الدين والمتدينين ليخطف في وجهها وجه العالم بأسره وترفيهاها على المتجددين الملحدين بفتح ابواب التوظيف و تسنم عروش العظمة و رضخ الرواتب الدسمة هناك اخذ اهل العلم يتجلى لهم جفاء الطبيعة وميلها عنهم فان استطاع ان يثبت الثبت منهم - وما اقله - على جوانب مزالقتها ويتحمل بغاية الصعوبة مراتها وقسوتها فان مواليد لا يستطيعون ذلك وفي بدء الامر اشتد العراك بين الرجل الروحى الصحيح وولده : الوالد يريد ان يسلكه فى ركبه والولد يريد الانفصال عنه لينظم نفسه فى قافلة الجدد : لكن جملة من الاباء استطاعوا ان يهيمنوا على عواطف اولادهم ويسلكوهم فى حوزتهم اما الآخرون ففشلوا فى محاولتهم لكن جاء من ابنائهم على مرور الزمان شخصيات لها وزنها فى الدنيا غير انها عادت وبالا على الدين وعاد آباؤهم عاراً عليهم فيما يرون :

وهذا الامر هو الذى تمر من اجله فى المراحل التالية كل ولد على ابيه بل حتى

الاناث استنتت فى مضامير الذكور فما اكثر اليوم حتى من ممثلى التآترات والسينمات
وما الى ذلك فى اولاد الروحين الا ان الابهاء معذورون ومخفرون من تحميل هذه الهنات
عليهم لعجزهم عن مغالبة اولادهم والوقوف فى وجوههم :

وصديقنا الذى فتحنا المقال باسمه واحدمن اولئك الذين أصاخوا لارادة آباءهم و
سلكوا انفسهم فى نظام المعممين لكنهم لما توسطوا معامع الحياة و وجدوا ان الدهر
يتطلب فيها مادة واسعة للمعيشية وان الصبر على التقشف ثقيل اخذوا يفتشون عن طريق
خلاص من هذه الازمة لكنهم لم يكونوا على درجة واحدة فى الروية فبعضهم طفر طفرة
واحدة لبصيص بارقة لمعت لهو بعضهم اخذ يتصل شيئاً فشيئاً و هو بعدفى المضمار و
الفريق الثالث انسدت عليه النوافذ ووقف و راء الباب بوقار ظاهرى و جزع باطنى لا
يعرف مصيره وهل يخنى الدهر عليه حتى يجىء به من اشقى الاشقياء وانه سيكرع من الحياة
ولكن فى وشل لابقاء معه الاياماً معدودة : علم ذلك كله عندالله :

اما صديقنا فانه لشخصية ابيه فى طول وطنه انتقل الى العاصمة التى كانت فى دورها
الاسلامى الوضاح تعج بالمساجد و المدارس العلمية الدينية حيث بلغت فى عددها
عشرات و فى طرز بنائها ارقى الكيفيات ذات تجهيزات و موقوفات و لكن اصابها
ما أصاب اهل العلم الروحين من النسيب والاهمال و اننى طالما تجولت فيها واحدة
واحدة للعبرة واقنناص الفكرة فدخلنى من الحزن عليها والجزع من اجلها ما يدخل
المسلم الغيور على انه يارقومه فى كل ما يمت اليهم من مصل و مسجد و طالب و مدرسة
و كتب عريقة فى النسب استولت عليها الارضة بل ما يدخل المسلم الغيور فى نفسه و
اهله واخوانه واخذانه واهل ملته حين يرى جميع هؤلاء عليهم من الاسلام طلاوة ولكن الالحاد
واخلاقه قد اختوشاهم فأثر اعلى دينهم فلا دين و على نوااميسهم فلم يبق لهم نوااميس
وعلى اخلاقهم فلا ايمان ولا احسان ولا صدق ولا رفق ولا حياء ولا وفاء ولا اية ظاهرة
نفسية سوى الخداع والطمع البغيض والدجل والتدليس والصالفة وعدم الانصاف واكل
اموال الناس بالباطل وكل ما لا يمت الى الدين واهله بصلة :

فكان يدخلنى من ذلك اعظم ما يدخل الانسان المسلم عندما يشاهد آثار

سلفه في الاندلس ونظائرها فان آثار الاسلام في البلد المزبور وغيره ان دخلها تخريب وتدمير وزوال وان دثار فلانها وقعت بيد عدومعاند اما الاثار السلامية المنهارة التي رأيتها فهي ليست من تلك المقولة بالمرّة وما استحال المسلمون الى ملاحدة ولا ديارهم الى ديار حرب الابد قوية من الانتهاز .

وجدت المدارس الموماً اليها على ما وصفت ووجدت عمّارها اناساً بأشباح اهل العلم بزة وأعدائهم روية وعقيدة فالعقيدة دارونية و الهدف الذي يعملون له مظلم و الذي يتوقعونه من كل ذاك وهذا دراهم قد لا تطفئ اوارهم ولا تقوم بشرهم لكنهم تذرعوها بهذه الوسيلة ليتخولوا من ورائها بعض الصلاحيات التي تؤهلهم للاقتناص و الاصطياد حين اصبحت مناضد الحكم في الشرق دكاكين خالصة :

رأيت ذلك فرثيت لحال من وقف هذه المدارس و صرف عليها اموالاً طائلة ينبغي بذلك وجه الله لتكون طريقاً الى معرفة الله و عبادة الله كما لم يقتصر على ذلك بل وقف لها اوقافاً ضخمة و اموالاً مهمة لكنها ذهبت طعمة النصابين حتى كانها لم تغن بالامس : استطاع صديقنا الآنف الذكر ان يحاول الحصول على تولية بعض الاوقاف بعنوانه مدرساً في بعض المدارس الدينية فحصل ذلك عن بعض استحقاق لكنهم لم يقتصر على ذلك بل راح يحاول الهجرة الى الغرب وهو المسلم الشرقي والرجل الديني تأسياً بالاغرار الذين لا يرون في الدنيا حسنة تذكر الا الغرب وسكناه :

والحال ان الشرق والغرب اثنان وعدوان من قديم الزمان وبين البلدين اوتار و تحاسد : كان الشرق ابا الحضارات ومهبط الديانات ومبعث الانبياء و مقر العلماء و الحكماء كما كان الفاتح الاول في طول سلاسل الفاتحين في العالم الا انه بفضل الدين السائد على شعوبه وهو الاسلام لم يكن في فتوحه الا خادماً للمصلحة العامة فهو في الحقيقة ليس واتراً للديار التي فتحها بل هو محسن و مواس .

و جاء الغرب بعد ان احس بهذا النقص فيه يعمل في الخفاء للنيل على هذه المنصة التي عمل لها الشرق ونالها منذ ايامه الاولى من طريق الاسلام فقط : كما جاء الشرق بعد ارتفاعه يتخبط في شهواته والشهوة ام الامراض فدب فيه الضعف والذلة

حتى تمكن منه مرضه العضال فصره وبذلك انتصر الغربي واخذ يلتقط احسن الفرص السانحة فكان منه ومن قبيله ما يراه اليوم كل شرقي وغربي :

الهجرة الى الغرب و الانحشار بالغربيين جلبا الى الشرق و الشرقيين وبلات و هنات - منها - الالحاد بالمبادئ تقليداً - ومنها - فقدان النواميس رأساً - ومنها - زهدهم بأوطانهم ومواطنيهم تماماً - ومنها - عملهم للاجانب بكل ترحاب و سحقهم لبلدانهم نزولا على رضاء الاجنبي بدون موارد : وهذه الطواعين الخمسة هي التي اجترفت الشرق والشرقي وأخلت المجال للغرب والغربي :

ومن طول مذاق هذا الاهوج الهوان واعتاد على الخدمة لم يعد يحسب لنفسه اي حساب امام مواليه هؤلاء : واذاجاء عنوان الغرب و الغربيين بين الشرقيين من افخم العناوين يخضع له الزعيم الشرقي فضلا عن دونه فحساب صديقنا بعد هذا يكون من الموضوع بمكان فلاجرم اذاسال لعابه كل ماتصور الغرب او ذكر عنده وطوى على ذلك ايامه ووليا ليه حتى اتيح له ان يحوز على سمة مذهبية في بعض مدن امريكا فذهب اليها احراً ما يكون قلباً وبقى فيهاردحا من الزمن و هو في طول سيره التجديدي اخذ يتنوب شيئاً فشيئاً حتى بقى من كيانه السذي نشأ عليه طرف منزور مبرقع ببرقع شفاف من بزته الروحية :

على انه لم يفقد انصافاً نوع فضائله التي كان يطالع بها فكانت اذا التقيت به احياناً لأراه يتجاهلني كما رأيت الكثيرين ممن لم يكونوا في غير ولا في نفي يتجاهلون حتى بأبائهم وأمهاتهم اذا تلونت بهم الحياة من حال الى حال ولولم تكن الثانية ارقى من الاولى ولكنه ضعف النفس اعان الله منه :

التقيت به مرات وكنت أسأله في اكثرها عمارأي وفعل و عما هو رأيه في مضامير ذلك وكنت أترصد من سؤالي أن أفف على دخائل قلبه و ان تلك الظواهر كم لها من مفعول في بواطنه واعتقاداته وآرائه حتى أوازن بين يومه وأمسه وانخله من بين هذه الاطباق لاستخلاص جوهر ما كان عليه في ماضيه وما هو عليه في حاضره فساق لي حديثاً طويلاً فيه مؤاخذات مذهبية كثيرة انتقدته عليها في نفس الوقت ولا انكرها الآن مخافة

ان اغض منه ولاارى ذلك جائزاً في حق مستر من الناس وانما تعرض لطرف واحد فقط :
 و هو اننى قلت له ان هذه المدارس الدينية عندكم انما بنيت و اقيمت سقوفها
 لطلبة العلوم الدينيين وعلى اساس انها تنتج محصلين متدينين يقفون أعمارهم على تعليم
 المسلمين وتبليغ الدين وانا كل من ارى فيها لاراء الا الخفيف الكفة في كل شيء من
 خلقه ومنطقه ودينه ولم يعطفه الى سكنى المدرسة الاغلاء اجور الدور عليه من ناحية
 واقتطافه من ريعها الوقفى في مرحلة ثانية وهو في طول مكثه فيها لا يستهدف الا الحصول
 على وظيفة حكومية يجيء منها كواحد من اسلافه للذين جعلوا الدين فنظرة لتحصيل
 هاته الوظائف ثم جاؤا في تحطيمهم للدين اشد عليه من الملحدين : ومن يكون هذا شأنه
 كيف يسوغ لكم ان توسعوا له المجال في استثمار هذه المدارس سكنى ومقرراً :

فاجاب ان دنيا الطلبة اليوم استحوطت الى ماترى فلم نر بدياً من توسيع المجال
 لمثل هؤلاء فقلت له في فعلكم هذا معصيتان - الاولى - مخالفة منويات الواقف - والثانية -
 اعانتكم من طريق هؤلاء على الاثم والعدوان فلم يعقب على ما قلت لكنه انتقل الى مسألة
 ثانية و قال أن هؤلاء المتشبهين في ازيائهم برجال الدين انما انالوا على هذه الوظائف
 طلباً للمعيشة المفقودة من طريق الدين هذا اليوم و المعيشة اخت الحياة
 و ما لا بد منه لاحتريم فيه فقلت له هذا خطأ الا باعتبار واحد و هو لزوم تحصين
 وجود الحى لكن الذى يرمون اليه وراء هذا العنوان فان احراز الحياة يحصل بالقليل
 وهؤلاء يحاولون الثراء لا الكفاف والحاكمية على الناس كل بحسب صلاحيته التى تخول
 له لاعن طريق مشروع ومضافاً الى هذا وذاك نراهم شأن غيرهم من اعداء الدين الناقلين
 على الفضائل النفسية يسخرون من كل دين و يحطون من كرامة كل رجل دينى ويتابعون
 خطى الفسقة و يقيمون فيما بينهم معالم الزندقة وماتهافت الدين بعد قيامه و لا المثاليات
 الوضاعة بعد انتشارها بين الناس الامن تكالب هؤلاء و اشباههم عليه و عليها حتى
 اصبح الدين منجحراً فى زوايا الخبايا لاطثاً من الذلة نضواً من الضعف عاراً على من
 يحب التطلع الى الحياة :

اذن فالمقام و الجاء والعظمة الصحيحة مرهونة بالضبط بمن تمكن ان يكون

مثالياً في دنياه وعلى اثر هذا العنوان نقول :

عظمة المثاليين

يعتبر الناس قاطبة ان العظمة هي ما كانت وليدة مقام وصيت وشهرة من اية مظنة حصلت فالزعيم عندهم عظيم والامير كذلك والعين والنائب عظيمان والانبياء الذين لهم اشياخ واتباع عظماء والعلماء الذين لهم صوت ومرجعية عظام وزعيم اللصوص ورئيس قطاع الطريق عظيمان ايضاً والشورور الذي تضج من تعدياته ومظالمه الناس عظيم كذلك: وعلى مثل هذا فقس كل من حصل شهرة ومقاماً من اى طريق يفرض حتى لو كان من طريق الفحشاء وبيع النواميس او من طريق التلصص والسرقه او من طريق الشر و ايجاد الفتن او مما هو اسفل من ذلك و اردل فترى طبقات الناس كلهم من يعتد بالفضيلة وينسك الرذيلة و من يمجد الاخيار و يندد بالاشرار يحترمون جانب هؤلاء وان أغرق كثير منهم في السفالة والرذالة والسقوط الاخلاقي وهذا هو الذى أهاب بالناس ان يتطلبوا مواقع العظمة من أى طريق يوفى بهم عليها حتى لو بلغ من الركة مقاماً قصياً : وحق لهم ذلك بعد ان يجد الزعيم ان تحصيله لهذا المقام ولو أقيمت مقدماته على ارافة الدماء وتخريب الديار و ايجاد الوحشة العامة فى العموم يحرز له فضلا عن نيل كل رغبة احترام اعيان من يدعى الفضل والدين له مع انهم فى ظهرا الغيب يعبرون عنه بكل عبارة مادونها فى التعبير عن السقوط وهل يضرا الاغتياب انساناً يواجه كل حرمة وتقديس وكل مناعة وتعزيز فى العيان :

و نظير هذا يقال فى كفاة اصحاب المقامات كل ذى مقام بحسبه حتى ان زعيم اللصوص لا يعدم احترامه ممن ينمى عليه خطته و يعده من اردل مخلوقات الله: و كلا الطرفين من العظيم و من يعظمه فاقد للحرية و لتهارة الضمير بعيد عن الحقيقة :

وعند التحقيق لا عظمة الا للمتجرد عن الدنيا بكل ألوانها ذاك الذى يحسب اوجوده حسابا يتعالى على مقام الفلك والملك وفعلا يكون هو العظيم بحق بين اطباق الموجدات

على اطلاقها ذلك لان الزعيم و ان صفقت له الجماهير و عد نفسه الشاخص الاول في مملكته لا يعدو أن يكون من الجنة النابيين واصحاب الجرائم البارزين و مثل هذا الانسان لوحا ولنا مقارنته باقسي حيوان لما وجدنا له قبيلاً فهو اذن احط من كل موجود يفرض و ماتطبيق كلمة العظمة عليه الاك محاولة تطبيق كلمة الخير على حقيقة الشروبين هذا الملاك نعيد الكلمة حرفياً في سائر حلقات هذه السلسلة :

وهل وقعت عينا انسان على مخلوق حاول الزعامة من طريق التغلب اوجائه هذا المقام من طريق الارث و لم يستبح في هذا السبيل دماء الناس الابرياء او الوقعة في حيثياتهم و نوااميسهم او التعدي على اموالهم او غمط حقوقهم و واجباتهم هذا اذا كان معتدلاً في مزاجه و اما اذا شذ في عقلياته و تغطرس في خطواته و توحش في تحقيق منوياته فهنا لك الويل والثبور حتى للحجر و للمدر فضلا عن الحيوان و البشر :

وما اكثر الكثير الذي شاهده دنيا الانسانية من العيث و الفساد و التخريب و التدمير و تحوير خلقه كل شيء عن مستواها الطبيعي تحوير أشوه منظره العالم حتى عادت من جرائم الحياة لعنة على الاحياء و نكالا لكل موجود و لا يفترق في هذا الوضع الجنوني قديم و جديد او شرقي و غربي فان الجميع يستقى من عين واحدة هي الظلم الجاف و الانحراف المشوه :

وهذه الاعمال الانحرافية انما يقوم بها توجيه الانسان النافذ و اما عماله على اجراء ذلك فهم كل انسان دونه و ما اكثر وقوع ذلك حتى في عصور الحضارة الرائعة بل كل الويل فيها بالنسبة الى ماسواها : هذه العصور التي ادى بها الالحاد الحاد ان لا ترى ناسها الا كما ترى البهيمة بهيمة أخرى و تتميز موقفها منها قوة و ضعفاً بل و لا قياس فان شرير البهائم محدود التركاض بشره و الانسان المتجرم غير محدود اصلا بعد ان حطم كل قيد فيه و اعتبر كلمة العقل و الضمير و الوجدان من التوافه التي لا مقييل لها من الواقع بالمرة : فهل الحياة التي تواجه امثال هذه الغيوم المتلبدة و القساطل الكثيفة يمكنها ان تحتفظ بشيء من مفهومها الطبيعي الساذج ذلك من المستحيل :

ولما وجد احرار بنى آدم انهم في مجيئهم الى هذه الدنيا مضطرون وان من اضطرهم

اليهالم يشارطهم عليها حتى يقبلوا او يستقيلوا و فاز بهم التوفيق ان يتفهموا مجاريها قبل ان يقفوا تحت نيوها ومخالبهارأوامن لازم راحتهم ان يتجردوا عنها جهد المستطاع حتى يحتفظوا حد الاقل بحريتهم وكرامتهم وكذلك فعلوا وادركوا بغيتهم :

ورياضة النفس فى دور الشبيبة وان صعبت لانها تواجه نزق الطبيعة وهي جان ضراوتها فى كل ما يتطلبه الحيوان النشيط العضلات الا ان الذى يفلح فى دور هذه المعركة يكون مفلحاً الى الآخر من غير ان يواجه جهداً ومشقة .

وقد فاز فى هذا الصراع العنيف ذوات سخروا من الدنيا بكل ما فيها من قوى وجبروت ولم تستطع ان ترد عليهم اوان تسخر بهم مثلما سخروا منها اوان تسخرهم فى مقاصدها نظير ما سخرت الجبابرة المتعطرسين وأسرتهم فى أحضانها : فالمثالى اعظم من كل عظيم وعرشه فوق العروش ونفوزه فى اعماق القلوب فوق كل نفوذ : المثالى لا يأبه للقدر الذى يأبه له كل شىء، ويتغلب على الحوادث التى تقهر الصم من الجبال ذلك لانه ابتعد عن المادة الآسروالوحيد لكل موجود فاحرز الحرية الواسعة التى لا نهاية لامدها واثبت نفسه فى دفتر الاحياء حياً وميتاً :

الاسكندر المقدونى ذاك الملك الشاب النشيط الذى وسع اطار همته بل الاخرى نهيمته بما يسهه الخافقان من عرض وطول فى التغلب على عرصه الوجود و الهيمنة على كل موجود تفقد يوماً من ايامه فيلسوفاً روحياً من فلاسفة بلاده فأشعر بمحلله الخارج عن البلد فركب ليزوره بزهو و خيله و رجله فحسب الكبار من شخصياته الحساب لهذه الزيارة وتمنى كل واحد منهم ان يكون هو المزور حتى يفرش خديه لنعل حصانه ورأوا ان هذا الفيلسوف متى وقف على هذه النية تقدم للاستقبال اميالا وفراسخ لتجليل زائره لكنهم كلما تقدموا لم يجدوا مما حسبوه عيناً ولا اثرأ حتى اطل الملك على الفيلسوف و هو ملق بنفسه على وثير من رمال الصحراء تصهره اشعة الشمس فدنا منه جداً و الفيلسوف لم يحرك من نفسه ساكناً فدنا و دنا حتى حاذاه راكباً فسلم عليه و ترجل وسأله عن حاله فأجاب بما يقتضيه ادب المعاشرة .

ثم قال الاسكندر له أن تكن لك حاجة فانا حاضر للقيام بها كائنة ما تكون فما كان من الفيلسوف الا ان قال حاجتى اليك ان تنشمرانت واصحابك عن شمسى التى اتمتع بها واستمد لوجودى فعجب الاسكندر من هذه العظمة الفاقدة لكل اداة سوى التغلب على النفس فهناك قال لاعظيم فى الوجود الا انا وهذا الفيلسوف لكنه اشتبهه فالعظيم هو الفيلسوف فقط هذا الانسان الذى لم يجب بقهر القوة من احد درهما ولم يرق من ذى نفس دماً ولا ارتكب ادنى خطيئة ولم يمديد الحاجة الى اى احد يفرض:

ولست الركيزة للمثالى فى تجافيه عن المادة هى هواه ان يقرب من مولاہ ويستميل اليه جانب لطفه ورضاه فان جملة من المثاليين قد لا يعيرون ما وراء الطبيعة نظراً حاداً و المبدء يون منهم يعترفون بان الله لم يحرم زينته التى اخرج لعباده و انما الركيزة ما اسلفناه وان الداعى لهؤلاء الاحرار فى مجافاة المادة هو حجبهم للتحرر من سلطانها واحرازهم لشرف حيثياتهم المفقود عند كل مادي :

و لقد فاز بشرف المثالية ذوات فرضت نفسها على الوجود من دون ان تطلبه و اطلعت اعناقها من بين كافة المحاولات التى قامت على اخفائها من دون ان، تقصده كجملة الانبياء العظام والاوصياء الكرام والعلماء الابرار والمقدسين الاخيار: واهذا السر طار اسم المسيح بن مريم ومحمد بن عبدالله وعلى بن ابي طالب وغير هؤلاء الامناء ممن تاسى بهم واقتفى آثارهم وترسم خطاهم :

وانافى اوائل عمرى ادركت زمرة صالحه لانظير لها اليوم فى طول محذب الكرة وعرضها من جملتهم الربانى الاواه الشيخ نصر الله الحويزى والمقدس الشيخ على القمى و الورع الشيخ باقر القاموسى ادركت الشيخ نصر الله الحويزى وانا بين الخامسة والسادسة من عمرى وادركت القاموسى والقمى وانا اكبر من ذلك سناً: اما الشيخ الحويزى فانا حفيده ولدت فى بيته ودرجت فيه لذلك احتفظ من حياتى معه بذكرىات خالداًت لها قيمتها بما لاقيمة لاي شىء يفرض معها :

ادركت هذا الرجل وانا احمل المصباح امامه فى طرق النجف المظلمة يومذاك وكان من عاداته نوعاً أن يؤدى صلاة المغرب فى رواق امير المؤمنين عليه السلام وبعد أن ينقل من

ورده وناقلته يأتي الى بيته بقصد أن يؤدي صلاة العشاء في مسجد آل كاشف الغطاء المهجور في حينه المظلم الذي لا يوجد فيه حسيس الاللخفاش و الأ لشيخ يفن فارسي قد سكن حجرة فيه ويحفظ رمقه من طريق صناعة المناقل الطينية التي لا يرغب في شرائها إلا من انهكه الفقر والاستئصال فكنت ارى الشيخ كل ليلة قبل أن يتناول عشاءه هو و عياله يأخذ من وسط العشاء المهبياً طاسة مملوءة يحملها بيده لذلك الشيخ اليقن النازل في المسجد المتحدث عنه فيعطئها له بكل سعة صدر وحبور ثم يتوجه الى صلاته داخل المسجد وانا اجلس ازائه حتى يتم ورده و بعد ذلك يتوجه الى مجلسه المنعقد كل ليلة في منزله الشخصي لتجديد ذكرى ابي عبدالله الحسين وهناك ترى العلماء الابرار محتشدين لسماع التعزية ومبادلة الحديث المرکز الدائر على محور العلم والفضيلة والاخلاق :

وكان يملك بعض البساتين في الحيرة فاذا جرى بثمرها اليه احتفظ لعياله بقسم ووزع الكثير الباقي على الفقراء وانا كنت اطوف مع الموزع على البيوت وكان يواسي المكدين و الضعفاء الذين يسكنون حواشي الطرق فيحسبهم كبعض من عياله وينبسط لهم كل الانبساط على جلالته ووقاره : وكان بيته مثابة للواردين من مختلف الطبقات في كل وقت على بساطة جميع ما في بيته وقصور ذات يده وكثرة ديونه وان كان آ باؤه تركوا له ضياعاً الا انها لا اعراض عنها ذهبت ضياعاً :

وقد خانه احد ابناء الاسر النجفية بمأتي ليرة عثمانية سلمت اليه في الحوزة على ان يكون اميناً في ايصالها الى الشيخ في النجف فمزقها هذا المؤمن في اغراضه و غاب عن النجف زماناً طويلاً حذراً من مؤاخذته فما كان شيخنا المقدس يرضى بتناوله او ذكر اسمه من كل انسان و ابرأ زمته احتراماً لما لجده رسول الله ﷺ في حال انه كان احوج ما يكون الى الدرهم الواحد و على اثر هذا الحادث باع منزل سكنه ببيع الشرط بمأتي ليرة و بعد وفاته قدس سره ذهب هذا المنزل طعمة البيع السالف ؛ ولقد كان بحق لا يحسب للمادة وللدنياى حساب و امثاليته الجبارة استوى عنده الفقر والغنى والسراء والضراء ومؤاتاة الامور وتأزمها وكان يحسن الى كل من اساء اليه ويفضي على كل مضمض محتسباً من دون ان يظهر عليه اقل اثر ولهذه السمات وجليل هاتيكت

الصفات كان مرموقاً بين كافة الطبقات بعين الاكبار والاحترام فى حال حياته وبعد مواراته فى جدته والى اليوم :

ولم اذكر هذا الشيخ من بين من ذكرت لانه جدى ولكننى ذكرته لانى كنت أشاهد ما نقلته عنه بعينى كنت اشاهد ذلك و لا اعرف له معنى فى حينه و كلما تقدم بى السن ورأيت ما رأيت امس وارى اليوم من سير الدنيا ومسيرا بنائها صرت أحسب لتلك الزمرة الصالحة حساباً يزداد على مرور الايام جسامة و ضخامة حتى توسطت الدنيا فى ميدان مادية بحتة و ضراوة جنونية و وحشية ساقطة و رذالة و سفالة منقطعتى النظير على رغم الحضارات المشبوبة و التزويقات الباهرة و الثقافات اللفظية : و نسوق مثالا آخر عن مثالى عظيم من علماءنا الافذاذ : بعنوان :

- الشيخ مرتضى الانصارى -

١- نموذج من علم العالم الامامى وعمله-

ولد الشيخ مرتضى بن محمد أمين الذرفولى الانصارى فى دزفول سنة ١٢١٤ هـ ق و توفى فى مهجره و دار زعامته النجف سنة ١٢٨١ هـ ق
 جذوة لاهبة فى الاستعداد و بلوغ مبكر فى النبوغ و مثالية امام معصوم: حصل فى بلده على ابن عمه و كان عالماً مبرزاً ولما بلغ العشرين من عمره دخل كربلاء فى عهد السيد المجاهد و شريف العلماء و كانا زعيمى حوزة تعج بطلابها فآتسا فيه الاستعداد التام و الزمام بالبقاء فيها فبقى اربع سنين حتى وقعت حادثة داود باشا فخرج الشيخ الى الكاظمين وبقى فيها اياماً قليلة ثم كرّ راجعاً الى وطنه الاصلى وبقى فيه ما يقرب من سنتين ثم حن الى العراق لتمكيل دروسه العالية فأبت عليه والدته فألح عليها فاوكلت أمره الى التفأل بالقرآن الشريف فجاءت الآلة لا تخافى و لا تحزنى انا رادوه اليك و جا علوه من المرسلين : فاذنت له فعاد الى كربلاء و اقام فيها سنة يختلف الى شريف العلماء ثم خرج الى النجف فأخذ عن الشيخ موسى بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء سنتين الى ان خرج من النجف عازماً على زيارة الامام على بن موسى ماراً فى

طريقه على كاشان فبقى فيها زهاء ثلاث سنين حيث فزاز بلقاء استاذه الاجل احمد ابن مهدي بن ابي ذر النراقى : ثم ذهب الى خراسان وبقى فيها عدة شهور ثم عاد الى بلاده ماراً بأصفهان زمن الرئيسين حجة الاسلام الرشتى والعلامة الكلباسى فاصراً عليه بالاقامة فامتنع وخرج الى وطنه دزفول فوردتها و اقام فيها ايام رياسة الشيخين على بن الشيخ كاشف الغطاء وصاحب الجواهر فاختلف الى مدرستها عدة اشهر ثم استقل بالتدريس والتأليف وبعد وفاة شيخه صاحب الجواهر انتهت اليه الرياسة العامة فى جميع الاقطار الشيعية حتى توفى سنة ١٢٨١ هـق:

ماسلف موجز من حياته الزمنية واما المرحلتان الاساسيتان لموضوعنا وهوالعلم الناضج والعمل الصادق فيتلخص الكلام عنهما فى المادتين اللاحقتين :

(١) اجل علوم الشيخ الانصارى هو الفقه والاصول الفقهية وامل ناشئة العصر لاتعرف عن هذين العلمين المنسيين فى الجوامع المرموقة اليوم فى الولايات المتحدة وغيرها الاكما تعرف عن افاصيص عنتره بن زبيبة والسند باد البحرى ولا ترى رجالهما الا رجعيين يرئى لهم من اغراقهم فى الاوهام واتلاف اعمازهم فى لاشىء والذى ملاء خلايا اذهانهم بهذه الظنون السيئة هو جهلهم الواسع حتى بمفهوم الفقد والاصول وقربهم فقط من العلوم الرياضية والطبيعية ومن الادب اللفظى الفارغ :

وليست هذه الاحكام المقتضية التى يصدرونها على الفقيه والاصولى باول حكم اقتضابى صدر عنهم بل غرور التجدد فيهم دعاهم ان يعتقدوا فى دارون مثلاً انه العقل السالم وحده من كافة عقول البشر فلاسفة وغير فلاسفة وان ماركس هو الذى فهم الرموز الحلاله لمشاكل حياة الانسان وان شكسبير هو الشاعر الفريد لامن سبقه او اتى بعده من شعراء الشرق ولا مجال مع عقول هؤلاء لعقول الفارابى وابن سينا و صدر المتألهين كما لاثرا للفقيه الراصد لتحديد وتعديل افعال الانسان و نظام معاشه كالفيد والطوسى والمحقق والعلامة وعشرات من امثالهم امام آراء ماركس والماركسيين وما ابوتام و البحترى والمنتبى والمعرى والرضى وغيرهم من هذا الطراز فى قبائل شاعرية شكسبير :

ونحن لاننكر عقول اربابهم هؤلاء او نضرب بها عرض الجدار كما فعلواهم بالعقول المفكرة سواها بل نقول انها عقول سافرت فى الكون فأصابت فى اشياء واخطأت فى اشياء اخر كما نقول هذا القول فى جميع نوابع الدنيا ويكفى النابغة قيمة ان صوابه سمين ورأيه التاسيسى ثمين ولايهم الحقيقة عند اهلها اقل شىء ان جامعة اكسفورد مثلا لاتعترف بها لان الاهم فى كل هذا وذاك تطبيق معارف الجوامع على الحقائق لار تجال الحقائق من طريق الجوامع :

هذا والفقهاء لا يكونون فقيهاً مبرزاً معتدأ به الا اذا مارس النحو والصرف وعلوم البلاغة ومفردات اللغة وقواعد المنطق ومباني الكلام ونخبة من علم الحساب وموازين الاصول ودرس الكتاب والسنة دراسة عميقة ووقف على احوال الرواة وهوياتهم وطبقاتهم وعلى اذواق الفقهاء وآرائهم واطلع على السير الزمنى مع الناس وجرى الشريعة معهم وهذا معناه الحصول على جامعيتها لها حظها من السعة فى أنبه العلوم العقلية والنقلية ففيها دراسة للعلوم العربية لغة ونحواً و بلاغة و للمعلوم الفلسفية منطقاً وكلاماً وللعلوم التاريخية احداثاً ورجالا وللعلوم الشرعية كتاباً و سنة واصولا و اذواق فقهاء وآراء مجتهدين وفوق هذا وذاك تحصيل الفقيه على فكر مدرب وعقل مجرب وملكة علمية قوية يستطيع ان يخوض بها اغلب ميادين الحياة مما يرتبط باجتماع الناس واقتصادهم وسياسة امورهم والاخذ بأيديهم الى السعادات العالية والجامعة البشرية اذا تهيأ لها ذلك فقد حصلت على اركان المعيشة التامة والامور الكمالية التى ليست من فن الفقه ولا لازمة للفقيه ليست محظورة عليه ولا على غيره كما انها لاترتبط بالحياة الانسانية الأارتباط تحسين وتزيين :

هذا الذى عرفنا عنه هو الفقيه الاصولى وايس الحديث عنه كالحديث عن عنبرة ابن زبيبة والسندباد البحرى كما يراه المتجددون السطحيون : ودراسة عميقة فى رسائل الشيخ الانصارى فى علم الاصول وفى مكاسبه فى فن الفقه تصحر بجلاء على ان العقلية التى كانت مند مجة فى وجود هذا الاستاذ لو استخدمها صاحبها فى اهم المسائل الطبيعية والرياضية والفلسفية لجاء منها على صيت وافر :

(٢) العمل الصادق : كان الشيخ قدس سره - كما حدث التاريخ الصادق عنه - زاهداً عابداً جم الفضائل والكرامات عاش عيشة الفقراء على كثرة ما يجيبى اليه من الاموال والهدايا وقضى ايامه مقتصداً فى مأكله ومشربه وملبسه وبسط يده على الفقراء والمحتاجين واهل العلم بسطاً لا مزيد عليه و كان يرسل من خالص ماله الى خراسان فى فكاك من يأسره التركمان من الزائرين ولا يأنس بالعطاء الأسر أو لا يرى لنفسه فضلاً فى ذلك ولا فخراً ووصل به التعفف عن تناول الحقوق درجة انه يوم وفاته لم يكن عنده مصرف لعزائه ولا ما يقوم بكفالة ابنتيه اللتين خلفهما بعده ولم يترك شيئاً من المستحبات مالية كانت ام عملية الأجراء به جهد مقدوره حتى ما بارح الكون على الطهارة مع شدة ابتلائه بمرض الاسهال و كتب مصحفاً بقلمه لمحض استحباب كتابة القرآن وكان يقيم عزاء الحسين عليه السلام فى كل ليلة جمعة ويبدل فيه الطعام لمن يطلب حضوره و يقيم الجماعة فى مسجده وتاتم به الجماهير من العلماء الابرار :

وكان رجلا الى الطول اقرب منه الى القصر يميل لونه الى الحمرة نحيف الجسم ضعيف العينين فى جبهته اثر السجود يخضب كريمته بالحناء و عمامته و قباؤه من كرباس ابيض وعبائته من صوف أحمر: وكان اذا سافر لزيارة ابي عبدالله الحسين عليه السلام يعاد له فى المحمل خادمه الشيخ رحمة الله و تحت كل منهما لحاف بطانته من الكرباس الاخضر بلا ظهارة ومعهما قدر صغير موضوع وسط المحمل لطبخ غذائهما :

واليه والى كتبه يعود الفضل فى تكوين النهضة العلمية الاخيرة فى جامعة النجف وكان يملئ دروسه فى الفقه والاصول صباح كل يوم و عصره فى الجامع الهندى حيث يفض فضاؤه بالعلماء والمحصلين وقد تخرج به اكثر الفحول كالميرزا الشيرازى و الميرزا حبيب الله الرشتى و السيد حسين الترك والشريانى و المامقانى و الميرزا ابوالقاسم كلانتر و الميرزا حسين الخليلى و الآشتيانى و الآخوند الخراسانى و عشرات سواهم و انتشر تلاميذه و زاعت آثاره فى الافاق و كان من الحفاظ جمع الى قوة الذاكرة قوة الفكر والذهن وجودة الرأى و كان حاضر الجواب لا يعيبه حل مشكلة و لا جواب مسألة :

ونحن للتدليل على نزعة العلمية ومزيد ورعه ومثاليته نعرض للقارئ تنقاً من

كتابه المكاسب :

(١) فى باب الغناء و حرمة : يرى الشيخ قدس سره ان الغناء الثابت تحريمه هو كل صوت يعد فى نفسه مع قطع النظر عن الكلام المتصوت به لهواً و باطلاً و يستنبط ذلك من امثال رواية عبد الاعلا قال سألت ابا عبدالله عليه السلام عن الغناء و قلت انهم يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه و آله رخص فى ان يقال جئناكم جئناكم حيونا حيونا نحيككم فقال كذبوا ان الله تعالى يقول وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين لو اردنا ان نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون : ثم قال ويل لفلان - رجل لم يحضر المجلس - مما يصف فان الكلام المذكور المرخص فيه بزعمهم ليس بالباطل واللهو اللذين يكذب الامام رخصة النبى فيه فليس الانكار الشديد المذكور الا من جهة التغنى به فالشيخ لا يعتبر للمادة دخلاً فى تحريم الغناء و يعتبر الغناء هو الكيف المخصوص على سبيل اللهو و اللغو و الباطل وما كان من لحون اهل الفسوق و المعاصى : قال : ولا فرق بين استعمال هذه الكيفية فى كلام حق او باطل فقراءة القرآن و الدعاء و المراثى بصوت يرجع فيه على سبيل اللهو لا اشكال فى حرمتها و لا فى تضاعف عقابها لكونها معصية فى مقام طاعة و استخفافاً بالمقروء و المدعو و المرثى : ثم قال ومن اوضح تسويلات الشيطان ان الرجل المتمسك قد تدعوه نفسه لاجل التنزه و التلذذ الى ما يوجب نشاطه و رفع الكسل عنه من الزممة الملهية فيجعل ذلك فى بيت من الشعر المنظوم فى الحكم او المراثى و نحوها فيتغنى به او يحضر عند من يفعل ذلك وربما يعد مجلساً لحضور اصحاب الالحيان و يسميه مجلس مرثية و تعزية فيحصل له بذلك ما لا يحصل له من ضرب الاوتار من النشاط و الانبساط وربما يبكى خلال ذلك اللهموم المركوزة فى قلبه الغائبة عن خاطره من فقدهما يستحضر القوى الشهوية :

ثم اخذ فى مناقشة الاستاذين الفيض الكاشانى و المحقق السبزوارى حيث استظهر منهما تخصيص الحرام من الغناء بما شتمل على محرّم من خارج كالمعب بالآلات للهو و دخول الرجال على النساء و الكلام بالباطل و الافهوى فى نفسه غير محرّم ولذا ندب ان شرع الى قراءة

القرآن بلحن ورد عليهما بان مقالتهما هذه شبيهة الاجتهاد في مقابل النص لاسلف ولقوله **فلا** قد تكون للرجل الجارية تلهيه ومائنها الاثمن الكلب وغير هذا و ذلك من النصوص الوافرة وما معها من الاثار التي يستشعر منها جوازه لايقاوم اطلاقات المنع الصريحة واما نذب الشرع الى قراءة القرآن بلحن فقد فسرته جملة من الروايات بأن المنظور به الترتيل بالصوت الحسن ففي رواية عبدالله بن سنان اقرؤا القرآن بألحان العرب و اياكم و لحون اهل الفسق و الكبائر- و في اثر آخر- يرجعون القرآن ترجيع الغناء مضافا الى ان ادلة المستحبات لا تقاوم ادلة المحرمات فان مرجع ادلة الاستحباب الى استحباب ايجاد الشيء بسببه المباح لاسببه المحرم فانه لا يجوز ادخال السرور في قلب المؤمن واجابته اذا طلب المحرمات : والسرف في ذلك ان دليل الاستحباب انما يدل على كون الفعل لوخلى وطبعه خاليا عما يوجب لزوم احد طرفيه كان راجحا فلاينا في ذلك طروء عنوان من الخارج يوجب فعله تارة و تركه اخرى كما اذا صار مقدمة لواجب او صادفه عنوان محرم : فأجابة المؤمن وادخال السرور في قلبه ليس فيه من ذاته ملزم لفعله او تركه فاذا تحقق في ضمن الزنا فقد طرأ عليه عنوان ملزم لتركه كما انه اذا أمر به الوالد او السيد طرأ عليه عنوان ملزم لفعله والحاصل ان جهات الاحكام الثلاثة اعنى الاباحة والاستحباب والكراهة لا تراحم جهة الوجوب او الحرمة فالحكم لهما مع اجتماع جهتيهما لاحدى الجهات الثلاث :

ثم توجه قدس سره لمن منع من صدق الغناء في تلحين المراثى فقال متعجبا ان هذا القائل ان اراد ان الغناء مما يكون لمواد الالفاظ دخل فيه فهو تكذيب للعرف واللغة اما اللغة فقد عرفت ، و أشار بذلك الى ما أسلف نقله عن اللغويين من ان الغناء هو الترجيع والتطريب وما الى ذلك ، واما العرف فلانه لا ريب ان من سمع من بعيد صوتا مشتملا على الاطراب المقتضى للرقص او ضرب آلات اللهبولا يتأمل في اطلاق الغناء عليه الى ان يتميز مواد الصوت الذى سمعه ماهى فان كانت غير قرآن و غير مراثى اطلق عليه الغناء والا فلاوان اراد ان الكيفية التي تقرأ بها المراثى لا يصدق عليها تعريف الغناء فهو تكذيب للحس :

(٢) ومن مثاليته وطهارة نفسه ما ذكره في باب حرمة استماع الغيبة ووجوب نهى السامع للمغتتاب عنها كوجوب رده عليه ايضاً حيث قال و الظاهر ان الرد غير النهى عن الغيبة والمراد به الانتصار للغائب بما يناسب تلك الغيبة فان كان - اى ما عاب به القائل من اغتابه - عيباً دنيوياً انتصر له بان العيب ليس الا ما عاب الله به من المعاصى التى من اكبرها ذكرك اخاك بما لم يعبه الله به وان كان عيباً دنيواً وجب به بمحامل تخرجه عن المعصية فان لم يقبل التوجيه انتصر له بان المؤمن قد يتبلى بالمعصية فينبغى أن تستغفر له وتهتم لشأنه لأن تعبيره فان تعبيرك اياه لعله أعظم عند الله من معصيته :

(٣) ومن مثاليته ايضاً تحريه حتى فى دروسه الفقهية العالية لذكر الاخلاق الفاضلة وتطرية النفوس بالصفات الكاملة نظير ذكره فى البحث عن احكام الغيبة لبعض ما ورد من حقوق المسلم على أخيه بمثل ما رواه الكراچكى عن الحسين بن محمد بن على الصيرفى عن محمد بن على الجعابى عن القاسم بن محمد بن جعفر العلوى عن ابيه عن آباءه عن على عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للمسلم على اخيه ثلاثون حقاً لبراءة له منها الابادائها او العفو (١) يغفر لته (٢) ويرحم عبرته (٣) ويسترعورته (٤) و يقبل عثرته (٥) و يقبل معذرتيه (٦) و يرد غيبته (٧) و يديم نصيحته (٨) و يحفظ خلته (٩) ويرعى ذمته (١٠) ويعود مرضته (١١) ويشهد ميته (١٢) و يجيب دعوته (١٣) و يقبل هديته (١٤) و يكافى صلته (١٥) ويشكر نعمته (١٦) و يحسن نصرته (١٧) و يصون حليلته (١٨) و يقضى حاجته (١٩) و يستنجح مسألته (٢٠) و يسمت عطسته (٢١) و يرشد ضالته (٢٢) و يرد سلامه (٢٣) و يطيب كلامه (٢٤) و يبرر انعامه (٢٥) و يصدق أقسامه (٢٦) و يوالى وليه ولا يعاديه (٢٧) و ينصره ظالماً و مظلوماً فاما نصرته ظالماً فيرده عن ظلمه و امان نصرته مظلوماً فيعينه على اخذ حقه (٢٨) و لا يسلمه و لا يخذله (٢٩) و يحب له من الخير ما يحب لنفسه (٣٠) و يكره له ما يكره لنفسه: ثم قال سمعت رسول الله يقول ان احدكم ايدع من حقوق اخيه شيئاً فيطالبه به يوم القيامة فيقضى له عليه : قال الشيخ والاختبار فى حقوق المؤمن كثيرة والظاهر ارادته الحقوق المستحبة التى ينبغى اداؤها ومعنى القضاء لذيها على من هى عليه المعاملة معه

معاملة من اهملها بالحرمان مما أعد لمن ادى حقوق الاخوة : ثم افاض قدس سره
بيحوته العالية حول هذه المطالب:

وهذا الذى عرضناه قليل من كثيره ونفحة من عبيره و لمعة من تموجات نوره :
فهذا عرض عن حياة رجل روحى قضى عمره فى نشر الفضيلة و تهذيب النفوس العليله و
ترويج سوق العلم النافع و حث الافراد على متابعة خطى كل امين صادق و مؤمن ورع
وانسان كامل فنال من سعيه اقصى حظه حيث كان فى الناس يومذاك كمال و افاضل
و صلحاء أبرار و محسنون مواسون و نجباء اعفاء لا يحدثون انفسهم بالشر فضلا عن
فعلهم له:

ولما جاءت النوبة الى دارون و بخرنومار كس و شبلى شميل و امثال هذا اللغيف
تسرب الالحاد الى القلوب فاظلمت و اظلم لهاكل شىء حيث لا ترى صفاء و لا وفاء و لا حياء
ولا ايماناً و لا احساناً و لا صدقا و لا رفقاً بل و لا بصيصاً لاقل الخيرات و كل ما تراه غدر
و ختل و انتهاب لحق و هتك لعرض و هدر لدم محترم و هرج و مرج لم يبقيا ولم يندرا
و كفانا شاهد أعلى ذلك ما يراه الجميع فى هذا الكون الاسود من تصاريف لا يقر معها
قرار و ليس هذا بدعاً بعد أن اوحت عقول هولاء العقاريت بمثل قولهم: لا خصلة محمودة
الاحب الذات و لا سعادة الا التمتع بالشهوات و ما الناس جميعاً الابنوا الارض فجميع
ما فيها مشاع للكمل و الملكية الشخصية و الاختصاص ببعض المنافع ضرب من الاستبداد
و ما غيرة الانسان على محارمه الامن البخل و الحسد و ما الشجاع الاميكروب كميكروب
الطاعون: من تعاليم الدكتور شبلى شميل- و بمثل ما ذهبوا اليه و افتوا به من وجوب
اراقة دعاء المرضى و الضعفاء و ابادة القبائل المنحطة* من البشر (نقد فلسفة دارون
ج ٢ ص ١٣٠ و ص ٢٣٣) و استقصاء امثال هذا و ذلك خارج عن حوصلة هذا المقال.

قللى بربك اى الفريقين يملك الضمير الانسانى و ينطوى على الروح الطاهر و
مع اى الفريقين تحصل الحياة و تعتدل النشأة و يقل الحيف و الجور : و لا غرابة من دارون
و ماركس و من لف لفهما اذا جاؤا من القسوة و الوحشية و التهتك و الانحراف باللون
الذى طلعت به دنيا اليوم من الانهيار المفضح و التلاعب الموبوء بعد ان اقاموا الادلة

والبراهين فيما يزعمون على انهم قروود بالفعل لان سالاتهم كانت من القروود و هل يستكثر على القرد سخفه و صلفه و وقاحته و ذالته :

ومن كلام له عليه السلام (ج ٣ ص ٧٧ من النهج الحديدي) قاله عند تلاوته يا ايها الانسان ما غرّك بربك الكريم : و مقدمة نقول :

الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

من اهم ميزات الدين الاسلامي على غيره من الاديان بل والمشارب الاجتماعية هو اعتناؤه الزائد بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والمراد بهذين الاصلين الدعوة الى شرائف الاخلاق ومحاسن الصفات ومحمود السجايا ومستحسن الطرائق والتنديد بالرذائل والمفاسد والاصناف الذميمة والاخلاق المرنولة والسجايا الساقطة والعادات المنحطة وبالاخرة الدعوة الى تربية النفس تربية تعود معها الحياة كما يريد الانسان العاقل لنفسه واغيره والحياة التي يتنافس عليها ملايين الافراد ليس المقصود منها اركاس الاحياء في مشكلاتها ومعاناتهم لصعوباتها و الاعادت هذه الحياة من اوجع الآلام على الحى الحساس و خلقت منه موجوداً اخف صفاته المزاحمة و ادنى سيئاته الجريمة و اقرب ما يصدر عنه الخيانة بل انتت به في وسط المطاف طاعوناً من شأنه التدمير والتخريب واقصى غاياته التنكيل والتعذيب وكل ما يريد خلق القنن وغاية ما يحاوله الارعاب و الارهاب وبالاخرة التهريج وتمويج الاجتماعات بكل ما يجرح العاطفة ويحز بالشعور ويملاء القلوب وحشة واضطراباً هذا هو الانسان اذا لم تعمد له مجارى حياته بما يضمن له الاستقرار والاطمئنان :

وانتكاث البشرية في اكثر احيائها وليد هذه الروح الشقية ونتيجة عدم التوازن القائم ما بين الافراد ومع هذه الروح وهذه الظاهرة الكالحة لا يعود ينجع شارع معبد وجسر مشيد وقصر فارع وبرق لامع و حيطان مزوقة كما رأت البشرية ذلك كله واضعافاً مصاعفة فوجه في عصور التمدن التي اغرقت بالنقيضين من ظواهر غرارة وبواطن قذبات على احر من جمر الغضا بؤسا وشقوة اذن فلا يعود ينجع في عصمة الحياة من الموهنات

والموابعات الاالنظام الصحيح الكافل بتمشية الافراد على جادة العدل مهما امكن حتى لا يغبن انسان بحياته فتثور فيه لعقد النفسية لاخذ ثاره وهناك يجيء من اضرى الحيوانات عيثاً وفساداً وقد حصل كل هذا بالتجارب القاطعة :

والشارع المقدس الاسلامى اما استجلى بأحداقه المفتحة هذه الظاهرة على سعتها فى محيطه الذى يعيش فيه وعلم من ضرورة السير الزمنى بنظير ذلك فيما سبقه من الزمان كان أحرأ انسان فى تركيز المبادئ الفاضلة بين الناس حتى تخف عنهم الويلات وتكثر بينهم الخيرات ومن طريق مبارزاته الممتدة المستمرة استطاع ان يحقق مقصوده فى عرصة العيان بعد تركيزه الايمان فى قلوب الناس وان يخلق للاجيال من تلاميذه بعده من يسد الفراغ الذى كان يشغله من حياته فجاء فى طليعة من خلف على بن ابي طالب امير المؤمنين ذاك الفحل الهدار الذى وصل به نبوغه أن يكون اعجوبة فى كل شىء على الاخص فى مثاليته التى ماداناه فيها انسان بعده على الاطلاق ولا سبقه بها الا الانبياء المختارون فحسب لذلك تراه فضلا عن طوعه بأحسن مزايا الاخلاق وافضل صفات الكمال جعل تذكيره للناس واقامة معالم الفضل بينهم وردلسانه وأطال فيه مديد القول بشتى الصور والالوان على غاية من الفصاحة والبلاغة فى ايصال معانيه الى القلوب بعد كبسها فى الآذان والاذهان فكم حذرو بشر وقرّب الناس الى أشياء وبعدهم عن اشياء أخر وجاءت تعاليمه تشق ركام الاجيال جيلا بعد جيل على رغم الاهواء الفاسدة والروحيات الساقطة من الذين بعدت ضمائرهم عن الحق وخارت عقولهم عن متابعة الرشاد فكم غذى الارواح بجليل وعظه ومتين بيانه ؛ بمثل قوله أدحض مسؤل حجة واقطع مغتر معذرة لقد أبرح جهالة بنفسه يا ايها الانسان ماجرأك على ذنبك وما غرك بربك وما آنسك بهلكة نفسك أما من دائك بلولام ليس من نومك يقظة أما ترحم من نفسك ما ترحم من غيرك فلربما ترى الضاحى من حر الشمس فتظله او ترى المبتلى بالم يمض جسده فتبكي رحمة له فما صبرك على داءك وجلدك على مصابك وعزاك عن البكاء على نفسك وهى أعز الانفس عليك وكيف لا يوقظك خوف بيات، نقمة وقد تورطت بمعاصيه مدارج سطواته فتداوم داء الفترة فى قلبك بعزيمة ومن كرى الغفلة فى ناظرك بيقظة وكن لله

مطيعاً وبذكره آنساً .
أدحض مسؤل حجة ، دحض حجته اذا أبطلها وزيفها وصيغة أفعال منه خبر لمبتدأ
محدوف اى هو أدحض حجة من كل من ادلى بحجة ومعاد الضمير هو المكلف المذنب الذى
يظن انه اذا القى معاذيره الملققة دفعت عنه المسؤولية والحجة هى الادلة التى يسوقها
الانسان بنفع نفسه ، وأقطع مقترمعدرة ، يقال فلان اعتذر فقطع عليه عذره اذا أبطل
عذره وضعف والمقترم من الاغترار وهو من عبث به الغرور فصرفه عن القيام بواجب الوظيفة
الملقاة على عاتقه ، لقدأبرح جهالة بنفسه ، برح به مضاعفاً وهكذا أبرح مهموزاً معناه
شدد عليه وشق به وازعجه وجهالة تمييز لمادة التبريح الذى اوقعه بنفسه ، يا ايها الانسان ،
الذى أعذب بالمعصية واصر على الذنب ، ماجرأك على ذنبك وما غرك بربك ، اى ما هو
الذى صغر الذنب فى نفسك وصيرك مغروراً بربك ألقدرتك الوافية التى تصونك عن
المؤاخذة ام لضعف المولى عن الايقاع بك نكالا على انحرافك وتجرمك ، وما
آنسك بهلكة نفسك ، اى وما الذى جعلك تأنس بهلاك نفسك أنكذيب
بالمؤاخذه فلان ترى فى المعاصى هلكة ام اعتماد على من يدفع عنك و كل
ذلك من الامانى ، اما من دائك بلول ، بل بلولا و ابل ابلالا اذا شوفى من مرضه ،
ام ليس من نومك يقظة ، و المراد بالنوم هنا نوم الغفلة واليقظة التنبه ، اما ترحم من
نفسك ما ترحم من غيرك ، اى كيف لا تلتفت الى نفسك كما تلتفت لغيرك ثم بين **بين**
ذلك بقوله ، فلر بما ترى الضاحى من حر الشمس فتظله ، الضاحى هو البارز من كل
ظل الشاخص فى الشمس والمعنى انك ترى الفارع من كل ظل المغمور بحرارة الشمس
فتتأثر له فتصب له ما يوقع الظل عليه حتى يبرد المتوهج من حرارته ، او ترى المبتلى
بالم يمض جسده فتبكي رحمة له ، امضه المرض و امض به اذا اشتد عليه وآلم به ،
فما صبرك على داءك ، وانت تبكى تأثيراً لآلم غيرك ، وجلدك على مصابك ، الجلد هو
التحمل و الصبر و المصاب ما يصاب به الانسان ، و عزاك عن البكاء على نفسك وهى
اعز الانفس عليك ، عزاه اذا سلاه و خفف عليه المصيبة بسرد الاشباه والنظائر ، وكيف
لا يوقظك خوف بيات نعمة ، المياب هو الايقاع بالعدول لىلا على غرة منه اى كيف لا يوقظك

الحذر من ايقاع الله بك وانت على غرة ، وقد تورطت ، تورط فلان اذا وقع في ورطة وهي المشكلة التي لا منفذ للخروج منها ، بمعاصيه مدارج سطوته ، المدارج جمع مدرج وهو ما يدرج عليه ونصب على نزع الخافض والمعنى انك تورطت بسبب معاصيه في مضائق سطوته ومؤاخذته ، فتداو من داء الفترة في قلبك بعزيمة ، الفترة هي الفتور خلاف النشاط والعزيمة هي الاستداد، ومن كرى الغفلة ، الحاصل ، في ناظر كيبقطة ، كرى الغفلة هو الانشغال بالملييات والناظر كناية عن النفس ويراد باليقظة التنبيه ، وكن لله مطيعاً ، ممثلاً ، وبذكوره ، قلباً ولساناً آنساً ، مسروراً :

وتمثل في حال توليك عنه اقباله عليك يدعوك الى عفوه ويتعمدك بفضله وانت مول عنه الى غيره فتعالى من قوى ما اكرمه وتواضعت من ضعيف ما اجرالك على معصيته وانت في كنف ستره مقيم وفي سعة فضله متقلب فلم يمنعك فضله ولم يهتك عنك ستره بل لم تخل من لطفه مطرف عين في نعمة يحدثها لك او سيئة يسترها عليك او بلية يصرفها عنك فما ظنك به لو اطعته وايم الله لو ان هذه الصفة كانت في متقين في القوة متوازين في القدرة لكنك اول حاكم على نفسك بذميم الاخلاق ومساوى الاعمال وحقاً اقول ما الدنيا غرتك ولكن بها اغتررت ولقد كاشفتك العظات واذنتك على سواء ولهي بما تعدك من نزول البلاء بجسمك والنقص في قوتك اصدق واوفى من أن تكذبك او تغرك ولرب ناصح لها عندك متهم وصادق من خبرها مكذب ولئن تعرفتها في الديار الخاوية والربوع الخالية لتجدنها من حسن تذكيرك وبلاغ موعظتك بمحلة الشفيق عليك والشحيح بك ولنعيم دار من لم يرض بها داراً ومحل من لم يوطنها محلاً وان السعداء بالدنيا غداً هم الهاربون منها اليوم اذا رجفت الراجفة وحققت بجلائها القيامة ولاحق بكل منسك اهله وبكل معبود عبدته وبكل مطاع اهل طاعته فلم يجرفى عدله وقسطه يومئذ خرق بصرفى الهواء ولا همس قدم فى الارض الا بحقه فكم حجة يومئذ داحضة و علائق عنذ منقطعة فتحر من امرك ما يقوم به عندك وثبت به حجتك وخذ ما يبقى لك مما لا تبقى له وتيسر لسفرك وشم برق النجاة وارحل مطايا التشمير :

وتمثل في حال توليك عنه اقباله عليك ، اى وجسم فى نفسك حال كونك معرضاً

عنه اقباله عليك بهذا المعنى و هو انه تعالى ، يدعوك ، من طريق التوبة ، الى عفوه ويتغمدك ، اى يغمرك ، بفضله ، بسبب الصفع عنك ، وانت متول عنه الى غيره ، من سلطان جور تخدمه او ظالم تركن اليه او هواك الخادع ونفسك الامارة بالسوء ، فتعالى ، الله ، من قوى ، لكن ، ما اكرمه ، وأحلمه فى حال أن غيره من الاقوياء على محدودية قوتهم يبطشون بالبرىء فضلا عن المجرم ويعاقبون على الظنة والتهمة ، وتواضعت من ضعيف ، اى انك مع ضعفتك الذاتية فى قبالة تعالى ، ما اجرأك على معصيته و انت فى كنف ؛ اى جانب ، ستره ، عليك ، مقيم وفى سعة فضله متقلب ، يقال تقلب فلان فى النعمة اذا كان فى سعة من العيش قدواته الامور وأمكنته من نفسها يقول **عَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَ** جرأتك على معصية مولى انت مقيم فى فناء ستره عليك ومغمور بنعمته المبسوطة بين يديك و مثل هذه الحالة يقضى على العاقل بالادب الزائد و اخذ الحذر التام ، فإم يمنعك: تعالى مع ما انت عليه من المخازى الكبار وارتكاب الدنيئة والعار ، فضله و لم يهتك عنك ستره ، المضروب عليك من ناحيته يقال فلان هتك عن نفسه حجاب ستره اذا كشف الحجاب عن سوء باطنه بل ، انت مع استمرارك على المعصية ، لم تخل من لطفه ، بك ، مطرف عين ، طرفة العين رمشها وهى كناية عن اقصر الاوقات ، فى نعمة يحدثها لك اوسية سترها عليك اوبلية يصرفها عنك .

وكل ذلك لطف من الله بعبده : هذا وانت فى حال معصيته ، فما ظنك به لو أطمعته ، كم يكون لطفه بك حينئذ ، وايم الله لو ان هذه الصفة ، وهى تجر بك على مولى عظم فى اقتداره بمقدار ما ضعفت فى قبالة و غمرك بفضله حتى حال تمردك عليه ، كانت فى متفقين فى القوة متوازيين فى القدرة ، متكافئين فى المقام ، لكنك ، وانت الموازن لطرفك فى المقامات ولكنك تسيء اليه و يحسن اليك ، اول حاكم على نفسك بذيوم الاخلاق ومساوى الاعمال ، و اقل ذلك انك لست بوفى ولا حيبى ولا متجامل بالمعروف ، و حقاً اقول ما الدنيا غرتك ولكن بها اغتررت ، اى ان الدنيا لم تقصد الى غرورك ولم تعمد الى اغواءك و لكن انت الذى تسببت بها للتغريب بنفسك والتطويح بها ، ولقد كاشفتك العظات وآذنتك على سواء ، العظات ما يوجب عظة النفس والتفاتها الى

مواقع الخطأ والصواب والمكاشفة هي الاصحاح بالحقيقة وآذنتك على سواء اى اوصلت اليك ماهو العدل و الانصاف فى مسيرك مع الدنيا ، ولهى بما تعدك من نزول البلاء بجسمك والنقض فى قوتك اصدق وأوفى من أن تكذبك او تغرك ، وهذه الجملة اضراب عما يعرف ويقال من فتنة الدنيا للانسان انها بلسان حالها وتواتر تصاريها وتغير اوضاعها آنا بعد آن تعد كل انسان بالمرض بعد الصحة و الضعف من وراء القوة وتفعل كل ماتعد به فهى اذن اصدق من ان تكذب واوفى من أن تغرّ و تغدر ، و ارب ناصح ، منسوب ، لها ، اى للدنيا من عبرها و عظاتها ، عندك متهم ، من غير دليل تملكه على اتهامه بل الدليل معه عليك فى نصحه و صدقه فيما يقول ، و صادق من خبرها مكذب عندك لا لحصول شبهة فيك توجب ترددك فى صدقه وتحمل بك على كذبه ، ولئن تعرفتها، اى تعرفت الدنيا واستجليتها ، فى الديار الخاوية ، البالية من تكرار الحوادث عليها وفناء أهلها ، و الربوع الخالية ، من سكانها و نزالها ، لتجدنها ، اى الدنيامن طريق الديار الخاوية و الربوع الخالية، من حسن تذكيرك و بلاغ موعظتك ، موعظة بالغة اى منتهية فى وعظها وارشادها الى الغاية والنهاية ، بمحلة الشفيق عليك و الشحيح بك، اى لا يرضى بأذيتك وتأثرتك ، ولنعم ، الدنيا ، دار من لم يرض بهادراً ، للإقامة ، و ، لنعم ، محل من لم يوطنها ، يقال اوطن الدار اذا اتخذها وطناً له ، محلاً ، للسكنى بل اتخذها طريق ممر ، وان السعداء بالدنيا غداً ، غداً ظرف لسعادة السعداء ، هم الهاربون منها اليوم ، و الاشارة بغداً للاخرة و باليوم للدنيا والمعنى ان السعيد بالدنيامن كان سعيداً يوم القيامة حيث اتخذ دنياه مزرعة عمل فاستحصل ثمراتها يوم الحساب ، اذ ارجفت الراجفة . اى كان يوم القيامة حيث تتمخض الارض و تبديل الى وضع جديد وهكذا السموات ، و حقت ، اى ثبتت وكانت و تحصلت ، بجلائلها ، اى بأموورها الجليلة العظيمة والمنظور بأموورها مقارناتها وما يحتف بها و يكون معها ، القيامة ولحق بكل منسك ، وهو محل النسك وهو العبادة ، اهله وبكل معبود عبدته وبكل مطاع اهل طاعته ، اى يتميز الناس يومذاك فيلحق بكل معبود ورب عبدته ومر بوبوه ، فلم يجرفى عدله ، تعالى ، وقسطه يومئذ ، اى يوم الحساب، خرق بصرفى الهواء، اى نظر

يوجده الانسان ، ولا همس قدم ، وهو المشى الخافت ، فى الارض الآبحة ، و المنظور انه سبحانه دقيق فى حسابه جداً حتى ان حسابه العدل يتناول النظرة يرسلها صاحبها و القدم الخافت ينقله و يحكم عليهما بدوافعهما التى بعثت بهما فى حلال و حرام ، فكم حجة يدلى بها صاحبها ، يومذاك ، فتكون ، داحضة ، باطلة ، و علائق ، جمع علاقة و هى ما تربط الشيء بالشيء ، عذر ، و علائق العذر هى اسباب اتصاله بالواقع حسبما يزعم المتعذر لنفسه ، منقطعة ، اى يقطعها الله بابطاله لها فتجىء اعذاره لاغية ، فتحرق ، اى الانسان اى تطلب ، من امرك ، و الامر كناية عن العمل الذى يتناوله الانسان فى حياته ، ما يقوم به عذرك ، قيام العذر معناه رسوخه و ثباته و صحته ، و ثبتت به حجتك ، التى تدلى بها امام ربك ، و خذ ما يبقى لك ، وهو العمل الصالح ، مما لا تبقى له ، وهو ما تأكل و تشرب و تلبس و تأنس به شهوتك فان هذه الامور لا يدوم لها الانسان بل لا بد من أن يفارقها مرغماً ، و تيسر لسفرك ، اى تهيأ لسفرك من الدنيا القانية الى الآخرة الباقية ، و شم برق النجاة ، شام البرق اذ المحو العبارة كناية عن التسبب بما يوجب النجاة للانسان من الاعمال الصالحة ، و ارحل مطايا التشمير ، يقال فلان رحل مطيته اذا شد عليها رحلها الميركب و المطايا جمع مطية و هى الدابة التى تمتطى للركوب و التشمير هو جمع الانسان اطرافه ليجد فى عمله وكذلك العبارة هنا كناية عن بذل النشاط فى تحصيل المقصود الصالح :

وهنا يجب ان نذكر وظائف المصلحين للاجتماع ووظائف الافراد فى مقابلهم: فنقول

فى وظائف المصلحين :

كانت جوامع البشر وكان على رأسها فى كل عقد من عقود حياتها هواة اصلاح فان التجارب القطعية قاضية بأن ناشئة الانسان ومهما وجدت من معدات النظام الذى خلقت له او الذى لا بدان تسير عليه حتى تستطيع ان تحيى و تعيش فانها فاقدة للتدرب عليه و المشى معه الا بمعلم قدهذبته التجارب و ادبها حتكاكه بعقله و قومه موازين العلم الناضج ايماء تقويم : و لا يقوم بهذه المهمة ارباب النفوذ الذين ماشوا الدهر بحب التغلب على الناس و قهرهم على الاذعان لهم من دون أن يشفعوا ذلك بحفظ حقوقهم و ضمان السعادة لهم كما أعرب عن ذلك خليفة اسلامى مهم فى حينه حيث قال ما قاتلتكم لتصوموا او تصلوا

ولكن لأننا مر عليكم في حال ان الموقعية الزمنية لوأجازت له ان يعرب عما في نفس جميعاً لجاء عنه من الهنات ما هو اعظم من ذلك بكثير كما جاءت عن سبقه في الحكم قبل ادوار الاسلام وعمن لحقه من ملوك وخلفاء :

بل وفوق ذلك بكثير نرى في حكام هذه العصور التي تشدق فيها العلم وأبرقت الصنائع وارعدت من هو أسوأ حالا من الطفل العزيز على والديه حيث يدفع به الادلال الى ان يتناول من مدفوعه ويضعه في فمه ووالداه يقيها ان يعتزازاً به وترفيهاً عليه ولو ادى بذلك الى مثل هذا السقوط: وعليه فنرى الدولة الجبارة المتحضرة ذات العلم والصنعة تهتد مثلها في العظائم بانها اعدت من الصواريخ ما يكفي لآبادة طرفها ومهما عظم مقاماً وكثر افراداً واجناداً وتعالى رفعة وكثر علوماً وصناعات في اقل زمان: فأين عن مثل هذا المغرور عقله العلمى الصنائعى حين فاه بتلك الكلمات الموبقة المغرقة في التوحش فهلا ردع ضميره المنعقد على هذه الطوية الفاسدة والنية السيئة وقال له ان العلم جاء لخدمة البشر لا المحققهم والصنعة انما تدولت لتأمين رفاهه وتحسن حياته وتقويم اوضاعه لالاتلافه وسحقه واعدام الوجود باسره اذن فليس الاصلاح مما يتوخى من هؤلاء العفاريت بل ولا من كل ذى سلطان الا اذا كان مثالياً وانساناً روحياً وذلك لم يوجد في افراد البشر الا لقليل حكموا سنين محدودة من ملايين السنين التي تداولها الحكم البشرى: والمصلحون فرق لافريق واحد وان كانت الغاية من الاصلاح للجُميع فذة :

(الفريق الاول) العلماء الروحانيون والوظائف التي أعدوا انفسهم لتحملها تقضى عليهم ان يخدموا جامعة الانسان لان يخدموا انفسهم بتحصيل العظمة لها ولو كانت مصنوعة مرتجلة : وخدمة جامعة الانسان من هذا الفريق لازمها ان يكونوا متقاربين في القلوب وان اختلفوا عقيدة فان الاختلاف العقائدى لا يكون - اولا - الا في الفروع والجزئيات ويستحيل ان يختلف العاقل مع العاقل والعالم مع العالم في الاصول الكلية لان كليات المسائل وامهات المطالب التي هي العضو الرئيسى في مادة حياة الانسان ومعناه غير قابلة للاختلاف الا ان ينحاز عالم بنفسه لهدف الافساد وتشتيت الجماعات - وثانياً -

حتى لو حصل في الفروع لا يجوز ان يكون مولد عداً و فتنة فان العلم من روابط الاتصال لامن دواعى الانفصال - و ثالثاً - حصل بين العلماء نزاع فى فرع و اختلاف فى مسألة فما دخل ذلك فى توزيعهم الناس اوزاعاً و جماعات حسب توزع آرائهم فى المسألة : أليس من المهازل ان نرى مثلاً فى الشيعة الامامية الاثنى عشرية أحبارها عدواً لاصولها ولا ينظرا حدهما للاخر الا بنظر حاقد مكمد فماذا ترى الحال تكون بين الاسماعيلية والامامية وبين الزيدية و بينهم و بين السنة و الشيعة و بين المسلم و النصرانى وهلم جراً فى الباقين :

لكن لا ريب فى ان هذه الحواجز بهذه الشدة الملموسة انما اوجدها القائمون بالديانات بعد رحلة المشرعين عنهم حتى انك لاترى عالمين من فضيلة واحدة متحابين ولا بد أن تنهار به نفسه فيخلق للناس مراماً يدعوهم اليه حتى يكون اماماً وصاحب طريقة فهذا الهوى النفسى هو الذى وزع الناس وصيرهم اشتاتاً :

(الفريق الثانى) الاساتذة والمعلمون والوظائف التى تحملها هذا الفريق وفرضها على نفسه بطبيعة مهنته وطابع عنصره هى توجيه الافراد الى منابع الخير والبركات و هو العلم ، والوجهات العلمية وان كانت كثيرة الا ان الغاية العامة منها واحدة وهى الاستطلاع الى الخفايا الكامنة فى العقول اوفى الطبيعة لا استثمار تحسن الوضع البشرى منها : و هذا الفريق لوقام بمهمته كما هو موظف به لما رأيت فى الدنيا هذا الارتباك المزعج و الانحراف الواسع لكنه جعل هذا العلم الذى به حياة النفوس مدعاة لاغوائها وطريقاً الى تلفها فأخذ يكثر التعليم فى الرذائل بصبغة انها فضائل و يخلق من طريق العلم مواد لتلف الجوامع وفوق ذلك كله انه لا يرى مقام عالميته الاكدكان لا يستهدف منه الا جمع الدراهم :

اما انه اكثر من تعليم الرذائل بصبغة انها فضائل فانه اخذ يحور معنى الحريات الصادقة الى معنى دنىء ساقط وهو دعوته الافراد الى الاستهتار والخلاعة والتبذل الممقوت ويريه ان ذلك هو الحرية المنشودة للنوع واول من يبدأ بها عمالهاو باعتبار انه استاذ تناسى به تلاميذه علماً و عمالهما هو على كافة مستمعيه امر الله و شرائعه وانبياءه و حبيب

اليهم المادة الجافة فكان من نتيجة ذلك اندلاع وحشية عامة و ضراوة قوية فى كافة الافراد كما يراه كل انسان عياناً :

واما انه خلق من طريق العلم مواد لتلف الجامعة فانه جمع قواه وما أوتى من حول علم و قوة عقل فى اختراع ما يبئد البشرية بأجمعها و اقرب شاهد عليه تولعه با لذرة بداعى انها افتك مادة فى محق البشرية فهو يقوم بهذه الاعمال التى اخذت على عاتقها سحق كل شىء ثم يدعو الناس الى تحريم استعمالها فما أحقه اذن بقول من قال :

القاء فى اليم مكتوفاً و قال له اياك اياك ان تبتل بالماء

وبعد هذا فلا ترى دور المعارف فى كافة مما لك الدنيا الامناجم لاستخراج الشر و انتاج الوحشية المطلقة و الا فهذه الكثرات المهمة من كليات و ثانويات ومدارس ابتدائية و كتب متنوعة و تسليحات علمية و افرة لو كان لها مصرف واقعى فى عالم المعنويات لرأينا الدنيا اليوم كالوردة اليانعة لاترى منها الامنظراً بهجاً ومخبراً نافعاً وانشراحاً وافيًا :

(الفریق الثالث) الكتاب والمؤلفون والوظائف التى تحملها هؤلاء هى عين الوظائف التى فرضها على نفسه الاستاذ والمعلم ولكن بصورة ادق واوسع بل انما كتب الكاتب والمؤلف ليحشرا أنفسهما فى زمرة الخالدين فكان من لازم الكاتب والمؤلف ان يفعم كل ما يكتبه ويؤلفه بالحريات الصادقة ففكر أو قلما فلا يكتب الاماتذ عن به نفسه المتحررة المتعلمة ولا يهدف فى ذلك غير خدمة النوع بما استطاع انتاجه بعدمزاوات ومحاولات تجريبية علمية فلو كان المتاع الكتبى فى الدنيا طبق هذه الصورة لمارأيت فى أبنائها عوجاً و لا اهماً و لكن يا للأسف لا نرى فى الكتب والكتاب الآخلاق ما يفرضه المنطق فعاش جملة منهم على اجارة افلامهم كالتائحة بالباطل لاتقول القول الا عن رغبة غيرها وعلى مما شاة الهوى النفسى المنحط كما فى نوع الكتب الروائية المغرية بالجهل او على الانتصار للزرعة الطائفية البغيضة كما فى جملة من الكتب الحديثية والكلامية او على نصرة الانتهازيين وتحقيق خطنهم او نزولاً على حكم الوهم والخيال

كما في كل الكتب الخرافية و هلم دواليك فلم يبق من ملايين الكتب والنشرات الا عشرات ايدها العلم و اقرها المنطق واستفاد منها نخبة من افراد الجامعة ونوهت عنها الافكار الحرة والافلام الثرة .

(الفريق الرابع) الشعراء : الشعر ابلاغ وسيلة لضبط افكار الناس وضم شوارد عقلياتهم وهو احد سلاح للحكيم الذي يحاول تركيز دولة فكرية صحيحة مكان دوله قشرية متفككة لان جيده يحفظ لاول مرة من سماعه وتأثر به النفس دفعة واحدة ولا تزال الاشداق تكرر مضغه كما تكرر الاضرار سحق الطعام الشهى فهذه الحربة القوية يجب ان تقع بيد حر - اولا - عالي النفس والتفكير - ثانياً - همه وهدفه الاصلاح وابقاظ الهمم واستفزاز العواطف الانسانية - ثالثاً - وان يكون مقصده النهائي خلق جامعة مثقفة ترود الحقائق خدمة للحق وتطلب المعالي بالعمل الصالح والفعل البرىء عن المظالم و الاهواء - رابعاً - الا ان صدف السوء كما اخلفت ظنوننا في جملة من مجارى الرجال أخلفت ظننا في هذا المجرى ايضاً فنرى الشاعر الملهب اما اجيراً للاجلاف والظلمة او شهوباً ساقطاً بالمرّة او هجاء خبيثاً لاتهدأ فورته ولا تبوخ نهمته الابعيب الناس وقرض أعراضهم ولم نرفى رغيل الشعراء على تراص صفوفهم فى مجامع الزمان ما ينجع فى القضية الاخلاقية العامة الاطرافاً منزوراً تلقته الجوامع المثقفة اكثر مما تلقت به آراء الفلاسفة العظام لثقته على الروح وقبول النفس له بمرح وفرح متكاثرين :

(الفريق الخامس) الوعاظ والخطباء : الواعظ اذا كان على طبق الشرط وهو أن يخلق من الناس ارواحاً حية بالعلم طرية بالمعارف مشبوبة الحرية نزاعة للخير المطلق والعدل العام كان أعظم من كل مصلح يفرض لاتساع هدفه وقيمه فى نفسه واناطة السداد والخطأ بسداد وخطأه اذهو يواجه الجميع ويلقن العاجز حجته والعامى مذهبه وطريقته ويعرف القديم و الجديد بمالهما من حسنات و ما عندهما من سيئات كما ينبه الازهان الى ما فيه سعادة البشر من كافة الجنبات ولهذا اتسع نطاق الشرط فى الواعظ المصلح فكان من لازمه :

-اولا- العلم المتنوع على اساس الدراسة المتقنة حتى لا يجرجه الموقف من متعرف

بدينه يسأله عن المسألة الفقهية او الكلامية او الحديثية او عن آية قرآنية او فصل من فصول الكتب المنسوبة للديانات ككتب العهدين و نظيرها او باحث يحاول افحامه في المحافل المكتنزة بطرح مسألة عقلية او طبيعية او رياضية و ما شا كل ذلك فان لجميع ما سلفناه دخلا في تقويم بنيته الخطائية الا ان الاجتهاد في ذلك كله ليس بشرط بل يكفيهِ الامام المتقن :

- ثانياً - الاعتقاد الجازم بما ينطق عنه ويدعو اليه فان المنافع لاثنا عشر لدعوته ولا بقاء لخطئه و سرعان ما يقتضح ومن لازم هذا الشرط ملازمته للعمل بما يقول و اصراره الجدى على ما يدعوا اليه و صموده امام فكرته و حريته البالغة حتى في الحروف المعدودة من منطقته :

- ثالثاً - ان يكون اميناً مع الناس فلا يحاول الاصلاحهم ولا يريد الانفعهم ولا يتوخى الا تحسن اوضاعهم و اعتدال اخلاقهم و تمشيتهم على الجادة التي يريدھا الله والمنطق :

- رابعاً - ان لا يكون متاجراً بوعظه فيسبقه هواه الى تحصيل الدرهم بل يعد نفسه من خدم الجامعة و سدنتها حياً لاحقاق الحق و تعميم العدل و نفوذ الانسانية المطلقة في العموم و هو حتماً من وراء ذلك ينوش رزقه و يؤمن احتياجه المادى :

- خامساً - ان لا يطلب بمنطقه و نهج دعوته رضاء العامة و مماشاة ميولهم فيجعل الحقائق محكومة لاهامهم بل يجعل وجهته الحقيقة فقط و يختص بالدعوة اليها و يصر على تركيزها بشتى الاساليب في ادمغة العوام مكان الخرافات و الاوهام :

- سادساً - ان يبين لهم ان الدين كما هو الشرط الاساسى و القاعدة الثابتة للحياة الصحيحة بحيث لا يستطيع ان يعيش الفرد عيشة هادئة ضامنة للسعادة و احترام الحقوق بدون حكومته كذلك يلزم ان تكون رعايته و القيام عليه و السهر على صالحه من وظيفة الافراد لامن و وظيفة الله فقط : نعم الله في عون العبد مادام العبد جاداً في طريقه : فهذه الشرائط من اوازم الواعظ : ولكن مع كل الاسف لم نجد في جملة الوعاظ من جمع شرطين او ثلاثة من هذه الشروط و لذلك قلّت النتائج عنهم و لاثرا الاهمال على الناس

- ونقول في وظائف الافراد في مقابل المصلحين-

ان الاصلاح من المعاني الاضافية فكما عرفت ما هو اللازم في طرف المصلح لا بد ان تعرف ما هو الضروري في طرف الافراد الذين يواجههم المصلحون فان من المستحيل ان يواجه المصلح فرداً لطلب اصلاحه وطرفه فار منه بعيد عنه وشرط الفرد الذي يرام اصلاحه عدة امور :

(الاول) ان يكون حاضراً لتلقى المعارف من حكيم يزوده بها لاجل حفظ حياته وتأمين بقاءه وصون حقوقه فان الذي يهوى ان يعيش لا بالياً شأن الطريقة والسفلة الذين يعمدون الى الاهمال والتسيب ويقصدون مواقع البؤس والشقاء والتذبذب لا يكون بصدد التفهم عن المصلحين و التعلم من الاسانذة المدربين الا ان هذا الفريق في الناس قليل جداً لان التذبذب لاهياة معه والانهيار لبقاء فيه وجملة الناس يريدون حياة منظمة وعيشة راضية :

(الثاني) ان يساند العقليات الصحيحة بالعمل الصارم والانقياد الجالب للتوجه حتى يبعث اسانذته الى الشوق في سبيل التعليم والمغامرة في طريق التوجيه ويعطى من نفسه امارات مكشوفة لهواة الانحراف و الدجل و استغلال بنى آدم انه لا يجعل على نفسه مساعاً لكل من يريد به سوءاً وللحقيقة هضماً فان الذي لا يهتم من هذا الشرط شيء يستحيل عليه ان يحتفظ بحياته التي يرومها لنفسه كما يروم ذلك كل حي عاقل لان تساهله يدعو الى انهياره لتقلص ظل الاستاذ عنه وتكالب هواة الانحراف والدجل عليه وعلى امثاله ممن لا يلمسون فيهم همة الدفاع عن حقوقهم وحيثياتهم :

(الثالث) ان يدرك ان هضه الحياة محاطة بابتلاآت جممة منشأ الغالب فيها نفس الافراد المنشعثة أهواؤهم المختلفة ميولهم وان احراز الحياة الصحيحة لا يكون الا بعاملين قورين العلم والعمل به وبدون ذلك لا تيسر اياة حياة تفرض والقيام بكلا العاملين من ناحيته سهل عليه بعد أن يرصد لهما نفسه ! اما العلم الذي يراد له ولا مثاله فلا مزاحمة فيه لاوقات كسبه بل وكافة أشغاله فان كل انسان بعد أن يجد المعدات جاهزة لديه في اصل الخلقة لا يعود في حاجة الا الى تنبيه خاطر والفت نظر واما التمرين والتوسع

فى المعرفة فهو موكول اليه لسهولة الاستنتاج من هذه المقدمات عليه فان نوع العلوم النظرية طبيعية كانت ام رياضية ام اجتماعية و اقتصادية مأخوذة عن تكرار التجربة و معاودة النظر فى الشيء و ان كانت العمليات لها الدخل فى ذلك الا ان دخلها فيه بطور نظارة عليه و تكبير العقول و توسع دوائرها انما يحصل بالاستمرار على الفحص و المثابرة فى التجسس عنه : و ليس عندنا من العلوم ماله منبع آخر سوى السمعيات على ان تشقيها و تطبيقها مرجوع به الى العقل ايضاً و قد عرفت كيفية ارتباط العقول بالمواد الخارجية التى هى المنشأ لنوع العلوم بخفارة المشاعر و الحواس الموجودة فى الانسان عفواً بلا كسب و منة بلا بذل مؤنة :

وقد ألفت القرآن نظر الانسان الى ذلك حيث يقول : قد دخلت من قبلكم سنن فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين - آل عمران - أفلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها و آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار لكن تعمى القلوب التى فى الصدور - سورة الحج - هو الذى جعل لكم الارض ذلولاً فامشوا فى مناكبها و كلوا من رزقه و اليه النشور - سورة الملك - الى غير ذلك مما هو كثير فى الكتاب العزيز على انه الفات نظر الى طرف من منابع الاستفادة و الاعتبار فان جميع زوايا الكون فى السماء و الارض فى الحيوان و الانسان و النبات و الجماد و جميع ما ينبت الى ذلك من حركة و سكون و فعل و انفعال و خلق و عادة محشوة بمبادئ التعلم و المعرفة للمتجسس الذى ينظر الى الشيء نظره استفيد متميز لانظر عابر مستطرق و كل ما يراه الانسان فى مضامير القرن العشرين من علو فى الصناعات و الانتاجات و دقة و كثرة فى العلوم كالفيزياء و الكيمياء و الهندسة و الحساب و ما الى ذلك فانه نتيجة التبصر و حسن الالتفات الى ما فى بطون الطبيعة و ظواهرها و ليس ابداعاً صرفاً او ايجاداً من غير سابقة وجود :

و اما العمل فان العلم باى شىء يفرض لاقيمة له الا بالعمل بل العلم اصولاً من المقدمات التى يتطرق اليها بداعى العمل و استحصال النتائج فاذا لم يصدق الانسان فى قوله ولم يرفق باخيه ولم يخجل مما لا يليق بالعاقل ولم يعن على النوائب ولم يصن عرضه و عرض غيره ولم يتخذ الادب خطة له فى حر كانه و سكناته كان اول شقى يفرض

واشخص بأئس يتصور حتى لو كان علامة في علمه :

ولم تسترذل الامم البائسة لنقص في قوانينها وعوز في معارفها ولكنها استرذلت حيث فقدت الاجراء والعمل بالقانون وتكفي مواد قليلة لاقامة امة مستطيلة اذا كان سائقها الاجراء ومحققها التنفيذ : وانك لانجد مزيداً على ما تجهز به هذه العصور من كتب ملاءم رفوف البيوت ومجلات كثيرة الانتشار وجرائد ونشرات وناطقين ووعظة الى ما هو رديف ذلك لكنها لما تحرفت ذلك للشندق وتلبست به للتعاطم وفقدت جنبه العمل رأيت فيها ما يسوء كل انسان فلا اعراض بريئة ولا نفوس شريفة ولا اوضاع معتدلة ولا خواطر هادئة بل كل ما تراه نهب وسلب واعنات وارهاب حتى لا يستطيع المتحذران يؤمن نفسه ويصون عرضد ويقطع اوقاته بشيء من الهدوء فأفة الانحراف العملى هو ذلك وفوقه بكثير :

فالأفراد اذا لم يتخذوا من وعظ الواعظ واصلاح المصلح وهدى الهادى برنامجاً عملياً يسرون عليه في عاداتهم واجتماعاتهم ومعاملاتهم لا يعودون حافظين لوجود المصلحين - اولا - لان المصلح انما يقض النظر عن اتعابه اذا استثمر منها ثماراً تهون عليه المشاق فاذا فقد الثمرة اخذ الى الراحة : ولا واجدين الرفاه الحيوى - ثانياً - فان الحياة لا تيسر الا بالعمل المطابق للبرنامج العلمى :

و لنختم ما اسلفناه بالكلام على علل فساد الجوامع وطرق اصلاحها : فنقول : يعتقد جملة من الاغرار ان فساد الجوامع واصلاحها منوط بالله تعالى وانه اذا شاء ارتفع الفساد وتركز الصلاح وحيث لم يشألم يبق مجال لتوجيه اللوم على الافراد فى انتكاث جملة منهم على الحق مع تشخيصهم له وقبوع جملة آخرين فى خبايا الزوايا يكبرون و يسبحون حاسبين ذلك أحد سلاح لهم فى مبارزة الظلم والانحراف : كما وان جملة آخرين من الاغرار ممن لا يعيرون وراء الطبيعة نظراً عالياً يعتبرون ان الصلاح والفساد من آثار النفوذ المسيطر فقط وان الناقد اذا صلح صلح الناس تبعاً له و اذا فسد فسد الناس كذلك وان تحرق الاحرار والمتنورين لقيمة له مع فساد النفوذ المسيطر وصلاحه :

لكن الحقيقة وراء ما يعتقد هذان الفريقان والدليل على خلاف ما يعتقد الاول منهما ان ترى الانبياء على طول سلسلتهم مع الزمان وعلى انهم موظفون من ناحية الله خاصة

فى ارشاد الناس وتركيز احكامه فيهم ام يدرجوا مع الحياة الامدرجاً عادياً شأن غيرهم ممن يعالج امراً ويروم تحقيق مرام فيجدون الجد كله فى تركيز حقيقة مكان وهم وحق مكان باطل وتخفق مساعيهم جابها اوكلها اذا ابى الناس اصاخة لهم و اذا حصلوا طائفة مؤمنين حاربوا بهم كحرب الناس بعضهم لبعض فتارة ينتصرون وفى اخرى ينكسرون وليس فى مسيرهم على طول الخط ما يلفت النظر من طريق ماوراء الطبيعة بحيث يكون هو المعزز لهم لالسيف وهو الفاتح لالتصميم الجدى :

وهذه سيرة نبي الاسلام اقرب كل حديث منّا وكل حر كاته و سكناته شاهدة على ذلك فى التصميم الجدى من اصحابه ينتصرو فى تخاذلهم ينكسرو فهو قضى عمره فى غزواته مرة له واخرى عليه حسب المقاييس الموجبة للانتصار و الانكسار فى سائر بنى آدم بلا ادنى فرق ولو كانت القوى الغيبية لها دخل ظاهرى فى ذلك لامتاز على غيره بفروق واضحة فى حال انه ليس من ذلك شىء بحسب الظاهر المكشوف :

والدليل على خلاف ما يعتقد الثانى ان القوى المسيطرة ومهما فرضناها معتدلة الخطة ليس بها ان تحق الحق لكافة اهله وان تبطل الباطل فى جميع ماتحت سيطرتها لعدة نواحي (الاولى) انها فاقدة للقوى المتغلغلة فى كافة الافراد وذلك لعجزها المالى عن استخدام ما يسد هذه الثغرات كلها حتى فى القرى الصغيرة (الثانية) ان ذلك يحتاج الى تركيز المحاكم فى كل مكان حتى فى البوادي و ذلك متعذر عليها لمحدودية الصالحين للقضاء اولاً ولعجزها ايضاً عن استخدام ما يقوم بهذا التكافؤ (الثالثة) ان احقاق الحق وابطال الباطل لا يكون جزافاً بل يحتاج الى شهادة شهود واقامة بينات واستفادة من اهل الاطلاع و اذا كان الناس فى الاعم الاغلب فاسدين وعن الفضيلة منحرفين لم يكن للشهود وزن ولا للبينتة قيمة لتسرب التهم القوية اليهم فلا يعود القاضى يعرف صدق الشاكى من صدق المدعى عليه حيث ينكر الى ما سوى ذلك من علل كثيرة : اذن فليس صلاح القوى المسيطرة وحده كافياً فى صلاح المجتمع و ان كان دخيلاً كل الدخالة فيه ولافسادها مميتاً لروح الانسانية من الناس اذا كانوا صالحين و ان كان كسابقه مؤثراً فى سير المجتمع قطعاً :

فالحق ان منشأ الفساد والصلاح هم الناس بما هم ناس من دون تشقيهم الى امة و حكومة فان افراد الحاكمين من آحاد الامة و مسيرهم حتى في دوائر استخدامهم مبعوث عن كوامن اخلاقهم لا عن القانون الذى يظن انه محدد لحركاتهم وسكناتهم و انه ملزم لهم بالسير على طبقه فان القانون الصحيح فى حاجة الى مجر صحيح و الآ وقف فى مكانه من دفتى الكتاب الذى حرر فيه لا يحق حقوا لا يبطل باطلا

هذا ولانقول للفريق الاول ان الله مهمل لامرعباده - كما يدعى ذلك بعض الفرق البائدة من المسلمين- بل نقول ان الله مع قدرته الكافية على ان يجعل الناس كلهم مهتدين بالقسر والالغاء لم يعمل قدرته فى ذلك بل انشأ هذا الكون كمدرسة للكائنات وجعل انتخاب معلميها والاعدادات القوية لتلاميذها على عهده فارسل من وسط الناس افضأذاً فى طهارة ضمائرهم وعفة انفسهم وحبهم للخير المطلق لمطلق الانسان وكدهم فى طريق التعليم خدمة للعلم واهله ونزولا على مرضاة الخالق الذى ائتمنهم وحملهم عبئاً ثقيلاً حمله عظيماً شرفه كما ابدع فى كافة البشر مدركات باستطاعتها فهم كل ما تعالجه واعضاء يهون عليها القيام بما تنجزه تلك المدركات وهذا المعنى غاية فى تدبير الخلق وتعيين مصيره ومستقبله: اذن فلنبحث عن علل الفساد وطرق الصلاح : اما علل الفساد فهى امور جملة اهمها.

- (١) الاعتناء بالنفس وتهوين حقوق الاغيار وهذه النفسية هى التى زرعت البغض فى الناس بعضاً لبعض وشتتت العناصر و خلقت الطائفيات و قامت بالاختلاف الطبقاتى الفاحش وهى التى جعلت الانسان لا ينظر الى اخيه النوعى الا نظر استغراب واستيحاش بل هى التى جعلت كل انسان - الا ما شذ - غير مهتم الا بخاصة نفسه و لا طالب نفع الا لذات يده وفى هذه الروح من الضراوة والسبعية والحقد ما لا يوصف:
- (٢) عدم الاعتناء بالقانون العام القائم بحفظ النظام فنرى من مهونات اللوصية واقتراف الجرائم على الانسان وجود من يتشبث به فى الشفاعة عند المسئولين: وهذا هو الذى خلق الاشرار فى الناس وجرأهم على ارتكاب الخطيئات :
- (٣) الاتكال على اللباقة والحيلة والخداع فى كل امر من الامور ومع كل احد

حتى الزوجة والاولاد وفي هذا من عدم الاعتماد واخذ الحذر من كل انسان في قبال اي انسان يفرض ما نرى اثره في عموم الافراد:

اما طرق الاصلاح فهي موقوفة على ان يعلم الانسان بالتأمل والدقة ان ما يحاوله من طول عمر في هذه الحياة واحراز سلامة في المزاج وسعة في ذات اليد ومصونية شرف ومال مربوط تمام الربط بالنظام الصحيح وانه اذا تخلى عنه هذا النظام وقع في حرج شديد ومهما اوتى من حول وطول فلا تراه الا خائفاً على حياته مشكوكاً من ناحية سلامته مرتبكا في حفظ امواله متعباً في المحافظة على شرفه وناموسه قلق الوساد مضطرب الفكر كثيراً التخوف :

فاذا كان النظام الصحيح هو الرابط الوحيد لحياة الانسان والحجر الاساسي لاصل الحياة جاء لزوم تهذيب النفس الى الميدان اذ كل نظام يفرض اثر من آثاره وقبس من ناره : ولتهذيب النفس مقامات والتفاوت الذي بينها عظيم جداً قرب تهذيب لها يؤهلها لمقام النبوة ! لان هذه الرياضة غير متأتية لعموم الطبقات لما فيها من مماثلة النفس ومحاولة القدرة عليها بما لا يقوم له الا البطل المغوار في جهاد النفس :

واللازم من التعلم قبل التعرف بكل فن هو درس الاخلاق والآداب والفضائل باتقان ومضغ مفاهيم السوء من الاخلاق والحسن مضغاً جيداً : وكما لا يجدى التنسك والتعشق من غير معرفة كذلك لا تجدى العلوم الاخرى من منطق وفلسفة وطبيعيات ورياضيات من دونها : انزب باقعة في علوم الطبيعة ساقط في أخلاقه جلف في حركاته وسكناته ولا بدع في ذلك اذا قرى بين علم الاخلاق والهندسة ولا ربط للفضائل النفسية بالعلوم الطبيعية : واقوى دليل على ذلك ان اكابر المكتشفين للمواد المدمرة لو كانوا اخلاقيين لتخرجوا من اكتشاف كل ما فيه خطر على البشر تورعاً واحتياطاً : لكنهم لما انطوا على ارواح فضة وعواطف متحجرة وانفس مظلمة وجدوا من الغبطة ان يقال في حقهم انهم اخترعوا من القنابل الذرية ما يكفي لآبادة النوع كله وقلب الوجود الى العدم واستئصال الحياة بحذافيرها .

و من هذا النفق المظلم تسربوا الى ضعفاء بنى آدم با لتغلب عليهم و اذا قوهم

من طريقه كل ويل وثبور بالرغم على ما اكتضت به ممالكهم من دور معارف و افذاذ
فى انواع العلوم : هذا بعض الحديث عن علل الفساد فى الجوامع وطرق اصلاحها :

كيف يجب ان يكون الزعيم المخلص

السلطنة على اى شىء يفرض تستلزم مسؤولية السلطان فى قبالة فالسلطنة على
المال تقتضى حسن النظر فيه وبذل العناية فى صونه ورعاية الاستثمار الصحيح من طريقه
وبذله فى مصارفه الجديرة به حذراً من صرفه فى التوافه او امساكه و تجميده لؤماً و
خسة اذن فلا الاسراف والسفه بمستحسن ولا التقدير والامساك بأمر حسن وكلاهما خلاف
ما تدعوا اليه السلطنة المعقولة المقبولة :

والسلطنة على العيال توجب حذب العائل عليهم وتديره لهم و حسن قيامه عليهم
بما يتكفل مصونية كل واحد منهم و مقتضيات القيام على الزوجة غير مقتضيات القيام
على البنت : وعلى الولد الذكر غير ذلك : وهلم دوا اليك ، والغاية تسيير كل واحد من هؤلاء
فى حياته بما يضمن له السعادة حسب المقدور حتى يخرج العائل من عهدته المسؤولية
اللازمة فى قبالة من يعول به :

و السلطنة الشرعية على الناس خطرهما عظيم و مسؤوليتها على المتصدى لذلك
مهمة وعبأها عليه ثقيل والخروج من مسؤولية وظائفها أعظم و أهم ذلك لان المسيطر
الشرعى يعول بجميع من يدخل فى حوزة سلطانه و من وظيفته ان يراعى الامن فى
الجميع والعدل بين العموم والنظام الكافل بمصالح الافراد والجنبة الاقتصادية للقريب والبعيد
والخامل والناهب والنشيط والعاجز وصيانة الجميع من تعدى الاجانب عليهم ومن تعدى
بعض على بعض حتى يتخلل نظامه هذا الى بطون البيوت والقرى و الاطراف و الثغور
والحدود و تصوير هذا المعنى صعب ثقيل شاق فى نفسه فضلا عن تطبيقه بحقه ولم يمش
على هذه الشريطة جهد المستطاع الا الانبياء وخلفاؤهم الاعاظم حيث ثنيت لهم وسادة
الحكومة بين الناس والسلطنة عليهم واستطاعوا ان يهدوا عروش الطغاة ويتسلموا ازمة
الحكم بأيديهم و لم يتم لم ذلك الا بعد سلسلة مبارزات عنيفة و اجهوا بها المتعنتين

من المتغلبين ورياضات شاقة قاموا بها تجاه أنفسهم فجردوها عن كل راحة و صرفوا كل عنايتهم في راحة الناس و استقلالهم و لا تسل عن أنعا بهم في سبيل ذلك و تحملهم المشاق المجهددة لتسهيل الحياة على الناس و لا يقوم بفضلهم على المجتمع شكر بلسان او حب غامر لحيات الجنان او تعظيم و تجليل بالجوارح والابدان .

و قد اعرب امير المؤمنين عليه السلام في الفصل اللاحق عن طرف مما قدمنا له فقال (ج ٢ ص ٣٧٠ من النهج الحديدي) فتأس بنبيك الاطيب الاظهر عليه السلام فان فيه اسوة لمن تأسى وعزاء لمن تعزى واحب العباد الى الله المتأسى بنبيه والمقتص لاثره فضم الدنيا قضاوم يعرفها طرفاً هضم اهل الدنيا كشمها واخمصهم من الدنيا بطنا عرضت عليه الدنيا فابى ان يقبلها وعلم ان الله تعالى ابغض شيئاً فابغضه و حقر شيئاً فحقره و صغر شيئاً فصغره ولو لم يكن فينا الاحبنا ما ابغض الله ورسوله وتعظيمنا ما صغر الله ورسوله لكفى به شقاؤه تعالى ومحادثة عن امر الله تعالى ولقد كان عليه السلام ياكل على الارض ويجلس جلسة العبد ويخسف بيده نعله ويرقع بيده ثوبه ويركب الحمار العارى ويردف خلفه ويكون الستر على باب بيته فتكون فيه التصاوير فيقول يا فلانة لاحدى أزواجه غيبه عنى فانى انا نظرت اليه ذكرت الدنيا وزخارفها فاعرض عن الدنيا بقلبه وامات ذكرها من نفسه واحب ان تغيب زينتها عن عينه لكيلا يتخذ منها رياساً ولا يعتقدها قراراً ولا يرجو فيها مقاماً فاخرجهما من النفس واشخصها عن القلب وغيبها عن البصر وكذلك من ابغض شيئاً ابغض ان ينظر اليه وان يذكر عنده ولقد كان في رسول الله عليه السلام ما يدلك على مساوى الدنيا و عيوبها انزعاج فيها مع خاصته وزويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته فلينظر ناظر بعقله اكرم الله محمداً عليه السلام بذلك ام اهانته فان قال اهانته فقد كذب والله العظيم بالافك العظيم وان قال اكرمه فليعلم ان الله قد اهان غيره حيث بسط الدنيا له وزواها عن اقرب الناس منه فتأسى متأس بنبيه واقتص أثره وولج مولجه والا فلا يامن الهلكة فان الله جعل محمداً عليه السلام علماً للساعة ومبشراً بالجنة و منذاراً بالعقوبة خرج من الدنيا خميصاً و ورد الآخرة سليماً لم يضع حجراً على حجر حتى مضى لسبيله واجاب داعى ربه فما اعظم منة الله عندنا حين انعم علينا به سلفاً نتبعه وقائداً نطأ عقبه والله لقد رفعت مدرعتى هذه حتى استحييت

من رفاعها ولقد قال لي قائل الاتبذها: ك فقلت اعزب عنى فعند الصباح يحمد القوم السرى فتأس ، التأسى هو الاقتداء والمتابعة ، بنبيك الاطيب الاطهر صلى الله عليه وسلم ، فان التأسى بالتبى من لازم الاعتراف بنبوته والتصديق لدعوته . والافصرف الاعتراف به لساناً يكون من الالفاظ المجردة التى لاقيمة لها ، فان فيه ، من جميع وجوه الخير والصلاح ، اسوة لمن تأسى وعزاء ، اى تسلية ، لمن تعزى ، فى الامور التى لانهضم الامن طريق التسلى و صرف النظر ، واحب العباد الى الله المتأسى بنبيه المتقص لاثرة ، اقتصاص الاثران يكون مشى اللاحق على آثار مشى السابق وهو عبارة اخرى عن المتابعة و الاقتداء ، قضم الدنيا قضمًا ، القضم هو الاكل باطراف الاسنان للمأكولات اليابسة و انما يفعل ذلك تخففاً وزهادة والخضم هو الاكل بكل الفم للمأكولات الطرية وباعثه نوعاً الشره والنهم والمنظور من الفقرة انه (ص) انما تناول من الدنيا الشىء اليسير بمقدار ما يقيم الصلب ويدفع الحاجة :

وليس الهدف من الدعوة الى الزهد هو تحقير الدنيا وحرمان ابن آدم منها لالشىء يعقل او ان ما كان عليه الانبياء وبتبعهم المثاليون من التقشف كان عن اختيار منهم للخشونة لا الداع صحيح كما انه ليس المنظور بدعوة المكلفين الى التأسى بالانبياء والمثاليين هو ان يكونوا مثلهم فى كل حركاتهم و سكناتهم فان ذلك شاق على اكثر الناس صعب التحمل على النوع بل الهدف من دعوة الافراد الى الزهد هو الوقوف امام ميولهم العارمة و شهواتهم المتنزبة حتى لا يكونوا فى اوساط الحياة اضرى من الحيوانات الكاسرة فان الانسان اذا ترك و هواه جاء شبيه المجنون و نظرة عابرة فيما كان عليه اللا ابايون فى السابق وما عليه اناس هذه العصور فى اللاحق كافية لاستعراض الفرد الانسانى بصورة حيوان مهمل يضرى به الناس من كل جانب فلانراه فى الشوارع والمعابر الالهائما طائشاً لا تحدد خطواته بشىء اصلا:

والهدف من تخشن المثاليين ورياضتهم العالية هو نصبهم لانفسهم اعلاما يهتدى بها فان المقتص لاثر القدوة انما يترسم بعضاً من خطواته و يتأسى بشىء من اخلاقه هذا اذا كان ما الكا لزام نفسه والا كان اقتداؤه به بتمجيد سيرته و تجليل شخصيته لا اكثر كما عليه نوع

الناس الذين يعطون الحقيقة حقها من التقدير لساناً واما اعمالهم فلا تنطبق على برامجها أصلاً: وجميع ما يقرؤه القارئ من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية والآثار العلوية في الزهد وتحقير الدنيا والدعوة الى الاعراض عنها لا يراد منه إلا الممنا البيان عنده وهو تحديد نزوات النفس والتوجه الى دعوة العقل والتمسك بشيء من المثل والاقتداء بالمثاليين العظام مهما أمكن : وهذا الاصل مما يطبق عليه عقلاء الاجتماع اعترافاً وان كانوا في مراحل العمل متساقلين عنده الامن اوتى حوصلة واسعة والتفاتاً الى معنوياته اكثر من المعتاد . ولم يعرفها طرفاً : يقال أعاره طرفه اذا نظر اليه قاصداً معنعاً في قبال النظرات الخاطفة والمنظور بذلك انه **تعالى** اتخذ الدنيا معبراً تناول منها قدر حاجة العابرين المستطرق لا الماكث المتمهل ، اهضم اهل الدنيا كسحاً ، الكسح هو الجانب وهضم الكسح نحوله من طريق الاعراض عن تربية البدن وعدم التوجه الى موجبات السمن ، و اخمصهم من الدنيا بطناً ، خميص البطن ضامرها بعلة التقلل من الطعام ، عرضت عليه الدنيا فابى أن يقبلها ، لان المقبل على دنياه لاحظ له من ضميره ولامن المعالي التي تراد لكبار العقول والضمائر ، وعلم ان الله تعالى أبغض شيئاً فأبغضه وحق شيئاً فحقره وصغر شيئاً فصغره ، بغض الله للدنيا وهكذا تحقيره وتصغيره لها لانه لم يعتبرها بالمرّة لان ذلك نقض للغرض الذي خلقها من أجله لكنه تعالى اعتبرها سوقاً يستطرقه الانسان لاجل أن يتزود منه حاجاته و يخرج منه لغاياته الاخر نعم حقر الله وهكذا اهل العقول أكباب الانسان عليها والاخلاد اليها لما في ذلك من الانجرار الى انواع الجنائيات والجرائم كما هو شيمة كل دنيوى من القديم السابق الى الحديث اللاحق ، ولو لم يكن فينا ، نحن البشر السائر ، الأحبنا ما أبغض الله ورسوله و تعظيمنا ما صغر الله ورسوله لكفى به شقاً لله تعالى ومحادة عن امر الله تعالى ، ولا ريب ان الانسان اذا أقبل على دنياه اقبال الشره المنهوم كما عليه القسم الاوفر من الناس كان محبباً لما أبغض الله ومعظماً لما صغر الله ورسوله لانشغاله عن الحقائق بالتوافه من ناحية ولانسياقه من طريق ذلك الى الجرائم والمعاصي من ناحية ثانية والشقاق هو وقوع كل من الطرفين في شق عن الآخر وهكذا المحادة هي وقوع احد الموجودين في حد والآخر في حد آخر ويراد من كل منهما

البعد الشاسع بين المربوب وربيه والمكلف ونبيه عليه السلام :

ولقد كان عليه السلام يأكل على الارض ويجلس جلسة العبد ويخصف بيده نعله ويرقع بيده ثوبه ويركب الحمار العارى ويردف خلفه ، المراد بالاكل على الارض هو التواضع بالجلوس عليها ليكون كأحد المعوزين من اتباعه وليس للعبد جلسة خاصة به كما يقال ولكن روحه المحترقة عنده لاحتقارها عند المتفرعين تلجئه ان يجلس جلسة خافتة خالية من كل ابهة وتقيد وكذلك كانت جلسته عليه السلام خالية من كل ما يشعر بالعظمة والتمرت وخصف النعل ترقيعه و يترفع المعتدون بانفسهم عن انتعال المرقع لكن المنكرين لذواتهم المادية لا يرون في ذلك عاباً ولا ريبان من يتصدى لخصف نعله بيده قدأ بعدفى التواضع واغرق فى هضم النفس وهكذا يقال فى لبس الثوب المرقع و تصدى لابسه لترقيعه بيده و كان المتبخترون يعدون لانفسهم المراكب الفارهة ولكن المثاليين لكسر نخوتهم لا يترفعون عن ركوب الحمر العارية ولأن يرد فوا خلفهم اعلاناً منهم للمجاعة بأن الشرف لا يتأتى من طريق هذه التوافه وانما يكون بالمعالى الحققة من حسن المؤاخاة وبذل المواساة وشريف التفقد للضعفاء وجميل الاحسان الى الفقراء وما الى ذلك ، ويكون الستر على باب بيته فتكون فيه التصاوير فيقول يا فلانة لاحدى ازواجه غيبه عنى فانى اذا نظرت اليه ذكرت الدنيا وزخارفها :

لاشبهة ان من وظيفة العاقل ابعاد جوارحه عن ما يوجب تهيجها فان الانسان حيوان فى نفسه فاذا اكثر من حشرها فى المغريات شق عليه كبتها و اخضاعها وهذا من النبى (ص) تعليم لامته و خير العلم ما كان تعليمه من طريق العمل والا فما اكثر الالفاظ المزوقة تساق ولا يكون لها اقل اثر فى الروح ، فاعرض عن الدنيا بقلبه وامات ذكرها من نفسه واحب ان تعيب زينتها عن عينه لكيلا يتخذ منها رباشاً ولا يعتقدھا قراراً ولا يرجو فيها مقاماً وكذلك من ابغض شيئاً ابغض ان ينظر اليه وان يذكر عنده . لاشك ان تهذيب النفس وتحصيل شرائف الاخلاق و خدمة النوع وبسط الخير العام فى العموم موقوف على اعتبار الحياة مجال عمل و استثمار منه وذلك ما يوجب ان لا يزن الانسان شهوته الابهما بتقاضاه قيام البنية و احراز المشاط للقيام بالوظائف

اللازمة و ما دام الانسان بصدد اكله وشربه و التنوع بغذائه و طعامه و ملبسه و مسكنه و شهوته و زغبته لا يعود يرجى منه خير اصلاحه ولا لصالح المجتمع و اذا فسد الافراد فى أنفسهم انهار الاجتماع بلكه و عاد الراعى و الرعية اسمين مجردين عن كل حسنة فلا ترى سوى الجانى المتجرم و لا الرعية الا ظالماً و مظلوماً و غابناً و مغبوناً و لا حياة مع هذه الروحيات و كل ما جاء عن المقدسين من هذا القبيل فهو لتعديل جانب النظام العام و الحياة الكلية العامة ، و لقد كان فى رسول الله ﷺ ما يدلك على مساوى الدنيا و عيوبها ، فى نفسها من ناحية لاقرانها بالحوادث و الكوارث و من افساد الناس لها بشتى الصور و الالوان من ناحية ثانية ، اذ جاع فيها مع خاصته ، لم يجع رسول الله ﷺ لقصر باعه عن تناول من حطامها و لكن لحاظ المواسة و واجب العاطفة بالتفقد للضعفاء هو الذى اجاعه و أدخلى يده و اختصاصه بالله هو الذى جعله جائعاً اكثر مما جاع غيره ، و زويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته ، لم يزوها عنه الا الاعراض عنها بالا نشغال بما سواها من تربية اجتماع صحيح و تحكيم اخلاق فاضلة بين الناس و كما قلنا آنفاً قر به من الله هو الذى أحال منه انساناً ذائباً فى الحق فانى فى الله ، فلينظر ناظر بعقله اكرم الله محمداً ﷺ بذلك أم أهانه فان قال أهانه فقد كذب والله العظيم بالافك العظيم .

لان الله يعز كل تقى و يبر بكل وفى و يعظم كل مثالى فكيف يتقصد بالاهانة لنبى عظيم من انبياءه كما ان الزاهد و العابد لا يريد ان بزهدهما و عبادتهما ان يحطمان كرامة انفسهما بل يريدان سموها و علوها من طريق صحيح بالاستغناء عن كل اشياء الناس ما استطاعا الى ذلك سبيلاً و بخدمه الناس ما وجدوا ذلك طريقاً ، وان قال أكرمه ، لان من وظيفة الله اكرام عباده المتقين و خاصته المقربين ، فليعلم ان الله قد أهان غيره حيث بسط الدنيا له و زواها عن اقرب الناس منه ، ليس المنظور انه تعالى تقصد بالاهانة لمن بسط له الدنيا و قسم له النعيم لان ذلك توهين من غير حقه و لغير مستحقه و لكن المنظور انه سبحانه باختباره بعض عباده بالغنى المغوى لمن تهتك من طريقه و النعيم المغرى لمن استجهل بسببه قد أهان ذلك العبد اذ لا يريد ان كافة الاختبارات

مقدمات للسعادة والشقاء ولكن باختيار الانسان نفسه لواحد منهما ، فتأسى متأس بنبيه واقتص أثره وولج مولجه ، هذه الجمل بمنزلة شريطيات محذوفة اداة الشرط و التقديران المكلف اذا تأسى بنبيه و اقتص أثره و دخل مداخلة فقد أحرز النجاة ، و الا فلا يأمن الهلكة فان الله جعل محمداً ﷺ عالماً للساعة ، اى شاخصاً يستدل به على يوم القيامة ، ومبشراً بالجنة ، المطيعين ، ومنذراً بالعقوبة للمعاصين ، خرج ﷺ من الدنيا خميصاً ، اى ضامر البطن لزهده بما لاذها ، وورد الاخرة سليماً ، من أدرانها وسيئاتها ، لم يضع حجراً على حجر ، اى لم يبن فيها بناء له قيمة ليتمتع بسكنائها ويلهو بديناه ، حتى مضى لسبيله ، وهو الموت الذى هو سبيل كل حى ، واجاب داعى ربه ، و هو داعى المنية ، فما أعظم منة الله عندنا ، اى علينا ، حين أنعم علينا به سلفاً ، سابقاً وقوة ، تتبعه وقائداً نطأ عقبه ، اى نقص أثره ، ولا ريب ان القائد المحنك والمرجع المهذب والمقتدى المؤمن والزعيم المخلص من أعظم المواهب فى الحياة على بنى آدم لواتقفوا لذلك وعقلوا غايته :

ثم توجه ﷺ الى ان متاعب هذا النبى العظيم لم تذهب سدى بل أثمرت ثماراً لها قيمتها فى المثل العليا وتعرض ﷺ لنفسه خبطة بانه من خريجى هذه المدرسة العامرة بل هو لى التحقيق فذ لا ندفى الاقتباس منها والتمسك بتعاليمها والعيان الذى أضحى به يكفينان اقامة البرهان ، والله لقد رقت مدرعتى ، المدرعة لباس بمنزلة الدرع للابسه ، هذه ، اشارة الى ما هو لابسه فعلا حين كلامه ، حتى استحييت من رقاعها ، اى ترقيعها الكثرته ، ولقد قال لى قائل الاتنبذها عنك ، اشعاراً بانها الاشياء ، فقلت اعزب عنى ، اى ابعده ، فعند الصباح يحمدا القوم السرى ، مثل يضرب للمقدمات التى يلوح عليها اثر التعب والمشقة ولكنها تأتى بالنتائج المهمة و المطالب المثمنة و ما قاله ﷺ حق لامرية فيه وأحسن شواهدة هو ﷺ فقد أصبح قبله انظار العالم موحد ومليحده من جليل أعماله نيك واما جزاؤه عند الله فنحن قاصرون عن توصيفه وما أعد الله له والحديث عن زهده ﷺ خارج عن حدود الاحصاء :

ومن سوء الحظ ان تذهب تعاليم هذا الاستاذ المربى ضياعاً على اهميتها فى رشد

الاجتماع وتصبح المادة السوداء التي هي ام الرذائل و الخطايا المقياس العملى الذى يسير عليه الناس حتى اجترفهم حب المادة فى المعاش الى اتخاذها معبوداً فى المبادئ العقائدية فأصبح العالم الاماشد منه مادياً فى معتقداته ومادياً ايضاً فى معنوياته : وفى تفصيل هذا المجمع نقول : البشر المتمدين اليوم ماضى من ناحية بمعنى انه لا يرى فى الوجود مؤثراً سوى المادة ومادى ايضاً بمعنى انه لا يرى للمعنويات معنى راها وان ما يعرفه الاخلاقيون للناس صرف اتخاذات وعادات : وقبل كل شىء يلزم ان ننظر ان هذا المرام علمى واقعاً بمعنى ان العلم هو الدافع للقوم الى ذلك اوانه امر آخر يرتبط بالغرض الشخصى والهوى النفسى :

لاشبهة ان البشر فى اولياته كان قليل التشخيص المحققة لقلة تدربه فى الكون والكونيات و بساطة ادراكه لغاية بعيدة ومن هنا كان يستطيع المشعوذ ان يهيمن بخزعبلاته على امة بأسرها فيتزعم عليها أخلاقياً وعلمياً وهذا المعنى نراه جلياً حتى فى هذا العصر فى الامم التى وصلت حديثها بقديمها كالعشائر الشرقية ونوع العناصر الهندية ومن كان على هذا المنوال فان الذى يزاول هؤلاء الناس و يتعرف بما هم عليه سواء أكان مرتبطاً بعالم أديانهم ام برسومهم و عاداتهم يدعش لما هم عليه من مبدأ وعقيدة وعادة لا يتخلف عنها الاثاذ فى نظرهم منحرف فيما عندهم :

و بأتمس من هذه الصورة كان الغرب والغربيون فى عقائدهم وعاداتهم وأخلاقهم ونفسياتهم والثقافة كالوحشية ايضاً قديمة فى الكون فان الذى يقرأ عن الامم البائدة ويرى آثارهم الشاخصة بعدهم اعم من ان تكون آثار صنعة ام آثار علم ومعرفة لا يتخالجه شك فى ان الثقافة عريقة فى الوجود اصيلة فى الامم السابقة ومع ذلك فهى فى طرف ضعيف بالنسبة الى فشو التوحش و قوة نفوذها فى العناصر والعصور مضافاً الى أن الثقافة فى الصنائع لاتنافية التوحش فى العقائد و الاخلاق فرب صانع ماهر من حيث الصنعة لكنه فى العلميات العقائدية والاجتماعية و الاخلاق بربرى لدرجة وبالعكس فر بما تلاقى استاذاً خريماً فى علوم جممة لها قيمتها بين العلوم النظرية لكنه عامى صرف فى تفسير الصنائع يعجب اشد العجب من ائرنسعة يلقى بين يديه كقفل ظريف او باب جميل :

والشرائع التي قام بها دعائها حتى لو اغفلنا النظر عن سماويتها وانها صادرة عن مبدأ علم فياض واعتبرناها شرائع اخلاقية نهض بها رجال مثاليون اتحفت بهم الفرص المناسبة أعصارهم ومعاصريهم فانها لم تبقى بعدموت الدعاة على ما جاء به الدعاة بل نراها متحللة ذائبة في جملة اوهام تزيد عليها اضعافاً مضاعفة ويكفيها في التدليل على ذلك ما نجده من الانحراف الواسع فيما هو منسوب لليهودية والنصرانية وغيرها حيث ينبوع النسبة الى الخالق من كثير تفاهته كما ينبوع النسبة الى العقل لبعده عن محيط العقل وادراكه وعن الفن لتكذيب الواقع له فتمحيص العقول لهذه الاوهام سواء اكانت منسوبة للديانات السماوية ام للفلسفات العقلية والفنية وطرد هالها عن ساحة الصدق ووقوفها على جملة من أسرار الطبيعة هو الذي ألوى باهلها عن الحقائق الشرائعية والاخلاق الاجتماعية مرة واحدة فراحت تنكر السماء الامن طريق شمسها واقمارها وتنكر الارض ايضاً الامن حيث ما يدب ويدرج عليها ويكون وينبت فيها : فمن هنا حكمت المادتان في دنيا اليوم المادة في قبال الله و المادة في قبال المعنويات وسمى العالم الرازح تحت اعبائهما عالماً متمدناً وبذلك شطب بقلمه الاحمر على كل عقيدة وخلق فاضل و أقبل بكل ضراوة يلتهم الارض والسماء مرة بالاغفال و اخرى بالقصف العنيف:

لكننا يجب علينا ان ندرس هذه الاوضاع درساً متقناً حتى اذا تميزنا ألغث فيها من السمين اخذنا بالسمين وتجاوينا عن الغث حتى نكون قد خدمنا انفسنا بذلك خدمة صادقة:

يقول الماديون بمعناهم الاعم ان كل ما في الكون من مواليد و حوادث لا ربط له بما وراء الطبيعة بل هو من المادة و الى المادة و أطالوا الكلام في هذه القضية كل بما يتزعمه و يراه لكن وقوف بحوثهم في نهاية المطاف على الصدق و الاتفاقات مما فضحهم في هذه الدعوى لعقم ارجاع ذلك كله الى فعل الطبيعة وفيه من الاختلافات الجوهرية بين الفرد و الفرد و فضلا عن النوع منسوباً الى نوع آخر وعن الجنس بالنسبة الى جنس ثانى وهام دوايك ما لا يخفى مضافاً الى عجز نظرياتهم و بحوثهم

عن تعليل كل ما فى الكون من انسان وحيوان ونبات وجماد وشموس واقماروما الى ذلك بل و اعترافهم بالعجز صريحاً و التجائهم الى قوى اخرى غير ما يدركونه من المادة والطبيعة :

فكون هذه المواليد على تشتها الغريب وتنوعها الفائت عن حد الاحصاء وتناقضها فى الجوهريات فضلا عن الاعتبار والقشور مما لا بد فى تعليله من قوة قاهرة وان المادة من صنعها غاية ان هناك تشكيكات للقوم بالنسبة الى مقدار حكمة تلك القوة لانهم يرون اموراً تخرج عن الضبط منافية بظاها للصدور عن وجود حكيم يضع الهناء مواضع النقب ويمشى الكون على المصلحة اللازمة بما ينفع ولا يأتى عنه اقل ضرر: لكن هذا المطلب قد أجبننا عنه مراراً فى الحلقة الاولى من هذه السلسلة فلا تعرض له بعدما اسلفنا بيانه وفصلنا قرآنه :

ويزيد الكمونيست مضافاً الى تقبلهم لقول الماديين ان كلية ما فى الكون من سياسة و حقوق واخلاق وصنعة وادب ومذهب ودين وعلوم وافكار تابعة للموضع الاقتصادى المبتنى على المعامل والعوامل المولدة للمال باستخدام منابع الطبيعة و هذا الكلام بلونه هذا زائف لدرجة لما فيه من الافراط والتعدى عن حدود المنطق فان الماديات وان كان لها نفوذ فى اعماق البشر لتوقف معائشهم عليها الا انها ليست بهذه المثابة بحيث تكون منطلق كل شىء فى الدنيا والمحور الوحيد لجمع ما عليه الانسان من نفسية وخلق وغريزة فان الالباء عن تحمل الضيم بما يرجع الى الناموس او الحيثية من الغرائز المندكة فى الانسان المتبطنة لشر وجوده وليس باعها حب المادة كما انها ليست من مقولة الاقتصاديات بالمرّة وهكذا التعاضم بالنفس والتعزز ونظيره الالتزام بخطط الورع والعفة والصدق والامانة والعدل والانصاف وغير ذلك مما لاربط له الابترية الروح تربية بعيدة عن المادة والماديات:

فالترام الكمونيست بان صلاح الدنيا بخافقيها بل قوام العالم موقوف على الاقتصاد وحده التزام زائف لقيمة له : ومهما يكن من شىء فان الاعتزاز بموقف الاقتصاد من الجامعة لا يسوغ التهجم على الاديان وعالم الاخلاق وان يكن فى الاديان موضوع الملك

الشخصى وتقديره فذلك من ضرورات العقل والفطرة كما يسوغ انكار الاخلاق الفاضلة وموقفها من صلاح الجوامع وتأمين حقوقها الداخلية والخارجية بل هي نعم العون على ترعرع الاقتصاد وتحسنه .

ويجب علينا ان نتعرض للقول عن مدارس الفلاسفة فان في شرح ذلك تقوية لما سلف وتمهيداً لما يجيء من بحوث فكرية عقائدية : فنقول : مدرسة الماترياليسم الديالكتيك : بمعنى المادية على أساس التغير والتحول يقول (هرقليط) مؤسس هذا المسلك ان جرى العالم بمواليده وواضعه نظير جرى الماء في النهر فكما ان الانسان المستحم فيه لا يستطيع الاستحمام في ماء واحد الامر الواحد لان المرة الثانية والثالثة وما بعدها قهراً تكون بماء جديد غير الاول وغير الثانى كذلك حوادث العالم وواضعه غير قابلة للتكرار : وعلى ان هذا الفيلسوف قائل بتعميم هذا التغير والتحول بكل مادي يفرض قائل ايضاً ان على رأس هذا الكون المتصرف المتغير - عقلاً الهياً - ثابتاً لا يتغير :

والتحوليون يعتقدون ان حوادث العالم وموجوداته على تحركها وتحولها مربوطة بعضاً ببعض والقوانين العلمية و الافكار و الصور الذهنية والناس جميعاً مشمواة لهذا المعنى التحولى وهذا المعنى مسلم للجميع على انه بديهي ايضاً لكن الكلام في ان هذا التصريف والتحويل بيدى حاكم مسيطر عند هذه النقطة تشعبت الطرق والآراء :

فيقول الفلاسفة المعنويون اننا لانرى وراء الروح المجرد والصور الذهنية حقيقة اخرى وكل ما يعبر عنه بالمادة مما هو خارج الذهن ليس الا خيالاً مجرداً عن الحقيقة وينظرون لذلك بأن الانسان يرى في منامه سلاسل من القصص والرؤى وهو فى عالمه النومى يحسب كل ذلك حقيقة مع انه ليس فى الواقع الا نقوشاً و صوراً ذهنية ونحن فى عالم يقظتنا نظير النائمين فيما يرون ولاهل هذه العقيدة أتباع ولهم عليها استدالات :

- منها - ان الذى يدعى الوجود للمادة يستدل عليه بما تدركه حواسه الظاهرة فى حال انها تخطأ كثيراً فتحكم السامعة بانها سمعت كذا صوت والحال انها تخيلت ذلك خيالاً وترى الباصرة شخصاً فتحكم بانها كذا شىء والواقع خلافه وانما الذى رآته فحسبته

فإن شيء هو ما خيلته لها المخيلة و هكذا في بقية الحواس مضافاً الى أن الخيال والصور الذهنية لهاكل الاثر في انعكاس المحسوسات : مثلاً :

إذا جاءك انسان وحدثك عن آخر اسوأ الحديث و انت ممن تطمئن الى من حدثك ولا تعرف عن المحكى عنه شيئاً سوى ما دخل عليك من طريق هذا المخبر فبعد استقرار حديثه في نفسك اذا صادفك المحكى عنه يوماً وعرفته انه هو فلا ترى نفسك تنظر اليه الا كما تنظر الى البهيمة الضارية الفاتكة وتجد منظره في حاستك منظر قبيحاً تتجهم له انت في نفسك :

و نعكس هذا المثال فنرى المحدث نفسه بعد ازمان يحدث عن هذا الانسان بانه تاب وتحسنت حاله حتى صار مثالي زمانه في كل حسنة ويصادفك الانسان المزبور بعد تشبع روحك بالحديث المذكور فلا ترى حاستك تنظر اليه الا كما تنظر الى ابهج المناظر واحلاها فناظر واحد الى منظور واحد رأى رؤيتين متضادتين في حال ان السحنة واحدة لم تتغير و ذلك كله من تصوير الذهن و الا فالخارج واحد لم يتغير ان ثبت للخارج واقعية وعلى هذا فقس جميع ما يتذوقه المحبون من طريق حواسهم الظاهرية من محبوبيهم وهكذا جميع ما يكرهه الحاقدون من طريق حواسهم الظاهرية ايضاً ممن يكرهونهم :

ومنها : أن من المسلم كون الموجودات الخارجية لا تتركز بخارجيتها في مناطق اذ هاننا ومتى تركزت في اذ هاننا فهي ليست بوجودات خارجية لان الذهن لا يوسع الموجود الخارجى الذى ما وسعته ملايين الكيلومترات فالرابط بيننا وبين ما يدعى له وجود خارجى هي النقوش الذهنية التى هي الدرب الوحيد لنا فى اتصالنا بما يقال له الخارج اذن فاتصالنا وارتباطنا انما هو بالنقوش والصور الذهنية فقط ولا طريق لنا الى الخارج سواها فمن اين نعلم ان فى الخارج وجودات محكية لما فى اذ هاننا من نقوش وصور نظيران يعطيك انسان أفلاما يدعى انها ملتقطة عن وجودات متركرة فى الخارج فتقول فى نفسك ما الداعم لصدق ما يدعىه فقد تكون هذه الصور محررة برشته مخلوقة لخياله :

هذا كله عمدة منطق المعنويين واكثر ما حرروه صحيح الا انه لا يهدم المادة ووجودها الخارجى قطعاً لاننا نستدل على المواد الخارجية بآثارها القطعية نظير احتراقنا بالنار و غرقنا بالماء و استظلنا بالجدران الى غير ذلك مما لا يعد ولا يحصى و النار الذهنية لا تحرق و تصور البحر لا يفرق و الخيال لا يمنع حرارة الشمس الحادة و هلم دوا اليك :

ويقول الماديون : اننا لا نرى خارج محوطة الطبيعة و جوداً لاسواها و كل وجود اوقوة يفرض خارج الطبيعة فهو موزوم لا اثر له فالعالم كما كانت يحركه محركاتها سلسلة علل فاقدة للشعور و للمهدف مع ان الماكنة المصنوعة لم تصنع الا على خارطة قبلية منقوشة فى الذهن قد اجهد صاحبها قواه فى انجازها و استهدف منها الطحن او الخياطة او جرا الماء الى ما سوى ذلك و لكنهم يعتبرون ما كنة الطبيعة التى ليس اعظم منها شىء بل لا يحاذيها اعظم شىء و جدت جزافاً بلا صانع حكيم و لا مستهدف عليم بل انما صارت و تحركت محركاتها من طريق الصدفة و الاتفاق و اخذت تعمل عملاً جنونياً لا تعتمد فيه الى غاية لان الغاية انما تقال لمصنوعات العاقلين : المادة ازلية ابدية لا اول لها و لا آخر و لا فرق بين الانسان و الحيوان فى كافة الفروض : و الادراكات الانسانية و ليدة ارتعاشاته العصبية ليس غير : و لا ريب ان نفس تقريرهم السابق الذكر يضيف جميع مدعياتهم الا خيرة لان السدى يعترف ان ما كنة الخياطة على بساطتها بالنسبة قاضية من نفسها على نفسها ان لها صانعاً عاقلاً قد استخدم أفكاره ازماناً للتوصل الى انشائها و استهدف بها هدفاً معيناً كيف يجوز له ان يهمل عالم الكون و الكونيات على ما فيه من عجائب و غرائب تفوت حد الاحصاء و يدعى فى وجوده و حالاته و برامجها العظيمة مجرد الصدفة و الاتفاق لعمرى ان ذلك قول لا يستطاع هضم القليل منه فضلاً عن كثيره :

و فلاسفة ما وراء الطبيعة كما انهم يعترفون بوجود المادة فى الخارج يعتبرون خارج هذا الوجود و جوداً للعقول و الافكار و الارواح المجردة فهم باعتمادهم هذا قد حذفوا افراط الماديين فى المادة و انه ليس فى الوجود شىء غيرها و تفریط المعنويين المنكرين للمادة بالمرّة و ان كل ما هناك نقوش ذهنية و صور فكرية ليس غير : اعترض الماديون على القائلين بما وراء الطبيعة ان الامر المهم الذى يقودكم الى الاعتراف بما

و راء الطبيعة فضلا عن موضوع الخالق و انه يجب ان يكون مجرداً عن المادة و الماديات بعيداً عن كل ما يوجب الاحتياج و التركيب هو ادعاءؤكم لوجود العقل و الفكر وانهما ليسا ماديين في حال ان الفكر له ارتباط مستقيم بالمادة الرمادية الموجودة في المخ و ان الامور التي يتداولها الفكر مأخوذة عن الخارجيات :

مثلا اعتراف العقل بان مضروب اثنين في اثنين ينتج اربعة في التصور لان منشأه ان البصري يرى في الحس ان مضروب عددين خارجيين كرماتين مثلا في مثلهما ينتج اربعة و ان البياض ضد للسواد و انه يستحيل اجتماعهما في الخارج في آن و مورد متحدين لان البصري يدرك كذلك ان الشيء الواحد بكلمة في آن واحد يستحيل ان يرى اسود ابيض : و ان الظلم قبيح و العدل حسن لان الحقوق التي يراها الانسان من حقه في طول ما هو مكنتف به من الماديات و من جملتها الحرية التي معناها عدم الضغط عليه ان حصلت له من الاعيار عدلاً و احسناً لان فيه ترفيهاً عليه و ان منع منها عد ذلك ظلماً و قبيحاً لان فيه تضيقاً عليه و على كل حال هذا و نظيره مما يسمونه مستقلات عقلية مأخوذة عن الخارج و طريق ايصاله الى المخ هي الحواس و القوى الموجودة في مادة الانسان :

و نحن نقوى قولهم في كل حكم للفكر له مادة في الخارج من طريقها استفاد حكمه الايجابي او السلبي على الشيء اما الاحكام الفكرية التي لا مادة لها في الخارج و لا استفادتها جاءت الى الفكر من طريقه فلا يجوز نسبة تولدها و انبعاثها الى المخ و المادة الرمادية التي فيه اذ لا طريق من المادة في نسبتها الى المخ الذي هو مادي و ذلك نظير القضايا الفرضية و حكم الفكر عليها باحكام منطقية كقوله صدق الشرطية لا يتوقف على صدق طرفيها مثل ان نقول لو كان الاشياء شيئاً لكان مفهومها موجباً و كقوله المفهوم اما ان يكون واجب الوجود او ممتنع الوجود او ممكن الوجود و آلاف سوى ذلك من احكام المنطق و الفلسفة فان الدوافع التي تدفع الفكر الى أن يحكم بهذه الاحكام ليست في الخارج المادي و لا هي قريبة الافق منه :

نعم لا شبهة في أن المواد الخارجية و المخ و المادة الرمادية و سائر منابع الحس

فى الانسان من الاعدادات القوية لتوليد المباني المنطقية والفلسفية العقلية واما ان هذه المباني على طولها و عرضها نقوش عن الاجسام والاحوال الخارجية المادية ترسم فى الدماغ و تتفاعل التيارات العصبية الدماغية فيها فتمتج منها تلك النتائج فذلك ادعاء جنونى محض لا قيمة له : اذن فما وراء الطبيعة الملموسة له وجود عريض : اللادريون : قوم يهوون التفلسف و لكن قصور معلوماتهم و ارتباك أفهامهم يوردانهم فى حيرت و بوقعائهم فى ارتباكات يكونون من جراءها كفاقد الشعور بالمرّة و منشأ ذلك فيهم انهم يرون الحواس الظاهرية كثيرة الخطأ وكثيراً ما توقع فى خلاف الواقع و يرون ما يسمونه معقولات كثيرة التضارب و التهافت فالفيلسوف الموجب للشئ من طريق العقل فيما يدعى يرى من معاصره الفيلسوف الاخر نفيّاً لما اوجب من طريق العقل ايضاً : و يرون اسولاً عقلائية مسلمة فى دور يأتى عليها دور علمى آخر يزيحها حتى عن احتمال الصحة و يدفعها عن العلم الى الجهل وهم لما أسوا من تحكيم مشاعرهم استراحوا الى اللادرية المطلقة :

و يجدر بنا ان نوازن بين مبادئ الاسلام الذى هو شريعة سماوية و بين مبادئ الانسان الذى يجيز لنفسه ان يجيء مقنناً للنوع البشرى بما هو عاقل مفكرو نقول تحت عنوان .

الاسلام والمبادئ الارضية

لا بد لنا أن نتجا فى فى بحوثنا الآتية عن مراعاة ما وراء الطبيعة مبدء و معاداً ونختص بهاعما يلزم الحياة الانسانية من سلب و ايجاب بمدرك العقل الناضج والاعتبار الصحيح و التجارب القاطعة لنلتقى بالافراد بماهم يعقلون لا بماهم اناس مبدئيون: ثم بعد ذلك يتجلى موضوع الموازنة بين مبادئ الارض ومبادئ السماء :

فنقول منذ كان الناس والى ما يقدر لهم من بقاء كانوا اوزاعاً فى العقيدة فرعيل وهم الاوفر عدداً يرون وجودهم وما يحيط به فى قبضة ما وراء الطبيعة وان تصر يفهم فى كل شئ منوط بهورعيل لا يرون انفسهم الاموجودات تتفاعل على نيل الحياة كل و ما يتفق

له من دون ان يكون في البين منشأً لذلك اولا اقل من التشكك فيدغايته ان الالحاد في القديم كان منشؤه ما يرى من منافيات الحكمة بظاها اما الالحاد في دوره الاخير فانه لم يقتصر على ذلك بل دعمته نظريات علمية فيما يقال كنظرية النشوء والنماء و تنازع البقاء والانتخاب الطبيعي وما الى ذلك مما اسلفنا شطراً و افر أمنه في الحلقة الاولى من هذا الكتاب لكن البحوث العلمية ابطلت هذه المزاعم وحدّ الاقل بايقافها على حد غير منتج ولا مثمر في تعليل الحياة والاحياء والارواح والعقول بل وحتى الجمادات ايضاً على ان هذا المعنى ان حاول ان يقوم بشي فانما هو ايجاده الحيرة امام عالم الخلقه على انه مفند بما اسهبنا البحث عنه آنفاً ولا يسوغ لنا ان نعتبر الاخلاق النافضة من الحياء والوفاء والصدق والرفق والعفة والورع وما الى ذلك ناشئة عن ضعف النفس وان الانسان القوى الارادة لا يابق به ان يكون حياً و فياً صادقاً و رقيقاً عفيفاً ورعاً كما لا يليق بالحيوانات ان تكون كذلك وان كل ما في الوجود مشاع لبني الارض لا يختص منه بانسان ما يزيد على حق انسان آخر وان الحروب الشعواء فضل على البشرية لانها تنفي وجود الضعيف و تبقى القوى - كما يرى الماديون ذلك كله - بل ادنى اعتقاد بما اسلفناه عنهم مما يشوه منظره الدنيا ويحيلها الى اضطراب مستمر وفناء دائم وانشعاث غير قابل للتم:

وبعد هذه المقدمة يلزمنا ان ننظر الى الاسلام بالنسبة الى مبادئه الحيوية ونقابل بينها وبين ما يرومه الماديون: فنقول موجزين الاسلام جمع كافة قوانينه وتكاليفه تحت عناوين اربعة: العبادات: العقود: الايقاعات: الاحكام:

واراد بقسم العبادات كل عمل أنيط بالمكلف مشروطاً عليه ايقاعه متقرباً به الى الله خالصاً لوجهه وقد اضعمت دفنا هذا القسم على عبادات فردية نظير الصلاة فرادى و الصوم وعبادات اجتماعية نظير الطهارات والصلاة بجماعة والزكوة والخمس والحج و الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد.

اما القسم الاول الذي سميناه عبادة فردية نظير الصلاة فرادى والصوم فهو في نتائجه وثمراته قد لا يقل في رشد الاجتماع عن القسم الثاني فان المصلى عن معرفة بصلاته يستحيل عليه ان لا يتأثر بمضامين ما احتوت عليه من تذكير وتنبيه وعظة وارشاد واذا انركزت

فيه هذه الروح المطمئنة كانت نتائج معاشرتها كل فضل وخير وهذا ما يعود الى الجامعة قهراً : وهكذا اذا كان صوم الصائم عن تعرف به وبأسباب تشريعه فانه يخلق من المكلف انساناً محسناً ملتقياً الى ضعف الضعفاء وبؤس الاشقياء من بنى نوعه :

واما القسم الثانى الذى سميناه عبادة اجتماعية فدخله وفائدته فى الاجتماع غير خفية : اما الطهارات من الاحداث الكبرى والصغرى ومن الاخبثات على تنوعها ففائدتها فى الاجتماع تركيز النظافة فى داخل البيوت وخارجها ودخل هذا فى الصحة وترعرع الحياة ودفع الوباء والامراض مما الاسترة عليه واما الصلاة جماعة والحج ففائدتهما فى الاجتماع تركيز الاتحاد ويجاد الوحدة والالفة بين الافراد وطرده الانانيات الموجبة للامتياز وجلب التحبب والتعرف بين بعض وبعض وكثرة المواصلات وشيوع المعارفات فى جامعة القرية والقصة والبلدة و العاصمة وفى مثل هذه الاجتماعات تيسر الخطب البليغة الاخلاقية والمواظب الارشادية وجمع الاعانات للضعفاء والمساكين وتعريف الضوال واللقطات وتحصيل مثل هذا الهدف مما يبذل له المتجددون كل وسعهم ولا يصلون الى طرف منه :

واما الزكوة والخمس ففوائدهما فى الاجتماع بمعاونة الفقراء والمساكين و ابناء السبيل والمغاريم والعجزة و الاشراف الاعفاء الفاقدين للمباعدة والمرضى و المقعدين والارامل والايام واهل العاهات والمبتلين والقيام بالمصالح العامة من مدارس ودور ايتام وجسور وسدود وعشرات سوى ذلك ما لا يحصى :

واما الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فدخلهما فى الاجتماع من طريق الارشاد الى فعل الخير وترك فعل الشر باللسان والقلم واليد والدرهم والقدم و بكل وسيلة يمكن الاتصال من طريقها باشاعة فعل الخير فى الجامعة وتقليل فعل الشر ما لا يعادل شىء عملة :

واما الجهاد فهو قاعدة حفظ الافراد و الجماعات و احراز حرياتهما وحيثياتهما و اموالهما ونواميسها وعقائدها و مائثها و ترابها و ماغزى قط قوم فى عقد دارهم الاذلولوا وقلوا و هانوا و باروا و بطلت كافة حقوقهم و صاروا طعمة للاغيار و لقمة باردة تسيغها بأذى مضغ : فهذه الامور التى رصد لها الشارع ووظفها على عاتق المكلفين فيها كل العز و كل الاحترام و كل صون لكل حق و لما مشيت فى بادئها احوال من الدنيا امة ذات عدة و عديد

واحترام واکرام وسعة يحكمها افراد لا يعتزون بانفسهم ولا يرون لها تفاوفاً على الغير وعلى اثر ذلك بذخ هذا الاجتماع ما استطاع وانحصرت دولة الدنيا به في كل شيء :

نعم لما اعملت هذه المشاريع الجبارة جاء الى الناس الظلم والزور والضغط وتنزل الحثيات وتفكك الاواصر والذل والهوان من كل جهة ومكان وصارت الدنيا من ملاعب الاراذل والمتهتكين :

واراد بالعقود كل امر يرتبط بمعيشة بنى آدم ويتوقف تقريره وثبوته على ايجاب طرف وقبول آخر كالبيوع والقروض والرهن والهبات والعواري والودائع والاجارات والوكالات والمزارعة والمساقات والشركة والمضاربة والوصية والنكاح والسبق والمراماة والحوالة والكفالة والضمان والصلح وما الى ذلك واشترط في ذلك كل شرط يؤمن حقوق الطرفين قائم بكل ما يمكن اخذ التدبير فيه بالنسبة الى احقاق الحقوق واراد بالايقاعات كل امر يرتبط بمعيشة بنى آدم ايضاً ولا يتوقف الا على طرف المصدر للعمل كالطلاق والجماعة والتحرير والوقف ونظير ذلك واشترط فيه كل ما يؤمن حقوق الناس كالسالف:

واراد بالاحكام ما يعود لمطاعم الناس ومشاربهم وصيودهم وذابحاتهم ومواريتهم ورفع الخصومات بينهم وما يرتبط بالشهود والشهادات وحدود التجريات كالزنا والواط والقيادة والسحق وشرب المسكرات والسرقعة وقطع الطريق ومحاربة الامام والقصاص والديات بما يحفظ للناس نظامهم ومعيشتهم وهدوئهم واستقرارهم بما لا يشذ عنه قليل ولا كثير:

هذا هو الاسلام وهذه هي مبادئه التي جاء بها منذ اربعة عشر قرناً والتي تكفلت بحياة البشر احسن تكفل وصدق هذه الدعوى منوط بمراجعة الفروع الفقهية المتسام عليها والمشهورة بين فقهاء الاسلام:

واما المبادئ الارضية التي تفرغنت في وجه الديانات ورأت انها خير ناموس لتمشية الحياة البشرية فهي شتات افكار غير متحدة المآل اوحث بها مطامع انتها زية وحملت بالاعنات على عاتق الجوامع فأصا خوالها بقهر القوة لاختوعاً للمنطق واذعاناً

بالحق ولا يرتبط بما ذكرناه من شاهدته من زينة العصور الحاضرة و اختراعاتها الجبارة فانها ان تكن بظواهرها جللت اليها الانظار فهي عملاً أركست الجوامع في هوات عميقة لا مخرج منها والدليل عليه انك تأتي اليوم الى ارقى مدينة مثقفة محكومة بحكومة مقتدرة ذات قوانين و محاكم و ادارات مبسطة على آخر نهج استطاعه العصر فتجد فيها من الشحاذين والعيارين واللصوص والزناة واللوطه والمهربدين والمنحرفين علنا و جهاراً ما لا يقوم حساب باحصائه:

وتجد الناس عائشين المقتدر بنفوذه والصلف بصلافته والمتمول من طريق رضخه للرشا والضعفاء بكل شقوة ليس بهم استطاعة دفاع اى حادث يتاح لهم : تجدهم عائشين بلا برنامج بل على صدف انفراجات الاوقات و ضيقها ولا خصوصية لهذا باهم الشرق وان استرذلت اكثر فان امم الغرب لا تقصر عنها غايته ان الغربى لم يعد يرى للمفاسد عيباً فالزنا عنده كالعفة واللواط كأبسر فعل عادى و شرب المسكرات كشرب الماء والعربدة كالحالات الاعتيادية و قس على ذلك غيره و لذلك لم يرقه التكلم عن النكات المشار اليها ورضى عن كافة اوضاعه الا ما يضايق معيشته المادية : واما هذه القعقعات من جامعة الملل وعدلية لاهى و منشور حقوق البشر فهي بالاتهازات المرهوزة اشبه منها بالواقعيات و ان تكن القضية حقاً فاين صد القوى عن الضعيف و احقاق الحق لمستحقه : فالتحول الذى من لازمه الطبيعى هو الترقى من نقص الى كمال نجده فى هؤلاء معكوسا بتمام مفهوم هذه الكلمة : ولذلك فلنقرأ قولنا عن .

الانحطاط في عالم التحول

فنقول : يعتقد علماء الطبيعة على تنوع آرائهم ان كافة موجودات الكون لم تتدرج بالوجود - اولا - و لم تترق من نقص الى كمال - ثانياً - الا بالتحول و بقاء الاصلح من طريق انتخاب الطبيعة : ونحن لانحاول فى هذه الكلمة ان نبسط آرائهم فى ذلك لتراعى اطراف القول فيه ولا ان نفند مزاعمهم بالنسبة الى كثير مما ارتأوه لقصور حوصلة هذا الموضوع عن تحمله :

بل نحب ان نبين لعقلاء البشر العائشين في القرن العشرين ان ما يحاوله التحوليون انما نجح في عكس مدعيانهم وهو انهيار الانسان لا تقدمه وتطوير الاجتماعات الفاضلة لاختها في النمو والنضوج وارتكاس البشر في الحيونة لانتشع ارواحهم بالانسانية : - وذلك - انا نرى فريقاً من جوامع اليوم حيث يعتبرون أنفسهم في طليعة الناس علماً وفهماً و درساً للحقائق و تعترف لهم بذلك ناشئة العصر خضوعاً للمقامات التي تسنموها لاوقوفاً على غامض الحقيقة ودرراً لما يوجب الخضوع لاهل المعنويات الصادقة - لا يزالون يتشدقون - باغراق الماضين في العمى والجهل و التوحش و ان الفضائل و الكمالات التي كانت اسماً مجرداً لم تتناول مفهومها الصحيح و مصاديقها الواقعية الا في زمانهم و افرادهم فقط :

- ذلك - حيث درسوا شؤون المنظومات الشمسية و الطبقات الارضية درساً متقناً لا يعرف زيفاً ولا انحرافاً و جزواً الطبيعة تجزئة ما عليها مزيد حتى انهم استخلصوا من السائل الواحد عدة عناصر تمايز بخصائص جوهرية فضلاً عما لبسوا اجزاء الطبيعة التي اكتشفوها حللاً اضافية يسرت على الانسان العيش بل كثرت الرفاه عليه و جمعت اسباب الراحة و وسائل الارتياح له حين لم يكن من هذا اثر في السالف : يقولون هذا و زافة العصور القصيرة في آفاق فهمها و دربتها تسجد لهم اكباراً و تصديقاً :

لكن الواقع الذي لا يصانع نفسه لا يعطى صفقة المبايعه للقوم جزافاً بل راح يصدقهم في بعض وينكر عليهم في بعض آخر و ازرى بعقولهم في الجنبات المعنوية ازراء يتفق مع تدهورهم الاخلاقي و ارتكاسهم الفضائل و أفلاسهم من شرائف الروحيات اما الذي صدقهم به فهو انهم في طيلة هذه القرون الاخيرة بذلوا جهودهم في البحث عن الطبيعة و تجزئتها اكثر من اللازم لكن الجادة التي استنوا عليها لم تكن وليدة اختراعهم و اكتشافهم فحسب فانه ما من شيء بحثوا عنه الا ولسلف فيه جولات و وصولات و آثار لا يستطيع حتى المكابر انكارها فالبحث عن المنظومات الشمسية و الطبقات الارضية كان ولم يبطل العلم المسلح جملة ما قالوه في ذلك بل لجميع ما في العلم الحديث من حقائق ملموسة اشباه و نظائر ادلى بها جملة من علماء السلف بعد كد عقولهم و ابدانهم في

سبيلها : نعم توجد اشتباهات وفيرة لجملة آخرين منهم وهي نتيجة فقدان السلاح الذى اخترعه الجديد وكملة و هذبه واستعان به استعانة قوية على كشف المخبثات : غير ان الجديد من طغيان الغلوفيه اخذ لا يهاب من المجازفة فى كثير ما قاله فى شؤون الارض و السماء مما لا وسيلة تحقق له مدعاه لامن قوى الحس الظاهر ولو بالواسطة ولا من ناحية المقياس العلمى المتزن : فهو فى اندفاعاته الجزافية هذه لا يقل عن انداعات بعض القدماء فى الجراءة على خلق الخرافات :

وهكذا الطب والكيمياء كانا ولم تنسخ العلوم الحديثة فيهما ما تركه الاولون بكله بل فيه من قسم السمين ما صار قاعدة لاستنتاج المتأخرين وهلم دوايك فى سائر الفنون الطبيعية والرياضية : وان فى آثار الصنعة الشاخصة لحداليوم بعدمور عشرات القرون كفاية للتدليل على وجود الثقافة البشرية فى العصور الخالية وجوداً قوياً : و اما وصول هذه المعارف الى حدعالى من الكمال فى العصر الحاضر فهو قائم على سنة طبيعية سنة التوسع بعد الضيق والكمال بعد النقصان فى كل محاولة ومزاولة تفرضان وليس الاعجاز الصناعى الذى واكبه من خصائصه بل وصوله الى حد الكمال النسبى صادف دور تهو زمانه فله من موجبات الفخر سهم من سهام ولا داعى لهذه المغالاة اصلا :

على أن كل متاع يكون لاي كمال يفرض لاموضوعية له الا اذا قام بالمصلحة ذات النفع وتلبست به العوائد المتوخاة : ففي الحقيقة لأثر لعلم الهيئة بالنسبة الى المجتمع الانسانى وما يحاول له من أمن وأمان واوضاع هادئة ومعائش مرفهة وسير متزن وكمال اخلاقى : ان لا يعود يؤثر فى اقل طرف من حياته المادية والمعنوية كون الشمس هى الدائرة حول الارض او ان الارض هى التى تدور حول الشمس : و كون عطاردهن السيارات او الثوبت وكون القمر اكبر من الارض او اصغر وما الى ذلك مما صرف فى سبيل تحصيله طائل مال وأرخصت للاطلاع عليه أعمار وأجيال وتكدست فى طريقة قوى رجال أبطال : وأقصى ما يستفاد من البحث فيه هو ما يستفاد من القضايا الفرضية المحضة البعيدة عن التطبيق كل البعد : وهلم القول فى اكثر ابواب علم الحساب ومسائله وعلم الهندسة ومسائلها فان حاجة البشر ومهما عظم مقاماً لا تتوقف الاعلى طرف محدود من

ذلك وقس عليه علم طبقات الارض وما وقع على هذا الخط من العلوم القليلة النفع الى درجة الصفر أحياناً:

ولقد أصاب محز الواقع من قال : لابي حنيفة وقد رآه وسط حلقة واسعة من الكتب فسأله عنها ماهي فأجاب بانها في احكام الطلاق : تكفيها في ذلك آية من كتاب الله - عن هذا الفضول الفارغ :

وكل ما يراد للبشر ما يتصل بحياته المادية و يكون من اثره تأمين سلامته و سائر متطلبات بقاءه وما يقوم بحياته المعنوية التي بها كيانه ووجوده وله ادعى الانبياء و الرسل و عنها بلغ المبلغ و نطق الناطق و ألهب بعارضته الشاعر واليه انزوى المؤلف و الباحث و عليها تدور رحى الجوامع الفاضلة :

والهدف الاقصى منها تركيز الاخلاق العالية و الاداب السامية و رياضة النفوس عليها رياضة تستحيل بعد مديد الدربة ملكات منطبعة تتجاذب اليها الفضائل من دون مؤنفة و تتباعد عنها الرذائل من دون مجاهدة و بذلك يعود الناس اغنياء عن الحكام و المحاكم و ما اليهما : و هل هناك هدف اسمى من هذا الهدف و غاية يرمى اليها وراء هذه الغاية :

و التحوليون الذين يرون ان الانسان لم يحرز كما له الفعلي من الحريات المشرقة و الثقافات الوضاعة و المعائش الرغيدة الا بعد ان قطع عقبات مجهدة من التوحش و الانهيار لاندرى هل انهم يغالطوننا بما يقولون او يغالطون أنفسهم به :

فان ابواب الوجود مفتوحة على مصاريحها لنا ولهم فأين مكان الحرية التي يدعون وجودها للعموم و هل يرون الحرية قائمة بتحطيم القيود عن الاعتزاز بالنواميس و الاعراض و الحثييات و الكرامات فذلك هو عين التوحش الحيواني او انها قائمة بالتجاوزات الانتهازية التي أهابت في القرون الاخيرة بكل ضعيف فعبثت به عبت الرياح العواصف برقائيق الغصون فلم تبق عليه ولم تذر .

واين مكان المنمة بالثقافات التي تغنوا بها الناشئة هذه العصور فهل المنظور بها هو الا لحاد الحاد و انكار كل ما ليس بما كول و مشروب و ملبوس و ما الى هذه

الشهوات فهذه الظاهرة ليست بدءاً في هذا الزمن بل هي شارة الانسان منذ عهده الحجري حيث لم يكن يعترف بشيء سوى ماتدعو اليه ضرورته الطبيعية و هي رجعية مقتضحة و خزي لا اعتذار عنده انحطاط يستغرب في طريق التحول من نقص الى كمال وتوحش الى تمدن :

كان الناس على ماكان فيهم من حملات الاوبئة والطواعين وظلم الولاة وعسف النافذين و شيوع الخرافات وكثرة الازاجيف يتمتعون بمثاليين كباروعلماءأطهاروزهاد اخيار ومتدينين ابرار لهم مكانتهم المرموقة و تأثيرهم البليغ في جملة من الناس و بتوجيهاتهم اهتدى فريق اثر فريقي و تطوع للذب عن الحقيقة رجيل تلورعيل فكان المجتمع محتوباً على الغث والسمين والسخيف والشريف والمحق والمبطل والوحشى والمهذب والعصاة والتقاة ولكل وجهة هو مولياها :

اما اليوم حيث صرخ بوق الالحاد بكافة المبادئ المعنوية و اعتزت الطبقات الراقية بالخلاعات و صرف العلماء المرموقون في دنيا تمدن اليوم كل همهم في اغواء الناس وتضليلهم وتحبيب اللهو واللعب والاستهتار اليهم فلامجال لاى مثالى يفرض الافى جحريته ولاى متدين يكون الا بالشروء بنفسه الى زوايا الخمول واما سائر الاوساط فقد انجرفت بالرغم عليها الى مما شاة هذا النشأ المستهتر المجنون فى هواه و تمكن هذا الداء الدوى من تخوم الافراد قاطبة فلاجرم اذا اضيعت الحقوق و تمزقت اشلاء الضعفاء والتايط الكون بما لأمل باستصلاحه من طريق النقد الفارغ والعتاب اللانزع وان كان اليأس لامجال له مع ارادة الله وهو المستعان :

ومن وصية له **عليه السلام** : لولده الحسن (ع) سبحان الله ماذا يعطى النبوغ صاحبه فهذا امير المؤمنين اذا حاضر فى التوحيد وتحليل العقائد وجدته الفيلسوف المتأله الماهر واذا نطق فى شأن القرآن الفيته اعظم فنان فى علم التفسير والتأويل و اذا أفصح عن مزايا الاسلام والجهود التى بذلها نبيه فى سبيله وجدته اعظم متبطن له لا لانه سبق الى الايمان به فما اكثر السابقين الى اعتناق هذا الدين وكانوا فيه أناساً أشباه عوام بل لانه درسه دراسة عميقة جاءت به اول ديان و اذا وعظ وارشد انقطع عن اللحوق به كافة الناس و اذا

تكلم عن عالم الخلقه بشتى شؤونه وفنونه بذا السابقين واللاحقين فيه و اذا ادار لسانه في فمه ناطقاً وجدته كأن الله اختصه باعلا مزايا المفردات والتراكيب ومحاسنها و اذا أعرب عن حقيقة أصاب صميمها حيث غيره عنها بمسافات و اذا استجليته في الطافه الانسانية وجدته ابا رحيماً بكل مخلوق و اذا تحسست عنه في الخيرات والمبرات وجدته محض الخير و صرف المعروف و اذا قارنت النسبة بينه و بين الشر وجدته يتأثر من مفهومه الذهني حيث لا يتأثر من ارتكابه الخارجي أكابر الناس: هذا كله الى جانب زهده العظيم و عبادته الفائتة حدود الوصف و شجاعته المضروب بها المثل واصاخته بالتفويض الى الله على الحوادث المزعجة والخطوب المؤلمة فما اعظمه انسانا و ارفعه شأننا واجلدهر باننا نسلت القرون قبله و بعده فلم تأت له بنظر الا في الانبياء اولى المقامات العالية و انت تقرأه في وصيته هذه ابا معلماً و استاذاً مهذباً و حكيماً بارعاً و دياناً كبيراً لم يوص و لده ليحضه على تحصيل المراتب العالية و لو بدك الباقيين كما يفعل الناس و لكن او صاه للانسانية المطلقة و دعاه للسعادة العامة و اراد منه ان يكون اخيراً للباقيين و حبيباً للعالمين قريباً من الخير و الاخير بعيداً عن الشر و الاشرار و بذاك تراه انه اوصى و لده بالناس جميعاً و لم يوص اليه بنفسه فحسب

الحسنان وعناية النبي (ص) والوصى (ع) بهما

اشاد نبي الاسلام بمقام الحسنين ما لم يشد بمثله مقام اي احد يفرض ما سوى علي وفاطمة و من بعض ما استفاض بل تواتر عنه في شأنهما انهما سيدا شباب اهل الجنة و انهما امامان قاما ام قعدا و ليس ذلك من علوق بعض الآباء بأولادهم و أرحامهم فكلم للنبي ﷺ من بنت سوى فاطمة و كم له من رحم قريب غير علي بن ابي طالب مضافاً الى جلالة قدره عن أن تميل به العواطف عن مقالة خلاف الواقع : ما ينطق عن الهوى ان هو الاوحى يوحى:

فان تشكك مشكك فقال ما محقق هذه العناوين في الخارج حتى تطمئن النفس الى مدايل هذه الاقوال من طريق التطبيق الخارجي وراء التعبد بالعقيدة قلنا اصل

هذا التشكك وارد في كل قانون منسوب الى السماء فان فريضة الاعتراف بالله وانه الواجب الوجود الواحد لكافة صفات الكمال والجمال والجلال لاتلازم لزوم الاعتراف بكل مانسب اليه من قول او تشريع: وبين مقام العبد والمعبود فجوة واسعة تفقد الرابط الآمن طريق الانبياء والانبيااء ﷺ وان كانوا معززين من ناحيته تعالى بالمعجزات التي تكون قاعدة صدقهم فيما يخبرون عنه الآن ذلك وحده لا يقنع النفس بما سوى التبعيد المحض اذالم تقف على مستوى الواقع نفسه لتفهم عنه بغيتها التي تحاول كما تفهم عن الاستاذ الحكيم من طريق المنطق ما يحاول تركيزه من حقيقة يدلى بها:

وهذا المعنى في الشرائع يتجلى من طريقين (الاول) من نفس الالمام التام بهوية الرسول المبلغ وان هذا المتاع الذي أدلى به ليس من كيهه لبعده مستواه العلمى عمماً أصحبه (الثانى) من التبخر التام فيما نسبه للسماء من قوانين و نظم فان وجده العقل الناضج خصوصاً مع مراعاة زمان الصدور بعيداً عن مستوى العقول النوعية عزيز الاختراع الأعلى مقنن قد لا بس الواقع نفسه ولم يأخذ من الطرق المتداوله التي يخطأ اكثرها عن الاتصال به كما انه ليس من اهل التحيز و العواطف التي تجرف صاحبها الى عنصر خاص وجانب دون جانب ولم يدعه الخوف والتأثر الى أن يقول مالا واقع له في نفسه: كان لزاماً عليه ان يعترف بسماويته: ونحن نستطيع تطبيق هذين الطريقين على نبى الاسلام ودعوته باعتبار أنهما آخرنبى وأخر دعوة في الشرائع السماوية فنقول:

اماً الطريق الاول فكل مستعرض للتاريخ ليستشف منه حياة محمد بن عبد الله يعلم بالعلم الجازم انه انسان كواحد من قريش من حيث البيئه التربوية والمعيشية لم يستفد لنفسه خارج محيطه الذى درج فيه هو واهله ومعاشره ومعاصروه من اهل بلده اكثر مما هو متداول بين مهذبيهم وكمثلهم وليس ما جاء به بعد اربعين سنة من عمره من قماش ما تعارف بين معاشره ومعاصريه ولو فرض أن عقله كان يكتض بذلك فلم لم يترشح منه قبل البعثة حتى حرف واحد مما ترشح عنه بعدها على ان زمان بعثته لم يكن فرصة سانحة لابراز مافى نفسه حتى كان بانتظاره فلقد جوبه بالخلاف الشديد لمبدئه ثلاثة

عشر عاماً لم يصدقه خلالها الا افراد لا يتجاوزون عدد الاصابع وما استطاع نشر قوانينه الا بعد هجرته الى المدينة حين اتسع له بعض المجال : فمن هنا تدعن النفس ان ماجاء به ليس من بضاعته وانما هو في قبائها كآلة مسخرة لاكثر :

و مثل هذا يقال في علوم الائمة الذين كثر عنهم نقل العلم والرواية كالصديقين فان مستشف حياتهم يحصل له القطع بانهم ماقروا على انسان ولا اخذوا الرواية عن محدث أصلاً مضافاً الى ان المعارف الكثيرة الواردة عنهم لاتعرفها ادمغة معاصريهم الا بشبح لاقيمة له و اذا انسد طريق اكتسابهم لذلك بالتلمذ والتعلم وجب الاعتراف بان هناك جنبه غيبية أمدتهم بالالهام فكانوا من طريقه علماء من الطراز الذي طلعبوا به :

واما الطريق الثاني فنفس أمعان النظر في مواد قوانين الاسلام ونظمه يشبع روح الانسان بان ذلك ليس من مخترعات عقول البشر لعجزها عن ابداعه لما فيه من أحكام وأصابة لمحزّ الواقع بما لا يوجد في اعظم التشريعات حتى بعد مرور آلاف السنين على تهذيب العقول و تديريتها : والذي الوى بالتجدد و المتجددين عن الالتزام بها نظاماً احيانهم هو انجراف هؤلاء صوب المادة الجافة في كل اشيائهم وانكارهم للشعور الانساني بالمرّة و اصرارهم على انهم لا يزيدون على الحيوانات من حيث الطبيعة بشيء و تلك المنظم انما قررت للانسانية ولم تقرر للحيوان العارم :

فاذا احطت بذلك علماً فاستمع عن الواقع الذي طلع بالحسنين بما اهلهم الا ان يكونا امامين قامام قعدا : من سوء الصدق ان النبي ﷺ لم تغتمض عيناه بموته الا وتكالب الوضع على آل محمد بصورة ما كانت بحسبان اى مسلم يفرض فلم تكن الاذهان تستسيغ ان يحاصر عليّ في بيت فاطمة و ان يحشد الحطب على باب هذا البيت لاحراقه و ان يطحنى بعلى ركضاً لاجل اخذ البيعة منه لخليفة الوقت : واستمرت امثال هذه التوهينات بافراد هذا البيت حتى آخر ساعة من حكم عثمان بن عفان ولم تصل خلافة الوقت لعلى الا بعد ان استرذل هذا المقام واعتورته مئات الهنات من كافة جهاته بشتى الصور و الالوان ولولم يكن على بطل الابطال في كل اشياء الرجال لما استطاع ان يحفظ نفسه في هذا الميدان الشائك شهراً واحداً بالروح التي اراد فرضها على المجتمع

الذي حكم فيه :

وإذا كانت الاقترانات بهذه الصورة مع شخص على الذي مارس الخطوب والحوادث وكانت له شخصية لا يستهان بها حتى في حياة رسول الله فاجدر بشخصية الحسين الناشئة ان لا تقاوم هذه الشدائد المتظافرة الملححة بالاعنات بها والتظاهر عليها : ومع هذا كله فقد حدث التاريخ عن محاسن هذين السيدين في كافة الوجوه المعنوية ما لا يؤمل منه لان قلم التاريخ في كل دور وطور واقع بين محاذير رئيسية فانه اما ان يكون اجيراً او قدبري شقه التعصب واجترفته الميول العاطفية واما ان يخاف سلطة الوقت حكومة ومراماً: وكل هذه التارات الثلاث لاتعرف احقاق الحق والاشادة بفضل المحق قطعاً فاذا فلتت الحقيقة من بين هذه الاطباق فقد حصلت لها فرصة غير محتسبة وما اقل الفرص غير المحتسبة في امثال هذه النقاط :

واما مقالة بعض المتحمسين من الشيعة للحسن عليه السلام في صلحه لمعاوية يا مندل المؤمنين فهي صادرة عن عاطفة جوفاء فان الحسن لما سار بجيشه الى معاوية لم يملك من افراده الأعداء الاصابع من المخلصين والباقون منافقون او اشباه منافقين ولم يكن يعلم بهم وهؤلاء هم الذين ارادوا ان يوثقوه كتافاً في المدائن ويسلموه لمعاوية اسيراً و كانوا قادرين على ما نورا : ولا شك ان من تخذله الحوادث و الاقترانات يعود مسيئاً مهملاً تنجافى انظار البشر عنه الا من اعار الحقيقة نظراً واقعيّاً و وجوده في الجامعة الانسانية اعز من كل عزيز : ولم يحرز الحسين شخصيته الا بمقتله المعروف كما تقرأ ذلك في المقالين التاليين .

١ - شهداء الطف

- القيم الروحية - قال شاعر المعاني

انى لافتح عينى حين افتحها على كثير ولكن لأرى أحدا

تحتضن الاكوان على طول أبعادها كثرات من الكوائن الحية فيخال الناظر فيها

لاول مرة ان تفاعلها مع الحياة لهوزنه المرموق لكنه اذا جاس خلال الوجود ليقف

على كوامن أسرارها وجد أكثرها تافها لامطمع فيه ومبتذلاً لامجال للتوقف عنده نعم قد يطفح لاحدافه في استعراضه العام من رشد فكرياً ونضج عقلاً وقوى قلباً واشتداسراً وحسب للحياة حساً بأغير ما يحسبه الشره المبطن وذلك الحساب هو ان يعيش حراً كما خلق حراً وأن يحترم عقيدته و يفرض وجوده كديتار متأصل في الدار يتصرف بنفسه كما توحيه عقلياته الناضجة وافكاره الحرة ومقاييسه الصائبة .

وهذه القيم الحية لم تتجسدى في العالم بصراحة لم يشبها تحريف وتشويه الآ في عناصر خاصة تربع الايمان بالقيم الروحية منها في شغاف قلوبها وصميم عقولها فطلعت على الكون تلمع لمعان الكوكب المشرق و من هذا الافق المتموج بانواره الرفافة انبثقت الدعوة الحسينية :

فدعى الايمان اصحاب الحسين عليهم السلام ان يجيبوا صرخته ويلبوا دعوته التي وجهها الى مسلمي عصره بأن الاسلام وان اعتراه بعد النبي صلى الله عليه وآله وهن واخلل في النظام الشرعى على مرور الزمن الا ان الدولة بظاهرها كانت بنفعه وكان القائمون بها يتظاهرون بالصلاح حتى تصرمت حلقات من ظلام الليالي وبياض الايام جاء على اثرها دور على الذى خلق الافاضل البواسل على ما اعتورته من هنات وحروب حمراء اتت على النفوس التهاماً وعلى اتلاف الوقت عاماً فعاماً : ثم اغتيل على في محرابه فقضت بموته روح الانسانية والبطولة وكل خلق فاضل وتجنسى معاوية على الحق وأهله وكان مع ذلك خيراً من يزيد :

اما اذا جاء الدور الى كل مهتوك السر والعلانية و استخدم بطبيعة السنخية بين الحاكم وولاته كل رذل متسفل فالسكوت عن مناهضة الوضع من اهل الدين والغيرة على الاسلام والمسلمين حرام لعدة دواعى اهمها سقوط وزن الدنيا و انعدام الدين بالمره فان الاعتقادات الدينية انما تفعل و تؤثر اذا كانت في خفارة و ذمام و اما اذا عدت في صفوف الخرافات والرجعيات واحتقر صاحبها من أجلها وابتذل سوقها فلاريب في تقلص ظلها وقله أهلها وتلاشيها شيئاً فشيئاً حتى من كوامن القلوب وهذا امر شاهده جميع الناس في جميع الادوار عند تقلب الدنيا بنفع الدين والمتدينين مرة فيقوى الدين وأهله وتتوفر الدواعى الى اعتناقه والتظاهر به وبضره أخرى فيهن ويضعف و يستتر عن اظهاره حتى

المتدين من الناس :

- النهضة الحسينية - فلما أهاب ابو عبدالله بهذه النظرية الصادقة في زمن يزيد الفهود والقروود والخمور والفجور ودعى اليها موطناً نفسه وبذل كل ما يستطيعه في سبيل صرخته امام جموع الباطل بعد أن صارح المجتمع ان الوضع الحيوى اذا ارتهنه امثال يزيد فترة من الزمن عاد الكون الى أتعس ادوار الوحشية ففضلا عن انعدام الدين بالمرّة تنعدم الاخلاق الفاضلة من بين الناس وتعود الحياة كابوساً ثقيلاً على الاحياء ولا ريب في وجوب انقاذ البشرية من هذه المخالب الفاتكة : غير ان الناس كما قيل أجناس فمنهم من لا يزن الانسانية الا من طريق المادة والشهوة فلا يعرف للعزة معنى ولا للناموس كياناً ولا للاستقلال ثمناً ولا للحيثيات مقاماً : ومنهم من يعترف بالثقافة وكيان العزة والاستقلال لان وجدانه يدفعه الى ذلك ولكنه انما يريد ان ذاتياً له من نفسه وانفراج الزمان لصدقة عنه ولا يكلف نفسه في سبيل ذلك بنقل قدم او بذل درهم او تحمل اقل اذنية وهذا أب جمهور هواة الثقافة في نوع الامم :

لكن هناك من لا يرى الحياة الا بالعزة والحرية الا بالاستقلال و مصونية الحقوق الا بتركيز الحيثيات وان هذه الحقوق اذا لم تنهياً لاهلها تعود الحياة معها عبأ ثقيلاً ومنشأً للعقد النفسية وارتباك المعيشة وقلق المخ واضطراب الاعصاب وتكاثر الويلات : واول انسان أعمل هذا الرأى بعد النبي والوصى وحققه في الخارج هو الحسين بن على بن ابي طالب ومنه اندلعت روح المفاداة في الاجيال اللاحقة لجيله فنار التوابون ونهض المختار واستسلم الى الموت يدا بيد آل الزبير وآل المهلب واجاب هذا الصوت زيد بن على وتدرع به العباسيون وابومسلم وانتدب له اصحاب فخر والجوز جان بل كل معارك آل ابي طالب دارت على هذا المحور وتغنى بأنشودة الطف كل نائر بعد الحسين لهذا اليوم من انقلابين وثورين وأباة ضيم :

ان فواضع الحجر الاساسى لهذه البطولات القائمة في اصلااب الزمان هو اعظم شخصية دينية ودنيوية : ولوان الحسين عليه السلام جنح للسلامة وخضع ليزيد وامثال يزيد لتهاوت كل شىء على سفوحه و لما رأيت وجه الزمان كما تراه و لقد تلقى الثقافيون

الاحرار على انشعائهم فى الاهواء المبدئية حركة الحسين حركة غاية فى التقديس و التجليل ولوان اهل كل دور قاموا بوظيفتهم كما قام ابو عبدالله لما رأيت فى الدنيا طاغية ولا جلفا يتحكم فى اى اشار الناس واشعارهم .

- ليوث الحمية - هذه شمة من القول فى بيان الدوافع التى دفعت بالحسين بن على الى نهضته المرموقة: واما الكلام فى اصحابه ففى اول الامر- كما هو المشهود فى اول كل دعوة- كثر اصحابه ومجيبود الى دعوته حتى بلغوا عشرات الالوف فى اقل زمن يتصور لان جميع الناس يومذاك الا من يستمد الدنيا من خلافة الوقت كانوا فى حرج وضيق وكره لتلك الحكومات الانتهازية فلا بدع اذا انسوا بخلاف الحسين على يزيد و تمنوا نهضته ضد الوضع السائد الا ان نوع الناس كما اسلفنا يقدمون العافية ولو كانت طفيفة على كل شىء فلا يهمهم من امر دينهم و حريتهم و استقلالهم ما يهمهم ان يكونوا اشباحاً تنفس تنام فى الليل ولو على قلق و تسرح فى النهار ولو على وجل : ولا شك ان حكومة الوقت لا تخضع لدعوة الداعى ولو وجدت معه كل القلوب بدون ان تبذل كل ما لديها من قوة و دفاع فبمجرد ان رأى الناس العيون الحمر من الولاة نكصوا على أعقابهم وخفتت اصواتهم : اما الحسين فلم يثنه ذلك عما هو عليه و عما يريد بل جد فى اعمال منوياته على ميزان نفسيته البارعة و لذلك قل انصاره حتى تحلل من افراده اكثر من كان معه فى سفره الى العراق بل حتى عزت انفس التوابين قبل ان يعرفوا بهذه السمة عن الخروج اليه من الكوفة الى كربلاء على ان الجميع كاتبوه بل عزت انفس الجميع فى سبيل الدفاع عن مسلم بن عقيل وهو بين ظهرانيهم : وانما شجعوا بعد وقعة كربلاء التى بلغ دويها الافق الاعلا فاستحيوا ان يكون لجون العبد اسم يخفق فى اطباق الملاعوب يكون نصيبهم الخذلان لمن استقدموه فخذلوه :

نعم ثبت مع الحسين وتسلل اليه من عاف نفسه راغبا وبذلها ازهد ما يكون بها اعزازاً بمكانة القائد وتعظيماً لدعوته وتحطيماً لكل جبان وارضاء لله وللرسول لعلمهم ان الثائر من لا يشك بدينه كما لا شبهة فى صدق دعوته فاحتفلت بقعة كربلاء بكل صادق الوعد طاهر الضمير خالص الايمان حر الشيم وهذا المعنى لم يحصل حتى فى مسلمى بدر

و باقى غزوات النبى ﷺ و حروب الامام على لان حضار حروب النبى و الوصى لم يخل جمعهم من منافق بطور قاطع و لان تلك المقابلات كانت اعتيادية اوشبه اعتيادية تحتمل فيها السلامة و الغنيمة بسعة شائعة فى كافة المناوشات و الحروب اما حضار بقعة كربلاء فهم لا يزيدون على السبعين انساناً ما بين غلام لم يبلغ الحلم و شيخ يفن قد تجاوز التسعين و فى مقابلهم جموع متراسة تمدهم دولة جبارة عظيمة و العدد و الدنيا كلها معهم :

اما السبعون فكلمهم قاطعون بانهم لا يزيدون واحداً و ان الدنيا كلها عليهم و ان الموت يترقق بين لهواتهم و ان كل ما يوجد عندهم و عليهم سوف يعود غنيمة للطرف يعبت بها كيف يشاء فهل يقاس موقف بموقف و اصحاب بأصحاب مضافا الى ان الوضع الذى اراه اصحاب الحسين من انفسهم لم يحدث به التاريخ عن اى انسان يفرض :

يحدث التاريخ العمومى ان الحسين عليه السلام لما نزل ارض كربلاء اقبل على اصحابه فقال: الناس عبيد الدنيا و الدين لعق على سنتهم يحوطونه مادرت معائشهم فاذا محصوا بالبلاء قلّ الديانون : اما بعد فقد نزل بنا من الامر ما قد ترون و ان الدنيا قد تغيرت و تنكّرت و ادبر معروفها و لم يبق منها الاصابة كصابة الاناء و خسيس عيش كالمرعى الوبيل الا ترون الى الحق لا يعمل به و الى الباطل لا يتماهى عنه ليرغب المؤمن فى لقاء ربه فانى لأرى الموت الاسعادة و الحياة مع الظالمين الآبرما : فقام زهير و قال سمعنا يا ابن رسول الله مقاتلك و لو كانت الدنيا لنا باقية و كنا فيها مخلصين لا تثرنا النهوض معك على الاقامة فيها : و قال برير يا ابن رسول الله لقد من الله بك علينا أن نقاتل بين يديك تقطع فيك اعضاؤنا ثم يكون جدك شفيعنا يوم القيامة : و قال نافع بن هلال فيما قال سربنا راشداً معافى مشرقاً ان شئت او مغرباً فوالله ما اشفقنا من قدر الله و لا كرهنا لقاء ربنا و اننا على نياتنا و بصائرنا نوالى من و الاك و نعاذى من عاداك :

وصاح الشمر بأعلاصوته اين بنواختنا اين العباس و أخوته فأعرضوا عنه فقال الحسين أجيئوه و لو كان فاسقاً : قالوا ما شأنك قال يا بنى أختى اتم آمنون لا تقتلوا انفسكم مع الحسين و الزموا طاعة امير المؤمنين يزيد فقال العباس لعنك الله و لعن

أمانك أتؤمننا وابن رسول الله لأمان له وتأمرونا أن ندخل في طاعة اللعناء واولاد اللعناء:
 وجمع الحسين أصحابه قرب المساء فقال فيما قال أما بعد فاني لأعلم أصحاباً أولى
 ولاخيراً من اصحابي ولا اهل بيت ابرء ولا أوصل من اهل بيتي الاواني اظن يومنا من هؤلاء
 الاعداء غدا واني قد اذنت لكم فانطلقوا جميعاً في حل ليس عليكم مني نمام وهذا
 الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من اهل بيتي وتفرقوا
 في سوادكم ومدائنكم فان القوم انما يطلبونني ولو أصابوني لذهلوا عن طلب غيري:
 فقال له اخوته وابناؤه و بنو أخيه وابناء عبد الله بن جعفر لم تفعل لنبقي بعدك لأرانا
 الله ذلك أبداً بداهم بهذا القول العباس بن علي وتابعه الهاشميون: و التفت الحسين
 الى بنى عقيل وقال حسبكم من القتل بمسلم ان هبوا قد اذنت لكم فقالوا
 اذن ما يقول الناس وما نقول لهم اننا تركنا شيخنا وسيدنا و بنى عمومنا خير الاعمام
 ولم نرم معهم بسهم ولم نطعن برمح ولم نضرب بسيف ولا ندرى ما صنعوا لا والله لا نفعل
 ولكن نفديك بأنفسنا و اموالنا وأهلينا نقاتل معك حتى نردموردك فقبح الله العيش بعدك:
 وقال مسلم بن عوسجة أنحن نخلى عنك وبما نعتذر الى الله في اداء حقك أما والله
 لا فارقك حتى أظعن في صدورهم برمحي واضرب بسيفي مائتة قائمه في يدي الى
 آخر ما قال وتكلم باقي الاصحاب بما يشبه بعضه بعضا :

فهذه الاستماتة القاطعة والمفاداة المنقطعة النظير والصدق الذي بلغ أقصى حدوده
 لم يوجد من كافة الناس في كافة الحوادث و لذلك خلد هم الدهر تخليداً يتجدد كل ما طال
 الزمان واستطالت الاجيال :

٢ - سيد الأحرار أبو عبد الله الحسين

(١) سيد الشهداء

(٢) روحياته المشرقة

(٣) علمه بمسيره ومصيره

(٤) خططه البنائة

(٥) اهل بيته وأنصاره

(٦) خطبه وارشاداته

(٧) بطولاته ومواقفه

(٨) شهادته وسبى عقائله

(٩) اصحاح السبى بجرائم الحاكمين

١- سيد الشهداء

سيد الشهداء من اشرف العناصر البشرية فجده رسول الله خاتم النبيين و أبواه امير المؤمنين علي وسيدة النساء فاطمة واخوه الحسن الزكي وأعمامه حمزة بن عبدالمطلب وجعفر بن ابي طالب ادرك خمسا وستا من حياة الرسول وشاهد الوضع الاسلامي الخالص حينذاك وتناول من قريب تاريخ بطولاته وابطاله وحدث المؤمنين به والذائد من عنه وعاشرا باه واخاه الحسن معاشرة طويلة تتقف فيها ماشاء له الله وجدده وأبواه واخوه الزكي ومارس طبقات الصحابة وأعظم التابعين ممارسة بدقة وحضر حروب ابيه جمعاء وغامر فيها ودرس من هذا وذاك دروسا عالية في الايمان الصادق والعلم الناصح والاخلاق الفاضلة والمغادرة في سبيل المقاصد العالية وتشبعت روحه بالحقائق من هنا وهناك ومواهب الله في خفارته على طول ايامه حتى عاد ابن بجدتها في كل شيء فجمع من الملكات نظيراً لما جمعه أبوه فكان مؤمناً حقاً عالماً ورعاً حفيماً بالضعفاء كريماً بما يجد عزيزاً منيعاً ما رأى هو انما قط ولا جوبه بذل و كان قوياً في ارادته صلباً في منوياته نزيهاً في كل ما يمت اليه الى ابعد غاية شجاعاً بليغاً مهابةً تهجر العيون عن أن تلم به خير خلف لخير سلف :

٢- روحياته المشرقة

ولا بدع لمن كان بهذه الحشيات وتيك الصفات وتلكم السوابق المشرقة ان يتنكر لاقبل ما يراه من البدع في خلافة يزيد فان بين هذا الدور ودور جدده رسول الله الذي

شاهد طرفاً منه فرحاً كالفرق بين الإيمان والكفر وأن ينزعج من ذلك انزعاجاً عاصياً وأن يرى حياته مع يزيد ومؤازريه برماً وأن يسترخص عمره العزيز فيصرفه في ذلك هذا العروش الخائنة الظالمة وان يحيل على نفسه الخضوع لجلف وغد وساقط سخيف ولذلك تأثر لأول كلمة أقيمت على مسامعه من قبل والى المدينة بالبيعة ليزيد وعد ذلك من العظام التي لا تصيح لها نفس المؤمن الحرفكيف بنفسه الموصولة بذات اعظم لاهوتى فى الارض ذلك هو مخلص الانسانية محمد بن عبد الله ﷺ .

٣- علمه بمسيره ومصيره

وهو عليه السلام ان كان عالماً بان من كاتبه محبباً لقدومه الى العراق ليكون امام الناس لا يعدم الضمير النزيبه فى جملة من أفرادة فقد كان لا يتخالجه الشك بان هؤلاء لا يقومون بواجب هذا المرام من نهضة وقيام والا مر لا يتم بدونهما قطعاً لان فى قبال هذه المنويات دولة منعقدة بأهلها وجيوشاً جاهزة بعددها واعواناً تمدداً خصوصاً بعد ان وطئ معاوية مقدمات كل ذلك لولده من تصفية الجوه له بكثرة الاعوان و تقوية الاركان وادخار الرجال والاموال وسحق كل من يحاذر القيام فى وجهه من مقدسين و أفاضل و شيعة و شخصيات مرموقة و انه لم يبق فى سواد الناس الا الغناء و كذلك كان الامر حقيقاً وهو بمنظر ومرأى من الحسين وغيره ولذلك توجه كل من ابن عباس وابن الحنفية وغيرهما لصرف نظر الحسين عن مقصده و قالوا له انت فى قيامك هذا واحد فقط و لا اثر لواحد و مهما كان : و هو عليه السلام جد معترف بظاهر رأيتهم و لكن نفسه لا تستطيع السكون على مواجهة الوضع الجديد لما فيه من هنات و آفات و رأى من واجبه أن يضع اول حجر اساسى للمفاداة والتضحية حتى يتعلم الاشراف المؤمنون منه ذلك فى قبال كل وضع مرموز فكان ما وضعه من حجر اساسى مباركاً الى الابد وعايه استنتت جماعات و بنيت طبقات :

وبما انه عليه السلام كان يريد تحقيق مستقبل وانشاء تاريخ جديد و اقامة سنة مهمة تبقى على طول الاجيال و سلاسل الزمان لم يجد فى مجرد اباءه عن البيعة ليزيد كفاية

فان ذلك ما لا يذكره الا الذكرا الواحد في عصره وهذا ما لا قيمة له في التاريخ بعد ان تنعقد الخلافة لغيره من دون مجابهة بخلاف عملي واسع : كما لم يرفى اسارته او حبسه لامتناعه وتخلفه عن البيعة اثرأ وهكذا لم يرفى تشرده لاطراف اليمن او غيرهما من الافاق البعيدة الا ذلك الاثر العادي : واذا جالد في نفس المدينة وقتل لم يكن لفعله دوى عال قطعاً :

نعم هذا كله لا يثمر النتيجة المقصودة - فان النتيجة المتوخاة تتوقف - اولاً - على التشهير بالخلاف في سائر البلدان والبقاع لافي بلد واحد فان الدولة المسيطرة تخفى الصوت الواحد و مهما صدر عن حنجرة عظيمة وتحترك المكان الواحد و مهما بعدت ارجاؤه - وثانياً - على توسيع نطاق المبارزة حتى لا تكون خافتة : واذا كان أبو عبد الله لا يجد لنفسه اعواناً على القيام بهذه المهمات فأجدر به ان يلم شعته بافراد بيته وأقربائه الا الذين بما يصير منهم كوكبة عسكرية حادة واذا انضم الى ذلك خاصة ومشايعون فنعم المطلوب في توسعة النطاق وابعاد صدى الاصوات : ولم يقتنع بهذه الخطة الجبارة وحدها دون ان شفع ذلك بحمل اهله و نساءه معه لعلمه بان الحالة السائدة بعد ان تقضى عليه تسبى نساءه وذراريه الى خليفة الوقت روماً لا خضاع من يحدث نفسه بخلاف او معصية الا انه عليه السلام رأى ذلك له لاعليه لان السبى يحتوى على نساء كرائم قدا نجبتها احضان النبوة وقامت بتريتها رسالة السماء فهن يعرفن كيف ينطقن فيضبن معز الواقع ويفضخن الدخلاء وبناء الطلقاء بالمنطق الصائب فيكون في ذلك من توسيع نطاق الحادثة ما لا يحاذيه اعظم شيء .

٤ - خططه البنائة

ولاريب ان هذه الخطة المتربعة في حتمايا صدره لم يحب ان يبديها لابن الحنفية اولابن عباس او لغيرهما حتى يبديها الوضع عمال من نفسه فكانت نتيجة ما رسمه من الخطة عظيمة جداً سدت فراغاً واسعاً لا تقوم بسده الجحافل الجرارة ولا الهتافات الملتهبة ولا المظاهرات العنيفة : فكثيراً أبو عبد الله نفسه الواحدة باخوته وبنائه وعمومته و بثقله

وركائبه ونسائه وذراريه فكان موكبهم من المدينة الى مكة موكباً له سواد وسعة وبقي ردحاً من الزمن في مكة ظاهراً بين الناس ومكة ام القرى يرد اليها القاصي والداني والجميع علموا بمبده و ما هو عليه و ما يروم فتحادثوه ووصل حديثهم الى اقصى ما يمكن وصوله :

٥- اهل بيته وانصاره

ثم زم بركبه نحو العراق فتعرف به في طريقه الذاهب والايب وصرح مراراً لجميع من سمعاه انه لم يذهب لغنيمة وليس امامه ولا معه الا تأييد الحرية وتشييد مباني الانسانية فتفرق عنه من همه الدنيا ثم حط رحله في كربلاء وفي طول مسافة خروجه عن المدينة الى يوم قتله لم يزل يشقق الخطب الالامعة اللصيقة بموضوعه ويعرب فيها عن محتويات نفسه بمثل قوله في مكة :

٦- خطبه وارشاداته

خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة و ما أولهني الى اسلافي اشتياق يعقوب الى يوسف وخير لي مصرع انا لقيه كاني بأوصالي تقطعها عسلان الفلاة بين النواويس وكر بلا فيملاءن منى اكر اشأ جوفوا و اجربة سقياً :

ولما نزل البيضة (وهي ارض واسعة لبني يربوع بن حنظلة) خطب اصحاب الحر فقال فيما قال ايها الناس ان رسول الله ﷺ قال من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله ناكثاً عهده مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله ان يدخله مدخله. وهذا كله من اتمام الحجّة وابعاد صدق المخالفة وتوسيع نطاق الحادثة .

ولما نزل كربلاء في الثاني من المحرم سنة احدى وستين اقبل على اصحابه فقال للناس عبيد الدنيا والدين لعق على سنتهم - الى ان يقول - ألا ترون الى الحق لا يعمل به والى الباطل لا ينتهي عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله : فلما دنت المطالب الى الجدار الذي ما عليه

غباراً صحراً بالحقيقة الواضحة وصرح بمكنون نفسه :

ففى يوم عاشوراء دعا راحلته فركبها و نادى بصوت عال يسمعه جلسهم : ايها الناس اسمعوا قولى ولا تعجلوا حتى اعظكم بما هو حق لكم على وحتى اعتذر اليكم من مقدمى عليكم فان قبلتم عذرى وصدقتم قولى واعطيتمونى النصف من انفسكم كنتم بذلك اسعد ولم يكن لكم على سبيل وان لم تقبلوا منى العذر ولم تعطوا النصف من انفسكم فاجمعوا امركم وشركائكم ثم لا يكن امركم عليكم غمّة ثم اقضوا الى ولا تنظرون ان ولى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين .

ثم خطب ثانياً بعد ان ركب عليه السلام فرسه وأخذ مصحفاً ونشره على رأسه ووقف بازاء القوم وقال بعد ان سألهم عما اقدمهم على قتله فقالوا طاعة للامرعبيدالله بن زياد تبناً لكم يتها الجماعة وترحاً أحيان استصرختمونا و الهين فأصرخناكم موجفين سللتم علينا سيفاً لنا فى ايما نكم وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدونا وعدوكم فأصبحتم البأ لأعدائكم على او ليائكم بغير عدل افشوه فيكم و لا امل اصبح لكم فيهم فهالكم الويلات تركتمونا والسيف مشيم والجاش طامن والراى لم يستحصف ولكن اسرعتم اليها كطيرة الدبا وتداعتيم عليها كتهافت الفراش ثم نفضتموها فسحقاً لكم يا عبيد الامة وشذان الاحزاب ونبذة الكتاب ومحرفى الكلم - حتى يقول عليه السلام - الاوان الدعى ابن الدعى قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون الاوانى زاحف بهذه الاسرة على قلة المدد وخذلان الناصر : ثم انشد ابيات فروة بن مسيك المرادى : وقال اما والله لا تلبثون بعدها الا كرىثما يركب الفرس حتى تدور بكم دور الرحى وتقلق بكم قلق المحور عهد عهده الى أبى عن جدى رسول الله .

٧ - بطولاته ومواقفه

وحدث التاريخ عن بطولاته فقال عبدالله بن عمار بن يغوث ما رايت مكثوراً قط قد قتل ولده واهل بيته وصحبه اربط جاشاً من الحسين بن على و لا امضى جناناً ولا جراً مقدماً ولقد كانت الرجال تنكشف بين يديه اذا شد فيها و لم يثبت له احد :

و قال هلال بن نافع كنت واقفاً نحو الحسين و هو يجود بنفسه فوالله ما رايت قتيلاً قط مضمخاً بدمه احسن وجهاً منه ولا انور ولقد شغلني نور وجهه عن الفكرة في قتله:

٨ - شهادته وسبى عقائله

و لما سير ابن سعد الرأس الى الكوفة - بعد قتل الحسين و انصاره - اقام مع الجيش الى الزوال من اليوم الحادى عشر فجمع قتلاه و صلى عليهم و دفنهم و ترك سيد الشهداء و من معه من اهل بيته و صحبه بلا غسل ولا كفن و لا دفن تسقى عليهم الصبا و يزورهم و حش الفلا:

٩ - اصحار السبى بجرائم الحاكمين

ان اختراق السبى للمدن و القرى و دخوله للمحافل العامة على طول مسافة المسير و وجود الشعور الوافيه و العلم الناضج عنده و الا لسنة الفصيحة فى ثناياها و الوقار و الهيبة و الصلاح و الورع فى جملة اهلها مما اقام القيامة على آل ابى سفيان و اتباعهم و فضحهم شرفضيحة فقد استرسل السجاد و عماته و اخواته بانواع الخطب فى شتى الامكنة و ابانوا فيها من اسرار الواقعة و فضائل اهل البيت و زوائل آل ابى سفيان و حزبهم ما جعل يزيد و ابن زياد نادمين على ما فعلا ندماً قل نظيره لا خوفاً من الله : اذ لم يكونا يعتقدان به - ولا تكرمه لمحمد و آل محمد - ان كانا يبغضان هذه الاسرة من تخوم قلوبهم - و لكن للافتضاح الذى دخل عليهم فى سلطانهم باختيار منهم فكانت حادثة كربلاء من بدئها الى ختامها ابرز مثالاً لتحدى الحق و مجاولته للباطل حتى دكد دكات و رفع لنفسه مناراً لا يطفأ ابداً :

و من هنا تشيع لعلى و آل على الصفوة من رجال الاجيال لما وقفوا عليه من حقيقة صادقة فيهم معدومة فى غيرهم بالمرّة: و دونك فأقرأ عن التشيع حتى تشيع به قلباً و عقيدة.

التشيع

شعار اسلامى يتحلى به المسلمون المترسمون لطريقة امير المؤمنين باب مدينة علم الرسول الاعظم والاولى بالمؤمنين من بعده : وطريقة اهل بيت الرسالة كتاب الله الناطق بين المسلمين والنقل القائم باعباء النبوة بعد النبى : حيث يلتقى فى على والصفوة من آله القديم بالجديد والموحد بالملحد والعقول المتحررة بالضمائر الانسانية والعلم الصادق بالعمل النزيه والقرآن بالسنة والحقائق الراهنة برواد الحقيقة .

دين قام على أساس الدعوة الاسلامية والمثل الدينية والمقاييس العلمية والمكاشفات الحسية واستوثقت اركان مدينته الفاضلة بما شاده على من العلم السماوى غير المرتجل والعمل الذى لم يقصد به غير وجه الله وتولاه بنوه الربانيون بالرعاية والصفوة من آله المتألهون بمزيد العناية حتى طفحت الدواوين العلمية وصدور الرجال الرحبة بالموازين التى لاتعرف الهوى النفسى والغرض الشخصى وارتجال الاحكام بالتشبهى واصدار الفتوى عن رأى المجرى والاستحسان المزيه .

ولولا النزعات النفسية والشناشخ الاخرمية من اموية وغير اموية وبيع الدجالين انفسهم لارباب السلطة الزمنية لما رأى الناس لغير امير المؤمنين عليه السلام راية منصوبة وعلما قائما وعلما يؤخذ به - كيفد وهذا عمر بن الخطاب مازال يقول لولا على لهلك عمر ولا بقيت امعضلة ليس لها ابو الحسن ولا يفتين احد فى المسجد وعلى حاضر و لولاك لافتضحنا (١) الى غير ذلك وعمر من لاتخفى مكاتته عند الناس :

و روى ابو نعيم (٢) عن عبدالله بن عطاء انه قال مارأيت العلماء عند احدا صغر علماً منهم عند ابي جعفر (الباقى) وقال ابن الصباغ (٣) نقل الناس عن الصادق من العلوم

(١) مقدمة ابن ابي الحديد لشرح نهج البلاغة

(٢) الحلية (ج ٣ ص ١٨٦)

(٣) الفصل السادس من الفصول المهمة

ماسارت به الركبان وانتشر صيته وذكره في سائر البلدان: وسوف تقرأ أما يشبع نفسك أكثر من ذلك :

ولقد تفانى اهل الحقائق و القابليات من صحابة و تابعين و تابعي تابعين وهلم دواليك في حق هذا البطل اللاهوتي الذي اكتنفت جوانبه بالمثل السامية و كانوا يكبرونه اكباراً لا ينحط عن مقام النبوة الا بقليل وكيف لا يكون كذلك ورسول الله نزله من نفسه منزلة هارون من موسى كما يروونه بالشهود الحسى مجمع الفضائل والكمالات والرجل الوحيد الذي جمع الله العالم فيه :

روى الحاكم في المستدرک (ج ٣ ص ١١٤) فقال لمّا بويع علي بن ابيطالب على منبر رسول الله قال خزيمة بن ثابت وهو واقف بين يدي المنبر :

أبو حسن مما نخاف من الفتن	إذا نحن بايعنا علياً فحسبنا
اطب قريش بالكتاب وبالسنن	وجدناه اولى الناس بالناس انه
إذا ماجرى يوماً على الضمر البدن	وأن قريشاً ما تشق غباره
وما فيهم كل الذي فيه من حسن	وفيه الذي فيهم من الخير كله

وذكر ابن عبد البر (ج ١ ص ٣٠٦ من الاستيعاب) عند تعرضه للحارث بن غزيرة الصحابي ان الحارث هذا هو القائل يوم الجمل يامعشر الانصار انصروا امير المؤمنين آخرأ كما نصرتم رسول الله اولان الآخرة لشبيهة بالاولى :

وذكر اليعقوبي (ج ٢ ص ١٥٥ من تاريخه) عند تعرضه لبيعة علي فقال وقام قوم من الانصار فتكلموا وكان اول من تكلم ثابت بن قيس بن شماس الانصاري وكان خطيب الانصار فقال والله يا امير المؤمنين لئن كانوا تقدموك بالولاية فما تقدموك في الدين ولئن كانوا سبقوك امس فقد احققتهم اليوم ولقد كانوا وكنتم لا يخفى موضعك ولا يجهل مكانك يحتاجون اليك فيما لا يعلمون وما احتجت الى احد مع علمك : ثم قام خزيمة بن ثابت الانصاري وهو ذوالشهادتين فقال يا امير المؤمنين ما أصبنا الامرنا هذا غيرك ولا كان المنقلب الا اليك ولئن صدقنا انفسنا فيك لانت اقدم الناس ايماناً واعلم الناس بالله واولى المؤمنين برسول الله لك مالهم وليس لهم مالك : ثم قام صعصة بن صوحان فقال والله يا امير المؤمنين

لقديزنت الخلافة ومازانتك ورفعتها ومارفتك ولهي احوج اليك منك اليها:
وقال الشارح المعتزلي (الشرح الحديدي ج ٤ ص ٥٠٦) و قالت الانصار لولا
على بن ابي طالب في المهاجرين لانفنا لانفسنا ان يذكر المهاجرون معنا اوان يقرنوا بنا
ولكن رب واحد كالف بل كألف :

وقال ايضاً (ج ١ ص ١٣٢ من الشرح الحديدي) وروى ابو بكر احمد بن عبد العزيز
بسندة عن ابي سعيد الخدري قال سمعت البراء بن عازب يقول لم ازل لبني هاشم محباً فلما
قبض رسول الله تخوفت ان يتمالء قريش على اخراج هذا الامر عن بني هاشم فأخذني ما
يأخذ الواله العجول - الى أن يقول - فخرجت الى الفضاء فضاء بني بياضة فأجد نفاً
يتناجون فلما دنوت منهم سكتوا فانصرفت عنهم فعرفوني ومارفتهم فدعوني اليهم فأتيتهم
فأجد المقداد بن الاسود وعبادة بن الصامت وسلمان الفارسي و ابا ذر وحذيفة و ابا الهيثم -
بن التيهان واذا حذيفة يقول لهم ليكون ما اخبرتكم به والله ما كذبت ولا كذبت و اذا
القوم يريدون ان يعيدوا الامر شورى بين المهاجرين : والحديث في هذا اكثر من الكثير:
وما كان الا فضل الذين قوموا الاسلام بسيوفهم و مديد مبارزاتهم و حفظوا حقيقته بالعلم
الصادق والعمل النزيه يعرفون غير على احداً يوازيه او يقف في صفه ولا يعرفون السقيفة
والشورى الا كما يعرفون الانقلابات السياسية التي لاتعرف في طريقها المنطق وتدمر كل
من وقف في سبيلها كائناً من كان وهذه الحقيقة يستجليها كل من وقف على هذه القضايا و
نظائرها في تاريخ الاسلام .

واما اسفاف الدأجورين وجهلة المتعصبين فأمروراء الحقيقة بمراحل ولا مجال
له في هذه العصاراة ولنختم هذه الكلمات بمارواه ابن عبد البر في ترجمة علي من الاستيعاب
قال قال معاوية لضرار الصدائي يا ضرار صف لي علياً قال اعفني يا امير المؤمنين قال
لتصفنه قال اما اذ لا بد من وصفه فكان والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم
عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها
ويستأنس بالليل و وحشته وكان غزير العبرة طويل الفكرة يعجبه من اللباس ما قصر
ومن الطعام ما خشن كان فينا كأحدنا يخبينا اذا سألناه و ينبتنا اذا استنبثناه ونحن والله

مع تقريبه ايانا وقربه منا لانكاد نكلمه هيبه له يعظم اهل الدين و يقرب المساكين لا يطمع القوى فى باطله ولا يياس الضعيف من عدله وأشهد لقد رأيتنه فى بعض مواقفه وقد ارخى الليل سدوله وغارت نجومه قابضاً على لحيته يتململ يتململ السليم ويبكى بكاء الحزين ويقول يادنيا غري غري الى تعرضت ام الى تشوقت هيهات هيهات قد باينتك ثلاثاً لارجعة فيها فمرك قصير وخطرك حقير آه من قلة الزاد وبعدا السفر ووحشة الطريق فبكى معاوية وقال رحم الله بالحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار قال حزن من ذبح ولدها وهو فى حجرها :

وما اكثر عشاق على من ابناء البشر ولو لم يتبطن ابن ابى سفيان روحاً مظلمة
لتهاقت على سفوحه امام هذه النسخة المنحصرة بفرد من اللاهوت الاعلا ولم يكتبف من
تأثره بالبكاء وحده .

وعلى أساس هذا التفانى الغريب فى حق على و آله من كافة الافاضل الذين
ما استطاع انسان ان يسمهم بادنى بادرة حتى من المتعصبين الالاء اخذت سيوف بنى
امية من لدن عثمان بن عفان الى آخر ايامهم تحصد رقاب الشيعة فى كل مكان وابتدأت
حلقات هذه السلسلة بابى ذرا الغفارى حين شر دبه ومات بقاع جرداء وعمار بن ياسر حين
كسرت أضلاعه ولو بظاهرة الانتقاد لسياسة الوقت ثم اخذت الارض تموج بالدماء الزواكى
فى مرج عذراء وغيره من يد معاوية وحزبه حتى ظهرت بصورة صاحبة فى عرصة كربلاء
والحرّة واستمرت كذلك بقية ايام يزيد وعبيدالله بن زياد والحجاج بن يوسف ويوسف بن
عمرو وهلم جرا بظاهرة كالحة ووجه متجهم ولم تأخذ سيوف هؤلاء المنحرفين اللؤماء الأرقاب
كل فقيه معروف ومفسر مشهور ومثالى يتبرك بأثار اقدامه وشخصية حرة لها وزنها
فى بنى الانسان وعلى هذه الخطة الخشنة مشى الزمان عابثاً بارواح الاجلاء وحيثيات
الافاضل النجباء حتى مطلع الحرب العالمية الاولى حيث استراح الناس من انتهازات
هذا التعصب البغيض ولو ارامت موسع ان يكتب فى هذا الموضوع سلسلة كتب اجاءت موسوعته
حافلة بما يشوّه منظرة الانسانية ويندى منه جبين البشرية :

وقد لا يستكثر على ابن آكلة الاكباد ونغله وزياد بن ابيه ونسله والحجاج ومن

كان على شاكلته ما فعلوه واجترحوه لبعدهم عن الدين و لؤمهم في ذات انفسهم و مناجزتهم في سبيل سلطان عظيم وهكذا قد لا يستكثر على ابي هريرة و سمره بن جندب و عروة بن الزبير و امثال هذا اللقيف جنوحهم الى سياسة الوقت التي اعطتهم من نفسها اكثر مما يرجون و اعظم مما تنتظره نفوسهم الصاغرة و افلات ألسنتهم في الدفاع عنها و تحبيب الناس اليها لكن هلم الخطب فيمن فاته هذا اللحم و المرق و شرع بعد قرون بل و أجيال قلمد لتأيد هذه الخطط الخشنة و الحركات الرعناء المثيرة لغضب الله و المتحدية للطنين برسول الله و الهادمة لمباني الانسانية و المطيحة بشرف البشرية و لكنه السقوط و اللؤم اعاذنا الله و اعاذ كل انسان منهما :

ان يكن سيف بن عمر اختلق عبد الله بن سبأ ليجعله قاعدة لمزاعمه و يتصل من طريق ذلك بان الشيعة من اتباعه كما اختلق غيره و غيره لاشباع نهمته و استيفاء تمام أجرته فعلام جاء الشيخ محمد الخضري صاحب محاضرات تاريخ الامم الاسلامية يترسم هذه الخطوات غير متخط عنها و لا يعرف الشيعة للناس الا بانهم السبأية الجهل منه بميزان هذه النقول اذن هو ليس بمورخ و لا محقق في التاريخ بل مسف متحكم و لا يجوز لمثله ان يحاضر او يؤلف على ان كشف هذه المزورات لا يحتاج الى مؤنة بحث و تدقيق عميق بل الدارس لتاريخ الطبري في عرض ما يقف على روايات سيف بن عمر يقف من طريق غيره على ما يكذبها و يقلعها عن صفحة الوجود : و لقد تتبعنا نحن مزاعم الخضري في كتابه هذا قبل ١٨ سنة فنقضنا ها في مجلدين باسم الحياة الروحية : كما تعقب السيد الجليل السيد مرتضى العسكري هذه المقتريات في كتابه عبد الله بن سبأ؛ و ما و خمس صحابة مختلقون :

نعم جاء ما جاء عن الخضري لتحيزه بغيب و تعصب ممقوت و شق لعصا المسلمين : ولو كان الامر في هذه الاواخر مقصوداً عليه لهان الخطب و لكننا نرى افراداً و جماعات أسفوا بمزاعم هي أو هي و اوهن من بيت العنكبوت و اصق بالجهل من افاصيص عنتره بن زبيبة و السند باد البحري اولئك الذين برون ان عقيدة الشيعة خليط من تعاليم مجوسية و يهودية و ما الى ذلك لكن نسبة الشيعة الى امثال هذه النسب تبرهن على جهل الناس و اسفافه لان

أمره يدور بين ان يكون قال تلك المقالة عن شهوة نفس وانحياز الى رموز او تهميماً
للمحزات العميقة حتى تعود الحرب سجالات بين المسلمين انفسهم في زمن هم احوج
الى الائتلاف فيه من اى زمن يفرض والافما المناسبة بين عقائد الشيعة وعقائد المجوس
واليهود وهل ذلك الا كما قال الشاعر في قضية استلحاق معاوية لزيد .

واشهد ان قربك من زياد كقرب الفيل من ولد الاتان

وهنا يجب علينا ان نتعرض الى عدة مراحل .

(١) ان علياً هو الاولى بالمؤمنين من انفسهم بعد النبي ﷺ وانه باب
مدينة علمه واخوه دون كافة الناس ووصيه وخليفته وانه منه بمنزلة هارون من موسى :
(٢) وانه عليه السلام هو والصفوة من آله احد الثقلين العظيمين و المطهرون دون
كافة الناس .

(٣) وان الشيعة هم النخبة الصالحة من المسلمين :

(٤) وان عقائدهم المتلقاة عن ائمتهم الصق العقائد بالدين وبالواقع :

(٥) وانهم السابقون فى المراحل العلمية : كل ذلك بطور متوسط بين

الايجاز والاطناب .

١- المرحلة الاولى

التعرض لفضائل على وآله فى شتى مراحل الفضل والكمال امر تتعاضد عن بسطه
مفصلات الكتب فضلاً عن مختصراتها وقد تخصص فطاحل من علماء الفريقين لدراسة
ذلك وتدوينه وقد طبع وانتشر الكثير منه على الاخص ما دونه العلامة الجيهنذ المتتبع
السيد حامد حسين الهندي فى كتابه القيم عبقات الانوار المطبوع فى سلسلة حافلة
باللغة الفارسية وحقاً ان هذا الرجل اعطى الموضوع كل ما يستحق من بحث وتنقيب
فجاء آية فى فنه ولاغرابة فقد انفق هو وولده قدس سرهما اعمارهما المدينة عليه
مع توسع خزائنهما بانواع الكتب الاسلامية التى يقل وجودها فى الشرق والغرب و
لوان هذه السلسلة لخصت وعربت لاجاءت آية بارعة ليس لها نظير ولا مثيل : ثم سد

فجوة واسعة من الفراغ الذى شغله هذا الكتاب الجليل كتاب العلامة الامينى بعنوان الغدير فى الكتاب والسنتواما الذين تناولوا أطراف هذا الموضوع قديماً وحديثاً من شيعة وسنة فكثيرون جداً لامجال للتعرض لاسمائهم وأسماء مؤلفاتهم فضلاعن النقل منها غايته انا نلم باطراف الموضوع الماماً على سبيل التذكيرة ثم نوهى الى جملة من المصادر ليستقرأ من أحب الاستقراء والتوسع :

فنقول حديث الغدير حديث صعدت روايته الى ما فوق حدود التواتر بكثير واعترف بتواتره جهابذة علماء الاسلام حتى المتعصبون منهم وقد تعرض له صاحب العباة والغدير بتوسع واف لامزيد عليه ونحن نذكر طريقاً واحداً من طرقه لعرض مادته فقط قال ابن كثير وهو المتعصب المعروف بتعامله فى تاريخه البداية والنهاية (ج ٧ ص ٣٤٦) وما بعدها عند تعرضه لفضائل على **عليه السلام** : حديث الغدير : قال الامام أحمد حدثنا حسين بن محمد وابو نعيم المعنى قال احداثا فطر عن ابى الطفيل قال جمع على الناس فى الرحبة ثم قال لهم انشد الله كل امرىء مسلم سمع رسول الله يقول يوم غدیر خم ماسمع لما قام فقام كثير من الناس : قال ابو نعيم فقام ناس كثير - فشهدوا حين أخذ بيده فقال للناس أتعلمون انى اولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا نعم يا رسول الله قال من كنت مولاه فهذا دولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه فخرجت كأن فى نفسى شيئاً فلقيت زيد بن أرقم فقلت له انى سمعت علياً يقول كذا وكذا قال فما تنكر قد سمعت رسول الله يقول ذلك له - ا ه -

وأطال ابن كثير فى هذا الباب من طرق هذا الحديث : واكثر طرقه المزبورة بما يربو على التواتر متكفل لمفاد هذه المادة التى ذكرناها : وما اقتصر منها على قوله من كنت مولاه فعلى مولاه فهو مخفف هذا التفصيل : واولوية النبى بالمؤمنين من انفسهم مفاد قرآنى صريح (الآية ٦ من سورة الاحزاب) النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم : ولاريب ان المراد بهذه الاولوية هو كون المؤمن فى قبضة التكليف ليس له ان يتصرف بنفسه الا فى حدود الشريعة فاذا أزمه النبى بشىء لم يكن له التخلف عنه واذا ناهى عن شىء لم يكن له فعله (الآية ٣٣ من سورة النجم) ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى : والنبى بمقامه التشريعى جعل هذا المنصب - الاولوية بالمؤمن من نفسه - لامير المؤمنين

على وهو أعلاما يتصور في البيان عن مقام الخلافة الشرعية : واما الذين حاولوا تشويه هذه الحقيقة فمشاغبون امام نص لا يقبل التأويل على ان مفاد : من كنت مولاه فعلى مولاه - بمفرده عين المفاد الآنف ولا معنى له سواء :

حديث المنزلة : وهو من المتواترات القطعية عند ابناء العامة فضلا عن غيرهم وقد تعرض لسرد طرقه صاحب العباث بتوسع وصاحب الغدير بنظير من ذلك ونحن نذكر طريقاً واحداً منه للتعرف على مادته : قال ابن كثير في البداية والنهاية (ج ٧ ص ٣٣٩ وما بعدها) ثبت في الصحيحين من حديث شعبة ان رسول الله قال لعلى أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى غير انه لا نبي بعدي : و الطرف المذكور في متن الحديث من طرفي القياس صريح في معناه لا غبار عليه فلا بد من استعراض الطرف الآخر المقاس عليه ومن حسن الصدف ان الاحالة به على القرآن العزيز الذي لا يأتيه الباطل فقد قال سبحانه (الاية ٢٤ وما بعدها من سورة طه) مخاطباً لموسى عليه السلام ان هب الى فرعون انه طغى قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امرى واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من اهلي هارون اخي اشدد به ازرى واشركه في امرى - الى ان يقول - قال قدا وتيت سؤالك يا موسى : وقال تعالى (الاية ٥١ وما بعدها من سورة مريم) واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصاً وكان رسولا نبياً - حتى يقول - ووهبنا له اخاه هارون نبياً : وقال (الاية ٣٤ وما بعدها من سورة القصص) و اخي هارون هو أفصح منى لساناً فارسله معي ردء يصدقني اني اخاف ان يكذبون قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون اليكما : وقال (الاية ١٤١ من سورة الاعراف) وواعدنا موسى ثلاثين ايلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة وقال موسى ل اخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين .

فالطرف المقاس عليه بصريح هذه الآيات هو كون هارون فضلا عن مقام نبوته لنفسه وزيراً ل اخيه موسى وقوة وساعداً وخليفة على قومه وشريكاً في أمره ونبي الاسلام جعل علياً من نفسه بالمنزلة التي جعل الله بها هارون من موسى فهو اذن وزيره وقوته وعضده المساعد وخليفته على قومه وشريكه في أمره خارج النبوة : وبما ان هارون كان نبياً ولا

نبي بعد نبي الاسلام استدركه بقوله غير انه لانبي بعدى ولو لم يستثن ذلك لوجب بعموم التنزيل ان يكون على نبياً كما كان هارون نبياً وتنزيل هارون من موسى لم يخصه القرآن بزمان ولا مكان ولم يقيده بحال دون حال والنبي لم يتصرف بهذا التنزيل بل أبقاه كما جاء في القرآن لهارون من موسى :

وهذا هو معنى الخلافة الدينية والامامة الشرعية : وقول من يقول ان موسى اراد بقوله لهارون اخلفني في قومي مدة ذهابه الى ميعاد ربه ورجوعه اليهم لاعموم الخلافة يبطله طلب موسى من ربه ان يجعل اخاه هارون شريكاً له في أمره من اول الامر وأجابة الله سؤاله في ذلك والشريك في الامر مسيطر على كل حال والذي اراده موسى بقوله اخلفني في قومي ان يكون هارون في غياب موسى عنهم بلون من اخذ الحذر والتدقيق في المراعاة حتى كأن موسى حاضر فيهم لما يعلمه من شدة اضطراب قومه وسرعة انحرافهم وتخلفهم عن الخطة المرسومة لهم ولا يريد موسى بوصاياه هذه ان يعرب عن جهة نقص في أخيه حاشا فان موسى هو بنفسه عند ماعى للقيام بأعباء الرسالة من ناحية ربه تقاضى منه ان يعززه ويؤيده به واخذ يقرظ ويثنى عليه ويراه من اهل الصلاحيات والقابليات لهذه المهمة والقرآن صريح في كل ذلك :

ومن يدع ان خلافة هارون كانت مقصورة على زمن غيبة موسى فقد ناقض نفسه باعترافه له الشركة في نبوة أخيه منذ ابعث الى أن مات فيستحيل ان قصر الخلافة عليه زمناً معيناً فكما هو شريك لاخيه في حضوره شريك له في غيابه بالجعل المطلق المصرح به في نص الكتاب : نعم لا يطلق لفظ الخلافة الا حيث يكون المستخاف اما غائباً اوميتاً فخلافة هارون لموسى في غيابه عن قومه من جزئيات حقوقه الموظفة له و هي الشركة المطلقة الشاملة التصرفات الموقوفة على النبوة وغيرها : والنبي لم يستثنى عن على من هذا كله الأنوان النبوة فقط وكل ما سوى هذا العنوان مما لهارون ثابت لعلى بعموم التنزيل الصريح وفي ذلك من المعانى العظام لعلى ما لا شوب منه في اى مسلم يفرض : - مرحلة العلم و الفهم والفضيلة - أصحرت الضرورة من تاريخ الاسلام ورجاله أن علياً اعلم الناس بعد رسول الله وأن جميع الناس احتاجوا الى علمه حتى الخلفاء الذين

سبقوه الى الخلافة ولم يحتج مع علمه الى اى احد سواه والحديث الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه عليه السلام باب مدينة علمه وأبصر الناس بالقضية واكثر اصحابه علماً فوق حدود التواتر وهكذا شهادة أعظم الصحابة وجهابذة اهل العلم فى عامة الادوار بنظير ذلك مما لا يحتاج الى اسهاب فى بيان او اقامة برهان والعلم الوارد عنه يحقق ذلك ويشته :
و نحن نذكر صفحة مما عرضه التاريخ و نحيل بالباقي الى مصادرہ السكثيرة المنتشرة : قال عبدالبر فى ترجمة على من الاستيعاب : وزوجہ رسول اللہ صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة سيدة النساء ما خلا مريم بنت عمران وقال لها زوجتك سيداً فى الدنيا والاخرة وانه لاول اصحابى اسلاماً واكثرهم علماً واعظمهم حلماً : وضرب رسول الله بيده صدره وقال اللهم اهد قبله وسدد لسانه فما شك بعدها فى قضاء بين اثنين : وانه عليه السلام قال انا مدينة العلم و على بابها فمن اراد العلم فليأته من بابہ : وقال عليه السلام اقضى اصحابى على بن ابي طالب : وقال عمر بن الخطاب على اقضانا وكان عمر يتعوز بالله من معضلة ليس لها ابو حسن وكان عمر يقول لولا على لهلك عمر : وعن سعيد بن المسيب انه قال ما كان احد من الناس يقول سلونى غير على بن ابي طالب : وقال ابن عباس كنا اذا اتانا التثبت عن على لم نعدل به : وعنه انه قال والله لقد اعطى على بن ابي طالب تسعة اعشار العلم و ايم الله لقد شاركهم فى العشر العاشر : وقال سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص قلت لعبدالله بن عياش بن ربيعة يا عم لم كان صفوا للناس الى على فقال يا ابن اخى ان علياً كان له ما شئت من ضرر قاطع فى العلم وكانت له البسطة فى العشيبة و القدم فى الاسلام والصبر لرسول الله والفقہ فى السنة والنجدة فى الحرب والجود فى الماعون : وكان معاوية يكتب فيما ينزل به ليسأل له على بن ابي طالب فلما بلغه قتله قال ذهب الفقه والعلم بموته : وسأل الحسن البصرى عن على فقال كان على والله سهماً صائباً من مراهمى الله على عدوه وربانى هذه الامة وذافضلها وذا سابقتها وذا قرابتها من رسول الله لم يكن بالنؤمة عن امر الله ولا بالملومة فى دين الله ولا بالسروقة لمال الله اعطى القرآن عزائمه ففاز منه برياض موقنة - اه . ملاحظاً

٢ - حديث الثقلين واهل البيت

حديث الثقلين بالغ في الاستفاضة الى ابعد حد و قد سرد طرقه الوفيرة اهل الموسوعات الكبيرة حتى ان دار التقريب بين المذاهب لعدم اطلاعها التام على ذلك ذكرت في مجلتها «رسالة الاسلام» انه من رواية الاحاد فجرد احد وعاظ قم نفسه وكتب جزء لطيفاً عن طرقه وارسله اليها وهي بدورها انصافاً عرفت الحق وعملت به وطبعت الجزء بعنوان حديث الثقلين باسم الوا عظ الذي جمعه و نشرته نشرأ واسعأ و اذعنت بتوفر طرقه وصحة متونه ونحن نذكر من متونه وما هو مضاه لها اربعة احاديث لاستحضار القارئ ثم نتعقبه بكلمة موجزة:

روى الحاكم في المستدرک (ج ٣ ص ١٤٨) عن مسلم بن صبيح عن زيد بن ارقم قال قال رسول الله انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله واهل بيتى وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض: هذا حديث صحيح الاسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه واقره الذهبى فى تلخيص المستدرک: ورواه كثيرون كما اشعرنا بذلك .

و روى احمد فى المسند (ج ٥ ص ١٨٩) عن زيد بن ثابت قال قال رسول الله انى تارك فيكم خليفتمين كتاب الله واهل بيتى و انهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض جميعاً .

وروى المتقى الهندى فى كتابه منتخب كنز العمال (ج ٥ ص ٩٢) مثل اهل بيتى مثل سفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلف عنها غرق: البزار عن ابن عباس وعن ابن الزبير: والحاكم فى المستدرک عن ابى ذر .

وروى ايضاً (ج ٥ ص ٩٤) نحن اهل البيت لا يقاس بنا احد ، الديلمى عن انس . ولا مجال للاطالة فى هذا الموضوع لانه يخرج بنا عن الحد الذى تجبر عايتيه .

فأهل البيت بهذه النصوص الصريحة عدل الكتاب الذى لا يأتبه الباطل من جميع جوانبه فهم اذن لسان الله الناطق و حجته البالغة على خلقه كما ان القرآن كذلك والعيان منهم قد عزز هذا البيان .

واما اختصاصهم ^{بالتشيع} بالتطهير دون كافة الناس : فقد روى الحاكم في المستدرک (ج ٢ ص ٣١٦) عن عطاء بن يسار عن ام سلمة انها قالت فى بيتى نزلت هذه الآية - انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت قالت فأرسل رسول الله الى علي وفاطمة والحسن والحسين فقال اللهم هؤلاء اهل بيتى قالت ام سلمة يا رسول الله ما انا من اهل البيت قال انك على خير وهؤلاء اهل بيتى اللهم أهلى أحق : هذا حديث صحيح على شرط البخارى و لم يخرجاه ولم يتعقبه الذهبى : ورواه الحاكم بعدة طرق أخرى فى مستدرکه : و اعترف بنزوله فى خصوص هؤلاء نفر كل المفسرين و المحدثين وان حاول بعض الانتهازين تعميمه فقد فشل وقد صحت الرواية عن عائشة وهى من لا تنكر فى مثل هذه المواقف بان اهل البيت الواردة فيهم آية التطهير هم هؤلاء الخمسة فقد روى الحاكم فى المستدرک (ج ٣ ص ١٤٧) عن صفية بنت شيبة قالت حدثتني ام المؤمنين عائشة قالت خرج النبي غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن و الحسين فأدخلهما معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها معها ثم جاء علي فأدخله معهم ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت و يطهركم تطهيرا : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه : وأقره الذهبى كما هو :

وليس وراء تطهير الله اياهم و اذهاب الرجس عنهم غاية فى النزاهة و العصمة فقد استجمع اهل البيت مقارنات الكتاب فى الشريعة و خلافة النبي فى الامة و النزاهة و العصمة فى الانفس و ليس بعد هذا غاية لم يتصلوا بها :

٣- ان الشيعة هم النخبة الصالحة من الناس

قد قرأت فى اوائل هذه المقالة ان الاجلاء المرموقين الذين لهم وزن خاص فى الصحابة كسلمان و ابي ذر و المقداد و عمار و خزيمة بن ثابت و حذيفة بن اليمان و عشرات سواهم من الذين لهم المكانات السامية كان لهم هوى خاص بامير المؤمنين و كانوا لا يرون به بديلا من كل انسان و قرأت كلمة الانصار آنفاً انه لولا على فى المهاجرين لانفنا لانفسنا ان يذكر المهاجرون معنا وان يقرنوا بنا لكن رب واحد كالف بل كألوف :

وبعد هذا تعلم ان شيعة على كانوا من هذا النمط الصالح ولا يضر علياً انحراف الغناء عنه بل ليجل مقامه عن أن ينسب اليه اهل العاهات و خفيفوا الكفة عند الله : و قد جاء على لسان النبي ثناء وافر لشيعة على واهل البيت فمن ذلك ما رواه في المناقب و الفردوس و ينابيع المودة و غيرها من كتب الفضائل عن النبي انه قال على و شيعة هم الفائزون يوم القيامة و الاطالة في هذه الابواب تخرجنا عن الموضوع و هذا كله ما لا ريب فيه .

٤. ان عقائد الشيعة المتلقاة

عن أئمتهم هي الصق العقائد بالدين و الواقع

فعقيدة الشيعة بالصانع : انه تعالى موجود مجرد حتى حكيم قادر مختار عالم أزلي ابدى خالق كل شيء و ان صفاته عين ذاته و هذا الملاك عين ما توحىه العقول السليمة و مطابق لما جاء في نصوص القرآن الكريم : اما العقل فمدركه على ما حكم به شتات المشاهد الكونية الحاكمة بالحقيقة التي أعر بنا عنها و ما جاء في القرآن نسخة طبق الاصل لما أوحته العقول و نظرة عميقة في قوله تعالى (الآية ٩٥ و ما بعدها من سورة الانعام) ان الله فالحق و الحب و النوى يخرج الحي من الميت و يخرج الميت من الحي فالحق الاصباح و جعل الليل سكناً و الشمس و القمر حسباناً و هو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر و البحر و هو الذي انشأكم من نفس واحدة و هو الذي انزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء و جعلوا لله شركاء الجن و خلقهم بديع السموات و الارض انى يكون له و لذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه لا تدركه الابصار و هو يدرك الابصار و هو اللطيف الخبير : تكفى للاصحاح بتطابق العقيدة المزبورة للمفاد الصريح المذكور .

و جاء في فصل من خطبة لامير المؤمنين في التوحيد (ج ٣ ص ٢٠٣ من النهج الحديدي) ما وجد من كيفه و لاحقيقته أصاب من مثله و لا اياه عنى من شبهه و لا صمده من اشار اليه و توهمه كل معروف بنفسه مصنوع و كل قائم في سواء معلول فاعل لا باضطراب آلة مقدر لا يجول فكرة غنى لا باستفادة لا تصحبه الاوقات و لا ترفده الاوقات سبق الاوقات كونه و العدم وجوده و الابتداء أزله الذي لا يحول و لا يزول و لا يجوز عليه الاقول

لم يلد فيكون مولودا ولم يولد فيصير محدودا جلّ عن اتخاذ الابناء وطهر عن ملامسة النساء لا تناله الاوهام فتقدره و لا تتوهمه الفطن فتصوره و لا تدركه الحواس فتحسه و لا تلمسه الايدى فتمسه و لا يتغير بحال و لا يتبدل في الاحوال و لا تبليه الليالي والايام و لا يغيره الضياء والظلام: الى كثير سوى ذلك مما طفحت به خطب نهج البلاغة :

وجاء عن ابي عبدالله الصادق ان احدا من نادقة سأله فقال له دلّني على معبودي فقال ابو عبدالله اجلس فاذا غلام صغير في كفه بيضة يلعب بها فقال ابو عبدالله ناولني يا غلام البيضة فناولها ياها فقال ابو عبدالله هذا حصن مكنون له جلد غليظ و تحته جلد رقيق و تحته ذهب مائة و فضة ذائبة فلا الذهب المائة تختلط بالفضة الذائبة و لا الفضة الذائبة تختلط بالذهب المائة فهي على حالها لم يخرج منها خارج مصلح فيخبر عن اصلاحها ولم يدخل فيها داخل مفسد فيخبر عن افسادها لا يدري للذكر خلقت ام للانثى تنفلق عن مثل ألوان الطاووس أترى لها مديراً فاطرق ملياً ثم قال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له و اشهد ان محمدا عبده ورسوله و انك امام و حجة من الله على خلقه: و عن ابي الحسن الرضا انه دخل عليه رجل فقال له يا ابن رسول الله ما الدليل على حدوث العالم فقال انت لم تكن ثم كنت و قد علمت انك لم تكون نفسك و لا كونك من هو مثلك :

- و عقيدتهم في العدل - انه تعالى عادل في الخلقه : اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات و الارض و ما بينهما الا بالحق (٨ - سورة الروم) الذي احسن كل شيء خلقه (٧ - سورة السجدة) و عادل في الحكومة : ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا و عملوا الصالحات سواء محياهم و مماتهم ساء ما يحكمون : و خلق الله السموات و الارض بالحق و لتجزى كل نفس بما كسبت و هم لا يظلمون : و لطيف في تسيير الانسان حيث لم يعنف به فيقصره على الفعل او الترك ثم يحاسبه عليه و لم يهمله لنفسه حتى يذهب ضحية اهوائه و شهواته بل لطف به اللطف الخفي مع تمام اختياره و قد يزداد هذا اللطف الى درجة العصمة حيث يزداد اقبال العبد على ربه و انقطاعه اليه كما قد ينحط الى درجة الاعراض عنه تعالى من المتمادين في غيرهم كما ورد ذلك في قوله سبحانه

(الآية ١٣ من سورة الكهف) انهم فتية آمنوا بربهم و زدناهم هدى : وقوله عز وجل
(الآية ١٠٠ من سورة الاعراف) تلك القرى نقص عليك من انبائها ولقد جاءتهم رسلهم
بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين :

وما أعر بنا عنه هو معنى ما جاء عن اهل البيت لاجبر ولا تفويض ولكن امر بين امرين
وسئل الرضا عليه السلام في مجلس المأمون سائل فقال يا ابا الحسن الخلق مجبورون قال ان
الله أعدل من ان يجبر ثم يعذب قال فمطلقون قال الله تعالى أحكم من أن يهمل عبده
ويكفه الى نفسه :

- وعقيدتهم في النبوة - لزوم بعثة الرسل لاصلاح الجوامع وضرورة عصمة البعيت
حتى يحصل القطع للنفس بان ما يخبر به عن الله حتمى الصدور وان فعله وتركه حجة
وان الرسول في نفسه يجب ان يكون من الافراد الظاهرين المثاليين حتى تكون سابقته
بين الناس معينة على تصديقه ويضاف الى ذلك كون لطف الله به اكثر من كل احد سواه بما
يعود معه قريباً من الطاعات بعيداً عن مزاوله المعاصى مع بقاء الاختيار وهذا هو معنى
وجوب العصمة : كما ان عقيدتهم بالنسبة الى سائر الانبياء الاجلاء و دياناتهم في حينها
طبق ما نطق به الذكر الحكيم (الآية ٢٨٥ من سورة البقرة) آمن الرسول بما أنزل اليه
من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين احد من رسله وقالوا
سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير :

- وعقيدتهم في الامامة - انها تلوا النبوة ولا تفرق عنها الا بانقطاع الوحي وتأسيس
الشرائع وكل ملاك كان في النبى فانه يكون في الامام وان الامامة لا تنصل الا بالتنصيص
ذلك لان الدواعى الموجودة في ارسال الرسل بنفسها موجودة في لزوم حفظ الشريعة
وصونها عن التلاعب بها وقيادة امور الامة على الحق الذى لا تشوبه الميول والاهواء:
ولاريب ان تشريع الشريعة وحده لا يقوم بأدنى طرف من تطبيقها على المجامع :
وفضلا عن ان الافراد العاديين ليس بهم ان يقوموا بواجبها حتى لو اتخبو للقيام بأعبائها
فان اصل الانتخاب الصحيح مستحيل التحقق من الناس لامام يؤمهم وقد أصحرت الحقائق
التاريخية عن دجل انتخابات الدنيا بأسرها على ان مؤتمر السقيفة لا يجوز ان يعبر عنه

بالانتجاب او ما هو من شبهه .

(١) لتخلف الاجلاء المرموقين من اعيان الصحابة كعلى وسلمان وابى ذر والمقداد وعمار وحذيفة بن اليمان وعشرات من طرازهم حيث يعد كل واحد من هؤلاء بألوف من غناء الناس :

(٢) لاستعمال الاعنات والارهاب فى طريقه فلم تمض على انعقاد المؤتمر الاساعة حتى خرج المجتمعون يشقون الازقة والطرق لقسر الناس على البيعة فكان يؤخذ بيد الرجل ويمسح بهاعلى يد الخليفة شاء ذلك ام ابى :

(٣) للمهجوم على بيت على وفاطمة واخراج من فيه يطحن بهم ملبين حتى يبابعوا ولهفات أخرى لامجال لذكرها لان قد فعمت بها حوادث السقيفة وليت ذلك تم بلا احداث حدث فى الشريعة او ابداع بدعة لكن الامر وراة ذلك بمراحل حيث جاءت الاوليات وارتجال الاحكام عن ولاة الامور تحدث فى الساعة بعد الساعة لاعن مدرك سوى الرأى المجرد والاستحسان المزيّف وكم اعترف معترف منهم بان اصل البيعة كان عن فلتة وان ما سنّه وحكم به كان على خلاف عهد الرسول وكم الفت نظره الى واقع الحقيقة من هو أعلم وأبصر فقال قولاته المعروفة : لولا على لهلك عمر : ولولاك لافتضحنا : ولا بقيت لمعضلة ليس لها ابو الحسن : ولا بدع اذا مشى الدين بعد ذلك آله صماء تتلاعب بها الميول والاهواء من محدث دجال وخليفة متحكم وقاض يمشى على وفق المصلحة الوقتية ويعامل بالدين على سعر الوقت وفقه اتخذ الاستحسان مدركاً للحكم الشرعى فوق ما اتخذ الكتاب والسنة :

ومن بعض الشواهد على ذلك ما رواه ابو نعيم (ج ٢ ص ١٩٢) من حلية الاولياء : عن ابن ابى ليلى قال دخلت انا وابو حنيفة على جعفر بن محمد فقال من هذا معك قال هذا رجل له بصرون فاذ فى امر الدين قال لعله يقيس امر الدين برأيه قال نعم فأقبل على ابى حنيفة فقال يا نعمان حدثنى ابى عن جدى ان رسول الله قال اول من قاس امر الدين برأيه ابليس قال الله له اسجد لادم فقال انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين فمن قاس امر الدين برأيه قرنه الله تعالى يوم القيامة بابليس لانه اتبعه بالقياس : ثم قال له ايها أعظم قتل النفس او الزنا قال قتل النفس قال فان الله تعالى قبل فى قتل النفس

شاهدين ولم يقبل في الزنا الا اربعة ثم قال ايهما أعظم الصلاة او الصوم قال الصلوة قال فما بال الحائض تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة فكيف ويحك يقوم لك قياسك اتق الله ولا تقس الدين برأيك :

فهذا كله وكثير من امثاله يؤيد عقيدة الامامية في لزوم نصب الامام الشرعى من صاحب الشرع وكونه معصوما كالنبي المرسل :

-وعقيدتهم في المعاد- انه جسمانى كما صرحت به نصوص القرآن المحكمة وان هناك ثواباً وعقاباً بعد الحساب وجنة ونارا كما هو مشروح فى الكتاب العزيز وصحيح السنة-وعقيدتهم فى القرآن- انه الكتاب السماوى الذى انزل على محمد صلى الله عليه وسلم معجزة لهو شريعة لامته وانه الميزان الذى توزن به السنة فما وافقه منها اخذ به وما خالفه ترك وطرح: ومن تمجيد القرآن على لسان اهل البيت عليهم السلام ما جاء عن امير المؤمنين عليه السلام فى نعته (ج ٢ ص ٥٦٥ وما بعدها من النهج الحديدى) جعله الله ربا لعطش العلماء وربيعاً لقلوب الفقهاء ومحتاج لطرق الصالحاء ودواء ليس بعده داء ونورا ليس معه ظلمة وحبلا وثيقاعروته ومعقلا منيفاً زورته وعزاً لمن تولادوسلماً لمن دخله وهدى لمن ائتم به وعذرا لمن اتحل به وبرهاناً لمن تكلم به وشاهدا لمن خاصم عنه و فليجاً لمن حاج به وحاملاً لمن حمله ومطية لمن اعمله وآية لمن توسم وجنة لمن استائتم وعلماً لمن وعى وحديثاً لمن روى وحكماً لمن قضى:

ويقول عليه السلام (فى فقرة اخرى ج ٢ ص ٥١٠) واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذى لا يغش والهادى الذى لا يضل والمحدث الذى لا يكذب وما جالس هذا القرآن احد الا قام عنه بزيادة او نقصان زيادة فى هدى ونقصان من عمى - الى ان يقول - فكونوا من حرثه واتباعه واستدلوه على ربكم واستنصحوه على انفسكم واتهموا عليه آرائكم واستغشوا فيه أهوائكم: وكم له عليه السلام من قبيل هذه النعوت الجليلة فى حقه:

-ومن عقيدة الشيعة فتح باب الاجتهاد- وهو امر ضرورى فى الشريعة لان كل مكلف مخاطب بالفروع كما هو مخاطب بالاصول غايتان الاصول لما كانت تدور مدار العقليات لم يكن فيها طريق الى جواز التقليد لان معرفة الامور العقلية لا تحتاج الى ازيد من

الغات النظر اليها ومثل هذه المعرفة كافية في التكليف بأصول الدين : اما فروعه فلما كانت توقيفية من ناحية وذات مدارك شرعية كثيرة من ناحية ثانية و استفادة الحكم الشرعى منها مبتنية على معرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص و المطلق والمقيد والمجمل والمبين وعلاج المتعارضات وما الى ذلك مما هو كثير فى نفسه ودقيق فى معناه كان امر المكلف فيها دائراً بين ان يكون مجتهداً او محتاتماً او مقلداً لمجتهد : ويقال عنوان المجتهد ان يتعرف بالمواد التى أشرنا اليها تعريفاً قائماً على تمحيص واستدلال حتى يجعلها ممهدة لاستنباط الحكم الفرعى الشرعى منها: ويقال المحتاط لمن به قدرة على تشخيص احوط الاقوال فى المسألة: والمقلد امره معروف ولا بدله على طول تسلسل الاجيال من مجتهدين يستمرون مع بقاءه ليقوموا بواجبهم الشرعى امام كثرات المكلفين الذين ليس باستطاعتهم ان يكونوا مجتهدين او محتاطين ولا بدلهم من العمل بالسرعة التى هم موظفون بها : كما لا يجوز لهم الاكتفاء بما ينقل اليهم من آراء المستنبطين الاسبقين للعلم القاطع بخطأ جملة من الآراء الصادرة فى حينها اما لعدم تشبع اذهان أهلها بالمقاييس العلمية او لخطئهم فى التطبيق مضافاً الى حدوث حوادث مستجدة فى كل زمان لم يكن فى السابق منها عين ولا اثر ولا بدلها من حكم شرعى يضى عليها: والمجتهد الاسبق مع بذله لوسعه فى استنباط الحكم الشرعى وهكذا من قلده فى وقته معذوران لان غاية ما عليهما هو ذلك : ولا يعذر بعدهما من يستطيع الاستنباط الصحيح بنظر اذق ولا من المقلدين من لم ينصرف الى فتوى المتأخر عن فتوى المتقدم :

وقد كشف سير العلم باهله ونضجه بالبحث ان اجتهاد المتأخر اقرب للمنطق من اجتهاد المتقدم فى كثير من الاحكام هذا وراء الحوادث المتجددة التى لم تسبق لها فتوى ولا بد من اجراء مقاييس العلم عليها وليس ذلك الآمن شأن المجتهد :

و نحن لان لاتعقل الملاك الذى سد باب الاجتهاد بعد المراجع الاربعة على كل احد سواهم بعد ما كان مفتوحاً حتى لغير اهل العلم كخالدين الوليد ونظرائه حينما كانت تعلق بوادرهم بانهم اجتهدوا فيها وتأولوا فأخطأوا فهم معذرون :
وعقيدتهم فى الصوم والصلاة والخمس والزكوة والحج والجهاد الامر بالمعروف والنهي

عن المنكر اعلاما يمكن اعتقاده في وظائف الشرع وهكذا في سائر الابواب الفقهية من عقود و ايقاعات وأحكام نعم يختلفون هم واخوانهم من ابناء السنة في شتات فروع الابواب الفقهية اختلافات فرعية لانمس بجوهر العقيدة الاسلامية و يوافقهم على اكثرها امتازوا به من المذاهب الخلافية جملة و افره من صحابة و تابعين و أبرزتيك النقاط:

- (١) المسح على الرجلين في الوضوء
 - (٢) استمرار اباحة النكاح المنقطع
 - (٣) عدم صحة العول والتعصيب في الميراث
 - (٤) حرمة العمل بالقياس والاستحسان
 - (٥) وجوب التقية في مقام الخوف من ظالم متهجم في حدود مخصوصة :
- ونحن نبحث عن هذه النقاط بحثاً خفيفاً ينكشف به الاشكال و يتحقق به اصابة الخاصة دون العامة في ذلك :

١- المسح على الرجلين في الوضوء

جاء في آية الوضوء قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم و ايديكم الى المرافق و امسحوا برؤسكم و ارجلكم الى الكعبين : فان ايقاع المقارنة بين الوجوه و الايدي في الغسل قاض بلزوم مراعاةها بين الرأس و الارجل في المسح ولو كانت الارجل مما تغسل للزوم في مراعاة التناسب ان يقال فاغسلوا وجوهكم و ايديكم الى المرافق و ارجلكم الى الكعبين و امسحوا برؤسكم و اما ايقاع الممسوح بين مغسولين فهو من التشويش غير اللائق بمقام البليغ قطعاً بل من الموهوم لخالق المقصود حتماً وذلك مما يجب ان يحترس عنه دفعاً للايهام جزماً : و يؤيد ذلك فضلاً عما ذكرناه قراءة الارجل بالكسر : قال الشوكاني في تفسيره عند تعرضه لقوله تعالى و ارجلكم الى الكعبين قرأنا نافع بنصب ارجل و هي قراءة الحسن البصري و الاعمش و قرأ ابن كثير و ابو عمرو و حمزة بالجرو الى المسح ذهب ابن جرير الطبري و هو مروى عن ابن عباس قال القرطبي روى عن ابن عباس انه قال الوضوء غسليتان و مسحتان

قال وكان عكرمة يمسح رجله وقال ليس في الرجلين غسل وانما نزل فيهما المسح و قال عامر الشعبي نزل جبرئيل بالمسح قال و قال قتادة افترض الله غسلتين ومسحتين: و في احكام القرآن للخصاص قرأ ابن عباس والحسن وعكرمة وحمزة وابن كثير و ارجلكم بالخفض ، و قال الطبرسي في مجمع البيان و قد روى القول بالمسح عن جماعة من الصحابة والتابعين كابن عباس و انس و أبي العالية و الشعبي و قال الحسن البصري بالتخيير بين المسح والغسل واليه ذهب الطبري والجبائي وروى عن ابن عباس انه وصف وضوء رسول الله ﷺ فمسح على رجله وروى عنه انه قال ان في كتاب الله المسح و يابى الناس الا الغسل و قال الوضوء غسلتان ومسحتان و قال قتادة فرض الله غسلتين ومسحتين و قال الشعبي نزل جبرئيل بالمسح ثم قال ان في التيمم ان يمسح ما كان غسلاً و يلقى ما كان مسحاً و قال يونس حدثني من صحب عكرمة الى واسط قال فما رأيته غسل رجله وانما كان يمسح عليهما : ولا ريب ان قضية غسل الارجل وليدة اوليات و من مرتجالات الاحكام :

٢- نكاح المتعة

لم يختلف اثنان من المسلمين في اباحة هذا النكاح في عهد الرسول ﷺ وقامت جملة من الابرار على استمراره حتى اواسط خلافة عمر: فروى مسلم في الصحيح (ج ٤ ص ١٣٠ و ما بعدها باب نكاح المتعة) عن عطاء قال قدم جابر بن عبد الله معتمراً فجيئناه في منزله فسأله القوم عن اشياء ثم ذكروا المتعة فقال نعم استمتعنا على عهد رسول الله و ابي بكر وعمر: وعن ابي الزبير قال سمعت جابر بن عبد الله يقول كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق الايام على عهد رسول الله و ابي بكر حتى نهى عنه عمر في شان عمرو بن حريث :

وفي منتخب كنز العمال (ج ٦ ص ٤٠٤) عن سعيد بن المسيب قال استمتع ابن حريث و ابن فلان كلاهما ولد له من المتعة زمان ابى بكر وعمر - ابن جرير - وقال ابن حجر في الاصابة في ترجمة سلمة بن امية بن خلف الجمعي و استمتع سلمة بن امية من سلمى

مولاة حكيم بن امية بن الاوقص الاسلمى فولدت له فجعده ولدها فبلغ ذلك عمر فنهى عن المتعة وقال ابن حزم فى المحلى ثبت على تحليل المتعة بعد النبى ﷺ من الصحابة ابن مسعود وابن عباس وجابر وسلمة والمغيرة ابنا امية ابن خلف وذكر آخرين : وفى بداية المجتهد لابن رشد واشتهر عن ابن عباس تحليلها وتبع ابن عباس على القول بها اصحابه من اهل مكة واليمن ثم قال وروى عنه انه قال ما كانت المتعة الارحمة من الله عزوجل رحم بهامة محمد ولولا نهى عمر عنها ما اضطر الى الزنا الا شقى : وعن عطاء قال سمعت جابر بن عبد الله يقول تمتعنا على عهد رسول الله ص وابى بكر ونصفاً من خلافة عمر ثم نهى عنها عمر الناس - الى غير ذلك مما هو كثير -

واما ادعائهم نسخ ذلك زمن الرسول ففيه من الخبط والخلط والتزوير ما لا يخفى أمره وقد تعرضنا له مبسوطاً فى (ج ٤ ص ٢٧٩ وما قبلها وبعدها من نتائج الفكر) فراجع هذا والاركان الرئيسية فى النكاح الدائم موجودة فيه بالاتفاوت والاختلاف بينهما فى بعض الجزئيات لا يؤثر وقد ألهم القول بحليةها امير المؤمنين على وبنوه حتى عرفت المسألة بهم فى حال انها اسلامية عامة :

٣- العول والتعصيب فى الميراث

ان من يراجع الفقه الاسلامى غير المشوب بجدان لاعول فيه ولا تعصيب اما عدم التعصيب فبقوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله (آخرة الانفال) واولوية القريب تمنع البعيد وتقطعه عن الارث بالمرة : وكل ذى شعور يعلم استحالة أن يشرع الله فى تركة ثلثين وثلثاً وربعاً كما فى البنيتين والابوين و الزوج فلا بدان يكون فى البين امر يرفع هذه الحزازة و الفقيه المتدبر فى الفرائض الواردة فى كتاب الله يراها على قسمين قسم منها فرض ينزل الى فرض آخر كالزوج من النصف الى الربع والزوجة من الربع الى الثمن و الام من الثلث الى السدس وقسم منها فرض اذا تنزل لا ينزل الى قدر معين فالاستيناس الفقهى قاض بان الفرض المتنزل الى فرض أدون كالنصف الى الربع و الربع الى الثمن و الثلث الى السدس لا مجال

بعد تنزله الى ادخال النقص عليه انذ فيكون النقص وارداً على الفروض التي اذا تنزلت تنزل الى غير معين وقد وردت بذلك السنة عن اهل البيت ومن طريق الصحابة ايضاً اما اهل البيت فمذهبهم تخطأة العول والتعصيب بالمرءة : واما ما جاء من طريق الصحابة فروى الحاكم في المستدرک (ج ٤ ص ٣٤٠) عن محمد بن مسلم بن عبدالله بن شهاب عن عبيدالله بن عبدالله عن ابن عباس ان قال اول من أعال الفرائض عمرو ايم الله لو قدم من قدم الله وأخر من أخر الله ما عالت فريضة فقيل له واياها قدم الله واياها أخر فقال كل فريضة لم يهبطها الله عز وجل عن فريضة الا الى فريضة فهذا ما قدم الله عز وجل وكل فريضة اذا زالت عن فرضها لم يكن لها الا ما بقى فتلك التي أخر الله عز وجل كالزوج والزوجة والام والذى أخر كالاخوات والبنات فاذا اجتمع من قدم الله و من أخر بدأ بمن قدم فأعطى حقه كاملاً فان بقى شيء كان لمن أخر وان لم يبق شيء فلا شيء له هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه :

وروى الحاكم في المستدرک (ج ٤ ص ٣٣٧) عن ابن ابي مليكة عن ابن عباس قال شيء لا تجدونه في كتاب الله تعالى ولا في قضاء رسول الله و تجدونه في الناس للابنة النصف وللأخت النصف: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه:

وروى الحاكم في المستدرک (ج ٤ ص ٣٣٩) عن الزهري عن ابي سلمة قال جاء ابن عباس رجل فقال رجل توفي و ترك بنته و اخته لايه و امه فقال لابنته النصف و ليس لاخته شيء قال الرجل فان عمر قضى بغير ذلك جعل للابنة النصف و للأخت النصف قال ابن عباس انتم اعلم ام الله فلم ادر ما وجه هذا حتى لقيت ابن طاووس فذكرت له حديث الزهري فقال اخبرني ابي انه سمع ابن عباس يقول قال الله عز وجل ان امرؤ هلك ليس له ولد و له اخت فلها نصف ما ترك قال ابن عباس فقلتم انتم لها النصف وان كان له ولد: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه: وما ذكره ابن عباس هو الحق الذي لا معدل عنه :

٤- حرمة العمل بالقياس والاستحسان

وقدمت أفحام الصادق عليه السلام لابي حنيفة في مسألة القياس وان القياس بمحق الدين

٥- وجوب التقية من خوف ظالم متهجم في حدود خاصة

التقية معناها كتمان ما لو أظهر لاني على النفس او العرض او المال المعتد به بالضرر غير القابل للتحمل بما لا جبران له من طريق اظهار ما كتم ولا ريب ان اظهار الامر المزبور مع المحذور المذكور يقع فضلا عن لغويته و عقمه عن الانتاج مضراً بما لا يتحمل وكل ضرر منفي الا ما كان موضوعاً للحكم الشرعي كالجهاد في سبيل الله بشرائطه و ما ذكرناه سنة عقلائية لم ينحرف عنها الشرع فنبذ الشيعة بها نبز باطل والتفصيل لاتسع هذه العجالة :

الشيعة ومسيرهم مع العلم والفضيلة

لا يرتاب مسلم غير متحيز ان علياً اعلم الناس بعد النبي صلى الله عليه وآله وقد اعترف له بذلك اكابر الصحابة والتابعين وجهاً بذمة المحصلين من اهل العلم فضلاً عما شهد رسول الله له به في آثار عديدة: انامدينة العلم وعلى بابها: أقدمهم سلماً واكثرهم علماً و ابرهم بالقضية: الى ما سوى ذلك مما هو جزيل في طرقه جليل في معناه: وكما قيل في حقه ع انه ما احتاج مع علمه الى احد واحتاج اليه كافة الناس حتى الخلفاء ولقد سارت بعلمه الركبان في شرق المملكة الاسلامية وغربها وبعض من خريجي مدرسته عبدالله بن عباس وعلى هذا المدرج العلمى درج الصفوة من آله ولقد روى عن الصادقين وموسى ابن جعفر وعلى بن موسى عشرات الالوف من المحصلين والحال ان واحداً من هؤلاء الائمة لم يتلمذ في طول حياته على غير اهلها بالمرّة: ولقد صدر عنهم عليهم السلام من فنون العلوم العقلية و النقلية ما طغحت به الكتب العلمية من فقه و اصول و كلام و تفسير

وأخلاق وآداب ومناظرات وجدل وفصاحة و بلاغة و من آثارهم في كل ذلك مدونات عريقة في الاصاله و تلامذة لهم وزنهم في الفضيلة و ما كانت اوقاتهم على جراجتها في التعصب تنكرهم : وصدفة ان نوع المؤسسين في تدوين العلوم كانوا من شيعتهم المخلصين وقد نصب العلامة الحجة المرحوم السيد حسن الصدر نفسه لتدوين سابقتهم في ذلك فكتب كتابه الحافل بعنوان تأسيس الشيعة الكرام لفنون الاسلام وهو كتاب متداول مطبوع :

واستمر الشيعة مع اعنات الزمان بهم يلاكمون الدهر في تشكيل الحوزات العلمية من اقدم عصورهم لهذا التاريخ ولقد برعوا في الفقه والاصول والكلام و علوم الحديث و التفسير براعة قل نظيرها والوزن العلمي في آثارهم التحقيقية على الاخص في الفقه و الاصول يرفعهم على كل محصل في مدرسة الاسلام ولا حصر لعلمائهم الاجلاء ولا لضبط ما برز لهم من تأليف وان كان قد تصدى في هذه الاواخر من الف لتراجعهم وضبط مؤلفاتهم واتعب نفسه في ذلك حقاً و جاء بالكثير منه ضمن سلاسل مستطيلة طبع الاكثر منها و انتشر في الشرق والغرب :

ومن حسن الصدق ان علماء الشيعة الامامية على مسيرهم مع الاجيال لم يرضخوا لاية سياسة تفرض ولذلك كان لهم استقلالهم المرموق وقد شخص في مراجعهم من كانت تعنولعظمتهم الملوك : وقد اسس كل من هؤلاء بدوره مساجد و مدارس و خزانات كتب و احيى آثاراً مندرة و قام بواجب حوزات منتشرة وساهم في مشاريع خيرية جهداً المستطاع ولهم في ايران والعراق والباكستان والهند ولبنان وسائر اقطار الشيعة الوف المدارس و المساجد بين قديم وحديث : ولا يقل وجود الشيعة اليوم في ايران و العراق والفقاس و تركية والباكستان والهند ولبنان واندوزيا والافغان وتبت وامارات الخليج والمملكة السعودية وافريقية والمهاجر الامريكية والاوربية عن مائة وثلاثين مليوناً :

الشيعة والمنابر الحسينية

لم تكن واقعة الطف في وقتها عبرة لآباء الضيم و الغياري من بني آدم فقط بل كانت مسرحاً روائياً جالباً لشتى انواع الفضائل فكانت معرضاً للاخلاص وساحة قدس وايمان

ومحراب صلاة ودعاء ومنبر وعظ وارشاد ومنصة خطابة وميدان لسن و ذرابة و الشيعة ترى من وظيفتها الدينية ومن شرائط المواساة لاهل بيت الرسالة اقامة المآتم المتكررة لافى شهرى المحرم وصفر فقط بل على طول ايام السنة لتقوم بدورها من طريق هذه المآتم بعدة وظائف اجتماعية منها تعليم العوام المسائل الدينية و الاحكام الشرعية و منها تأديبها و تثقيفها بالاخلاق الصحيحة ومباني الفضيلة و منها شحذ اذنانها بالعبر والحوادث التي جرت في الكون على المقدسين من طريق الظلمة المتهجمين وبالاخرة عادت هذه المآتم مجالس تدريس ووعظ وارشاد وسرد قصص واثارة عبر ورياضة للنفوس ومن طريق ذلك خلقت الشيعة من محصلها الوف الخطباء المتمرنين الذين يدبرون المجالس العامة ساعة او ساعتين ادارة مرموقة بهدوئها وحسن استماعها لناطقها الذي ينحدر في وجهته انحدار السيل لا يتلكأ ولا يتوقف كل ذلك عن ارتجال لما يقول وحسن صياغة للمفردات والتراكيب وهذه الخاصة معدومة النظير في سائر المذاهب والاديان .

الشيعة والادب

وحظ الشيعة من الادب شعراً ونثرأ كما قيل - وهل ترى من اديب غير شيعى - ولقد انتج كانوا من الادب من الشيعة فطاحل شعراء اللغة وكتابها من اول صدر الاسلام الى يومنا الحاضر وقد اوعبت دواوينهم كل معنى عال و سبك مختار و الفاظ تجمع بين الرقة و الجزالة و ليس بنا الاطالة تحت هذا العنوان لسعة ميدانه بما لا تأتى عليه سلاسل الدواوين الضخمة : نعم يجب ان نشير الى جهة خاصة تخص لها الشيعة فجاءوا فيها من ابداع الفنانين وتلك الجهة هي توجيه شاعر يتهم في القسم المرموق من شعرهم الى مدائح ومراثى اهل البيت عليه السلام على الاخص المدائح التي قيلت في امير المؤمنين على والمرثى التي رثى بها شهداء الطف فان كل من يستجلي هذه الناحية يجد فيها عرضاً خاصاً لا يوجد في جميع انواع الشعر في القديم و الحديث : ولو جمع ما قيل في هاتين الناحيتين من شعر ضخم لكان في نفسه فنا رائعاً من فنون الادب ومقياساً عالياً للروحيات الحية :

الانتهاز الغربي واثره في المسلمين عموماً

كان المسلمون وكان في أطباقيهم المؤمن التقى والعاصى الشقى والمتحلى بالفضائل والتمتازيل بجهله الى الرذائل لكن هذا الانشعاع في المشرب لم يكن ليؤثر على الظاهرة العامة للمسلمين فلم يكن بلد من بلد انهم شاغراً من المساجد المعمورة والمدارس الدينية الغاصة بالمفيد والمستفيد والمحافل الاسلامية المكتضة بناطقها ومستمعها ولا يكاد يرى الانسان على آفاقها بصيصاً لكفر او منقذاً لزندقة والحاد وكان الناس باسره حاكماً ومحكوماً مطبقين على مطاردة من يريد دينهم بسوء :

اما بعد أن أعد الغرب وثبته على الشرق من طريق الحرب العالمية الاولى ففضلا عن انه اعمل سيفه بكل قوة في عضلاته تسرب اليهم بخلاعاته وجبهالاته من ناحية وباشاعة الزندقة والتشكيك في عقائدهم المقدسة من ناحية ثانية واخذ يدس ذلك في كل شيء من اشياء الناس حتى استغوى ناشئة الامة فاسترسلت معه مخلوعة الرسن حتى من فطرياتنا الاولى وخاتل الكهول منهم بشتى الحيل فجاءوا في شيخوختهم واهنين في العقيدة كاسلين عن العمل الصالح وساعد هؤلاء الانتهازيين على تحقيق ميولهم في العالم الاسلامى عملاؤهم الاوغاد الذين جمعوا الى خبث البواطن ميوعة الظواهر فضربوا الامة باسم التمدن ضرباً اتى بها واهنة القوى متفككة العرى قليلة العزم لا يطمع منها بدين ولا بدنيا :

امة لا يقصر عددها عن الخمسمائة مليون انسان ولكنها لا تملك من النفسيات العالية ما يملكه الثلاث مائة مسلم حضار بدر عندما خلقوا من الدنيا لا نفسهم عالماً جديداً ضرب أطنابه في ابعد حدود الشرق والغرب : نعم يملك المسلمون اليوم لانفسهم كثرة ولكنها من الثقافة قد فانت حدود الوصف وضاق عن بيانها فم الواصف فلا تجنح الى عقيدة و لا تتحلى بلباس فضيلة و لا تملك كرامة و لا تبدى من نفسها اقل شهامة يتلاعب بها تيار الاحزاب المدسوسة :لاعب الريح بالغصون وهكذا استمرت في جهلها وتخثنها رامية بنفسها في أحضان الفناء :

فإذا أحطت خبراً بما سلف فهم الى درس وصيته عليه السلام لولده الحسن عليه السلام (ج ٤ ص ٣ وما بعدها من النهج الحديدى) من الوالد الفانى المقر للزمان المدبر العمر المستسلم للدهر الذام للدنيا الساكن مساكن الموتى الظاعن عنها غداً الى المولود المؤمل ما لا يدرك السالك سبيل من قد هلك غرض الاسقام و رهينة الايام و رمية المصائب و عبد الدنيا و تاجر الغرور و غريم المنايا و اسير الموت و حليف المهوم و قرين الاحزان و نصب الافات و صريع الشهوات و خليفة الاموات :

كتب عليه السلام هذا الكتاب بعد أن اخسره أصحابه و قعته صفيين فذهبت متاعبه و متاعب اصحابه المخلصين هدرا و تمتع بالموقف من لا يزن قدره فى الكمال جناح بعوضة و أحرز خلافة المسلمين التى اتلف عليها نبي الاسلام عمره و اعمار الوف من مخاصيه لنفسه و للطغمة من اقاربه و لا عجب فان الدنيا كلها اعاجيب و هذا من حلقات سلسلتها .

وأصول الامجال للكمال و للكمل فى هذه الحياة و المفاهيم الشريفة التى يقرها العقل و العقلاء لا طريق لها الى الخارج لان التكالب على الحياة المادية يعقمها عن التحقق الخارجى و من هنا يعلم ان الطالعين بالروح القبايعين بالروحانية فيما يزعمون انما لم تنتج مدرستهم محصلا يكون منه محصل لانهم فى الحقيقة انتهازيون قد لبسوا الصلابة و جهأ و الدجل و التدليس شعاراً و مشوا من وراء ذلك يقتنصون مواقع الرغبات و الشهوات و من هنا انجرف المتنورون الى صوب الضلال على علم منهم ان جرائم الافراد و مهما تظاهروا بالانضمام الى صفوف الحقائق لا يجوز تحميلها على الحقيقة نفسها . نعم بقى فى الميدان هؤلاء الطغمة الذين لا يميزون بين المداهن و الصريح و وجودهم المنتشر على محذب الكرة هو الذى اغرى المدلسين بالتدليس و الانتهازين بالدجل و النفاق و هو الذى كبر محيط العامية و كثرة وجود العوام و فتح المجال للخرافات و الاوهام بشتى صورها سواء فى العادات و الرسوم ام فى العقائد و المذاهب ام فى الكتب و الافلام و على هذا فلا غرابة اذا شخص دجال باسم الدين و خرافى من طريق التأليف و محدث من تزويره الاوهام الملبسة لانها ان العوام : كما لا غرابة اذا خفت صوت المحقق

و خمل العالم الصدق وقبع في زوايا الخبايا الكاتب الحروب الالهال الراوية الصادق
وعلى مثل هذا وذاك قس كل ما شاهده من موجات الحياة العارمة :

كتب عليه السلام ذلك والآلام تعتلج في صدره على ما اضيع من حق واربق من دم
محترم فقال ، من الوالد الفاني، وان كان فيما يراه من نفسه سالم البنية صحيح المزاج
اذكل من عليها فان، المقر للزمان، بانه لا يقالب اذ لا مرد لقضاء الله وان استرت الحكمة فيه،
المدبر العمر ، لانه عليه السلام كان حينذاك قد جاوز الستين من عمره والستون ليست عمراً
طبيعياً للانسان لكن الملابس الملتوية التي اقترنت بحياته عليه السلام هي التي انحلت
قواه فصيرته واهن البدن كليل الحد وللحوادث فعلها القهار حتى بالجبال الصم، المستسلم
للدهر، لاختوعاً منه فانه عليه السلام كان من أعز الآباة روحاً ولكن استسلامه انما كان
للقضاء الذي يصرف الدهر ومن في الدهر، الذام للدنيا ، لا يقاها بكل صالح ومصالح و
اخذها بيد كل جلف ساقط : وليست الدنيا في نفسها وجوداً مستقلاً فعلا حتى تدم و
تحمى من طريق ما تفعل وانما المنظور بها هي هذه الحياة المادية المشتملة على كل
ما هب ودب وما لبس هذين من الاقترانات الناشئة عن التفاعل الحيوى بين الاحياء
وعن تمخض الطبيعة من طريق مسخرها ، الساكن مساكن الموتى ، فان الارض التي
يسكنها احياء كل جيل هي منازل الاسلاف الفانين، الطاعن عنها غداً ، اى فيما يستقبله
من الزمان وقربه وبعده منوط بعلم الله ، الى المولود ، الالف و اللام عوض عن ياء
الاضافة ، المؤمل ما لا يدرك ، هذا وصف عام لكل انسان ولا خصوصية له بالحسن
عليه السلام فان كل انسان من بروفاجور وروحى ومادى وعالم ومتعلم ورئيس ومرؤس وغير
هؤلاء يزوى في نفسه آمالاً ولكن الحوادث المتشابهة تقطعه عن تحقيقها فلا يدركها،
السالك سبيل من قد هلك ، ان كل حى سالك هذا السبيل ، غرض الاسقام ، وكل حى
هو هدف لها ، ورهينة الايام ، كل بنى آدم رهائن بيد الحوادث والايام ، ورمية
المصائب ، اى الغرض الذى ترمى اليه والانسان محطة الحوادث والكوارث ، و عبد
الدنيا ، ومعنى عبودية الانسان للدنيا انه مسخر لتقلباتها محكوم لشرائطها اراد ذلك
ام ابى ، وتاجر الغرور ، اى يتاجر بغروره وليس كل غرور مذموماً ان بعضه مبتن على

الدقة والمطالعة. ولكنهما قد تخفقان بالطوارء غير المحتسبة ، وغريم المنايا ، اى انه مدين لها فهى تتعقبه وتطارده كما يطارد الغريم غريمه ، وأسير الموت ، الذى لا فكاك له ، وحليف الهموم ، وكل انسان كذلك على الاخص من يبيت على نفس مؤمنة و ينطوى على روح صادقة ، وقرين الاحزان ونصب الافات ، اى هو بمنزلة الغرض لها ، و صريع الشهوات ، وليس المنظور بذلك ما يسبق من هذه اللفظة الى الذهن بل المنظور بذلك هى الرغائب النفسية ولو كانت مشروعة مباحة فان نوع الناس صرعى رغباتهم واية كانت فى نفسها حتى لو بلغت من عظمة الهدف ما بلغت ، وخليفة الاموات ، الاحياء كلهم خلفاء الاموات :

ساق عليه السلام كل ما وصف به نفسه وولده مساق القضايا العامة الواقعية ليكشف لولده انه هو و اباة ايضاً مهما بلغا فى الاحترام الواقعى فانهما لا يشدان عن السنن العامة فى الكون و ان شأنهما شأن سائر الناس فى المعجارى الطبيعية والاقترانات الزمنية: اما بعد فانى فيما تبينت من ادبار الدنيا عنى وجموح الدهر على واقبال الاخرة الى مايزعنى عن ذكر من سواى و الاهتمام بما و رائى غير انى حيث تفرد بى دون هموم الناس هم نفسى فصدقنى رأبى و صرفنى عن هواى و صرح لى محض أمرى فأفضى بى الى جسد لا يكون فيه لعب وصدق لايشوبه كذب وجمدتك بعضى بل وجمدتك كلى حتى كأن شيئاً لو أصابك أصابنى و كان الموت لو أتاك أتانى فعنانى من امرك ما يعنينى من امر نفسى فكتبت اليك كتابى مستظهِراً به ان انا بقيت لك او فنيت :

اما بعد فان فيما تبينت من ادبار الدنيا عنى ، تبين من الشىء اذا تحقق منه و تيقن به بما لايشوبه اقل احتمال خلاف والامام عليه السلام من اعلم الناس بان الانسان من حين ما يضع قدمه فى الحياة فقد استدبر دنياه واستقبل آخرته الا أن هذا المعنى وراء ما هو ظاهر مكشوف للانظار البدائية من كون الانسان فى اول عمره انما يستقبل حياته لاموته وكلا النظريين الواقعي والظاهرى يتطابقان مع العلل والحوادث الهادة وطلوع الشىخوخة على نهاية حياة الانسان وهو عليه السلام هدف فى هذه الفقرة الى هذا المعنى الطافح لعامة

الانظار المحرز للنفس بالوجدان، وجموح الدهر على، جمح الفرس بصاحبه اذا ماظله بالسير وتلوى عليه ومعنى جموح الدهر هنا عدم استرساله مع الانسان بالعلل القابضة او الشيوخة الموفية على الفناء، واقبال الآخرة الى، كأننى اتناوشها من قريب، مايزعنى، اى يصرفنى، عن ذكر من سواى، من الناس كائناً من كان لان ما يوجب الانصراف الى النفس يزع الانسان عن كل شأن غيره، و، عن، الاهتمام بما ورائى، من كل شىء وان مت الى بنسبة، غيرانى، هذا توطأة لما يقال اذا كان الامر كذلك فاهتمامك بالوصية لولدك الحسن بما يخصه ويتمكّل به وتأديبه ينافى ما ذكرت فقدم عليه السلام مقدمة تصل فى نهايتها بأن الحسن ليس امرء سواه وانه بعض منه او هو كله فان اهتم بشأن ولده فقد اهتم بخاصة نفسه: ومن وظيفة الاب بعد ان يتكون من تسببيه الولدان بعده لحياتة تحفظه من التلف مهما امكن والاعاد هذا الاب جانباً وكافة المسيبين فى الدنيا الذين جاءت عنهم جرائم لاتعد ولا تحصى انما مشوافى هذا الطريق المتعثر لاهمال آبائهم لهم واكتفائهم من ازواجهم بنيل الشهوة الجنسية فقط، حيث تفرد بى دون هموم الناس هم نفسى. اى كنت فيما سلف اهتم لامور الناس لان ذلك من شريعة الاسلام و من لوازم الوجدان والايمان اما الآن حيث آذنت بى نفسى ان اترك الدنيا كلها وأصير الى عالم آخر فالوظيفة توجب على الاهتمام بخاصة نفسى دون كل من سواى، فصدقنى، هذا الهم الناشى عن قرب موافاتى لآخرتى فى، رأبى، الذى رأيتة فى الانصراف الى مصيرى النهائى وقد كنت آنفاً فى سعة وقتى اعطى شيئاً من توجهى لغيرى قياماً بواجب الخدمة العامة وصرفى عن هواى، لم يكن له عليه السلام هوى كهوى الناس ولكن كان فيه النزوع الى اقامة العدل بين الناس واعطاء المحق حقه ورد المبطل عن تهجمه وما الى ذلك ولكن لما ازف منه الرحيل وقرب ارتحاله الى آخرته حصر نفسه وقصرها على موجبات هذا السفر الذى يشقى فيه من يشقى ويسعد من يسعد، وصرح لى محض امرى، وكذلك لم يكن امره عليه السلام مشتبهاً عليه ولكن نفسه كانت متوزعة بينه وبين غيره لمطالب الدنيا اما اليوم فقد تمحض أمره للسعى فى خاصة شؤنه الاخرية ليس غير، فأفضى بى، اى أوصلنى، الى جد، وهو القصد الذى لا يتشظى؛ لا يكون فيه لعب، ليس ابن ابى طالب ممن يغمز باللعب

ولكن المنظوران الانسان في حياته الاعتيادية قد يطايب غيره ويفاكه ويمزح مزاحاً شريفاً لاغضاضة فيه ويسكن الى الراحة اما حيث تنسلخ عنه الدنيا فلا، وصدق لايشوبه كذب ، ليس المنظور بالصدق والكذب هنا مخالفة الواقع و موافقته بل المنظور بذلك الجد غير المشوب بالفتور كما يقال صدقه في اللقاء ، وجدتك ، خطاب لولده الحسن ، بعضى لان الولد فلذة كبد الوالد ماكانا متصافيين، بل وجدتك كلى، اى انك نسخة منى رانما عبر عنه بذلك لالانه ولده فقط بل لانه ذخيرة رسول الله وفاطمة عنده ، حتى كأن شيئاً لوأصابتك أصابنى وكان الموت لو أتاك أتانى فعنانى ، اى أهمنى ، من امرك مايعينينى من أمر نفسى فكتبت اليك كتابى مستظهاً به ، يقال استظهرت به اى جعلته ظهيراً أستعين به والمنظور اننى حررت لك هذا الكتاب وانا أحاول الاستعانة بما فيه على تهذيبك والغات نظرك ، ان انا بقيت ، وامتدت بى الايام، اوفيت ، وفى هذه العبارات من حنان الابوة وشريف المروة ما لا يساويه شىء آخر :

فأنى اوصيك بتقوى الله أى بنى ولزوم أمره وعمارة قلبك بذكره والاعتصام بحبله واى سبب اوثق من سبب بينك وبين الله ان انت اخذت به أحى قلبك بالموعظة وأتمته بالزهادة وقوه باليقين ونوره بالحكمة و ذلك بذكر الموت و قرره بالفناء و بصره فجائع الدنيا وحذره صولة الدهر وفحش تقلب الليالى والا يام و اعرض عليه أخبار الماضين وذكروه بما أصاب من كان قبلك من الأولين و سرفى ديارهم و آثارهم فانظر فيما فعلوا و عما انتقلوا و اين حلوا و نزلوا فانك تجدهم انتقلوا عن الاحبة و حلوا دار الغربة و كانك عن قليل قد صرت كاحدهم فاصلح مثواك ولا تبع آخرتك بدنياك و دع القول فيما لا تعرف و الخطاب فيما لم تكلف و أمسك عن طريق اذا خفت ضلالته فان الكف عند حيرة الضلال خير من ركوب الاهوال .

فأنى اوصيك بتقوى الله ، اى بالخوف منه حيث تحاول الميول والاهواء منك انحرافاً عن جادته التى أمر بسلو كها و طريقته التى وظف المكلفين بالسيز عليها فان الله لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها على المكلفين ليضع كلا من المتجاوز و المتجاوز عليه فى نصابه وليتصل كل واحد منهما بثوابه او عقابه و هو تعالى شديد المحال عظيم

البطش لا يفوته من يطلبه ولا يفات من يده من ياخذه ، اى بنى وازوم امره اى طريقته التى سنها لسعادة مخلوقاته وشريعته التى وظفها لكاثنتاته، وعمارة قلبك بذكره، فان القلب كانون عامر للذكريات وله التأثير العظيم فى توجيه الانسان فاذا عمر صاحبه بالمثل العالية والتعاليم الراقية و الاخلاق الصحيحة فقد حفظ دنياه من أهم المؤسفات و آخرته من لوث السيئات و اذا ابتذل منزلته و أهمل موقعيته و جعله محلا للتوافه و معتزكاً للشهوات جاءت دنياه متساعدة متنازلة يلتذ يوماً ويشقى اياً ما و على هذا الوزن تكون آخرته فيكون صاحبه من المنكودين فى كلائشأته ، والاعتصام بحبله، كما قال تعالى واعتصموا بحبل الله جميعاً و حبل الله هو السبب الواصل بينه وبين عباده وهو عبارة عن فعل الحسن وترك القبيح وهذا ما يتقاضاه العقل الانسانى من كل انسان .

واى سبب اوثق من سبب بينك وبين الله أن انت اخذت به ، لان كل سبب يفرض من المال او الرجال او الجاه والسلطان فانه معرض لاختار كثيرة تاتى عليه ولا تذر منه شيئاً اما التسبب بقوة الله تعالى فلا وسيلة تتصور وراءه، احدى قلبك بالموعظة و امته بالزهادة ، اى مهما استطعت فلا تقرب نفسك من الشهوات فانها غرارة تستهويك اولاً وتوثقك ببطاً عند ما تتمكن منك و تقوم بتبريحك والاعنات بك بما لا حول لك معه ولا طول وكم ملك عظيم السلطان استحوذت عليه فجعلته ذليلاً صاعراً لها مقهوراً لاسبابها بعيداً كل البعد عما يراد منه فكيف بالسائر بن من الناس : ومهما استطعت أيضاً فنور قلبك بالحقائق حتى تعيش هادع البال من ناحية و مرموقاً فى انظار العقلاء من ناحية ثانية :

وقوه باليقين ونوره بالحكمة ، اى قرر قلبك بالثبات للريضة كما يجمع الانسان الشجاع قواه للمبارزة واجعله نيراً مضيئاً بالحكمة وهى التعاليم النافعة و المعارف الصادقة ، وذلك بذكر الموت وقرره بالفناء ، لاريب ان ذكر الموت والفناء مما يقصر بخطى الانسان عن التركاض مع دواعى الشهوة ويعدل به عن الانجراف صوب المنافيات وذلك من اهم موجبات السعادة للفرد والمجتمع كليهما، وبصره فجائع الدنيا وحثه صولة الدهر وفحش تقلب الليالى والايام ، فان ملاحظة العبرها مفعول قوى فى النفس وفى كبح جماحها ، و اعرض عليه اخبار الماضين ، من شتى طبقاتهم ، و ذكره

بما أصاب من كان قبلك من الاولين ، فهذا ملك اطيع عن عرشه وذاك زعيم
تناهته الايام و عزيز اذلته الحوادث و مترف جر عليه الشقاء أذباله الى ما لا يحصى
من هذا القبيل ؛ و سر فى ديارهم و آثارهم ، تجدهما خيراً بعد عين كـأن
لم تشيد ولم تمهد ولم تكن مرابع انس و مجالس لهو، فانظر فيما فعلوا ، و أفاضوا فيه
و تركوا ، و عما انتقلوا ، مما حرصوا فى جمعه و ارتكبوا الموبقات فى تحصيله فكان
بعدهم غنيمة لآخرين يتناهبونه وربما شفعوه بسب جامعه و شتمه ، و اين حلوا و نزلوا ،
بعد ذلك الترف و الترفه ، فانك تجدهم انتقلوا عن الاحبة و حلوا دار الغربية ، و الامام
يعلم ان مصير كل انسان الى ما وصف غايته الفرق بين المحسن و المسىء و المتهالك
على حطام الدنيا و المعتدل و من لاحسرة له على ما خلف و الأسف على ما جمع و ترك
و هذه الفوارق لها اثرها الفعال فى نفوس الافراد و فى الهيئات الاجتماعية ، و كأنك عن قليل
قدصرت كأحدهم ، و انما الزمه بتقليل الامل فى البقاء لان اعتبار مديده يغرى بصاحبه
و يغويه ، فأصلح مثواك ، الذى تأوى اليه و محللك الذى لا ترتحل عنه ، و لاتبع آخرتك
بدنياك ، اى عاقبتك الطويلة بحاضرک القصير ، و دع القول فيما لاتعرف ، فانه حافظ
لوقارك قائم بحيشيتك ، و الخطاب فيما لم تكلف ، فانه فضول و اسفاف ، و أمسك عن
سلوك، طريق اذا خفت ضلالته فانه، ربما أدى بك الى مهلكة ، فان الكف عند حيرة الضلال
خير من ركوب الاحوال ، بقصد التخلص منه :

و أمر بالمعروف تكن من أهله و انكر المنكر بيدك و لسانك و باين من فعله بجهدك
و جاهد فى الله حق جهاده و لاتأخذك فى الله لومة لائم و خض الغمرات للحق حيث كان و تفقه
فى الدين و عود نفسك التصبر على المكروه و نعم الخلق التصبر فى الحق و الجيء
نفسك فى امورك كلها الى الاهك فانك تلجؤها الى كهف حريز و مانع عزيز و اخلص
فى المسالة لربك فان بيده العطاء و الحرمان و اكثر الاستخارة و تفهم وصيتى و لاتذهبن
عنك صفحاً فان خير القول ما نفع و اعلم انه لا خير فى علم لا ينفع و لا ينفع بعلم لا يسوق تعلمه
و أمر بالمعروف تكن من أهله ، المعروف هو الامر الحسن الذى تطابق على
حسنه العقل و الشرع و انما واجب الامر به مع تهيأ شرائطه لان صلاح الاجتماع موقوف

عليه والشرائع السماوية الحققة انما الزم الناس بها لهدف السعادة والصلاح ليس غير ثم ان الدعوة الى ملابسة الامور الحسنة تستمد حسننها من حسن الامر المدعو اليها فهكذا الامر بالمعروف يكون من طريق أمره به من اهل المعروف وفاعليه ، وانكر المنكر بيدك ولسانك: المنكر هو كل ما يستنكره الشعور الانساني المتزن ويواكبه الشرع عليه وانكاره هو النهي عنه اذا كان، للنهي القولي مجال ومراتبه كمراتب الامر بالمعروف عديدة حسب الملابسات التي تقترن بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وكلاهما يتحققان بكافة الادوات المنتجة لهما من قلم وقدم ودرهم الى الاقبال بالوجه والاعراض به و بالنهاية الى التوجه بالقلب والامتعاظ من طريقه ، و باين من فعله بجهدك، البيئونة حتى الانقطاع عن فاعل المنكر فان زمرة المكلفين اذا وطنوا انفسهم على مباحة الجناة و فاعلي السيئات من باب الاستنكار قل فعل الخطيئة والمخطؤون في الاجتماع لان محاذرة العصاة من البشر اكثر بكثير من محاذرتهم من الله ان كانوا يدينون به ذلك لانهم يعتبرون ان ترهيبات الله بعيدة التحقق خلافاً للبشر الذين يماشونهم كتنفاً الى كتف:

وجاهد في الله حق جهاده، المجاهدة بذل الجهد وتحمل المشاق في سبيل الهدف المرصود والجهاد في الله هو قبول تحمل الزحمت في تحقيق كل ما يريد الله تحقيقه من طريق نفس المكلفين و ان كان الله أقدر القادرين والجهاد انواع و اقسام و ان كان الجهاد بالسيف أعلا اقسامه و هو المتبادر منها الى الذهن وحق الجهاد هو الاخلاص فيه ، ولاناخذك في الله لومة لائم ، يقال فلان اخذته اللائمة اذا استجاب لمن يلومه وقبل عنه والاصاخة للوم اللائم في الامور العادية لا مانع منها تحبباً الى الناس ونزولاً عند مرضاتهم اما قبول ذلك فيما هو لله فليس جائزاً قطعاً فلا يجوز للمتدين من الحكام مثلاً ان يعطل حدامن حدود الله لشفاة اصدقائه فيمن وجب عليه الحدوقس على ذلك نظيره، وخض الغمرات للحق حيث كان ، الغمرات هي المشكلات والزحمت والعقبات التي تعترض حياة الانسان في تطرقه الى مقاصده و الحق وهو الامر الراهن الذي يلزم تثبيته في الاجتماع يجب تحقيقه واتباعه جهداً مستطاع و باعتبار ان البشر المتقلت على الوظيفة يقع دائماً حجر

عثرة في التطرق الى الحق لانه يعاكس منوياته واراداته كان الاتصال به على هواته عسراً شاقاً لمافيه من المبارزات حتى ينشمر هذا المعترض المتفلت عن العجادة الموصلة اليه و خوض الغمرات للحق هذا معناه .

وتفقه في الدين ، اى تعرف بدينك جهد مقدورك فان من لا معرفة له بدينه لادين له بالمرة ولجهل العوام بدينهم كانوا اتباع كل ناعق، وعود نفسك على التصبر على المكروه سواء كان المكروه للنفس فى الماديات ام فى المعنويات فاذا كرهت النفس اللباس الخشن ولا يملك الانسان سواه وطلبت منه الملبس الناعم ولو بتحصيله من طريق غير مشروع كان لزاماً على الانسان المتزن ان يلاكمها فى مطلوبها هذا و يجرها الى الاصاخة لما يجده ولو كان ثقيلاً على عاطفتها وهكذا اذا كرهت النفس الاحسان والايمان والصدق والرفق والحياء والوفاء ما طلبها على قبول ذلك حتى يذابها لقبوله وهذا هو جهاد النفس ، و نعم الخلق التصبر فى الحق ، فاذا ارتاضت النفس عليه عرفت حلاوته والما تى اللذيذة التى تكون عنه ، و الجيء نفسك فى امورك كلها الى الاهك ، الذى خلق كل شىء و بيده مقدرات كل شىء ، فانك تلجؤها ، حيث تلتجأ بها اليه ، الى كهف حريز، ليس باستطاعة احد هكته ولا التصرف فيه بخلاف الالتجاء الى البشر فان كهو فهم غير حريزة على كل احد ولا جانبهم مخشى عند كافة الطبقات، وما نفع عزيز، بعيد التناول على اقوى الاقوياء . وأخلص فى المسألة للربك ، ولا تزومعه فى المسألة احداً سواه ، فان بيده العطاء والحرمان ، ولا يجبره على شىء من ذلك الا ارادته له ، واكثر الاستخارة ، فى كافة مظان التحير وقد ورد من طريق السنة عدة طرق للاستخارة تطلب من مظانها .

وتفهم وصيتى ، اى أعرها فهما حاداً او قصداً جاداً لتستفيد منها ، ولا تذهبن عنك صفحاً ، يقال أعرض عنه كشحاً واعطاء صفحاً اذا مال عنه والمنظور لزوم تدبر هذه الوصية بمواجهة القلب لها تماماً حتى لا تعود بالاعراض عنها مجافية للانسان بعيدة عنه بعد المعرض صفحاً ، فان خيرا القول مانع ، اى ما اثمر ثمرة واعطى نتيجة والافالقول الجيد وان كان فى نفسه ثمينا الآن ثمنه الوافى منوط بالانتفاع به ، واعلم انه لاخير فى علم لا ينفع، فى الحياة الانسانية وان كان فى نفسه فناً من الفنون فالتعمق فى الهندسيات

وغيرها من هذا القبيل. ولا ينتفع بعلم لا يحق تعلمه، لقلة جدواه وتوفر الزحمة في تحصيله كما أنفذنا الإشارة الى ذلك :

اي بنى انى لمارأيتنى قد بلغت سنا ورأيتنى ازداد وهنا بادرت بوصيتى اليك واوردت خصالا منها قبل أن يعجل بى أجلى دون أن أفضى اليك بما فى نفسى أو أن انقص فى رأى كما نقصت فى جسمى أو يسبقنى اليك بعض غلبات الهوى وقتن الدنيا فتكون كالصعب النفور وانما قلب الحدث كالارض الخالية مالقى فيها من شىء قبلته فبادرتك بالادب قبل أن يقسوق قلبك و يشتغل لبك لتستقبل بجدرأيك من الامر ما قد كفئك اهل التجارب بغيته و تجربته فتكون قد كفت مؤنة الطلبة و عوفيت من علاج التجربة فأتاك من ذلك ما قد كنا نأتيه واستبان لك ما ربما أظلم علينا منه :

اي بنى انى لمارأيتنى قد بلغت سنا ، اي عالية تنذرني بالارتحال عن هذه الحياة وبلوغ السن العالية عندالعلاء يحفز بصاحبها الى اخذ التدابير اكثر من اللازم حذراً من مهاجمة الموت وعنده تبطل كل الاسباب عن العمل المراد ووصف السن بالعالية يستفاد من سياق التركيب.

ورأيتنى ازداد وهنا ، حدوث الوهن او زيادته من اللوازم الطبيعية لبلوغ السن العالية لان الطبيعة بمرور الحوادث عليها تهين وتضعف فى كل شىء وقد تلبس الانسان ملابس اخرى خارجة عن المجارى المتعارفة فتهده مضافاً الى التقهقر الطبيعى المقرون ببلوغ السن العالية ، بادرت ، جواب لما ، بوصيتى اليك ، الانسان مسؤول امام الاجتماع بطور عام وفى قبال ذراريه بطور خاص فى كافة ادوار حياته ان يرشد وينصح و يسدد ويمهد الطريق للمصالح وطرده للفساد وكل ذلك لا يقال له وصية لكنه حين يشعر من نفسه بمفارقة الحياة التى تبطل فيه كل اسباب العمل ومنها لسانه وبيانه يلزمه ان يصل اداة لسانه بأداة قلمه فيعويض قلمه السيل عن لسانه القوال ويجعله ك انسان متكلم بدلا عنه وهذا هو الوصية و الوصية كما تكون عند مشاركة الموت تكون قبل ذلك با زمان الا انها لا تكون حثيثة ذات وقع مبعوثة عن حرارة قلب الا اذا انذرت الحوادث ملابسها بالرحيل فحينذاك تقوى الدوائى وتتحفز البواعث وهذا هو معنى المبادرة :

وأوردت خصالا منها ، موجبات علو الانسان وهبوطه ورفعة نفسه وخضوعها و كماله ونقصانه كثيرة لاتعد حتى ان الانسان لو اراد ان يتوسع في المنجيات والمهلكات والفضائل والرذائل وكان قميناً بهذا التوسع لكتب عشرات الكتب فيها ولكن دواعي الاختصار ولم المطالب قد تهيب بصاحبها ان يقتصر على امهات المطالب ورؤس الفضائل والرذائل فيكتب او يقول ما لا يوجب ضجر السامع ويكون قريب التناول عليه و لذلك قال عليه السلام واوردت خصالا منها اى مما يصح ان يوصى به ، قبل ان يعجل بى اجلى ، فيخرمنى عنك فلا اكون قد قمت بواجبى تجاهك و ، دون ان اقضى اليك بما فى نفسى ، حيث يطوى معى فى كفى اذا لم افض به يقال افضى اليه اذا اتصل به واتصل كل شىء بحسبه فأفضى اليه بسره اذا ناجاه به وافضى اليك الى اثناء اذا وصلها مواصلة لقاح وقس على ذلك ،

اوان انقص فى رايى كما نقصت فى جسمى ، او هنا عطف على قوله عليه السلام ان يعجل بى اجلى يقول عليه السلام وعلى فرض ان المنية تاخرت بعمرى فطال فانى اخشى مانعاً آخر يقف بى دون تهذيبك وتاديبك والوصية اليك بما ينجع وينفع وذلك ان تنوب طبيعتى التى هى اعدادى فى كل ما مارس من امور الحياة مادبها ومعنويها ومتى ضعف المعد قلت قابلياته عن استفادة ما هو من شأنه فالبنية البدنية اذا قلت بركة الجهازات القائمة بهالم تعد تعطى ما كانت تقوم به من انتاج ومن جملته الرأى والفكر وهذا المعنى لا ينافى مقام العصمة نعم الذى ينافىها قول الهنذ والهنذيان وهوليس بلازم لكل شيخوخة والذى كان يخشاه امير المؤمنين هو كلل مخه عن متابعة التفكير الطويل وهو نوع من النقص لكنه فى الكمية وهو نقص غير شائن بمقام اى عظيم يفرض والنقص الشائن هو النقص فى التدبر والفهم بأن يعطى الشىء غير صحيح ولا موزون ،

اويسبقنى اليك بعض غلبات الهوى و فتن الدنيا ، وهذا مانع ثالث ، فى نظر الامام عليه السلام وراء عجلة الاجل وضعف الرأى بالشيخوخة وهذا المانع الثالث هو فوات الفرصة من حيث القابل لا الموصى و القائل فان الانسان كالنبات اذا تركت معاهدته وهو طرى لذن قابل للتعدبل والتهديب والتشذيب والاخذ من زوائده المضرة عاد غير قابل للتدارك

فالشجرة اذا استعصى اصلها واشتد فرعها امتنعت على من يرومها بتعديل وكذلك الانسان اذا اهمل شبابه من التربية والتعليم كان من الصعب تثقيفه و تاديبه لتوحش عواطفه واولا ولامتلاء نفسه بمطالب اخر ولذلك قال عليه السلام ، فتكون كالصعب ، في قياده لطويل ارساله واهماله ، النفور ، من ملاقة القائد والسائق لما تعود عليه من التسبب .

وانما قلب الحدث ، المقتبل العمر ، كالارض الخالية ، من الحبوب والبنور والغروس ، مالقى فيها من شيء قبلته ، فنبت فيها بالمازحمة وترعرع بالامانة ، فبادرتك ، اى سابت الموانع الآفة الذكر بالنسبة الى واليك فسبقتها ، بالادب قبل ان يقسوقلبك ، فلا اعود استفيد من تأديبه ، و يشتغل لبك ، بشاغل يحتل المكان الذى أحاول اشغاله بمواعظي ونصائحي وسوق كل هذه العبارات لا ينافي عصمة من سبقت له لان المنظور بها اعطاء قضايا كلية نوعية عرضت بمعرض النوع العام نظير قول الله النبية لئن أشركت ليحبطن عملك ثم علل عليه السلام هذه المسابقة و المبادرة منه لتأديبه و تثقيفه بقوله ، لتستقبل بجد رأيك من الامر ، يقال استقبل الشيء اذا واجهه بالقبول وجد رأى هو جزمه والبت فيه وكلمة الامر كناية عما ألقى اليه من نصح وارشاد ، ما قد كفاك اهل التجارب بغيته وتجربته ، فان التجربة فيها من التضحية ما لا يزنه الا المجرب الذى طوح بوقته العزيز وسعيه المتواصل وتدبره الكثير فاذا منح المجرب هذه النتيجة مجانياً لانسان فقد انعم عليه بانه أراحه من السعى والكدح ان كانا متيسرين له فانه ليس كل سعى وكدح بميسور لكل انسان ولهذا عدّ المعلم أباً ثانياً له فكما أن الاب الوالد يجد ويكذل لبقاء على حياة مولوده كذلك المعلم الساهر على اقتناص الحقائق ثم البازل لها مجاناً لتلميذه يكذل ويجذل تنمية هذا التلميذ واثماره الثمر اللائق ، فتكون ، بعد ان تستقبل بجد رأيك من الامر ما قد كفاك اهل التجارب بغيته وتجربته :

فدكفيت مؤنة الطلبة ، بتسليمك النتيجة يداً بيد من دون أن تتجشم فى تسوية مقدماتها وعوفيت من علاج التجربة ، فان علاجها يأخذ من عافية الانسان ما يراه كل احد فى الكاد الجاد المتعب ، فاتاك ، عفواً ، من ذلك ما قد كنا ، نحن ، نأتيه ، بالدؤوب والسعى المتواصل لا حرازه و ادراكه . و استبان لك ، من طريق التعليم الكافى

القائم على الاختبارات العديدة ، ما ربما أظلم علينا منه ، في صدور أعمارنا ولم ينكشف لنا إلا بعد معالجات متكررة وزحمات متوفرة .

أي بنى ائى وان لم اكن عمرت عمر من كان قبلى فقد نظرت فى اعمالهم وفكرت فى أخبارهم وسرت فى آثارهم حتى عدت كأحدهم بل كائى بما انتهى الى من امورهم قد عمرت مع أولهم الى آخرهم فعرفت صفو ذلك سن كدره ونفعه من ضرره فاستخلصت لك من كل امر جليله وتوخيت لك جميله وصرفت عنك مجهوله ورأيت حيث عنانى من امرك ما يعنى الوالد الشفيق واجمعت عليه من ادبك ان يكون ذلك وانت مقبل العمر ومقبل الدهر ذونية سليمة ونفس صافية وان ابتدأك بتعليم كتاب الله عزوجل و تأويله وشرائع الاسلام وأحكامه وحلاله وحرامه لا اجاوز ذلك بك الى غيره ثم اشفقت ان يلبس عليك ما اختلف الناس فيه من أهوائهم وآرائهم مثل الذى التبس عليهم فكان احكام ذلك على ما كرهت تنبيهك له احب الى من اسلامك الى امر لا آمن عليك به الهلكة ورجوت ان يوفقك الله فيه لرشدك وان يهديك لقصديك فعهديت اليك وصيتى هذه :

أي بنى ائى وان لم اكن عمرت عمر من كان قبلى ، معروف عن الاجيال السابقة انهم كانوا طوال الاعمار متبسطين فى الاجسام والاعتبار الصحيح يساعد على ذلك فان الحياة مهما كانت بسيطة كانت الويلات فيها اقل و نحن اليوم نشهد مصداق ذلك فى القرويين و سكة الارياف على تخشنهم فى المعيشة واعوازمهم من مواد الحياة الا الاولى منها وهذا مما يساعد على ضخامة البنى والاحتمال للمشاق والاعتاب والمكاره ويلازمه طول العمر بحكم الطبيعة الملموسة و خارج هذا الوصف كان موجوداً فى على فقد تواترت النقول التاريخية على ان جملة من ابناء السبعين والثمانين بل والتسعين كانوا ينزلون ساحة الحروب ويخوضون المنايا عن مراس شديد وقراع عنيف ولا يوجد من هذا فى عالمنا الحاضر شىء لانغماس ناسه فى شتى الموهنات للبنية الطبيعية ولذلك نراهم واهنين مخذولين :

وعلى عليه السلام كان من اشداء الاسر الموهوبين بالقوى الطبيعية ولكن عجل عليه انهيار الوضع به واغتيماله من متربصى الدوائر والمجلبين عليه ولانهيار الوضع بالانسان

فعل قوى قهار :

فقد نظرت في أعمالهم وفكرت في أخبارهم وسرت في آثارهم ، و هذا الذى اشار اليه عليه السلام هو نظر الاعتبار الذى حث عليه الله سبحانه كافة عباده فى آيات عديدة من كتابه الكريم حيث قال تعالى : قدخلت من قبلكم سنن فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين - آل عمران - وقال : أفلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او آذان يسمعون بها فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور - سورة الحج - وقال : قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ المشأة الآخرة - العنكبوت - وقال أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شىء فى السموات و لافى الارض - سورة فاطر - وقال : او لم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة و آثاراً فى الارض فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق - سورة المؤمن - وقال : أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم و أشد قوة و آثاراً فى الارض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون - سورة المؤمن ايضاً - وقال : هو الذى جعل لكم الارض ذلولاً فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور - سورة الملك - وجاء فى كلمات امير المؤمنين عليه السلام : و خلف لكم عبراً من آثار الماضين قبلكم من مستمتع خلاقهم و مستفسح خناقهم ارهقتهم المنايا دون الآ مال و شذبهم عنها تخرم الآجال اولستم ابناء القوم والاباء واخوانهم والاقرباء تحتذون امثلتهم و تركبون قدتهم و تطؤون جاداتهم : ولا ريب ان علياً عليه السلام كان فى طليعة المعبرين ولذلك جاء آية فى الزهد و التقوى والاحتياط واخذ الحذر من كل ما لا يرضى الله و الوجدان ولهذا لم يستطع ان يعيش مع الغناء من الناس الذين بعدت بهم نفوسهم المظلمة عن نور الحق والصراف السوى فالتاطوا بالدنيا والتاطت بهم حتى اوردتهم شرّ مواردھا :

و ليس من شك ان الانسان المتفكر المعبر يجمع فى دائرة عمره الضيقة دنيا

الماضى على طولہ والحاضر على سعته ويكون كما قال عليه السلام ، حتى عدت كاحدهم بل

كأنى بما انتهى الى من امورهم ، جميعاً ، قد علمت مع اوليهم الى آخرهم فعرفت صفو ذلك من كدره و نفعه من ضرره ، و بهذا يكون على من اوسع الناس خبرة و اعظمهم بصيرة و كل من يسمه بانه فاقد للدعاء لم يكن فى حكمه الا مخطئاً اشد الخطأ فان الدماء الذى يريده دن على وأمثاله لا يعرف من معناه الا الدس و التزوير و المكر و الخديعة و الغدر و الانحراف بل كل صفة موبقة و كل هناة و عار كما هو شيمة كل سياس عرفناه و هذا المعنى مما يجعل عنه على و اشباه على و ترفع عنه مبادئ الانسانية و السياسة الصحيحة و ان يكن تنزه على عن هذه المخازى و صمة عليه فما اكثر من يوصم من نبى عظيم و وصى جليل بل كافة من تخرج بمدارسهم العامرة .

فاستخلصت لك: على طول تجاربي، من كل امر، يفيد بالمعاش و المعاد، جليله، اللائق بالاعتبار، و توخيت لك جميله، كما يتوخى الاستاذ الحكيم جميل المطالب لتلاذتد حتى يقبلوا عليها من كل قلوبهم فان لجمال المادة و المعنى اثرأ بليغاً فى النفوس، و صرفت عنك مجهوله، و مشتبهه حذراً من أن يتعمى عليك وجهه و طريق الوصول اليه، و رأيت حيث عنانى، اى أهمنى و جعلنى فى ذكرك دائماً، من امرك، و المراد به أمر تأديبه و تثقيفه و تعديله و اعداده لحياة فاضلة، ما يعنى الوالد الشفيق، على ولده الذى يحاول له تحقيق السعادة جهدهما يستطيع، و أجمعت: عطف على قوله عنانى، عليه من أدبك، اى قصدت من كل نفسى و بجميع ما أوتيت من حول و طول تثقيفك و تأديبك، أن يكون، مفعول لقوله و رأيت حيث عنانى، ذلك التآديب و التثقيف، و انت مقبل العمر اى شاب نشيط، و مقتبل الدهر، اى فى حال استقبالك للحياة و هو زمن الشبيبة لا استدبارك عنها، ذونية سليمة، اى لم تعبت بك صروف الدهر فتحيل منك انساناً متلوناً متناقضاً سىء الظن بكل شىء مظلم الباطن مرهوز الضمير متحلل الفطرة، و نفس صافية، لا تسلاكها مع الفطرة التى خلقت عليها و هى فى هذا الظرف لا تكون الا صافية كما امر آة المجلوة لبعدها عن الملابس الشائنة، و أن ابتدأك، من مراحل التربية و التعليم و التآديب و التثقيف، بتعليم كتاب الله عز و جل و تأويله، ظواهر الكتاب البينة التى خوطب بها كل احدهم معرفة باللسان لاحتياج الى تعليم و ليست هى من قصد امير المؤمنين عليه السلام فى كلامه هذا بل المنظور

بذلك مقاصده المعززة بكشف النبي لها وقيام شوارح السنة بها كنوع آيات الاحكام التي انما اعطتنا ملاكات عامة لاتخلو من غموض في مقام تطبيقها عملا على الخارج و التأويل هو ارجاع الشيء الى أوله والمنطلق الذي انبعث عنه و هذه الصلاحية مقصورة على الرسول القائم بتبليغ الشريعة طبق ارادة الله وعلى امنائه الذين اختصهم بتوضيح ما استبهم وفتح ما استغلق وعلى عليه السلام في طليعتهم وهذا المعنى هو الذي اراد بيانه لولده الحسن ليقف من الكتاب على ظاهره وباطنه وواضحه وغامضه .

وشرائع الاسلام واحكامه ، من كل ما يعود لوظيفة المكلف امام معبوده الذي كلف بعبادته ولوظائف دنياه من عقوده و ايقاعاته و أحكامه فان شرائع الاسلام تشمل ذلك كله: وقوله عليه السلام ، وحلاله وحرامه ، من باب ذكر الخاص بعد العام لاهمية التعرض للخاص بالخصوص ، لأجاوز ذلك ، اى تعليم كتاب الله وتأويله وشرائع الاسلام وأحكامه ، بك الى غيره ، من العلوم والفنون عقليها ونقليها وذلك لان الحياة البشرية على اطلاقها انما تقوم على دعا متين :

الاولى : تأمين مستدعيات الطبيعة لادامة الحياة : الثانية : مصونية الحقوق و احراز الاستقلال وحرية التصرف في حدود الحق وقيام الدعامة الاولى منوط باستقرار وتركيز الدعامة الثانية فقد اثبتت التجارب البشرية على طول الخط ان الماء المباح مع الفوضى مما يعز تناوله على الضعيف المستضعف فأحر بغير ذلك ان يكون ممتنعاً عليه ومع هذا الوضع المحزن تنهار حياته قطعاً وما سوى هاتين المرحلتين من علوم و أعمال مكانها من الحياة الانسانية على هامش الحياة : والدعامة الثانية التي هي الاساس الوحيد لقيام بنيان المجتمع البشرى قوامها وقيامها بالدين وشرائعه فحسب واهم مصادر الشريعة في دين الاسلام الذي هو دين الله القرآن الكريم وتتلوه السنة الثابتة عن الرسول و امناء وهذا هو ما اشار اليه عليه السلام بقوله ان! بتدأك بتعليم كتاب الله وشرائع الاسلام .

ثم ان الكتاب والسنة الثابتة الورد عن الرسول الاعظم وامنائه الكرام قد احتويا في شتات مواضعهما على نفائس الآداب والاخلاق و على كيفية النظر والاستدلال وعلى اثبات الصانع وصفاته الجمالية والكمالية والجلالية وعلى بعثة الرسل وطريقتهم في

توجيه الناس وعلى امكان المعاد في نفسه ووقوعه خارجاً في ظرفه ما يعود الباحث المثبت معه في غنى عن مراجعة غيره لكن نزعات النفوس البشرية منذ القديم لما ترامت وراء الاوهام و الخيالات و خلقت من الشبه والشكوك حول العقائد و غيرها ما كدر آفاق الازهان وشوش عليها الواقع الراهن دعت الحاجة الى ان يتشقق الانسان بالعلوم الفلسفية الكلامية على طرز ما تعارف بين علمائها ليأمن كيدا الكائدين ومغالطة المغالطين واذنك قال عليه السلام، ثم، بعد ان صممت تصميمي الاول في تنقيفك وتعليمك ، اشفقت ان يلتبس عليك ما اختلف الناس فيه من أهوائهم وآرائهم ، في مسألة الصانع والمصنوع والخالق والمخلوق حيث اتخذ كل من الناس في ذلك سبيلاً وسلك اليه طريقاً ، مثل الذي التبس عليهم ، فجاءوا يخبطون في ظلمات ويصبصون باعين عشواء ، فكان احكام ذلك اولاً، لانه من غوامض الاسرار ، على ما كرهت من تشبيهك له ، لان اطالة البحث فيه لا تعدم مسايرة الشكوك وبعث الاوهام من مراقدها ، احب ، خبير كان من قوله **عليه السلام** فكان احكام ذلك ، الى من اسلامك الى امر لا آمن عليك به الهلكة ، ان انا ابقيتك عاطلاً من هذا العلم ورجوت ، بعد احكامي لك ذلك أن يوفقك الله فيه لرشدك وان يهديك لقصديك ، فان اطف الله لازم في نجات العبد من الهلكة وحيازته للموفقية وقربه من الحق ، فعهدت اليك وصيتي هذه ، التي أتابع بفصولها عليك : ولا يقولن قائل ان العلوم الفلسفية والكلامية لم تكن متداولة في صدر الاسلام حتى يكون الامام في حاجة الى فتح ابوابها امام ولده الحسن حذر آمن ان يقف امامها وقفة حيران ذلك لان المسلمين بعد أن تناولوا معارف الكتاب والسنة بالتفهم والتدريب وردوا من طريقها الى البحوث المنطقية الفلسفية والمسائل العقائدية الكلامية وفي حياة الامام على كان لهذه البحوث أهل واصحاب من جملتهم الخوارج واهل القدر والارجاء ومن هذا الزمان نشأت فكرة الاعتزال وغيرها وقد كان الحسن البصرى وكثير من طرازه ممن جال في هذه الميادين وفي هذا الزمان نفسه كانت تعقد جلسات وتحمشد حلقات للافاضة في هذه المسائل ولا مجال للاطالة فعلا في هذه الابواب

واعلم يا بنى ان احب ما انت آخذ به الى من وصيتي تقوى الله و الاقتصار على

ما فرضه الله عليك والخذ بما مضى عليه الا راون من آباءك والصالجون من اهل بيتك فانهم لم يدعوا أن نظروا لانفسهم كما انت ناظر وفكروا كما انت مفكر ثم ردهم آخر ذلك الى الاخذ بما عرفوا والامساك عما لم يكلفوا فان أبت نفسك ان تقبل ذلك دون أن تعلم كما علموا فليكن طلبك ذلك بتفهم وتعلم لا بتورط الشبهات وعلق الخصومات وابدأ قبل نظرك في ذلك بالاستعانة بالاهك والرغبة اليه في توفيقك وترك كل شائبة أو لجتك في شبهة أو اسلمتكم الى ضلالة فان أيقنت ان قد صفا قلبك فخشع وتم رأيك فاجتمع وكان همك في ذلك هما واحداً فانظر فيما فسرت لك وان انت لم يجتمع لك ما تحب من نفسك و فراغ نظرك وفكرك فاعلم انك انما تخبط العشواء وتورط الظالماء وليس طالب الدين من خبط او خلط والامساك عن ذلك أمثل :

واعلم يا بنى ان احب ما انت آخذ به الى من وصيتى تقوى الله ، كل مثالى انسان يؤمن بالمبادئ المقدسة و الثقافة الصحيحة نراه حريصاً فى مقدمة و صاباه على الوصية بتقوى الله - رمز كل كمال - و ملاحظة جانبه و الخوف من بأسه و مؤاخذته ذلك لان الانسان اذا لم ينط نفسه بمبدأ القداسة و الطهارة و النزاهة و العدالة و الخيرات العامة جاء متسقلاً بنفسه لدرجة يعود بهامن اخس الحيوانات الهاملة التي لا يزعمها عن ملابسة الرذائل و السفالات اى و ازع يفرض وهذا المعنى مما شهدته الجامعة البشرية من نفسها على طول سيرها مع الزمان لذلك كان الهم الاول و الهممة الاولى للمخلصين من احرار بنى آدم فى تركيز نطفة الايمان فى قلب كل انسان ليعدّل سيره مع الحياة حتى تعدل الحياة نتيجة اعتداله و كل ما شققه امير المؤمنين عليه السلام فيما سلف و يأتى من وصيته لولده المعظم انما استهدف به تاصيل اصل عام لتقييد خطى البشرية بما يصلحها و تعود معها مفلحة منجحة و ليس المقصود به خاص ولده فقد آتفنا ان علياً عرض خطابه بمعرض النوع العام و انما عين طرف خطابه بالحدن ولده من بابا ياك اعنى و اسمعى يا جاره :

والاقتصار على ما فرضه الله عليك ، من واجب معرفته و كلمة الاقتصار ليس معناها ان التوسع فى ذلك مما يضر تعلمه بالمتعلم فان العلم بالشىء مهما ترامت أطرافه اذا كان على ضوء المنطق و الخبرة الفنية يكون من أليق الكمالات بالانسان و ادل على فضله و نبه بل المنظور بها ان الطريق الى التوغل فى معرفة الله منقطع لان عراقة

واجب الوجود فيما هو عليه من صفات الكمال والجمال والجلال لا تلتئم مع ما يعرفه الانسان من ذلك فى باب الوجود والموجود والصفة والموصوف لان الحواس الظاهرة لا منفذ فيها الى تيك الهوية العريقة فى التجرد والحواس الباطنة محدودة العقل لمحدودية قواها و غاية ما استطاع العقل فى هذا الباب ان يدرك لزوم وجود الصانع من وجود المصنوع ولزوم واجدية الخالق لما هو موجود فى المخلوق من فضائل ومعارف واجدية بنحو اعلا وليس هذا المعنى مما يكفى فى معرفة الله و درك هويته الا معرفة اجمالية :

نعم استطاع من طريق الكشف والشهود القائم على الاتصال بالله من طريق شريعته القائمة بالانبياء العظام الذين لا ينطقون عن الهوى والذين اختارهم بالتنصيص لتبليغ رسالته و اىصال امانته الى خلقه و ليس امر الفناء فى الله من هذه الطرق بهين على النفوس البشرية التى تحتضنها الدنيا وتؤثر عليها بمادياتها واعتباراتها كل تأثير و كل من ادعى هذه الدعوى من طريق الخلصة و الجذبة وما الى ذلك من هذه العناوين الانتهازية فهو دجال يريد استحمار العوام والتحكم فيهم وعليهم : نعم الطريق الذى آنفنا الاشارة اليه مقصور بحذافيره على الانقياد للشيعة بتفهم لها من ناحية و ايمان بمقدساتها من ناحية ثانية و على التجافى عن حباثل المادة واعتباراتها من ناحية ثالثة و كل هذه المطالب قليلة الحصول فى خارج البشرية منذ كانت و الى ان تتلاشى و اما التظاهر بذلك من اى فريق تظاهر به فهو على طوله فى عناصر الناس من صوفى و متزهده و من الى ذلك ليس فيه اقل طائل لدوران امر الغالب من هؤلاء على محور من محاورين اما الجهل والبساطة و اما الدجل والتدليس و اما المقياس الذى وزن به على نفسه و من اقتدى به من علماء اجلاء امثال الشيخ مرتضى الانصارى والشيخ محمد حسين الكاظمى فهو مقياس صعب التطبيق حقيقة : لهذا كان الاقتصار على ما فرضه الله من واجب معرفة بهذا النحو الاجمالى كافياً من ناحية و لازم من ناحية ثانية حتى لا يقع الانسان من تهوره فى ميادين شائكة تعود به بعد طول السفر مكتضاً بالا لعاد الحاد او التشكك و التذبذب :

والاخذ بما مضى عليه الاوان من آباءك ، يحتمل ان يريد بآبائه فضلا عن مقام رسول الله محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم نبي الاسلام و خاتم النبيين الانبياء من اسماعيل و ابراهيم وهكذا - وهو الاقوى - والامام لم يستهدف هنا لزوم متابعتهم والاخذ بما كانوا عليه بعد تلبسهم بلباس النبوة فان ذلك ينا فيه ما يسوقه بعده من العبارات المربوطة بهذه الفقرات وانما استهدف حالاتهم قبل ذلك حيث دعيتهم ضمائرهم المنطلقة الى تحرى الحقيقة من بين اطباق الجهالات السائدة على معاصريهم ومعاصريهم وتحريهم هذا للحقيقة في كافة المجالات والذى أعدهم لمقام النبوة والتربع على منصبه فان عهد الله لا ينال الظالمين لا نفسهم اولغيرهم بل انما ينال من استترشد بهداه الغريزي و اخذ ينمو على هذه الركيزة حتى تفوق على اقرانه وتوحد فيما بين اهل زمانه و هكذا كان ابراهيم و محمد و كافة انبياء الله العظام : كما يحتمل ان يريد الاذنين من آبائه اولئك الذين تجافوا عن عبادة الاصنام و لم ينزهم اى احد لتدربهم على مشاعرهم كعبد المطلب و فروعه المعنيين بقوله (ع) و الصالحون من اهل بيتك فانهم ، ضمير الجمع يرجع الى آبائه الاولين و اهل بيته الصالحين . لم يدعوا ان نظروا لانفسهم كما انت ناظر ، فان مشاعرهم الجأتهم الى ان يسيروا فى الافاق و الانفس حتى يتعرفوا بما فى هذا الوجود فعرفوا ما اهلهم ان يكونوا علماء من ناحية و صالحين من ناحية ثانية و لم يهملوا هذه المواهب فيهم كما اهملها نوع الناس حتى جاؤا جهلاء بالمبا دى المقدسة ضالين عن الطريقة الصالحة : و قوله عليه السلام كما انت ناظر صريح فى ان ولده الحسن كان فى هذا الصدد من نفسه لابهذه الدعوة من ابيه و لا بدع فى ذلك - فان الحسن تربى فى بيت على و فاطمة و فى حضن رسول الله و شاهد الجميع كيف كانوا فى خلواتهم و جلواتهم من توجه تام الى ما وراء هذه الطبيعة الملقاة بين بنى آدم توجها قطعهم عنها اليه و كل انسان ابن محيطه الذى يدرج فيه و من هنا بحث الشرع الآباء على تربية اولادهم تربية مبكرة على الفضائل و الاداب لتكون هذه التربية لهم ركيزة فى الحياة : و من هنا اخطأ العصر الصناعي بل أساء الى اهله حيث اعتبر الانسان رديفاً للدجاج فكما ان استحصال الدجاج من طريق الصنعة عاد فى غنى عن تجشم تلك

المتاعب التي كان يبذلها الاقدمون في سبيله كذلك استنماء النطف الانسانية من طريق هاته الدور التي انشأت لتنمية الاطفال تحت اشراف عدة من الماجورين عاد في غنى عن تجشم الوالدين في سبيل استصلاح افراخهما فكانت النتيجة من ذلك ان مسح الانسان عن انسانيته وعن عواطفها وجاء من طريق هذه الدور لا يعرف الامم تعرفه الحيوانات المسيبة من الاكتراش بأية مادة وقع عليها البصر والتسافد حتى في وسط الشوارع ولو بالمغالبة والمكابرة : اذن فلا بدع اذا جاء انسان اليوم حيواناً خالصاً في كل سماته وشاركه في كافة اندفاعاته :

وفكروا كما أنت مفكر، جاء استعراض صور من ذلك في القرآن الكريم كما في الآية ٧٤ وما بعدها من سورة الانعام : واذ قال ابراهيم لابيه آزرأ اتخذ أصناماً آلهة انى أراك وقومك في ضلال مبين وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لأحب الآفلين فلماً رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلماً أفل قال لئن لم يهدينى ربي لآكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا كبر فلما افلت قال يا قوم انى برىء مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفاً وما انا ممن المشركين : وهذا الطرز من التفكير ضرورى لمن يوجه نفسه الى ماهو حاضر عتيدي في الآفاق التي تحيط به والنفس التي تجول فيه ولا ريب فان مدرسة الكون والنفس من اضخم المدارس مادة واكثرها معرفة والاستان الملقن فيها موجود عند كل انسان ومعه في كل آن وهو عقله بل كافة المدارس منها تستمد وعليها تعتمد فان مآل النظريات الى الضروريات والفلسفة البرهانية بنت الفلسفة اليهودية والراسب في مدرسة الكون راسب في كافة المدارس وفي جميع الدروس :

ثم ردهم آخر ذلك الى الاخذ بما عرفوا والامساك عما لم يكلفوا ، اى ردهم سيرهم في الآفاق والانفس بعد طويل التجوال الى أن اعتهنقوا ما عرفوه بالضرورة وتركوا ما اختفى وجهه عليهم لبعده عقولهم عن اصابته مفوضين به الى من علمه محيط بكل شيء لاحاطته بكل شيء : والامساك عما لم يكلف به الانسان شرعاً كما هو قهرى في نفسه ضرورى للمثقف

- أما أولاً - فلان الصور الذهنية وشتات الموجودات الكونية مما يرى ولا يرى لمحدودية البصر مجردة ومسلحة في قبالة لا تنهاى وما كان كذلك خرج عن كونه قابلاً للاحاطة به - وثانياً - ان العقل الانسانى لتحده بمعدته القائم به يستحيل عليه ومهما درّب وهذب ان يحلل كل صورة ذهنية تعترض له - وثالثاً - ان تمييز البرهان من غيره في تقويم القياسات المنتجة للمنتائج التى يجب تسلمها لبرهانية مقدماتها من اشكل المشكلات فلهدا وذاك وذاك لا يجوز للعقل ان يبنى نفسه بفهم كل شىء ولهذه الامانى الفاسدة كم جاءت الى الدنيا مذاهب وآراء و فشتت في حينها او بعد حين وكم أوقع التهور و الغرور بالنفس أناساً من مبدأين وماديين فى أغلاط هى أجلا فى السقوط من الواضحات : اذن فليتأدب الانسان العاقل بهذا الادب الراقى الذى ادب به على ولده : فان أبت نفسك أن تقبل ذلك، الذى اوصيتك به من الاخذ بما مضى عليه الاولون من آباءك والصالحون من اهل بيتك تقليداً لهم وحسن ظن بهم ، دون أن تعلم ، وجه ما اخذوا به كما علموا فليكن طلبك ذلك بتفهم وتعلم، صحيحين فلا تكون قشرباً تأخذك صور الادلة من دون تحقيق فيها كما لا يجوز ان تكون متعمقاً بما تعود به أجهل ما يكون حتى بالواضحات فان الزائد من امعان النظر يعود بالعلم الى الجهل وبالانكشاف الى الانستار والغموض، لا بتورط الشبهات، فانك تفقد معه حتى معلوما تك المخرزة الصديق ، وعلق الخصومات ، العلق على ورن فعل مضمومة الفاء مفتوحة العين جمع علقه وهى الوصلة الماسكة و الخصومات جمع خصومة وهى المجادلات الفاقدة للحقيقة و انما يستعملها أهلها حباً للظهور على الطرف :

وابداً قبل نظرك فى ذلك بالاستعانة بالاهك، لوجوه - اما اولاً - فان كل انسان قاصر فى نفسه ومهما خدم نفسه وقد اشعرنا بذلك آنفاً - وثانياً - لا ريب ان المخلوق مستفاد من غيره فيجب عليه ان لا ينقطع عن استفادته منه لانه اقدر - وثالثاً - نفس القصور الذاتى فى الانسان يلزمه بالاستعانة ولا اجدر بذلك من الخالق بالتعجب اليه و اظهار الاستكانة امام عظمتة وابداء العجز امام قدرته الواسعة فيكون من واجب اللطف عليه أن يسهل على عبده المعترف بقصوره غير المتجافى عنه وقد قص القرآن علينا صفحة مما

اعربنا عنه في قصة اصحاب الكهف حيث قال تعالى (الاية ١٠ وما بعدهما من سورة الكهف)
 اذاوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهى لنا من امرنا رشدا :
 نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم و زدناهم هدى : و ربطنا على
 قلوبهم ان قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعوك من دونها لقد قلنا اذا شططاً
 هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا ياتون عليهم بسلطان بين فمن اظلم ممن افترى على الله
 كذباً: وان اعتر لتموهم وما يعبدون الا الله فآوا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته
 ويهيىء لكم من امركم مرفقا: وهذا اللطف فاقد لحزاة التبويض للفرق الواضح عند
 العقل بين المعتد بنفسه و مظهر الحاجة الى من هو اقدر منه فاذا تاملت بهذا دون ذلك
 كان فاعلا للموجب المحتم لاملوما مفنداً :

والرغبة اليه في توفيقك، لما انت بصدده، وترك كل شائبة، هو معطوف على قوله آ نفا
 بالاستعانة اى وابدأ قبل نظرك في ذلك بترك كل شائبة اى بالتجافى عن كل ما يخالط نفسك من
 شبهة وشك وكل باحث يجب عليه ان يجرد نفسه مهما استطاع عن كافة نزعاته المسبوق بها
 حتى يرد بالبحث ك انسان اجنبى غير مأنوس ولا مستاء بشىء كائنا ما كان وعند ذلك يمكنه ان
 يقتنص الحق ولهذا اشترط المناطقة والاصوليون في تأثير التواتر العلم القاطع فيمن وقف
 عليه ان لا يكون مسبوقة بنزعة تناقض و تضاد مضمونه فانه اذا كان مسبوقة بشىء من ذلك
 لم يعد التواتر يؤثر عليه أقل تأثيرا ولا يستطيع فكر الانسان ان يحمل عقيدتين متنافرتين
 بالنسبة الى شىء واحد فى آن واحد: فالنفس المشوبة بما يخالف منشودها لا تتمكن
 ان تحصل عليه لهذه العوارث القائمة بها واذا بقى الانسان على هذه الصورة لم يبارحها التشكك
 فى الاشياء ولذلك قال عليه السلام ، أولجتك فى شبهة او اسلمتكم الى ضلالة :

فال ايقنت ، من نفسك ، ان قد صفا قلبك ، من كافة الشوائب ، فخشع ، و
 صار حاضراً لتقى المعارف ، وتم رأيك فاجتمع ، لك ولم يتشطر عليك بن ما انت
 طالب له وبين اعتلاجات اخر ، و كان همك فى ذلك ، الذى تحاول تحصيله ، هما
 واحداً فانظر ، حينذاك ، فيما فسرت لك ، من العلم الذى تريد اقتناصه ، وان انت
 لم يجتمع لك ماتحجب من نفسك وفراغ نظرك وفكرك من الشوائب ، فاعلم انك ،

في هذه الحالة، انما تخبط، خبط، العشواء، حيث لا تميز طريقها ومذهبها الآفة في بصرها، وتورط في الظلماء، والتورط في الظلماء يستتبع المهالك لفقدان النور الذي يميز الوهدة من النجدة والطريق اللاحب من التيه المهلكة، وليس طالب الدين من خبط او خلط .
ولذلك تشعبت المذاهب والاديان من طريق هذا الخبط والخلط، والامساك عن ذلك امثل، واليق بالعاقل البصير فان حفظ النفس من المهالك اولى بها وان كانت في حاجة الى السير والسلوك لتحصيل مقصد معتلج في احشائها :

فتفهم يا بنى وصيتى واعلم أن مالك الموت هو مالك الحياة وان الخالق هو المميت وأن المغمى هو المعيد وان المبتلى هو المعافى و ان الدنيا لم تكن لتستقر الاعلى ما جعلها الله عليه من النعماء و الابتلاء و الجزاء في المعاد او ماشاء مما لا تعلم فان أشكل عليك شيء من ذلك فاحمله على جهالتك فانك اول ما خلقت به جاهلا ثم علمت وما اكثر ما تجهل من الامر ويتحير فيه رأيك ويضل فيه بصرك ثم تبصره بعد ذلك :

فتفهم يا بنى وصيتى ، هذه الكلمة تعرب عن لزوم التثبت والتبحر في فهم المطلوب حتى لا يكون الاتصال به قشرباً سطحياً و ما منيت الاديان الصحيحة و الحقائق الراهنة بالثشويه و التحريف الامن عدم التروى التام في فهم المطالب الغامضة و عرضها على المقاييس الفنية اللازمة ، واعلم ان مالك الموت هو مالك الحياة ، قد اسلفنا في هذه الحلقة فصلا مشبعاً بعنوان الموت والحياة بين المبدأى والمادى فليرجع اليه والمنظور من هذه الكلمة هو ايما فاهه على ان الانسان كسائر الموجودات الاخر لا يملك من نفسه في عالم التكوين قليلا ولا كثيراً فهو في هذا الدرب مسير لامخير، و ان الخالق ، اى معطى الوجود والحياة ، هو المميت ، لا ما يترائى من الاسباب الظاهرة للطبيعة ، وان المغمى بعد الانشاء ، هو المعيد ، فى النشأة الثانية ، وان المبتلى ، بشتى انواع البلاء ، هو المعافى ، اذا شاء ، وان الدنيا ، بالنسبة الى كل موجود ، لم تكن لتستقر ، على لون من الوان الشدة والرخاء ، الاعلى ما جعلها الله عليه ، وقدرها فى حق كل فرد فرد وفى كل حال من احوال الفرد نفسه ، من النعماء ، تارة ، والابتلاء ، اخرى او مزيجاً من هذا وذاك ، والجزاء ، على ما تستتبعه النعماء والبلاء ، فى المعاد ؛ لاطباق اهل الشرائع على أن جزاء

العمل الدنيوى انما يكون بعد قيام القيامة وتصفية الحساب ، او ماشاء مما لا تعلم ، عطف ماشاء على كلمة المعاد بمعنى ان جزاء الله طبق ما عرفنا بظرفه هو يوم القيامة وقد يشاء ظرفاً له قبل ذلك مما لا نعلمه فقد يصيب الانسان فى دنياه بعض ما يستتبعه نعيمه او يؤسه ويكون ذلك بعضاً من جزائه ، فان أشكل عليك شىء من ذلك ، الذى تراه من نعماء بعض الى حدود الاسراف وبلاء آخر الى حدود الامانة وقس على ذلك كل ما يلوح عليه الافراط والتفريط فى اصل الخلقة وتسيير المخلوقات ، فاحمله على جهالتك ، بدواعيه ومسوغاته ورموزه وخفيايه ، فانك ، شأن كل انسان ، اول ما خلقت به جاهلاً ، كجهلك بكل الاشياء الاخرى ايضاً ، ثم علمت بالتدريج قدر ما تستطيع فهمه وقدر ما يعلمه معلمك ويستطيع افهامك اياه ، وما اكثر ما تجهل من الامر ، بادء بدء ، و يتحير فيه رأيك ، فلاتدرى ما وجهه وما هو معناه ، ويضل فيه بصرك ، فلاتعرف الهدى فيه ، ثم تبصره بعد ذلك ، ان وفقت له والا فما اكثر الطالسم التى تبقى غامضة عاصية الفهم على الانسان فى طول حياته :

فاعتصم بالذى خلقك ورزقك وسواك فليكن له تعبدك واليه رغبتك ومنه شفقتك واعلم يا نبي أن احداً لم ينبيء عن الله سبحانه كما أنبأ عنه نبينا عليه السلام فارض به رائداً والى النجاة قائداً فانى أم لك نصيحة وانك لن تبلغ فى النظر لنفسك وان اجتهدت مبلغ نظرى لك :

فاعتصم ، اى اوجد العصمة وهى المصونية لنفسك ، بالذى خلقك ، فانه أقدر من كل قادر على جلب النفع وطررد الضر ، ورزقك ، وان كان سعيك مقدمة تمهيدية فانه ثبت من طريق التجارب المتواصلة ان السعى نفسه ليس سبباً تاماً فى تحصيل الرزق فقد يسعى الكاد سعياً حثيثاً ولا يتصل من وراءه بشىء وقد يتراخى فى سعيه فيأتيه سهم وافر وقد اسلفنا البحث عن ذلك آنفاً ، و سواك ، من التسوية وهى اتمام الخلقة ، فليكن له تعبدك ، اى اظهارك للعبودية وهى كونك عيالاً عليه فى كل شىء ، واليه رغبتك . اى هو محط اراداتك المشروعة و مناط آمالك الصحيحة ، ومنه شفقتك ، وخوفك لو تهورت فتعديت حدود النظام المقرر :

واعلم يا بنى ان احداً لم ينبىء عن الله سبحانه كما انبأ عنه نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ، الانباء عن الله سوق الحديث عنه فتارة عن ذاته وصفاته واخرى عن نظمه وتشريعاته والنبى فى أثباته الصانع لنوع الناس لا يعدو مقاييس العقل المتوسطة بين الاثر و موثره غايته هو اقدر على بسطها من غيره نعم هو فى أنبائه عن نظمه وتشريعاته متوحد متفرد بين الناس بعنوان نبوته والذي يثبت نبوته اعجازه ، فارض به رائداً ، الى الله فى كل شىء و اذا كان الرائد من السائرين لا يكذب أهله فاجدر بالنبى المعصوم الا يقول الا الحق ولا ينطق الا بالصدق ، والى النجاة قائداً، من ناحيتين الاولى كونه بعيداً من الله لرشاد عباده :

الثانية : اخلاصه فى دعوته والدليل على ذلك تجافيه عن الاعتمارات التى يتطلبها غيره من الزعماء فهو الى ان مات خاشع متواضع وعن المادة الغرارة التى يعترك عليها قاطبة بنى آدم وكفاهه فى بجموحه رياسته لم يزل يعد لبطنه حجر المجاعة ، فانى ، فيما دعوتك اليه ، لم آلك نصيحة ، اى لم اقرر فى تبطن النصائح لك ، وانك ان تبلغ فى النظر الاستصلاحى ، لنفسك وأن اجتهدت ، فى نظرك ، مبلغ نظرى لك ، لناحيتين الاولى انى انسان خارج عنك فاستطيع ان اقف منك ولك على ما لا نستطيع انت ادراكه من نفسك الثانية : اننى ابعد منك فى العمر و اكثر منك فى التجارب فانكشاف الواقع لى اكثر من انكشافه لك هذا وراء كونى والداً باراً بك و اباً شقيقاً عليك :

واعلم يا بنى انه لو كان اربك شريك لانتك رسله لرأيت آثار ملكه وسلطانه و لعرفت افعاله وصفاته ولكنه أله واحد كما وصف نفسه لا يضافه فى ملكه احد ولا يزول ابداً ولم يزل اول قبل الاشياء بلا اولية و آخر بعد الاشياء بلانهاية عظم ان تثبت ربوبيته باحاطة قلب او بصير فاذا عرفت ذلك فافعل كما ينبغي لمثلك ان يفعله فى صغر خطره و قلة مقدرته وكثرة عجزه وعظيم حاجته الى ربه فى طلب طاعته والخشية من عقوبته والشفقة من سخطه فانه لم يامر بك الا بحسن ولم ينهك الا عن قبيح :

الامر الذى ألجأ العقول الى القول بلزوم وجود الصانع للعالم هو اظهار العجز من نفس كافة الكائنات بلسان حالها عن ان تكون كونت نفسها وهذا المعنى هو الذى اجبر العقل ان يرى صانع الكون موجوداً مجرداً عن المادة والماديات جامعاً لكافة صفات

الكمال والجمال والجلال وحصيلة هذا الداعي لاتعرف التعدد فى الموجد المكون اذ لا معنى له فى الداعي المزبور لان نظر العقل موصول بأصل كل الاصول ومبدأ كافة المبادئ ومع هذه التصوير كما لا يعود معنى للشركة لا يكون معنى لتحرير الدور والتسلسل وقد بسطنا هذه البحوث فى الحلقة الاولى من هذا الكتاب ، واعلم يا بنى انه لو كان لربك شريك لاتمك رسله ، لانه بارادته لاطهار نفسه و امتيازه عن سواه يرسل من ناحيته الخاصة رسلا تعرفه الى الخلق ويحقق رسالتهم بالمعجزات القائمة بصدقهم و لم نرفى طول الاجيال شيئاً من ذلك بل كل ما رأيناه من الرسائل المعززة بالمعاجز والبراهين يصر بضرر قاطع ان لاله الا الله الواحد الفرد الصمد القيوم على كل ممكن وموجود ، لرايت آثار ملكه وسلطانه ، الناطقة بانها اثر لهذا المؤثر الخاص ذى السمة الخاصة وهذا ليس منه شيء ، ولعرفت افعاله ، ممتازة عن افعال خالق سواه ، وصفاته ، المتفرد بها بما تكون علامة فارزة لهويته ، و كذلك ليس من هذا فى البين قليل ولا كثير ، ولكنه ، اى الرب الخالق ، الاله واحد ، ليس بمشترك ولا متعدد ، كما وصف نفسه ، بقوله قل هو الله احد .

لا يضاذه فى ملكه احد ، بما يكون قبيل له ، ولا يزول أبداً و لم يزل . لان العقل الزمه بالوجود الذاتى و اذا كان الوجود ذاتياً للشيء كان لا بد من اذليته وأبديته ، اول قبل الاشياء ، الكائنة فى عرصات الوجود ، بلا اولية ، متعارفة وهى ما تكون مسبوقه بالعدم ، وآخر بعد الاشياء بلا نهاية ، لان كلمة الآخريه تشعر بالانتهاء ، عظم ، اى تعالى وارتفع ، ان تثبت ربوبيته ، بهويته الكاملة ، بأحاطة قلب او بصر ، اما الحواس الظاهرية فلا تدرك المجردات الا من طريق آثارها فحسب و اما المشاعر الباطنية فهى محدودة الدرك كما اسلفنا البيان عنه قريباً ، فاذا عرفت ، من ذات الله الخالق ، ذلك الذى ابنته لك ، فافعل كما ينبغى لمثلك ، وهو المخلوق المحتاج فى كل اشياءه ، ان يفعله ، فى قباله وهو الخالق لكافة الكائنات القائم عليها فى كل اشائها و شرح عليه السلام ما ذكرناه بقوله ، فى صغر خطره وقله مقدرته وكثرة عجزه وعظيم حاجته الى ربه فى طلب طاعته ، اى تحرى مظان ما يرضيه ، والخشية من عقوبته ، تأديباً للمنحرف المضر


بنفسه او بغيره ، والشفقة ، وهى الخوف ، من سخطه ، وعدم رضاه لالصالح نفسه فانه غنى عن كل ما سواه ، فانه ، سبحانه ، لم يأمرك الابحس ولم ينهك الا عن قبيح: محاولة لاستصلاحك باختيار نفسك والالوشاء لهدى الناس أجمعين .

يا بنى انى قد أنباتك عن الدنيا وحالها وزوالها وانتقالها وأنباتك عن الآخرة وما أعدّ لأهلها وضربت لك فيهما الامثال لتعتبر بها وتحذو عليها وانما مثل من خبر الدنيا كمثل قوم سفر نأبهم منزل جديب فأتموا منزلا خصباً و جناباً مريعاً فاحتملوا وعناء الطريق و فراق الصديق و خشونة السفر وجشوبة المطعم ليا تواسعة دارهم ومنزل قرارهم فليس يجدون لشيء من ذلك ألماً ولا يرون نفقة فيه مغرماً ولا شيء احب اليهم مما قربهم من منزلهم وأدناهم الى محلتهم ومثل من اغتر بها كمثل قوم كانوا بمنزل خصب فنبأهم الى منزل جديب فليس شيء اكره اليهم ولا أفضح عندهم من مفارقة ما كانوا فيه الى ما يهجمون عليه ويصيرون اليه .

قد أنباء عليه السلام فى فصل آنف من هذه الخطبة عن تصرف الدنيا بأهلها وكيفية غرور الانسان بها وانها ليست محللاً للاغترار بل هى دار تفكر واعتبار و اعلم انه ليس المنظور من الدنيا هو تلبس الانسان بالحياة او انطوائه على روح شهوية او جنوحه الى المادة و الماديات بل كل من الحياة و روح الشهوة و الجنوح الى المادة اذا اعمل بطرز موزون مطبق على المقاييس الصحيحة كان مادة خير ولا اثر للشرفيه بل المنظور من كل ماسيق مساق الذم للدنيا هو تجافى الانسان عن واجبه الاخلاقى الاجتماعى بما تعود به الحياة على الاحياء شاقة حرجة لاغارة المتجرم على حقوق غيره بما فى نطاق هذه الكلمة من مفهوم واسع و ليس زوال الدنيا عن الانسان بعد ان بقضى فيها المديد من حياته هائلاً هادئاً بمزعج للنفس از عاج ارتباك الحياة طوال الليالى والايام ولا شك ان الآخرة الموعودة من رغبات النفس التى تنشرح لها من مجرد تصورها فضلاً عن ملابتها وباستطاعة كل فرد اذا مشى الافراد على الجادة المعبدة الممهدة ان يحصل السعادتين الدنيوية والاخروية فيحىي فى الدنيا حياة سعيدة ولو بقلّة المزعجات فيها و يحرز اخراه من طريق دنياه ولهذا لا تكون الدنيا اذا مشى افرادها على الشرط منزلاً

جديباً ويكون الخصب صرفاً للاخرة وحدها واذا ساءت الحالة الاجتماعية ففضلاً عن كون المنحرف اذا تولى عن دنياه لا يؤم الا منزلاً جديباً لم يعمل له قد لا يكون في دنياه زامنزل خصب فكم رأينا من العصاة المنحرفين من هو ابعدى الشقاء من كل شقى واشد بؤساً من كل بائس.

يابنى اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك فأحبب لغيرك ما تحب لنفسك واكره له ما تكره لها ولا تظلم كما لا تحب ان تظلم وأحسن كما تحب أن يحسن اليك واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك ولا تقل ما لا تعلم وان قل ما تعلم ولا تقل ما لا تحب ان يقال لك واعلم ان الاعجاب ضد الصواب وآفة الالباب فاسع في كدحك ولا تكن خازناً لغيرك واذا انت هديت لقصدي فكُن أخشع ما تكون لربك :

طبعاً لا يجوز ان يزن الانسان الناس بما يزن به نفسه اذ قد يكون شاناً في نفسه منحرفاً في فكرته غالباً في عقيدته ساقطاً في نزعته جلفاً في حركاته و سكناته وما اكثر هذا الشذون والانحراف والغلط والسقوط في جماعة البشر ويجل مقام امير المؤمنين ان يريد من الانسان مطلقه بل قطعاً اراد منه معتدله اذن يجب ان يكون الميزان هو العقل المعتدل الذي يتخذ معياراً في توزيع المفاهيم فالعقل في سيره مع المجتمع يجب ان لا يرى نفسه فوق غيره فيستهين بحقوق الناس بل يجب ان يحب لغيره مثل ما يحب لنفسه وان يكره له ما يكره لها وان لا يظلم الناس كما لا يرضى ان يظلمه الناس وأن يحسن اليهم كما يرغب أن يحسنوا اليه وان يستقبح من نفسه كل ما يستقبحه من سواه : ثم أوصاه  ان لا يقول ما لا يعلم لان في ذلك فضلا عن الاضلال والتجهيل الموجبين للعقوبة اسقاطاً للكرامة وتوهيناً بالشرف حيث ينكشف الخلاف ويظهر الخطأ: واما ان الاعجاب والغرور ضد الصواب وآفة الالباب فلان المعجب بنفسه المغرور بمواهبه يقع في مجاهل تمحقه وتسحقه كما فعلت هاتان الصفتان الرديتان بكل من زاواهما واعتدبهما والكدح هو التعب والمشقة والمنظور بذلك هنا هو ما يستثمره الانسان بكده ومعنى السعى فيه هو انفاقه في جوده المشروعة الجالبة للثواب الكاسبة للشرف

فان التقصير في الانفاق من لازمه القهرى ان يعود الانسان خازناً لغيره من وارث او واحد ثم قال عليه السلام لو اذانت هديت بتوفيق من الله لقد فكنت أخشع ما تكون لربك الذى وفقك وهداك جزاء على احسانه بالشكر له :

واعلم أن امامك طريقاً ذا مسافة بعيدة ومشقة شديدة وانه لاغناء بك فيه عن حسن الارتياح وقدر بلاغك من الزاد مع خفة الظهر فلا تحملن على ظهرك فوق طاقتك فيكون ثقل ذلك وبالا عليك واذا وجدت من اهل الفاقة من يحمل لك زادك الى يوم القيامة فيوافيك به غداً حيث تحتاج اليه فاغتنمه وحمله اياه وأكثر من تزويده وانت قادر عليه فلعلك تطلبه فلا تجده و اغتنم من استقرضك فى حال غناك ليجعل قضاءه لك فى يوم عسرتك واعلم ان امامك عقبة كؤوداً المخف فيها احسن حالا من المثقل و البطيء عليها أقبح حالا من المررع وان مهبطك بها لامحالة اما على جنة او على نار فارتد لنفسك قبل نزولك ووطىء المنزل قبل حلولك فليس بعد الموت مستعجب ولا الى الدنيا منصرف :

بين له عليه السلام فى هذا الفصل كيفية سعيه فى كدحه و كيف لا يكون خازناً لغيره فقال ان الذى تستقبله من طى المسافة لو طنك الدائم مديد بعيد و فيه من المشاق والمتاعب الجهد الكثير مضافاً الى ان كل عاقل لايجوز له اهمال ما قصد اليه بالفحص والتفتيش خصوصاً اذا كان فى قصده مشقة وفى استهدافه مؤنة بل لا بد له من حسن الارتياح والقدر المبلغ من الزاد غير المثقل للظهر حتى يعود وبالا عليه واذا حصل له من يحمل عنه هذا الثقل ليوافيه به فى المقصد الذى يتوخى فذاك من أحسن العون له والارفاق به وحساب الآخرة مع الدنيا بالنسبة الى المكلف هو هذا الحساب فى طرف من المقايسة فان الانسان مهما استطاع أن يؤمن عاقبته من عمل دنياه الثانية فلا يقصر فى حق نفسه فان طالب العمل المثمر غداً غير واجد له ولا ريب ان حطام الدنيا و مساعدتها فى غير فعل الاحسان ومواساة الاخوان مما يثقل كاهل الانسان بالمسؤولية ومما لا شك فيه ان سالك العقبة الكؤود اذا كان مخفياً خيره مما اذا كان مثقلاً و البطيء فى قطعها أقبح حالا من المررع وسالك كل متاهة غايته امر من امرين لا محالة اما التلف والعطب و اما

السلامة و الوصول الى المقصد اذن فيجب على السالك ان يتمهل في معرفة طريقه و العادة التي لا تضل به فليست الندامة مع مشاركة التلف مما تنفع كما لاسبيل و الحال هذه الى استئناف الشقة و العود الى المبدأ :

واعلم ان الذى بيده خزائن السموات و الارض قد اذن لك فى الدعاء و تكفل لك بالاجابة و أمرك أن تسأله ليعطيك و تسترحمه ليرحمك و لم يجعل بينك و بينه من يحجبك عنه و لم يلجئك الى من يشفع لك اليه و لم يمنعك ان أسأت من التوبة و لم يعاجلك بالنقمة و لم يفضحك حيث تعرضت للفضيحة و لم يشدد عليك فى قبول الاثابة و لم يناقشك بالجريمة و لم يؤيسك من الرحمة بل جعل نزوعك عن الذنب حسنة و حسب سيئتك واحدة و حسب حسنتك عشرة و فتح لك باب المتاب و باب الاستيعاب فاذا ناديت به سمع نداءك و اذا ناجيته علم نجواك فافضيت اليه بحاجتك و أثبتته ذات نفسك و شكوت اليه همومك و استكشفته كربك و استعنته على امورك و سألته من خزائن رحمته ما لا يقدر على اعطائه غيره من زيادة الاعداد و صحة الابدان و سعة الارزاق ثم جعل فى يديك مفاتيح خزائنه بما اذن لك فيه من مسالته فمتى شئت استفتحت بالدعاء ابواب نعمته و استمطرت شأيب رحمته فلا يقنطنك ابطاء اجابته فان العطية على قدر النية و ربما اخرت عنك الاجابة ليكون ذاك أعظم لاجرا لاسائل و أجزل لعطاء الآمل و ربما سالت الشيء فلا تؤتاها و اوتيت خيراً منه عاجلاً و آجلاً و صرف عنك لما هو خير لك فلرب امر قد طلبته فيه هلاك دينك لو اوتيته فلتكن مسالتك فيما يبقى لك جماله و ينفى عنك وباله فالمال لا يبقى لك و لا تبقى له :

بين عليه السلام له ان خالق العالم كما هو مكون لاصل خلقته مبدع للقليل و الكثير من مادته كذلك هو مصرف لجميع الشؤون الكونية بلا استثناء حقير منها و لا خطير و من جملة ذلك ان خزائن السموات و الارض بيده و المراد بخزائن السموات و الارض هو كل ما يحسب له الانسان من حساب كالمال و الجاه و الصحة و كافة امانى النفس التي تدور فى رؤس الناس نوعاً فليس فى ذلك الى من سواه مفرغ الا بنحو التسبب و الاعداد و قد اسلفنا ان التسبب المادى و الاعداد الطبيعى لا ينجعان اذا لم يكن لمارء الطبيعة ارادة

حاسمة ويستأنس لذلك بان من المشهود تنجيز ادنى تسبب و اقل تشبث و عقم المحاولات العظيمة و التشبثات الطويلة و لا يجوز ايكال كل ذلك الى الصدق كما اسلفناه : وهو تعالى قدفتح لعباده ابواب الدعاء بقوله ادعوني و وعد بالاجابة بقوله استجب لكم لكن هذه القضية تحتاج الى توضيح ماأعلق فيها و تفصيل ماأجمل منها فان للداعى و للدعاء و للمدعو عليه اوله شروطاً لا بد من مراعاتها و الا استلزم ذلك الهرج و المرج و التناقض و التصادم اما للداعى فتارة يدعو لنفسه او عليها او للغير او عليه و ما يدعوه تارة يكون مكشوف الحال بأن يكون فى ضائقة من ظالم قدضايقه على نفسه او عرضه او حقه الذى لامرية فيه و اخرى يكون ملتبساً بأن يدعو لنفسه بطول البقاء او بنيل جاه و مقام و منصة حكم و مرجعية وهكذا دعاؤه لغيره و اما دعاؤه على نفسه او غيره بان يقصر عمره او يزول من يده مقامه و جاهه او يهلك اهله و عياله و ما الى ذلك فذلك فى الكثير منه يكون مبعوثاً عن عواطف مؤقتة تتحول من النفى الى الاثبات و من الاثبات الى النفى فى الساعات حسب تغير الميول و تصرف العواطف و لربما وقع مدعو عليه اوله فى تناقض دعائى من داعيين دعى له احدهما بطول البقاء لانه احسن له و ثانيهما بقصر العمر لانه اساء اليه و على مثل هذا مما لا يعد و لا يحصى اذن فباب الدعاء المفتوح للعبد له شرائط خاصة و ذلك فيما يتجلى من امره و اما ما انستر و جهه و لم يعلم مدى انطباقه على الواقع فأمره جدّ مظلم لا يعلمه الا الله سبحانه و لذلك كانت اجابة الدعاء مبهمه لابهام مقدماتها التى تعرضنا لشيء منها : و ان امر الله العبد أن يسأله ليعطيه فذلك فيه من القيود و الشروط ما تعرضنا لطرف منه فى الدعاء : و اما سؤال الرحمة منه فذلك موكل به الى المصالح الواقعية التى لا يعلمها الا من احاط علماً بالواقع النافع و كم من سائل شيئاً لنفسه او لغيره لو انكشف له المحجوب لانعكس سؤاله فيه : و اما جعل الحجاب بين الوالى و المولى عليه فذلك يكون بداع من دواعى كثيرة اما الخوف من هجوم السوء عليه من حيث لا يحتسب و اما طرداً للتشويش فى اوقاته و اما ابرازاً للعظمة و حياً للتعجيب و واجب الوجود بماله من صفات جلال و جمال و كمال بعيد عن كل ذلك : و اصل الاستشفاع معقول بمجمله حتى مع الله سبحانه فان من يقدم بين يديه و لياً حرياً بالتجليل و التبجيل لما احتوى عليه من شرائط

الاخلاق وجلائل الصفات يرتاح الى نفسه اكثر مما يأتى بمفرده لكن مع ذلك لا الجاء فى الشفاعة من كل عاقل عادل فضلا عن الله سبحانه :

ولا يستريب العاقل وان كان غارقاً فى المثالية معجولاً فى الكمالات الروحية ان الانسان حيوان نوميول وعواطف وشهوات وليس انساخه من ميوله وعواطفه وشهواته بأمر مستهان لما فى ذلك من لزوم رياضات مجهدة واتعاب وافرة و مكابدات جملة و اذا كان الانسان كذلك كان من لازمه الاعتيادى مقارفة السيئة الى جنب الحسنه فمجانبة الله لعبده بمجرد اساءته غير جائزة عليه تعالى اذا تاب العبد و أناب وخلص من حقوق عباده و تنصل مما يوجب سخط ربه ولذلك كانت التوبة الصحيحة بشرائطها اللازمة واجبة القبول على الخالق سبحانه :

لكننا نلفت نظر الانسان المطلق الى نكته اذا راعاها امكن ان يكون انساناً معتدلاً و اذا تجافى عنها اخلد الى الحيوانية فكان بعيداً عن كل خير يرجى منه حتى التوبة فانها لا تتعقل من الانسان المنصرف الى ميوله وعواطفه وشهواته ولذلك نقول تحت عنوان .

الإنسان بين المادة والمعنى

كل احد يدرك باحداقه الناظرة ان ظاهرة لبدن الانسانى انما تمتاز عن جملة الحيوانات بشىء طفيف من التخاطيط والشكل الهندسى وتشارك ظاهرة هذا البدن من حيث تأمين الغذاء والقوت ودفع المزاحمات ومبارزة المؤلمات مع كافة الحيوانات سواء بسواء ومن هنا نعلم ان الانسان حيوان ببدنه ومادى خالص من جهة بنيته لكننا اذا وزناه من هذه الجهة وجدناه لا قيمة له بالمره واذا حاسبناه على ميوله الخاطئة وتصرفاته المنحرفة وجدناه من الحيوانات المضرة التى يجب ان تطارد حتى لا تضرب غيرها هذا هو الانسان المادى ومهما كان جميلا فى صورته رشيداً فى قامته شكيلاً فى بزته موفقاً فى سعيه المولد للجاه والمال :

واما الانسان الروحى فان المراد به فكره وعقله لبه وقلبه ضميره ووجدانه علمه

و عمله وكل من هذه الثمرات المعنوية لا يرتبط بالحيوان اى ارتباط ولهذا يحسب الانسان الروحى موجوداً مستقلاً عن كافة الموجودات كائنة ما تكون : ولا تريد بالانسان الروحى الانسان الذى يجرد نفسه من كافة ميوله وعواطفه ومن جميع شهواته ورغباته فان ذلك لم يكلف به اى انسان وقد خاطب الله اشرف انبيائه بقوله ولا تنس نصيبك من الدنيا للعلم بان الدنيا اعداد للاخرة واعداد ايضاً لنشر الفضيلة واعداد كذلك لاجراء النظام العادل بين الناس فان الذى يفقد دنياه فلا يكون صاحب بدن قوى وعضلات قوية لا يستطيع ان يكون مجاهداً فى الحروب التى تكون بين الحق والباطل وان الذى يفقد دنياه فلا يكون صحيحاً فى جسمه سالمه فى مزاجه لا يستطيع ان يتعلم ولا ان يعلم ما تعلم وان الذى يفقد دنياه فلا يكون صاحب جاه ومقام لا يستطيع ان يأمر بالمعروف او ينهى عن المنكر فان الخاملين بين الناس لا اثر لكلامهم ولو كان حقاً وصدقاً وان الذى يفقد دنياه فلا يكون صاحب مال ولو كان قليلاً لا يستطيع ان يؤمن نفسه الضرورية فضلاً عن حاجة اخيه ويلزمه الفقر بصرف جميع اوقاته فى العمل الكادح واستنفاد جميع قواه للابقاء على رقبته ومثل هذا الانسان مهما كان ذا استعداد لا تكون قيمة لاستعداده اذ لا مجال افعلية هذا الاستعداد وقس على ذلك نظائر ما ذكرنا :

اذن فالمراد بالانسان الروحى هو الانسان الملتفت الى ان وراء جسمه ولذته والمه الحسين عالمه آخر محيطاً بوجوده وذلك العالم المحيط به هو عقلة ومقاييس شعوره وموازين ادراكاته التى بها خطط المدينة الفاضلة وقام بهندستها فى خريطة ذهنه والمراد بالمدينة الفاضلة التى يسيل لمفهومها لعاب كل انسان حر هي المدينة التى تسود عليها ظاهرات العدل والانصاف والاخاء والاباء والحياء والسخاء والوفاء والصدق والرفق والاحسان والامان والايمان والمواساة بل المساواة :

وليس تصوير المدينة الفاضلة بفرض محال يفرض بل هو امر ممكن فى نفسه وقد حققه العيان فى فترات قصيرة من الزمان وان مراعاة الفترة المختصرة التى عاشها النبى صلى الله عليه وسلم بعد ان توطدت له الامور نسبة فى مدينة هجرته تكفيها بتحقيق المدينة الفاضلة عملاً فى رقعة من الارض هي المدينة المنورة وبين اناس هم الصحابة الاجلاء من على و

ابى نذر وعمار وسلمان والمقداد ونظر ائمتهم وفي زمن لم تكن فيه مدارس وكليات وجوامع و
 دكاترة حقوق وعلوم : وهذه الروحىة التى يستشعرها مترسموا خطة اهل البيت عليه السلام
 من المعممين وليدة تلك الفكرة التى صدع بها انبياء الله اجابة لارادة الله الذى يحب الخير
 لعباده ويغض لهم كل شر :

ولا يجوز نكران الحق ولا التجاهل بالواقع فان جملة من اهل العلم الدينى الذين
 اتخذوا العمائم شعاراً لالتحاقهم بحزب الله اهل بيت رسالة السماء رموا المنهار من اركان
 وقواعد وبنيان تلك المدينة الفاضلة التى أمر بتأسيسها الله سبحانه وقام بشادتها انبياءه
 الكرام الذين ماطلوا الزمن ولاكموا الجبابرة حتى استطاعوا ان يحفظوا رمق الحق من
 بين الضواغط المدهشة التى اخذت منه بالمخنق واشارة الى ما قام به المجاهدون من علماءنا
 فى ترميم هذه المدينة تكفيها للتدليل على تثبيت هذا المطلب فقد قام الشيوخ والسادة
 الاجلاء من العلماء كالمفيد والمرضى والشيخ الطوسى و المحقق والعلامة والشهيدان
 وبحر العلوم وكاشف الغطاء الكبير وصاحب الجواهر والمرضى الانصارى والشيخ محمد
 حسين الكاظمى و المجدد الشيرازى و الاقارضا الهمدانى وغيرهم بشتى المجاهدات و
 راضوا انفسهم بانواع الرياضات لتدعيم عروش الحق ودك مراكز الباطل ولولا ذلك لما رأيت
 اليوم اسماً للحق فضلاً عن رسمه ولا خبراً عن المدينة فضلاً عن بقاء اسمها وشخص آثارها :
 و نقول ايضاً تحت عنوان :

الحياة بين المادى والمبدأى

للحياة العامة فيما سبق الحرب العالمية الاولى لون واحد بالتقريب وللحياة
 بعد هذه الحرب اللون يتصارع عليها أهلها : اما لونها قبل الحرب العالمية الاولى
 فقد كانت ظاهرة الدين صبغة عامة للعموم ووجود الملاحدة والزنادقة والمنحرفين فيما
 بين طبقات الناس كل من موراً بالظاهرة الدينية فلم يكن يستطيع الاباحى والزندق اصحاراً
 حتى بالطرف الضعيف من عقيدته و مرامه ومتى كان المرام بهذا اللون كان الاجتماع
 فى امن من تقاضيه ومصونيه من مفسده ولهدا طوت ادوار الاسلام قرونها المدينة مسلمة
 فى النزعة من اعلا طبقاتها الى ادناها و كانت الظاهرة العامة للبرامج الاسلامية فى

فى جميع شؤونها العلمية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.
لكن لما انفجرت الحرب العالمية الاولى والتهمت الخافقين بكل عواملها وجاء دور الحريات فيما يقولون اخذ كل انسان سواء أكان بدافع رمزى ام بداع جهلى شهوى يندفع بكل ما فى نفسه ولو كان سباباً وعريضة وجاء العصر يعترز بهذه الحريات التى لا يليق بها الا ان تسمى بالفوضوية والانفلات ولما كان العلم فى كافة ادوار البشرية قليلا اهلها فى تفهم مقاييسه من مكابدة اتعاب روحية و جسمية و كان الجهل فى كافة الاجيال هو الشعار الواضح اللائح على اكثر الافراد فى المجامع البشرية و من جملتهم المحصلون الذين لم ينضجهم الدرس بل حفظوا اشياء قشرية وفاتهم الكثير الوفير من المطالب العميقة جاءت الدواهي تترى الى هذا العالم من طريق هذا التحرر بما يعجز الواصف عن وصفه واللسان عن بيانه

فبعد ما كانت الفحشاء مسدودة الباب بالقوى الراصدة عليها حتى لا تفسد الحياة نراها فى عصور التحرر قد فتحت ابوابها امام كل وارد بل تجاهرت فأخذت تغد فى المعابر والشوارع وانتهى بها الامر الى ان يجدها الناس فى بطون بيوتهم والى ان يعودوا عاجزين عن دفاعها :

ونحن لو سألنا كلمة الحرية نفسها عن ما احتوت عليه من مضمون اراده العقلاء منها لوجدناها تستنكر من هذا المفهوم الذى دخل فى اذهان الناس زاعمين انه مفهوما ومضمونها لان المنظور بالتحرر طبعاً هو اقامة العدل العلمى الاجتماعى الاقتصادى السياسى بين الناس والعدل معناه احقاق الحق و ابطال الباطل و الذى يشخص الحق والباطل هو العقل السليم والمنطق الوزين لارغبات الناس وشهوات الافراد هذا هو معنى الحرية : واما العريضة نتيجة لشرب المسكرات و التهتكك من طريق ارسال الشهوات واستباحة الحقوق من أجل الافساح للنزوات والحماقات فهى نقيض الحرية لانها تमित الحق و تحيى الباطل و تشيع المنكرات بين الناس كما يراه الان كل احد حتى فى منزله الخاص فضلا عن الطريق الذى يستطرقة و المعابر التى يمر بها والوسائل الثقيلة التى يمتطيها فى تجولاته وأسفاره :

نعم كل هذا ليس بحرية وانما هو فوضى وانفلات على كافة القيود حتى الفطرية منها وبلاء الافلات لا يعرف الا فى المجانين الحادّ جنونهم الذين يعيثون بكل شىء تمكنوا منه حتى لترى الناس تخافهم على ارواحهم فضلا عن اموالهم ونواويسهم وتحررنا الحاضر اخوان الجنون المطبق بلافاصلة غايته ان كل بلاء عام تخف وطاته على الناس لانتشاره بين عموم الطبقات لكن البلاء ثقيل على العاطفة الانسانية فلما كثر انحصار ان تشر باى لون كان وبأى طابع انطبع.

والذى فتح الطريق امام هذا البلاء العام بل الوباء الجارف هو اعتبار كل انسان نفسه انه عاقل مفكر وان عقله وفكره يجب احترامهما من كافة الناس وهو جهل عميق وحماسة عظيمة بدليل أن افكار البشر قد تنتهى بهم الى امور متناقضة ومفاهيم متضادة لا يمكن جمعها وفرضها على الوجود ففى البشر جماعة الشيوعيين الذين يرون ان كل ما فى الوجود يجب ان يكون مشتركاً بين كافة الناس بالفرق بين النواويس وغيرها والاموال وما سواها وفي البشر ايضا جماعات اخرى يسخرون من هذا الفكر سخريه عظيمة ويرون ان فريق الشيوعيين اناس مرموزون فاقدون حتى للمنطق العادى مستدلين ولهم الحق بان الاحمال الذى بضاعته قوة بدنه وهى موهبة طبيعية مخصصة به لو صرف قوته فى حمل الاحمال واستفاد من هذا الكسب ما لا كيف تجوز مزاحمته على هذا المال الذى اكتسبه من عرق جبينه وكديمينه واى انسان آخر له دخالة فى هذا الكد حتى يعود شريكا له فى نتائجه وهذا الاحمال نفسه اذا جمع من كده مجموعة مال وتعاقد هو وامرأة من بنات الناس على ان يتزوجها بمهر معلوم لها وشروط يقوم بها وحقوق يشترطها عليها وهى تجيبه الى هذه المعاقدة شارطة على نفسها الوفاء بها فكيف يجيز العقلاء لها ان تكون مشتركة بينه وبين غيره :

فاذا كان كل فكر محترماً يجوز فرضه على المجتمع وقع الاجتماع من طريق هذه الافكار المتضادة فى خفقان مدهش تستحيل معه الحياة قطعاً اذن فالافكار المحترمة هى الافكار التى قام على تحليلها العلم والموازن المنطقية حتى صفت من كل خلط وشوب ومن كل جهل وانحراف ومن كل رمز وشهوة ومصالحة شخصية بالفرق بين القديم منها والجديد فقول المتجددين ان النظم الدينية اصول عتيقة لا تستطيع ان تحكم الاجيال

الحاضرة والقادمة من الاغلاط المقتضحة لان الفكر المحترم اذا كان هو الحقيقة كان الحق هو الذى يجب اتباعه اذ لافرق فى الحقيقة بين القديم منها والجديد لان القدم والجدة من مواليد مرور الزمان وحدوثه والزمان لا يربطه بالحقيقة اصلا : ان الحقيقة نظير قولنا الواحد نصف الاثنين والكل اعظم من الجزء وهذا المعنى مسلم للعقول البشرية فى كل آن من آوان وجودها :

ولا يستطيع جماعة العقلاء فى العالم ان يجدوا مجموعة نظم صحيحة بعد عرضها على المقاييس العلمية المنقحة مثل ما يجدونه فى نظم الدين الاسلامى لكن بشرط التدقيق التام فى مفاهيمها والتحقيق فى مضامينها والتأنى فى استعراضها والنظام اذا بلغت حيثته الى هذه القمة وجب تطبيقه على المجتمع حراسة لافراده وصوناً لاهله وتعميداً لطرق الحياة الصحيحة :

وهنا يليق بنا أن نسأل فنقول ما الذى وقف امام تنجيز هذا النظام وتطبيقه على المجامع البشرية حتى تسعد بالحياة وما الذى اربك هذه الحياة العريضة الطويلة حتى جعلها كالموج الهائج تطفو وترسب فى الدقائق فضلا عن الساعات وفى هذا الهياج ما فيه من ازعاج وفى الجواب عن هذا السؤال نقول وقف امام تنجيز نظام الاسلام بعد النبى واوصيائه عليه السلام عدة عوائر مهمة :

(١) الاغراض الشخصية القائمة فى اعداء الانسانية الذين لا يهمهم فناء العالم اوبقاؤه بعد أن يقال فى حقهم انهم عظماء ونظرة الى الحجاج وما اتاه الى چنگيز وما صدر عنه والى تيمور وما قام به والى انين وستالين وما باسراء من اعمال تنبوحتى عن مذاق التوحش تكفيك فى استشفاف ان هؤلاء ونظرائهم فى السابقين واللاحقين لم يكن يهيب بهم الى التوسع فى التدمير والتخريب حب الامرة والتسلط فقط فان الحاكمة وراء هذه الاندفاعات المخزبة و التهجعات العارمة و لكن الذى أهاب بهم هو حجبهم لان يقال فى حقهم انهم عظماء ولا يرب ان هذا الطرز من الشعور وليدعاها نفسية وامراض روحية اعادنا الله منها .

(٢) الجهل المركب الذى اختمر فى اذهان اغلب المتجددين الذين وقفوا على

ماطراً على المادة من تحوير وتطوير فكان التلفزيون بعد أن لم يكن وجاء المكرفون الى الوجود بعدما كان فى طيات الخفاء او العدم وانتجت المعامل المبردة والمدفئة والرادار والسفن الفضائية والطائرات التى تسابق الصوت فى سرعته وما الى ذلك مما شاع وانتشرفقوا عن جهل واضح ان تصرف الانسان بالطبيعة هذا التصرف المدهش مما لا يجعل للاعتقاد بالله مجالاً وهم لو التفتوا لوجدوا الحاجة الى الخالق ضرورة على كل حال حتى لو استطاع البشر ان يغلى الطبيعة ذرة ذرة و يحللها و ذرة ذرة فان ايجاد اصل المادة و تسيير أعضائها هذا التسيير العظيم فى المجرات و المنظومات الشمسية و افاضة الحياة على جملة من الكائنات و اعطائها هداها الذى اقام قيامة العقول فى تنقيتها عن الحيوان بريها و بحريها صغيرها و كبيرها مكشوفها للانظار و محجوبها عنها امثال الخلايا القائمة بينيان بدن كل موجود حى من نبات و حيوان و انسان مما لا يمكن ان يكون جزافاً فان الجزاف لا ميدان له فى سوق العلم بالمرّة بل لا بد لكل حصيلة من علة تقوم بتحصيلها :

ثم ان هذا السبب الذى أهاب بهؤلاء المتجددين ان يلحدوا خرج بهم وراء ذلك الى الاسفاف فى كل شىء فانكروا العقل وما يوحيه وكفروا بالشعور الانسانى و جحدوا جميع ابحاث الفطرة فكل شىء عندهم حلال ارتكابه اذا ساعدت القدرة عليه فلا يجدون فى انفسهم مفهوماً للعفة و لا معنى للنجاسة و يهزؤون من التورع و التدين و يتدرعون باللاأبالية شعاراً يلازمهم فى كل حالاتهم و كل ما نراه فى شوارعنا و معايرنا و اجتماعاتنا من تذبذب و تفسخ و انهيار و ميوعة هو نتيجة هذه الا رواح الموبوءة : ان هذا الوباء الا خلاقى أطاح بالمجامع كلها فلا بد من مطاردته بكل شكل ممكن واهم سائله حسن التربية المسئول بها كل مرب خولته الصلاحيات تربية غيره :

(٣) عدم قيام المرين بواجبهم التربوى : والمربون اصناف :

(١) الآباء والامهات ومن لازمهم انهم كما يسعون وراء المادة لتحصيل القوت والضرورات الحيوية الاخر لانفسهم و من يعولون به يجب عليهم ان يتقنوا ابنائهم ثقافة صحيحة و يعدوا منهم جيلاً مثقفاً للمستقبل يسعد فى نفسه و يسعد غيره بالتبع وكما لا يجوز

اهمالهم لايجوز ايكال امورهم الى الفسقة والمنحرفين :

(٢) المعلمون و اشراف المعلم على الاطفال له كل الدخل فى توجيه حياتهم فكما يستطيع ان يخلق منهم جيلا صالحاً وامة نجبية يستطيع ان يخلق منهم لوصاً وشحاذين وفسقة ساقطين وكلا الجيلين شاهدنا الجيل الصالح من طريق المعلم الصالح فقد خلق محمد بن عبدالله نبي الاسلام من وحوش الجاهلية امة لها كيانها المجيد الذى لايزال قلم التاريخ يتحدث عن محامدها ومكارمها والجيل المنحرف من طريق المعلم المنحرف فقد خلقت تعاليم دارون وماركس ولنين وستالين جيلا هائجاً بمخالبه ضارياً باظفاره قد أعدّ مخالفه وانيا به واظفاره للاطاحة بكل ما يعترض امامه كائناً ما كان ذلك المعارض ويكفينا العيان شاهد صدق على ما ادعينا :

(٣) الآباء الروحىون ان الاب الروحى الذى يمثل الله تعالى و انبيائه العظام و اوصيائه الكرام يجب ان يكون وراء تهذيبه لنفسه وعبادته بما ينفع خاصة شخصه مهتماً اشد الاهتمام فى تقريب مستوى الاجتماع الى مستوى الله وممثليه فيجب ان يعرفهم بالله تعريفاً يدخل فى اعماق قلوبهم حتى يؤمنوا به عن ايقان وازعان و البيان الذى يكفل هذا التعريف مما يختلف باختلاف الزمان وأهله فلايجوز للاب الروحى ان يعجمد على الالفاظ التى قالها الروحىون قبله للاجيال السافرة بل يجب عليه ان يلبس تلك الحقائق لباساً يواكب ما تعود عليه اهل زمانه من طرز بيان وكيفية اقامة برهان : كما لايجوز له أن يواجه المنحرفين قبل أن يأس منهم بوجه عابس حتى لا تبعد الشقة بينه وبين الناس ويجب عليه ايضاً ان يضحى براحته فى سبيل مقصوده الصالح ولا يكتفى بجلوسه للناس حتى يسأله من يريد التفهم عن امره بل من وظيفته ان يمشى وراء الناس فى المناسبات المؤاتية حتى يلفت اذهانهم الى جانب الحقيقة انتصاراً للحق كى لا يستولى عليه الباطل فيحجبه عن القلوب :

والحق ان ممثلى الروح قاموا بواجبهم الذى يتطلبه الواقع منهم فأوصلوا رسالة الله سبحانه الى عباديه فيما استطاعوا الوصول اليه من بلاد هـذا بقلمه وذاك بلسانه و ذياك بقواه التى مهد بها الطريق للتعرف على الحقيقة نعم لانستطيع ان نشكر ان هذه المقننات

القائمة لتأييد دعوة الحق قد نوهضت بمعققات اكثر منها وعواثر لبست الآفاق على طالبي الحقيقة فالتبس الحق عليهم بالباطل و اختلط العلم عليهم بالجهل فما عادوا يميزون المزالق المهلكة من الاعلام الهادية المنجية لكن هذا المعنى لا يجوز ان يؤسهم من الاتصال بالحقيقة او يقنظهم من رحمة الله بهم فان الله في عون عبده مادام العبد مجداً في طلب مرضاته والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا :

و أتبع ﷺ قوله ، و لم يمنعك ان اسأت من التوبة ، بقوله و لم يعاجلك بالنقمة ، كما ثبت في علم الكلام أن المجازاة على اعمال الدنيا خيرها وشرها لا تكون الا في النشأة الثانية ومن هنا اخلد كثير من المتجددين الى اللابالية في امر الدين زاعمين اننا نرى الارزاء للظالم مما جرأ الاكثر الاوفر من البشر على ارتكاب المآثم لما يرونه من سعة المجال وعدم المؤاخذة فكم فوق اديم الارض وتحت قبة السماء من مظلوم فقد الحيلة والوسيلة الى استرداد ظلامته والترفيه على نفسه حتى اصبحت الحياة معجزة في ذائقته كربيهة في حاسته لكن المتدين من الناس فوض بكل ذلك الى ربه اتكالا على ما وعد به في كتبه المنزلة و على لسان انبيائه المرسلين ، ولم يفضحك حيث تعرضت للفضيحة ، بارتكاب المعاصي بل ارخى عليك بستره الجميل ، ولم يشدد عليك في قبول الانابة والرجوع اليه واما شرائط صحة التوبة ووجوب قبولها عليه تعالى فهي ضرورة ولا تشديد فيها لان ما كان له سبحانه يسقط بالتوبة الصادقة وما هو لعباده فبعدان جعل لهم السلطان فيما خولهم به احوال به اليهم فلا تسقط حقوق العباد بمجرد التوبة ، ولم يناقشك ، في مقام التوبة الصادقة ، بالجريمة ، وانها ما هو مبلغها ، ولم يؤسك ، بعد أن توطد عزمك على الرجوع الصادق اليه ، من الرحمة ، فانه لا يأس من روح الله الا الملحد به .

بل جعل نزوعك عن الذنب حسنة ، لان التوبة من المنجيات وكل منج حسن ، وحسب سيئتك واحدة ، اذلا مجال لمضاعفتها ، وحسب حسنتك عشرة ؛ فقد ثبت ان من جاء بالحسنة فله عشر امثالها و الذى جوز هذه المضاعفة التنشيط لفعل الخير و حب التفضل لمستحقه ، وفتح لك باب المتاب ، المتاب و التوبة بمعنى واحد و باب

الاستيعاب، اى التكثير من موجبات رحمته ، فاذا ناديت به ، بعالى صوتك ، سمع نداءك واذا ناجيته ، بهمسك الى نفسك ، علم نجواك ، لان السرو العلن بالنسبة اليه على حد سواء ومنشأ ذلك احاطة علمه بكل شىء اذن فالمولى الذى يكون هذا شأنه يكون من عبودية العبد له ان يفضى اليه بحاجته ويثبته ذات نفسه ويشكو اليه همه وينكشف له عن كربه الذى ألم به ويستعين به على اموره ويسأله من خزائن رحمته ما لا يقدر على اعطاء مثله موجود سواء فهو الذى يزيد فى الاعمار ويصح الابدان ويوسع فى الارزاق ومفتاح كل ذلك هو الدعاء : و قد اسلفنا القول عن جملة من خفيايه : و نقول الان توطيداً لجواب الامام عليه السلام عن هذه النقطة فان قيل كم دعا داع وتضرع متضرع فلم يحصل من سعيه على طائل على ان دعائه فى الظاهر اما جاب رحمة او دفع نقمة عن نفسه او ذويه او اخوانه المؤمنين وليس فيه اندفاع الى ضلال او طلب ما ليس بحلال قلنا تعرض عليه السلام للجواب عن ذلك فقال لا يجوز للداعى ان يقنط من ابطاء الاجابة فان عطايا الله على قدر نيات عبيده فى الخلوص وشرف الطلب على ان تأخير الاجابة قد يكون لداعى توفير الاجر للداعى واجزال العطاء للامل وربما يسأل الانسان شيئاً فيؤتى خيراً منه عاجلاً فى دنياه او آجلاً فى آخرته او يصرف عنه مطلوبه لما هو خير له فى واقعه فرب امر يطلبه الانسان على خلوه ظاهراً من كل محذور ولكنه فى الواقع الذى لم ينكشف لغير الله من موجبات هلاك دينه او دنياه و ختم له المطلب فى هذا الباب بقوله فلتكن مسألتك لله فيما يبقى لك جماله وينفى عنك وباله بان تقول. له الهى اقسم لى ما فيه سعادتى فى دنياى و آخرتى بما انت اعلم به منى والآ فالمال لا يبقى لك ولا تبقى له بحيلولة الفناء بينكما وانما ذكره بهذه النكته لان اكثر الداعين من ابناء آدم هدفهم فى دعائهم توفير الرزق وتحسن الاوضاع المادية لاكثر :

واعلم انك انما خلقت للاخرة لا للدنيا وللغناء واللبقاء والموت لا للحياة و انك فى منزل قلعة و دار بلغة وطريق الى الاخرة وانك تطريد الموت الذى لا ينجو منه هاربه و لا يفوته طالبه و لا بد انه مدركه فكن منه على حذر ان يدركك و انت على حال سيئة قد كنت تحدث نفسك منها بالتوبة فيحول بينك و بين ذلك فاناً انت قد اهلكت

نفسك يا بنى اكثر من ذكر الموت وذكر ما تهجم عليه وتفنى بعد الموت اليه حتى يأتيك وقد اخذت منه حذرک و شددت له ازرك و لا يأتیک بغتة فيبهرك و اياك أن تغتر بما ترى من اخلاذ اهل الدنيا اليها و تكالبهم عليها فقد نبأك الله عنها و نعت لك نفسها و تكشفت لك عن مساويها فانما اهلها كلاب عاوية و سباع ضاربة يهر بعضها على بعض و يأكل عزيزها ذليلها و يقهر كبيرها صغيرها نعم معقلة و أخرى مهملة قد أضلت عقولها و ركبت مجهولها سروح عاهة بواد و عث ليس لها راع يقيمها ولا مسيم يسيمها سلكت بهم الدنيا طريق العمى و اخذت باصارهم عن منار الهدى فتاهوا في حيرتها و غرقوا في نعمتها و اتخذوها ربا فلعبت بهم و لعبوا بها و نسوا ما ورائها و بدأ يسفر الظلام كأن قد وردت الاطعان يوشك من أسرع أن يلحق :

يظهر من اكثر كلمات الافاضل المقدسين و الاتقياء المثاليين تزهدهم الناس في الدنيا و ترغيبهم في النشأة الاخرى و انهم انما خلقوا للفناء و كوفى هذه الدنيا للتلاشى لا للبقاء و هذا المعنى مما يولد الكبت في النفوس و الياس في الارواح و يدعو الى الانحجار و الانزواء و نرى النزعة الانسانية و الفطرة الحيوية تخالف ذلك اشد المخالفة: و اما الماديون فهم على نقيض تام لهذه المباني و يرون ان الحياة الدنيا هي الهدف الاقصى للكائن الحي و ان سعادته و شقاءه منوطان بالتنعم بها او الحرمان منها لكن الحقيقة وراء ما يقول هؤلاء و يرمون اليه حتى مع الاعتقاد بالمبدأ المادى الذى يرمون اليه و يدورون حوالياه فى قبال المبدأ الذى يرى الحياة الفاضلة مقصورة على النشأة الثانية فقط :

وذلك لان المثاليين ليس غرضهم من كل ما قالوا هو دعوة الاحياء الى الموت و اهل النشاط الى الكسل و كبت النفس و تحزينها و تحريم التنعم بنعم الله و تحبيب التخشن و التزم و التشويق الى الانزال و الانزواء و البطالة و الاكتفاء من المطعوم و لو بسف التراب و من الملبوس بالا سمال و من المساكن بالخرائب بل هدفهم الوحيد هو الوقوف امام الطغيان المادى و التيار الخلاعى و الجنون فى اللأ ابالية الذى يجرف معه كل شىء و مهما عظم و ضخم و يؤدى به الى منتهى الضراوة و أخس مهاوى الوحشية و السبعية كما

تراء كل عين في نوع المجالى الحاضرة فى الشرق والغرب فى الحرب والسلم فى المدارس والاسواق وفى الدوائر والشوارع وفى كل مهاب ودب مما ينتسب الى بنى آدم :

و قد اشار عليه السلام الى طرف من ذلك بالنسبة الى الظاهرة التى درسها بالمزواله يومذاك على ان الفاصلة بين تلك الظاهرات وماطفح به القرن العشرون سحيقة جداً لفقدان نوع المغربيات الموجودة الآن فى الامس الغابر بل ولا قياس : واين مكان الربط بين شوارع دمشق فى تلك العهود وشوارع باريس فى هذا الزمان ونساء ذلك الوقت ونساء هذه الآوان و رجال تلك الاعصار وذكر ان هذه الادوار وملاهى ذلك العهد وهذا العهد المستجد وقس على امثال هذه المقارنات ما لا يأتى عليه تحبير الصفحات وتنسيق العبارات وكلما سار الزمان بجموعه المتراصة الى المستقبل زادهم خبالاً وصب على الانسانية من شر موبالاً: اذن فالترهيد فى الماديات والوقوف امام عرامة الشهوات وتحبيب المعنويات والترغيب فى الكمالات امر لازم لتعديل جنبات الحياة وحفظ الانسان من الانهيار الماحق والنظام العام من الارتباك المزعج :

ومن المقدور على الله سبحانه كبس النفوس بحب الفضائل وامانة رغباتها امام الرذائل حتى تعد من اولها لآخرها ومن عيشها الدنيوى لعالمها الاخرى الا ان ذلك يقعد بها عن تناول الحسنة بكسبها ودرك الفضيلة بالسعى فى طلبها والتسبب الى كل محمودة باسبابها فلا تعود بعد محطة لاثابة ولا محلا لمحمدة ولا تستحق من المدح اقل نصيب وقد اجرى الله سبحانه من طريق التسبب الى النتائج كل عوالم خلقته حتى يتمرن الخلق على سلوك هذه الطرق التى ان اثمرت اكسبت مستثمرها حمداً وراء الثمرة التى ينالها ودونك مادوناته تحت عنوان- المولد النبوى- لتقف منه على تشريح هذه القضية .

تولداى مولود يفرض من كافة المواليد انما يعتد به لانه مناط تنعقد الآمال عليه فالابوان كلاهما حتى لو كانا من طبقة المكدين المتسولين انما يفرحان بمولودهما الضعيف على انه كل عليهم اوعباً ثقيل على عواتقهما لانهما يرجوان به ان يعود خيرة لهما فى كبرهما ويكون عكاز شيخوختهما واذا ساعدته الموفقيات نجحتهما من البؤس بمجرد بلوغ ورشده وعلى محور هذا الامل تدور عواطف الابوة والامومة بل عواطف الاجتماع كله بالنسبة

الى كل بذرة يتشقق عنها حبها و ينفلق عنها صدفها فان الاجتماع بطوله وبعرضه وفي كل زمان من ازمائه انما يحاول بجهوده التي يبذلها و باعماله التي يقوم بها تحسن حاله و ترقى وضعه و وصوله الى السعادة التي يتمناها لنفسه و لمن يعز عليه من قريب و بعيد وهذه السنة معجونة في خلقة المخلوقات كلها :

والله سبحانه على انه قادر على كل شيء و انه اذا اراد شيئاً قال له كن فيكون شاء أن يعلم الفرد الانساني بعد تصميمه على تحقيق اى هدف يفرض من الاهداف بنخطة اتخاذ الاسباب و التطرق منها الى مسبباتها و ان طال على العاطفة الزمان حتى يكون نشيطاً ذاهمة في كافة افعاله و تروكده وهو سبحانه كان اقدر القادرين على اهلاك فراغة مصر الطغاة و استخالات بني اسرائيل من نير تحكمهم و تمردهم و استبدادهم بصرف الارادة الحاسمة الا انه تعالى أبى أن يفعل ذلك بل مهّد لهذه النتيجة سلسلة مقدمات مترابطة تؤدى في نهايتها الى المقصود المذكور فألهم ام موسى بعد أن وضعته ان تخبأه في حفاظ و تلقيه في اليم حتى يلتقطه هواة الالتقاط و حتى الملوك من هواته و بذلك يكون قد صانه صوناً طبيعياً من فتك فرعون مصر الذى كان يذبح الذكور و يستحيى الاناث من بني اسرائيل حذراً من بطش ذكرائهم على تاجه و صوابجانه :

فاخذ هذا الطفل الذى التقطه آل فرعون ليكون لهم قرة عين ينمو و يتدرج فى احضانهم حتى قطع الشوط الواسع من عمره و الغيب ينتظر بنموه هذا ان يعود على هؤلاء الطواغيت عدواً و حزناً فكان كما اراد الغيب منه و كان مستهل رسالته حين ذهب يقبس لاهله ناراً فعاد نبياً قد تحمل اعباء رسالة عظيمة و دعوة كريمة و استفتح مستقبلاً كثير العمل طويل التصرف و التغير حتى انتهت رسالته بما اريد منها :

و هكذا كان سبحانه قادراً اتم الاقتدار على سحق الجاهلية و رعونتها بالارادة الحاسمة ايضاً ولكنه شاء فى ذلك ما اراده بالفراغة و محققهم و بينى اسرائيل و الترفيه عليهم بخلق موسى و تدرجه من اول تولده الى آخر ساعة من حياته على المدرج الذى الممنابه ففقد فى رحم آمنة بنت وهب من نطفة عبدالله بن عبدالمطلب الموجود الذى اختار له اسم محمد حين عزت امثال هذه الاسماء فى دنيا جزيرة العرب يومذاك هذا

الموجود الذي لم يقترن به ما يوجب تعاليه و تساميه من مال ومثال وقدرة و نفوذ و خدم و حشم سوى التوجهات الخفية الربانية التي لا تعرف الا بعد تحقق مصيرها كما كان شبيه ذلك في موسى بن عمران :

فلم يتولد محمد في هذه الدنيا الدنيئة الا كان نبراس فضل و مشعل فضيلة يتجلى نورهما الشيء بعد الشيء حتى عرف بمحمد الصادق الامين على يتمه و اما لاقه من دنيا المادة كلها و اخذت روحه تتشبع بالمعارف و تقف على صميم الواقع حيث لا عارف بين الناس غيره و لا واقف على صميم الواقع سواه فعرف من الحياة مفهوماً لم يعرفه جيله و من الانسان معنى لم يفهمه معاصروه و من هنا تباعدت الشقة الفكرية بينه و بين قومه و اخذ العدااء الروحي يشتد بينه و بينهم على مسافة الساعات فضلا عن الاعوام و العدااء الروحي اثره الفعال في الجوارح و الجوانح :

و عن هذه الركنية قال عليه السلام ما اودى نبي كما اوديت الا انه التصميم الذي لا يتشظى و الصمود امام المشكلات بدافع حلها و التفوق عليها و هذان العنصران القويان هما اللذان شقاً اكنف الحجب امام محمد عليه السلام فاخذ ينتصر على الباطل و يتقدم بالحقيقة حتى حطم تلك الافكار السخيفة و الارواح المظلمة و العقلات الشاذة فحرم الظلم و اخذ بظلامة المظلوم و ازرى بالجهل و لعن الجاهل و بارز الفراعنة و ذلك عروشه و مركزه المعروف و طرد المنكر و احوال من جيل الجاهلية جيلاً مثله على بن ابي طالب و ابوذر الغفاري و عمار بن ياسر و سلمان الفارسي و من الى اوائك من افاضل مرت الاجيال تكبيرهم اكباراً لاعديل له و لا مثيل :

و كما ان ليالى البدر بالنسبة الى بقية ليالى الشهر من القليل النزر في قبال الكثير الوفير هكذا كان الزمان الطيب من ازمان الاسلام بالنسبة الى ما سواه في غاية القلة و رجائه الاطياب بالقياس الى من عداهم ممن يحسبون بحساب الاسلام في نهاية الندرة بل اصبح الاسلام الذي كانت له محققات خارجية و مصاديق واقعية صرف مفاهيم يسردها الخطيب على صهوات المنايرو يستعرضها بقلم الكاتب في اوراق الدفاتر و لا تحقق لها في الخارج الاسبمات عارية عن الحقيقة :

فنحن المسلمين اليوم انما نملك هذا الاسم المجرد الذى عادسبته على الاسلام الذى جاء به محمد و اراده للاجتماع البشرى حاضره و قادمه فان كان محمد خلق الاسلام بعد ان لم يكن فنحن سحقتناه و محقناه بعد ان وجدو ترعرع و قام و استقام و ان كان محمد جاء بشريعة غرّ اعذات مقاييس صحيحة و ركائز مهمة فنحن اصبحنا نخلط حقه بباطلنا و معارفه بجهالاتنا و نتجافى عن الميزان القويم بالرأى السقيم و يرى متجددنا ان كل ذلك ارتجاع و ان الحق مع رأيه الآفن و سيرته السقيمة هذه السيرة التى اركست البشرية فى اعماق هوة للضلالة حيث لا منفذ فيها الا للجهل الارعن و العربدات الجافة و المخطط العوجاء فلا ترى دنيانا من طريق هؤلاء المتفلتين على النظام الصحيح الا دنيا و حوش يتهجم فيها القوى على الضعيف و الغنى على الفقير و الشاب على الشيخ الكبير و المتلون على البسيط و المرموز على الانسان الطاهر و هلم دوايك و لاثار للمعارف التى قامت قيامة اهلها فى هذه العصور الآفى الميوعة و التذبذب و الفحشاء و اعمال الشركها و المفاسد جميعها: ان الاحتفال بالمولد النبوى معناه هو الاشادة بهذا الشعار العظيم للعدالة البشرية بما فى معنى العدالة من مفاهيم جسيمة و معانى عظيمة و نحن الذين ننمو بهذا الشعار يلزمنا ان نكون صادقين فى تنويرنا و اقعين فى تقديرنا للاسلام و نبه و رجاله و ابطاله و معنى صدقنا و واقعتنا فى ذلك ان نمثل الاسلام فى افعالنا و تروكنا و نعرض موقف نبه و رجاله و ابطاله باعمالنا الايجابية تعزيراً يكون اثره الواقعى الخارجى شعار صدقنا و اما لقلقة اللسان و تزويق الالفاظ حول هذه النقطة مما يكرّر علينا الكذب و يثبت اننا اناس انتهازيون دجالون نقول بالسنتنا لمصالح مادية رمزية ما ليس فى قلوبنا منه عين و لاثار.

ان الاحتفال بالمولد النبوى يجب ان يمثله عملنا الجاهر بالصلاة التى تنهى عن الفحشاء و المنكر و بالصيام الذى يذكرنا بجوع الجائع و ظمأ الغلمان و اعواز المعوز و بالزكاة التى ننزه بها اموالنا و نرضى بها وجداننا و ضميرنا و بالصدق الذى هو اشرف الصفات و بالعفة التى هى ملاك الانسان الحر و بالصراحة التى هى وظيفة العاقل و بحب النوع الذى هو ميزان انسانية الانسان و بالاستقامة على الجق التى هى الرمز

الوحيد لشجاعة الشجاع و بالايامن الراسخ الذي لايتشظى و بحب المعروف و اهله و ببغض المنكر و فاعليه و مؤازرية فاذا طلعتنا بهذه الصفات الشريفة كنا مسلمين بالحقيقة و بدون ذلك نعود لاقيمة لنا بالمرّة فضلاً عن كوننا حينذاك بعيدين عن الاسلام نكون بعيدين عن كل خير قريبين من كل شر و يكون عدمننا طبعاً ابعداً عن الآثام و الجرائم من وجودنا المجهز بكل وسيلة تستطيع تقديمنا الى الامام :

واندره المقدسين في هذه الازمان و قلة المثاليين في مجموعة بنى الانسان رأيت البشرية في طول محيطها و عرضه ما تشعّر له الابدان و تعجز عن تفسيره محاولات الازهان دنيا قد ضربها الاسفاف من كافة جوانبها و الاجحاف بالمثل من جميع جهاتها و أصبح الانسان فيها اخس من الحيوان على ما يملك فيها من روعة في ازيائه و ترتيب صورى في عموم اشياءه و لكن ذلك كله طلاوة جوفاء و ظاهرة جافة لا تملك ورائها باطناً طاهراً و لاحقاً رهنياً و كل الناس ادركوا سوء ما وقعوا فيه و لكن فلت الخيط من ايديهم و ارتبكت الامور عليهم فاستسلموا الى البوار الذى لا بد منه : و لهذا السر الذى اعربنا عنه نرى امير المؤمنين عليه السلام يلح على ولده بالوصية بانه انما خلق ليحظى بنتائج السعى فى الحياة لا لان يأكل و يشرب و يتمتع بسائر المتع المادية فقط فان هذه الاهداف على على فرض سلامة طرقها من الحيف و الاجحاف اهداف قاصرة لاقيمة لها عند العاقل :

و منزل قلعة معناه انه منزل المام بالمكان و سريعاً يقلع منه يقال أقلعت السفينة من المرسى اذا اتجهت الى مقصدها الذى تهدف اليه : و المبلغه ما يتبلغ به الانسان لدفع ضرورته : و معنى قد كنت تحدث نفسك منها بالتوبة انك فى ارتكابك المستمر للمعاصي كنت تعلق عقلك بانك سوف تتوب و اذا بالمنية قد حالت بينك و بين توبتك و اخترمتك عملاً كنت تزوى لنفسك من بقاء تتوب فى نهايته : و معنى يبهرك يعجزك لاجل فقدان كافة الوسائل لديك :

وما او مانا اليه من تعرضه عليه السلام للظاهرة السائدة على من أخذ من الناس الى المادة السوداء و الحياة الرعناء و اغلب الافراد على هذه الروية الساقطة هو ما اوضح عنه بقوله فانما أهلها كلاب عاوية يعوى بعض على بعض و سباع ضارية قد قذفتها الاوهام

الى متاهات لاتدرك أبعادها يحمل فريق منهم على فريق العزيز يأكل الذليل والكبير يقهر الصغير بل هم اشتات نعم قد عقل بعضها العجز والوهن عن المطاردة والملاحقة وأرسل البعض الآخر حوله وطوله فالعقل خانع والجهل شائع والجميع كقطعان وحش قد ضربتها الافات من كل جوانبها ومع ذلك لاتراها تسيراً إلا في اودية تسيخ فيها القوائم من وعوثها ليس لها راع يحوطها ولا حام يحذب عليها ويلطف بها فيتخير لها المراعى السالمة والمياه العذبة ولا ريب ان هذه الازمة لاتنفرج الا عن هلاك شامل ودمار ماحق :

واعلم يا بنى ان من كانت مطيته الليل والنهار فانه يساربه و ان كان واقفاً ويقطع المسافة وان كان مقيماً و ادعاً واعلم يقيناً انك لن تبلغ املك و لن تعدو أجلك وانك فى سبيل من كان قبلك فخذف في الطلب واجمل فى المكتسب فانه رب طلب قد جرد الى حرب وليس كل طالب بمرزوق ولا كل مجمل بمحروم و اكرم نفسك عن كل دنية وان ساقطت الى الرغائب فانك لن تعاض بما تبذل من نفسك عوضاً ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً وما خير خير لا ينال الا بشرويسر لا ينال الا بعسر و اياك ان توجف بك مطايا المطع فتوردك مناهل الهلكة وان استطعت ان لا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل فانك مدرك قسمك و آخذ سهمك وان اليسير من الله سبحانه أعظم و اكرم من الكثير من خلقه وان كان كل منه :

هذا الفصل عزيز فى مادته جليل فى معناه عظيم فى وصاياه ولا ريب ان من كانت مطيته الليل والنهار فانه يساربه راغماً وان كان يحسب نفسه واقفاً باقياً ويقطع المسافة الى فناءه وان كان مقيماً على دعة وزاعماً انه فى سعة وليعلم كل انسان ومهما سالمه الزمان انه لا يبلغ امله من الصحة المتواصلة والعيش الرخى والراحة المستمرة والبقاء الطويل وانه على كل الاحالات لا يعدو أجله المضروب له فلا النعمة تطيل الاعمار ولا الفقر يهدمها وقس على ذلك ماشئت من الملابس وانه يدرج على الجادة التى درج عليها ملايين الناس قبله فان الجادة واحدة ومهما اختلفت الاوضاع وتفاوتت الاصقاع و اذا كانت الحياة العامة بهذا اللون كان الحرص على طلب لون غيره سفهاً وعبثاً وتعباً من غير فائدة و محاولة فاشلة فما احسن بالانسان ان يجمل فى طلبه ويعتدل فى مكسبه بمقدار ما يقطع

به شقة الحياة ويرفع ضرورة الاحتياج على انه رب طاب قد جرت الى ويل و حرب و منازعات طويلة و مخاصمات ثقيلة فان الاعتراك على المادة لا يسلم فيه صاحبه و مهما أوتى من حول و طول و لباقة و كياسة و فوق كل ذلك انه ليس كل طالب بمرزوق و لا كل مجمل بمحروم ثم توسط به عليه السلام ميدان شرائف الاخلاق و معالى الشيم فقال له و اكرم نفسك عن كل دنية تسقط الشرف و تحط بالحيشية و ان ساقمتك الى رغائبك النفسية و نزعاتك الشهوية فان قيمة النفس لا تعادلها اية قيمة و انك لن تعناض بما تبذل من نفسك عوضاً و مهما اشبعت شهوتك و نهمتك و لا تكن عبداً لغيرك و قد جعلك الله حراً بفطرتك و استقلال و جودك و لا قيمة للمال و الجاه اذا جاء من طريق المنة و الاستخذاء و اياك ان ترتحل طمعك مطية فى مجارى الحياة فتزدهم و اورد الهلكة و البوار و اذا استطعت ان تحلى نفسك بزينة القناعة و روحك بسمو المناعة و ان لا تعير طرفك لغير ما يقسم الله لك فافعل فانك تكون بذلك سيداً و ان اليسير من غير منة الناس كثير فى نفسه و ان كان الجميع من الله سبحانه :

و تلافيك ما فرط من صمتك أيسر من ادراكك ما فات من منطقك و حفظ ما فى الوعاء بشد الوكاء و حفظ ما فى يديك أحب الى من طلب ما فى يدي غيرك و مرارة اليأس خير من العطب الى الناس و الحرفة مع العفة خير من الغنى مع الفجور و المرء احفظ لسره و رب ساع فيما يضره من أكثر أهجر و من تفكر ابصر قارن اهل الخير تكن منهم و باين اهل الشر تبين عنهم بشس الطعام الحرام و ظلم الضعيف أفحش الظلم اذا كان الرفق خرقاً كان الخرق رفقاً ربما كان الدواء داء و الداء دواء و ربما نصح غير الناصح و غش المستصح و اياك و الاتكال على المنى فانها بضائع النوكى و العقل حفظ التجارب و خير ما جربت ما وعظك بادر الفرصة قبل ان تكون غصة ليس كل طالب يصيب و لا كل غائب يؤب و من الفساد اضاءة الزاد و مفسدة المعاد و لكل امر عاقبة سوف يأتيك ما قدر لك التاجر مخاطر و رب يسيرانى من كثير :

يشتمل هذا الفصل على مجموعة حكم اثبتتها التجارب القاطعة و ادر كتبها العقول

الساطعة و هى :

(١) ان الصمت فى كثير من مواضعه حكمة و الكلام فى جملة من مواقعه بلاء لان

الصمت قابل للتدارك في اكثر احيانه والكلام لاجاب لشططه الا سرد الاعذار الجملة والشفاعات المهمة على انها لاتقلع كل آثاره و اليه الاشارة بقوله عليه السلام وحفظ ما في الوعاء وهو الضمير بشد الوكاء وهو الصمت :

(٢) والاقتصاد المعقول خير من التنبذ المملجاً الى حاجة صاحبه للناس بل الصبر على الحاجة اشرف من تحمل المنة لتحصيل السعة :

(٣) والحرفة : و هي قلة الحظ من الدنيا : يقال رجل محارف بصيغة اسم المفعول اذا لم يكن محظوظا في سعيه : مع العفة البانية للشرف خير من الغنى مع الفجور المسقط للمقدرة هذا في مرحلة الكمال النفسى فضلا عن موآخذة الله للفاجر بفجوره (٤) والمرء احفظ من كل احد لسره اذا أشفق بالانسان من نفس الانسان فمن المستحيل عادة ان يضع الانسان نفسه ويتصدى لصونه غيره :

(٥) ورب ساع عن جهل او غفلة و تفريط فيما يضره و ما اكثر من هذا الرديف في البشر .

(٦) ومن اكثر من الكلام ولم يزن لسانه بميزان فاده ذلك الى قول الهجر :
 (٧) ومن تفكروا معن النظر ابصروجه الرشد فيما تفكرو فيه في الاعم الاغلب :
 (٨) ومن قارن اهل الخير و عاشراهل المعروف كان في صفهم فان الخير و الشر تابعان للبيئة التي يدرج فيها الانسان وهكذا من باين اهل الشرف في اهوائهم بان عنهم :
 (٩) وبئس الطعام الحرام لما فيه من المسؤولية الوجدانية والربانية :
 (١٠) وظلم الضعيف افحش الظلم لما فيه من الدناءة والسقوط و الامتهان فان الذى يملك روحاً عالية يتجاشى عن ظلم الضعاف هذا فضلا عما فى الظلم بجميع انواعه من مآثم و جرائم محرمة فى الشرع والوجدان الانسانى :

(١١) و اذا كان الرفق بالضعفاء يعد حمقاً و خرقاً كان الحمق فى هذا المجال من الرفق المطلوب :

(١٢) وربما كان ابتلاء الانسان بداء دواء لعله لم يتميزها :

(١٣) وربما نصح عن جد غير الناصح كما قد يصدق الكذوب وربما يغش المستنصح

كما تبدر البادرة من غير اهلها :

(١٤) وليس في الاشياء محق للمقاصد الصالحة من الاتكال على الامال و التعلل

بالاماني فانها بضائع النوكى ورأس مال المفلسين الحمقى :

(١٥) والعقل كله حفظ التجارب فان الآراء الفكرية اذا لم تطبق على الواقع

الراهن ليست هي الا من رديف القضايا الفرضية وليست التجربة في نفسها كافية اذا لم تكن مصدر اتعاظ وميزان عمل:

(١٦) ولاريب ان الاستثمار من الفرصة غنيمة واهمالها اضاعة اذ ليس كل طالب

شئ يصيبه ولاكل غائب يؤب من غيبته ويرجع الى اهل ووطنه .

(١٧) ومن افساد المرء لنفسه اضاعته زاده الذى به قوامه وغفلته عن معاده الذى

اليه يصير .

(١٨) ولكل امر عاقبة ونتيجة صادفت هوى النفس ام خالفته .

(١٩) وسوف يأتيك ما قدر لك ويوافقك ما هو محتوم عليك .

(٢٠) والتاجر مخاطر ببضاعته التى يؤتيها منقودة ولا يدري انه يستوفيها او كل ساع

فى الدنيا كذلك وليس الهدف منه تحسين السكون و الخلود الى الراحة بل المقصد ان الانسان يلزمه التبصر فى العواقب مهما امكن و الا فهو معذور لو خسرو لم يحصل على ما قدر :

(٢١) ورب يسير فى حاضره انمى من كثير فى عواقبه اذ قد يصل الى الانسان مما لا

يرجوه اكثر مما يرجوه :

لاخير فى معين مهين ولا فى صديق ظنين ساهل الدهر ما نزل لك قعوده ولا تخاطر

بشئ رجاء اكثر منه و اياك ان تجمع بك مطية اللجاج احمل نفسك من اخيك عند

صرمه على الصلة وعند صدوده على اللطف و المقاربة و عند جموده على البذل و عند

تباعده على الدنو و عند شدته على اللين و عند جرمه على العذر حتى كانك له عبد و كانه

ذو نعمة عليك و اياك ان تضع ذلك فى غير موضعه او أن تفعله بغير اهله لا تتخذن عدو

صديقك صديقاً فتعادي صديقك و امحض اخاك النصيحة حسنة كانت او قبيحة و تجرع

الغيظ فاني لم ارجعة احلا منها عاقبة ولا الذمغبة و ان لمن غالظك فانه يوشك ان يلين لك وخذ على عدوك بالفضل فانه احد الظفرين و ان اردت قطيعة اخيك فاستبق له من نفسك بقية يرجع اليها ان بداله ذلك يوماً ما من ظن بك خيراً فصدق ظنه و لا تضيعن حق اخيك اتكالا على ما بينك وبينه فانه ليس لك باخ من اضعت حقه و لا يكن اهلكك اشقى الخلق بك و لا ترغبن فيمن زهدعنك و لا يكونن اخوك اقوى على قطيعتك منك على صلته و لا يكونن على الا سائة اقوى منك على الاحسان و لا يكبرن عليك ظلم من ظلمك فانه يسعى في مضرتيه و نفعك و ليس جزاء من سرك أن تسوءه :

وهذا الفصل كسابقه قد احتوى على حكم كثيرة منها

(١) انه لا خير في الاعانة اذا شفعت بالاحتقار والاهانة :

(٢) ولا في الصديق اذا ضن بنفسه في نفع صديقه :

(٣) كما يجب ان يمشى الانسان دهره في حلوه ومره حتى يستطيع مسايرته و

الاعطاب قبل الوصول الى المقصد : والقعود على وزن فعول بفتح الفاء هو البكر من الابل حين يمكن ظهره من الركوب :

(٤) ولاجل ان يتمتع الانسان بطمأنينته ويستفيد من وجوده يجب عليه ان لا يخاطر

بشيء رجاء اكثر منه فان فوت الرجاء وما اكثره مما يخلق في نفسه عقداً و حزازات وذلك له تأثيره في الصحة والسلامة والانبساط :

(٥) كما لا يجوز للعاقل ان يتخذ للمجاجة شيمة من شيمه فانها بثست المطية تورد

صاحبها موارد السقوط والانهار :

(٦) ومن حقوق الاخوة وجميل العشرة ان يوطن الانسان نفسه على صلة اخيه حتى

لوقطعه وعلى اللطف به والمقاربة له حتى لو صد عنه وعلى مواساته حتى اوضن عليه بما

عنده وعلى الدنومنه حتى لو باعده وعلى اللين معه حتى لو اشتد به وعلى عنده حتى لو

أجرم اليه بل من حقوق الاخوة كمال التواضع حتى يحسب الانسان نفسه عبداً لآخيه و

كأنه ذو نعمة عليه لكن هذا كله انما يصح مع احراز الاخوة الصادقة لا المجاملات

الفارغة ومن حقوق الاخوة ايضاً ان لا يتخذ الانسان عدو صديقه صديقاً له فانه مما يغير عليه قلب صديقه ويسلب منه ثقته به كما يجب عليه ان يحضه النصيحة سواء أكان ما نصحه فيه امراً حسناً عرضه ام مما يستقبح ذكره كالأفات نظره الى عورة وقف عليها منه او من حريمه :

(٧) وأوصاه ان يكون صبوراً حمولاً يتجرع الغيظ و يكظمه فانه لاشيء احلا منه عاقبة ولا الذمغبة ونتيجة لانه لا يكون الاحافلا بالسلامة موفوراً بالعافية :

(٨) وان يلين لمن اغلظ له وحد الاقل بالاسكوت عنه فان ذلك من دواعى خمود الطرف وسكونه بل تنزله عن جريمته الى الاعتذار والانكسار :

(٩) أن يفضل على عدوه و يغمره بالاحسان اليه فانه ان عدم الانتصار عليه من طريق المغالبة فلن يعدم التفوق عليه من طريق الاحسان اليه :

(١٠) وان عزمت على ان تقاطع أخاك فلا تقاطعه مقاطعة باثة بل يجب عليك ان تبقى له من نفسك بقية تسلك منها اليه ان بدالك ان تراجع يوماً ما :

(١١) ومن ظن بك خيراً فقصده على هذا الظن فصدق ظنه فانه رفعة لك :

(١٢) ولا تتكاسل عن اداء حق اخيك اتكالا على ما بينك وبينه من استحكام الروابط فان ذلك مما يقود الى نقضها ولا يكون لك اخاً من اضعت حقه و تساهلت في اداء واجبه :

(١٣) ولا يكن اهلك اشقى الخلق بك فتكون حلوا القشر مر اللب جميلا في الجلوة قبيحاً في الخلوة :

(١٤) واعتز بنفسك فلا ترغب فيمن زهد فيك :

(١٥) كما لا يجوز ان تكون مع اخيك على صفة يقوى معها على قطيعتك ولا تكون معها قوياً على صلته ويقدم معها على اساءتك ولا تقوى معها على الاحسان اليه :

(١٦) وأوصاه ان لا يستكثر ظلم من ظلمه و يحسب له في نفسه حساباً فان ذلك مما يضر ببدنه و يؤثر في عاطفته ويدعو الى البعد عن الله :

(١٧) وختم له الفصل بقوله ليس من حق من شرك أن تسوءه فتكون من ابعد الناس عن

المحاسن واسحقهم شقة عن الفضائل :

واعلم يا بنى ان الرزق رزقان رزق تطلبه و رزق يطلبك فان انت لم تأتته اتاك
 ما اقبح الخضوع عند الحاجة و الجفاء عند الغنى انما لك من دنياك ما اصلحت
 به مثواك و ان كنت جازعاً على ما تفلت من يديك فاجزع على كل مال يصل اليك
 استد على ما لم يكن بما قد كان فان الامور اشباه ولا تكونن ممن لانتفعه العظة
 الا اذا بالغت فى ايلامه فان العاقل يتعظ بالآداب و البهائم لاتتعظ الا باضرب اطرح
 عنك واردات الهموم بعزائم الصبرو حسن اليقين من ترك القصد جوار و صاحب
 مناسب والصديق من صدق غيبه والهوى شريك العمى ورب بعيد اقرب من قريب وقريب
 أبعد من بعيد والغريب من لم يكن له حبيب من تعدى الحق ضاق مذهبه ومن اقتصر
 على قدره كان ابقى له واوثق سبب اخذت به سبب بينك وبين الله سبحانه ومن لم يبالك
 فهو عدوك قد يكون اليأس ادراكاً اذا كان الطمع هلاكاً ليس كل عورة تظهر ولا كل
 فرصة تصاب ربما خطأ البصير قصده وأصاب الاعمى رشده أخر الشرفانك اذا شئت تعجلته
 وقطيعه الجاهل تعدل صلة العاقل من أمن الزمان خائنه ومن اعظمه أهانه ليس كل من رمى
 أصاب اذا تغير السلطان تغير الزمان سل عن الرفيق قبل الطريق وعن الجار قبل الدار :

وهذا الفصل ايضاً تناول الكلام على جملة من الحكم منها .

(١) ان مجارى الكون ليست مما تعتدل او تعوج امام الانسان بالسعى المجرد
 بل هناك وراء الاسباب الظاهرية عوامل غيبية لا يدركها الانسان وليست هى تحت اختياره
 ومن جعلتها الرزق فانه رزقان رزق تطلبه وقد لانتوشه و رزق يطلبك ولم تسع له فان انت
 لم تأتته أتاك :

(٢) وما اقبح بالانسان خضوعه للمغير عند حاجته اليه وجفائه له عند استغناءه عنه فان

ذلك من ازل الصفات :

(٣) و ليس للانسان من كده و لجدده الا ما تبلغ به و وصل اليه نفعه مادياً

كان ام معنوياً .

(٤) وانه لا يجوز للانسان ان يجزع على ما فلت من يده الا اذا صح له ان يجزع

- على كل ماتمناه ولم يصل اليه وطبعاً لا يصح له هذا الجزع لانه ليس بمعقول:
- (٥) ويجب على الانسان ان يعتبر بالكائن على ما لم يكن ويستدل بالحاصل على ما لم يحصل فان الامور في اطراف الحياة أشباه وان تفاوتت فبمقدار لا يغير الملاك:
- (٦) ولا يكن واعظك الا بالام والايجاع فان العاقل من اعظ بالادب : وفي المثل: العبد يقرع بالعصا والحرتكفيه الاشارة :
- (٧) كما يجب ان تتدرع للحوادث بحسن الصبر وجميل الاستقامة حتى لا تنقل على كاهلك انقال الحياة .
- (٨) وان من ترك الجادة الراشدة فقد طوح بنفسه الى المهالك :
- (٩) وان صاحب الانسان نسيب روحه :
- (١٠) وان صديق المرء من صدقه في غيبه ولم يقتصر معه على المجاملات الفارغة:
- (١١) وان هوى النفس قرين العمى فكما ان العمى يورد موارد الهلكة في جملة من احيائه كذلك الهوى المرسل :
- (١٢) وان لا يدع الانسان للقنوط طريقاً الى نفسه فكثير مما لا يرجوه اقرب تناولا ليده مما يرجوه كما لا يجوز ان يغتر بما عنده فكم من حاضر غاب وصحيح عاب وحاصل زال .
- (١٣) والغريب في بنى آدم من لم يكن له محب يتفقده او قريب يترصده :
- (١٤) وان من تعدى حوزة الحق ضاقت عليه المذاهب فان الباطل ظل زائل:
- (١٥) وان من اقتصر على ستمه وقدرته وما يملك من حول وطول ولم يخرج عن دائرة نصابه . كان ذلك ابقى لوجوده واحفظ اشرفه و أليق بشأنه :
- (١٦) وانه لاشيء من الاسباب بوثق كالسبب بين العبد والمعبود والخالق والمخلوق اذ كل ما في الوجود متصرف متغير ما سوى الله عز وجل :
- (١٧) وان من لم يبال بك ولا يحسب لك اقل حساب ولا يعيرك اقل نظرة فهو عند الحقيقة عدو لك لانه يحمل عليك روحاً مظلمة وباطناً متجهماً وهذا هوشأن العدو .
- (١٨) واذا كان الطمع من اسباب الهلكة كان اليأس الداعي الى الراحة بمنزلة

ادراك المقصود .

(١٩) وليست كل عورة يترصدها الانسان من عدوه تظهر له حتى ينتهزها ولاكل قرصة اذا سنحت من نفسها استفادها وذلك للعوارض التي قد تقف في طريقها :

(٢٠) وقد تحول الموانع غير المترصدة بين البصير وقصده كما قد تسعف الصدق

الاعمى فيصيب رشده :

(٢١) أخرّ فعل الشرما استطعت فانك اذا شئت تعجلته لان فعل السيئات نوعاً اقرب من الانسان وأيسر للتحقق من فعل الحسنات :

(٢٢) ولاريب ان الجاهل لو قاطعك استفتدت من بعده عنك بمقدار ما تستفيد من صلاة العاقل وقربه منك :

(٢٣) ويجب على الانسان اخذ الحذر من سطوات الزمان مهمات يمكن ان الزمان خائن كما لا يجوز له ان يخافه بما يؤدي به الى استحقار نفسه وانحطاط مكانته :

(٢٤) ليس كل من رمى هدفه اصاب به ولا كل من سعى حصل واستثمر فلا يتأثر الانسان من سعي لم يحصل وراءه على طائل :

(٢٥) ولاريب ان صلاح الممالك وفسادها وضرائها ورائها وراحتها وغنائها وخيرها وشرها منوط تمام الاناطة بحكومة السلطان فاذا اعتدل ممالكه و اذا انحرف جرت اليها كل ويل وثبور ذلك لان رأس الخيط بيده فان شاء نظم وان شاء بعثر .

(٢٦) وسل عن الرفيق المزال قبل ان تعرف على الطريق فان عورة رفيق السوء

اشدّ و انكى من حزونة الطريق وسل عن الجار المعاشر قبل ان تسأل عن الدار فان سوء الجوار قد يزم بك عن سكنى الدار ومهما كانت في نفسها رحية الهواء سهلة الفناء اياك ان تذكر من الكلام ما يكون مضحكاً وان حكيت ذلك عن غيرك و اياك

و مشاورة النساء فان رأيهن الى افن و عزمهن الى وهن و اكفف عليهن من ابصارهن بحجابك اياهن فان شدة الحجاب أبقى عليهن وليس خروجهن بأشدّ من ادخالك من لا يوثق به عليهن وان استطعت أن لا يعرفن غيرك فافعل ولا تملك المرأة من امرها ما جاوز نفسها فان المرأة أقرّ بحانة وليست بقهر مائة ولا تعد بكرامتها نفسها ولا تطعمها في أن تشفع

بغيرها واياك والتغاير في غير موضع غيره فان ذلك يدعوا للصحة الى السقم والبريئة الى الريب واجعل لكل انسان من خدمك عملاً تأخذه به فانه أحرى ان لا يتواكلوا في خدمتك واكرم عشيرتك فانهم جناحك الذي به تطير واصلك الذي اليه تصير ويدك التي بها تصول استودع الله دينك ودينك وأساله خير القضاء لك في العاجلة والآجلة والدنيا والآخرة والسلام :

وتعرض عليه السلام في هذا الفصل الذي هو آخر الفصول الى عدة وصايا فاحذره ان يبدى من نفسه ما يكون به خفيفاً مبتذلاً من كلام مضحك او حر كات هوهنة فان ذلك ممماً يحط بحيثية الشريف ويثلم من كرامة الكريم : ثم نهاه عن مشاورة النساء في الامور الجسم ومزاولة المهام وعلل ذلك بان رأيهن ناقص وعزائمهن ضعيفة وان يجمع ابصارهن عن الشعب في النظر بتخديرهن فان حجابهن موجب لصونهن : و من تخديرهن ان لا يدخل عليهن من لا يوثق بدينه ولا عفته والمقياس الاعلا في حفظهن ان لا يعرفن من الرجال غير محارمهن كما لا يجوز ان تخول المرأة اكثر مما يخص نفسها فان المرأة بطبيعة خلقها متعة وليست بمديرة ولا مدبرة لماسوى بيتها : ويجب اكرامها واحترامها بما يقيم وزنها وشرفها ولا يجوز اطماعها بقبول شفاءاتها فان ذلك ممماً يخرج بها عن حدودها واوصاه ان لا يتشدد في الغيرة على نساءه فان التجاوز بالغيرة عن حدودها مما يدعوا للصحة الى السقم والبريئة من العيب الى الشك والريب :

وانه اذا كانت له جهات من العمل يحتاج القيام بها الى عدة من الخدم كان من لازم نظام عمله توزيع أعماله على عماله ليمتص كل بمسؤولية يعرف فريضتها عليه : ثم اكد عليه بأكرام العشيرة ووصفها له بانها بمنزلة الجناح للطائر وانها الموثل الذي يؤل اليه الانسان واليد القوية التي بها يصول : ثم بعد ان اخذ حظه الوافر من ايصائه وارشاده اودع وجوده بجميع ما يمت اليه من دين ودنيا الى الله الذي بيده ناصية كل شيء وسأله خير القضاء لعاجله وآجله ولدنياه وأخراه :

ويجب ان نختم هذه الوصية الحافلة بشرح ما تعرض له عليه السلام من حقوق المرأة فان هذه النقطة اصبحت في دور الحضارة - كما يقال - من اهم النقاط التي اعترك عليها

بنو الانسان بين مفرط ومفرط وبما ان الشرع المقدس الاسلامي يخالف الجدد في نوع روياتهم على الاخص في هذه المسألة التي اثارت الغبرة القائمة في هذه الاعصار وجب علينا تمحيص هذه النقطة من كافة جوانبها حتى يتضح الحق و يقتضح الباطل فنقول بضرر قاطع ان المرأة والرجل وان كانا من نوع واحد وهو الانسان الآن كل واحد منهما يعد من فصيلة ممتازة عن الفصيلة الاخرى من كافة الجنبات :

اما من جهة الفروق التشريحية فالذى أفدناه من الباحثين (١) ان هناك فروقاً اساسية بين الرجل والمرءة : وذلك :

(١) ان معدل طول المرءة اقل من معدل طول الرجل بمقدار ١٢ سانت متراً
 (٢) ان معدل وزن جسم المرءة ٤٢ كيلو غراماً ومعدل وزن الرجل ٤٧ كيلوغراماً
 (٣) ان الجهاز العضلي عند المرءة اصغر حجماً واقل سرعة وابطأ حركة واقل ضبطاً مما هو عند الرجل بقدر الثلث ما عدا عضلات اللسان التي تكون عند المرءة ابرز مما هي عند الرجل :

(٤) ان قلب المرءة أصغر واخف من قلب الرجل بمقدار ٦٠ غراماً
 (٥) ان الجهاز التنفسي لدى الرجل اقوى مما هو لدى المرءة فالرجل يحرق ١١ غراماً من الكربون في الساعة بينما تحرق المرءة (٤ : الى : ٦ غرامات) منه في الساعة ولذلك تكون حرارة الرجل اكثر من حرارة المرءة :

(٦) ان الحواس الخمسة لدى الرجل اقوى بكثير مما هي لدى المرءة فحاسة الشم عند الرجل اقوى مما هو عند المرءة بمقدار الضعف والرجل اذق من المرءة في حاستي الذوق والسمع وكذلك الشأن في حاسة اللمس وقد قرر (لوميروزو - و سيرجي) أن المرءة اكثر احتمالاً للالام من الرجل مما يدل على قلة احساسها به : وقد أضاف (لوميروزو) ان هذا من حسن حظ النوع الانساني لان المرءة معرضة لكثير من الآلام كالحمل والوضع ولو كانت مرهفة الحس كالرجل لما استطاعت ان تحمل ذلك كله :

(١) المواد الطبية والتشريحية وبعض الفروق النفسية مأخوذة عما كتبه الدكتور

عارف القراغولي في مجلة الايمان العدد المزدوج ٩/١٠٠٠ سننتها الاولى:

(٧) ان تركيب جسم الرجل اكثر متانة من تركيب جسم المرأة و اكثر مقاومة للطوارة .

(٨) ان منح الرجل اثقل من منح المرأة بمقدار (٦٠ الى ١٠٠) غرام ووجد ان نسبة منح الرجل الى جسمه هي كنسبة واحد الى اربعين وان نسبة منح المرأة الى جسمها هي كنسبة واحد الى اربعة واربعين :

(٩) ان كمية المادة السنجابية (اى المادة الرمادية التى توجد فى المنخ و عمق الشقوق والاخايد فى الرجل اكثر انتظاما وعمقا مما هو فى منح المرأة وبذلك يكون الرجل اكثر ذكاء وادراكا والمرأة اكثر انفعالا وتبهيجا :

(١٠) ان عظام الرجل اصلب واثقل من عظام المرأة:

(١١) ان جمجمة الرجل تزيد على جمجمة المرأة بنحو ٢٠ سانت مترا مكعبا:

(١٢) ان حافات عظام الحواجب فى الرجل اكثر بروزا مما هو فى المرأة :

(١٣) ان عظام الحوض فى المرأة اكثر اتساعا من عظام الحوض عند الرجل وذلك

مما يجعلها اقل قدرة على الحركة والانتقال :

(١٤) ان فخذ المرأة اكثر ميلا نامن فخذ الرجل ويعتبر هذا الميلان من ابرز عيوب

جمال المرأة ولايساعدها على الثبات وحمل الانتقال وخفة الحركة .

(١٥) ان قدم المرأة اكثر تسطحاً من قدم الرجل فلا تستطيع ان تجاربه فى المشى

مسافات طويلة :

(١٦) ان الاعضاء التناسلية عند الرجل تختلف كل الاختلاف عن الاعضاء

التناسلية عند المرأة فانها تتكون عند الرجل من ثلاث ادوات و تتكون عند المرأة

من ٩ ادوات:

(١٧) ان شحم عضلات المرأة اكثر من شحم عضلات الرجل وبذلك تكون اصغر

حجما واكثر استدارة من الرجل وابطأ حركة وان كانت اخف وزنا لان الشحم يعوقها

عن الحركة :

(١٨) ان القفص الصدرى عند الرجل اوسع مما هو عند المرأة فالرجل اكثر

امتصاصاً للاوكسجين واطلاقاً لأكسيد الكاربون :

- الفروق الجنينية -

وقرر علماء الجنين الفروق الجنينية التالية بين الرجل والمرأة فقالوا ان نطفة الذكر سريعة الحركة وتسير بسرعة ٧٠ ميل متر في الساعة باحثمة عن نطفة الانثى التي تكون راكدة خالية عن الحركة وقد لقت هذه الظاهرة بعض الافاضل فقال عنها انها لمن الاسرار العجيبة في الخلقة فهي تدلنا على ان السعي والحركة منذ بدء الخلقة من خصائص الذكر كما ان السكون والجلوس في المخدع من خصائص الانثى: وقال الدكتور شريف عسيان ان نطفة الانثى لاتتحرك حركة فعالة بل تنجذب جذباً الى نطفة الذكر والمواد الغذائية في نطفة الانثى او فر منها في نطفة الذكر فالحركة والسعي منذ التكوين الاول منوطان بالذكر والتغذية والحصانة بالانثى:

- الفروق الفيزيولوجية:

و قرر علماء الفيزيولوجيا الفروق الغريزية الاساسية التالية بين الرجل والمرأة:
(١) ان جسم الرجل ابطأ في السنين الاولى من العمر نمواً من جسم المرأة وهي اسرع نمواً منه :

(٢) ان النضج الجنسي لدى المرأة أبكر من النضج الجنسي لدى الرجل:

(٣) ان عدد الكريات الحمر (الاجزاء الحمر من تركيب الدم) لدى الرجل أكثر من عدد الكريات الحمر لدى المرأة ولهذا تكون المرأة اقل تحملاً للتعب من الرجل :
(٤) ان الغدة الدرقية (التيروئيد) لدى المرأة اضخم مما هي لدى الرجل وتؤثر هذه الغدة عند المرأة بفعل الطمث والحمل و التهييج النفسى و اختلالها يولد اعراضاً جسمية ونفسية :

(٥) ان كمية المواد الكلسية (وهي المواد الموجبة للتقوية والنشاط من دم وغيره) لدى المرأة غير ثابتة لتأثرها بالطمث والحمل والرصاص بينما تكون كمية هذه المواد ثابتة عند الرجل :

- الفروق النفسية -

وقد قرر علماء النفس الفروق النفسية الأساسية التالية بين الرجل والمرأة وهي
 (١) ان المرأة نوعاً أقوى عاطفة وارهب شعوراً واشد تأثراً من الرجل فهي تجزع
 من اقل الحوادث وتتألم روحاً من اصغر المصائب ولا تستطيع مقاومة الرزايا وسرعان
 ما تنهار امام ذلك ومن هذه الناحية قل ما دخلت معركة او شاركت في مباراة او ضحّت
 بنفسها و نفيسها في سبيل مقصد او غاية فهي اساساً لا تصلح ان تكون قائدة حملة
 او قاضياً في محكمة جزاء او شرطياً يضبط كفة الامور او جالداً يقيم الحدود
 وما الى ذلك :

(٢) ان نظراً للمرأة الى القضايا نظرياً وان تفكيرها سطحي فهي بطبيعتها لا يجوز
 ان تكون حاكماً سياسياً ولا اداة سياسة بالمرّة ولا في دوائر العدل والقضاء كما لا تصلح
 لسن القوانين لقصور روحها العقلاني عن ذلك :

(٣) ان المرأة تعيش في عالم من الاوهام لذلك فهي أخصب خيالاً من الرجل
 ومن هذه المادة تراها لا تعرف الحياة بسوى الاكل والشرب والمسكن والجنسيات
 والملبس والحظوة عند الرجال ولا تنعقد ندواتها وجلساتها الا على ذلك صرفاً و
 لهذه العلة تراها تكثر الكلام الى أبعد حدود الطاقة ولا يتعدى موضوع حديثها عما
 اسلفنا ذكره :

وان الرجل نوعاً يعيش في عالم الحقيقة وتحريّ الواقع والمطالب الجدية في
 الحياة ولذلك تراه يلقي بنفسه الى الزحمات والمتاعب ويخاطر براحته في سبيل الوصول
 الى مقاصده ويركب المخاوف للحصول على بغيته :

(٤) ان الذعر والخوف صفتان ملازمتان للمرأة اكثر من الرجل بل ولا يقاس فالمرأة
 قد تقلقها الخنفساء حين تراها وشبح العقرب اذا لاح لوهمها و الرجل مهما تنزل فان
 المرأة تلون به وتركن اليه وتعدّه الحصن الحصين لها :

(٥) ان المرأة تجيد التمثيل والحكاية بالفطرة وتستعين بحركاتها التمثيلية على
 التعبير اكثر من الرجل ومنشأ هذه الخاصة مزاولتها للحديث عن الشيء وانغماسها في
 التحدث نوعاً اذ لا وازع لها عن ذلك :

اما الرجل فلاشتغاله بما يملك عليه هذه الروح فهو دائماً قليل التحدث مصروف به عن الكلام الزائد ولهذه الظاهرة كثر الرقص و التمثيل فى النساء و قل فى الرجال :

(٤) ان المرأة اكثر ميلا للحلول البسيطة من الرجل فهى اكثر منه ميلا لانزال العقاب الأنى بالمجرم ولكن بوسيلة غيرها لقله صبرها عن التحمل من ناحية وعجزها الفطرى عن انزال العقاب به بيدها من ناحية أخرى : وهى اكثر رحمة بالسائل من غير ان تفكر فى ارشاده او الجائه الى العمل الذى يكسب القوت له ولمن يعول به بشرف ويخلق له من نفسه عضواً عاملاً فى المجتمع :

(٧) ان المرأة اكثر تشبهاً من الرجل بالعادات و التقاليد و الخرافات و اغلب خرافات الدنيا منهن نشأت واليهن تعود : و تراهن حتى فى عصر الذرة يؤمن بالغال و الطالع والسحروما الى ذلك و يبذان فى طريقه اطيب اموالهن وهن مع ذلك قد لا يؤمن بالمبدأ و فروع هذه العقيدة :

(٨) ان المرأة تؤمن بالحظ والبخت والطالع على انه سر نجاح الناجحة منهن و الرجل يؤمن بالعمل والمفاداة اكثر :

(٩) ان المرأة اكثر تدنياً من الرجل و لكن دينها قشرى و همى لاقيمة له و الرجل اقوى ايماناً منها لانه يتحرى فى الغالب الواقع مهمامكنه دركه والوصول اليه :

(١٠) ان المرأة اكثر اصابة بالصدمة و اشد جزعاً عند نزول المصيبة و الرجل اصبر منها و اوزن :

(١١) ان المرأة اطول عمراً من الرجل لان تأثرها النفسى سطحى و مشقتها فى الحياة اقل من الرجل و الرجل فى تحمله الهموم التى لا يبوح بها يحرق و ذيلة نفسه و لذلك سرعان ما ينهار جسمه هذا مضافاً الى مزاولته المشاق العملية فى الحياة و مسؤوليته الزائدة بمن يعول به :

(١٢) ان المرأة اسرع اصابة بالامراض النفسية العصبية من الرجل لشدة تأثرها بالفوادم و لكن تأثرها لما كان سطحياً فى الغالب بانصرافها الى موجبات السلوة و العزاء

كان عمق التأثير فيها اقل :

(١٣) ان المرأة المجنونة اشد خطر أمن الرجل المجنون كما هو مشاهد محسوس : وعلى هذا فمحاولة ايقاع المساواة بين الطرفين في كل ما يعود للانسانية المطلقة محاولة فاشلة وان اصر عليها جمهور المتجددين و لكن الهدف من هذا الاصرار هو اخراج المرأة من عرشها وجعلها وقفاً عاماً للناس والافهى اقصر بعبارة في مقابلة الرجال سلماً وحرماً نعم هي اقوى على اخضاعه من الناحية الجنسية ليس غير و لذلك اصبحت الدوائر المختلطة والمدارس المختلطة و المستشفيات المختلطة و المعامل المختلطة مواخير فواحش لامرأ كرم عمل و تربية و تعليم وهذا ما شهدته الاعين باحداتها المفتحة : اما الشارع المقدس فقد جعل المرأة في نصابها واحترام مقامها احتراماً لا غاية بعده حيث قال - الجنة تحت اقدام الامهات - لانها ام الاجتماع ورببة البيت وامين زحمت الرجل وحاضنة اطفاله والسلك الناطم للفصائل والعشائر والحافظ للارحام ولم يخرج بها عن أطوارها الفطرى ومقتضاها الطبيعى بل صان كرامتها بتحريم الرقص عليها والفجور بها وعبث الذكور بقداستها ووجب على عائلها ان يقوم بجميع وظائفها الحيوية و يحترم كيانها واسقط عنها الجهاد ومعاناة الوظائف التى تقصر عنها واعتبرها ربحانة يجب ان تغرس فى حقلها ويتعاهد بها ستانيتها الا أن تتخطفها الايدى بالشعونة والمعاهرة و يعبث بزهرتها العابر والمستطرق :

وان وظيفتها هي ما خلقت له من كونها زوجة للرجل ومدبرة لبيته وحافظة لغيره وحاضنة للذرية الناتجة منها ومنه ومعدة اطفالها السعادة المستقبل الذكر للعمل الصحيح المثمر والانثى لأن تحرز بيتاً كما حازت امها نظيره وهذه هي مقتضيات الطبيعة فى المرأة : كما ان مقتضى الطبيعة فى الرجل السعى والعمل والحيطة والحفظ لمفردته ومجتمعته لمن يعول به ولمواطنيه لبيته ولوطنه : ولا ريب ان التجاوز بالطبيعة عن حدودها غلط لا ينتج غير الشذوذ كما هي الظاهرة الطافحة الآن على آفاق الكون حتى انك لا ترى الا عبث القوى بالضعيف واستثمار القادر للعاجز وخيانة الحاكم للمحكوم و غير المرأة فى ناموسها ودنائة الرجل فى عرضه : ولا يرى الرائي سوى شوارع معبدة و ابنية ضخمة و

ملا بس جميلة وانه اذا أمعن النظر فيما جاس خلاله جوس مرتاد وجدها شاغرة فارغة
 ووجد الناس مسميين مهملين لاهم لاحد بأحد يعترك الجميع على جيقة قد افتضحوها بكلمها :
 والشرع الاسلامي أن حاول بتعاليمه في الاجتماع امرأ فقد حاول تركيز الاجتماع
 على عرش الانسانية الصحيحة في كل اشياها من تافه الحياة وقيمهها في المعنويات والماديات
 واما عصور الحضارة فقد اقلت الانسانية من كل قيد وسمحت شريرة المغالبة و الانتهاج
 وانت لاتعير البشرية بالا او ترى لها مفهوماً سوى انها وجود حيواني قد أطلق سراحه
 فاعد الوثبة قوبها واستنم للضعة ضعيفها وماكلمات العدل والنظام والقانون و الحقوق
 والتمدن والثقافة الاغاظاً عارية عن معانيها قصد باطلاقها التختل و العبث بالكرامات
 وليس هذا الداء مما بتلى به فريق دون فريق او مملكة دون اخرى او غرب دون شرق او انسان دون
 انسان آخر بل هو سيل من الطغيان المادى بلغ الزبى وتجاوز على كل الحدود ولا منجاة
 للضعيف الا بتلفه الذى يريجه من الحياة :

وقديماً قلت من قصيدة تحت عنوان - الزمان قديمه وجديده - نذكر منها ما
 يناسب المطلوب :

قد درسنا من الزمان حدودا	وفحصنا قديمه و الجديدا
فأرأينا من وقعه فى البرايا	ما حال الفكر الحديد بليدا

حتى اقول

لم نزل ندعى التنور حتى	فيه عبنا آباءنا و الجديدا
قد سبرنا البحار غوصاً و طرنا	و طوينا الآفاق بيداً فيديدا
واخترعنا الصاروخ و الجت لما	قرب العلم فى خطاه البعيدا
و احتوينا على الطبيعة كشفاً	حيث لانت حجارة و حديدا
و ركزنا للعدل راية قدس	كسب الناس فى ذراها السعدودا
و اكتسحنا بنظمنا الكون ظلماً	شوه الكون طارفاً و تليدا
لم يكن للانسان من قبل شأن	وارتقى اليوم سيداً و مسودا
هكذا يفرض الزمان علينا	نفسه مكرراً بها التريدا

غير أن العيان أبطل منه
 كان للناس عنصر آدمى
 حطّ من قدرهم فلم يعتبرهم
 ويرى ادنى المدح فيهم جزافاً
 خلقتهم قوى الاثير اتفاقاً
 ان هذى الحياة فلتة وقت
 ليس للروح والعقول وجود
 ومسيرا الاكوان ليس مراداً
 عن جنون بنا الطبيعة تجرى
 ما الوفا والعفاف والصدق الا
 ليس ما فى الوجود الامشاعاً
 والحروب الشعواء فضل علينا
 هذه شارة الجديد جلاها

كل قول يراه قولاً سديدا
 ويراهم هذا الزمان قرودا
 فى المجالى الاحشاراً و دودا
 وعظيم الرجال منهم زهيدا
 لم يكن خلقها لهم مقصودا
 اعطت الكون وضعه المشهودا
 لا ولا خالق الورى موجودا
 لمريد ولا البقا محدودا
 فهبوطاً طوراً و طوراً صعودا
 ضعف نفس وما الحيا محمودا
 لبنى الارض انفساً و نقودا
 حيث تنفى الضعيف والمكدودا
 للبرايا مكسرا و معيدا

أم ترى منه مسرفاً ومبيدا
 واتى الخلق جاهلاً منكودا
 ويعبر الاصلاح طرفاً حقودا
 صير الغنى خاسئاً مطرودا
 ملؤه شهوة و قلباً عميدا
 او عليه درب الخنا مسدودا
 ويرى النظم للورى تقييدا
 لا ولا للحقوق يدري حدودا
 باختراعاته علينا شهودا

أتراه يريد بالناس خيراً
 قد تردى ثياب كل ردى
 يبغض المصلحين لاعتناء
 لم يرقه من الشرائع وضع
 وهويلوى على الغواية طرفاً
 لا يرى حاجزاً امام هواه
 هو يهوى الحياة للغنى صرفاً
 لا يعبر الناموس نظرة حر
 هو ان اظهر الجميل وأدلى

فلقد ساء فيه قولاً وفعلاً منذرأينا سمحاً و ذقنا شديداً

☆ ☆ ☆

ان فتك الصاروخ يعدل دنياً من ظبات السيوف تفرى الوريدا
و دوى القذائف الجمر يزرى بالمنايبا صواعقاً ورعودا
وشظايا الرشاش فى الخطف رشقاً تلهم الارض وهدة وصعيدا
ان هذا الزمان فى السخف اضحى بين ازماننا وحيداً فريداً

حتى أقول

يانبى الاسلام طاح بنساء لك بالسيف كان دهرأ مشيدا
ان تكن قمت فيه نضداً و رصفاً برجال كانوا عليه رصيذا
مثل زيد و جعفر و على حين صالوا أسوداً و اسودا
و جموع الانصار تمرح شوقاً للمنبايا جحافلا و بنودا
دوخوا الارض من صليل المواضى مذا قاموا على الكفاح صمودا
ادركوا ان العز من المنبايا فمشوا للردى عقيداً عقيداً
عاهدوا المبدأ الصحيح بنصر فوفوا نعمة لهم و عهدا
و تولوا غرس الهدى عن صفاء فصفى رونقاً و ازهر عودا
سهرروا فى حراسة الدين دهرأ فأفادوا منه وجوداً مديدا
ملكوا وجه الارض شرقاً و غرباً بعدما كان ذكرهم مفقودا
هكذا تحرز المعالى و تبقى تحت ظل الاحرار ذكراً مجيدا
عاش آباؤنا قياماً علينا وزحفنا الى الحياة قعودا
عمموا هامهم مغافر عز وارتدينا مقانعاً وبرودا
جعلوا الله قبلة نهم ساروا و جلسنا نسيج السمعبودا
ليت شعرى هل الدعاء معرى يدفع الضيم والعد واللودا
لم يكن - ذا - سلاح اى نبى اووصى وان اطالوا السجودا
ولجب الحياة - متنا - و سرنا لطلاب الخلود سيراً وئيدا

حين لم تصدق الزمان وعيدا
لم نطع سيداً لنا وعميداً
وهوى البيت قبة وعمودا
ويطيل الكلام فينا نقودا
كيدنا في نحورنا مردودا
تتلاشى مقابراً ولحودا
والمعالى تبغى الرجال الصيدا
نسبة الفخر خطبة ونشيدا
طوع ايماننا ووضعاً حميدا
وعليها نقضى الزمان رقودا

✧

قد أعاروه جفوة وصدودا
رائد الدين موجعاً مكمودا
وغدا من نفاقهم دستفيدا
قطعوا دهرهم وعاشواركودا
خير روض خمائلا وورودا
شرقهم جدة ولا تشييدا
والمجيدون منطلقاً وقصيدا
وذووا الطول مصدرأ وورودا
واعدوا ذخائراً وحشودا

✧

صدقوا الله مائلا وشهيذاً
كل يوم تراه أنساً وعيدا
وجسوراً مدواً وشادوا سدودا

وعدانا من الزمان وفاء
وتراننا مذبذبين شتاتاً
ولهذا قد صوح الروض منا
واغتدى حتى الجلف يسخر منا
كادنا فاشتفى وكدنا فأمسى
ليت هذى القصور مذتحتوينا
اي خير فينا لدنيا المعالسى
قد أقمنا على العفا وأطلنا
ثم نرجو وراء ذلك دنيا
نحن قوم نحى بذكر الامانى

✧

يانبى الاسلام ان بنيه
رجعوا عنه ملحدين وأمسى
بذر الاستعمار فيهم نفاقاً
فترى كثرة ولكن شتاتاً
كان زهو الزمان فيهم وكانوا
لم يكن يومذاك غرب يوازى
هم بناء العلوم عقلا ونقلنا
واولوا الحول امة وملوكاً
كم مشوا فاتحين ارضاً فارضاً

✧

شهد الدهر انهم خير شعب
كان شاؤ الزمان فيهم عظيماً
عمروا الارض بلدة و فلاة

لم يزل عقدها بهم منصودا
في مرور الاجيال ان لا تبيدا
ولما ذا باروا وفوداً وفودا

☆ ☆ ☆

لمه منك العزم عاد بديدا
وعليه الشيطان هب مريدا
شرعك الغض منكرأ مجحودا
وأبانت سوافاً و قدوداً
و أباحت مباسما و خدودا
ليس تدرى ماذا بها قد اريدا
وبها نال قصده المنشودا
فهي اليوم بالتجدد تودى

☆ ☆ ☆

حاز دروين منهم التقليدا
و رأوه مهديك الموعودا
أنعشوا حاقدأ وأرضوا حسودا
ومحال عليهم ان يعودا
والى غربة ابتداء اعيداً

☆ ☆ ☆

في هداينا عدلا ولا توحيداً
لم تلاحظ عنفاً ولا تهديدا
وتراموا بك الفلا تشريدا
كان منك السلاح فيها جريدا
حين يضرى مخالباً و لبودا

ان آثارهم بشرق و غرب
ركزوها مثل الجبال فآلت
فعلام انهاروا ملوكاً وشعبا

يا نبي الاسلام ان شتاتاً
ان دين الرحمن اغفى ضعيفاً
ان تلك الاخلاق ذابت وامسى
ان تلك المحجبات تعرت
ارخصت من وجودها كل غال
غرّها القول بالمساواة لكن
وقعت في شباك كل شقى
ان تكن في حماية الدين دهرأ

يا نبي الاسلام ان بئيه
أمروه على هواتك طراً
فاعزيك فيهم بؤساء
قد تلاشى سلطانهم ابدياً
بدأ الدين في البرايا غريباً

يانبي الاسلام لم تأل جهداً
جئت دنيا من الجهالة فرداً
كم تصدى لملقتك فيك رجال
ما تضععت للسيوف بحرب
أسد تخسأ الاسود لسديه

صارع الدهر همة فلواه
خالفاً في الزمان اعظم جيل
واتسى ظافراً به مسعودا
قام تاج العلابه معقودا

☆ ☆ ☆

يابنى الورى أعزنا التفاتاً
ان نقصر عن المراد دفاعاً
ما برحنا نراك الفأ ودودا
فقد يماً للعفو كنت مريدا
حلّ فينا من الطغاة هوان
ليس ندرى مصيرنا في زمان
ترك الحر مثقلا مجهدا
فقلوباً قد حزها وكبودا
قد أعمار الاحشاء ناراً تلظى
وعليك الآمال نيظت فحقق
أملا فيك لم يزل مرصودا

☆ ☆ ☆

ويختتم ما سلفناه من التعاليم الدينية بفصول : الفصل الاول فى :

حياة تعاليم القرآن

فنقول السنن الجارية فى الكون على قسمين قسم يعد من الحقائق الراهنة وهذه الحقائق على نوعين نوع واضح التصديق للعقل لمزيدا نكشافه عنده نظير القتل العدوانى والسرقه لاعن احتياج والتعدى على حقوق الناس جزافاً و نوع ليس بهذه المثابه فى التصديق له لاحتياجه الى تدليل وكشف نظير قبح الاستهتار والتبذل و وقوع الانسان فى حاشية الجائر فانه ليس كل واحد من الناس يلتفت الى قبحه لكن المجموع يعد فى منطقة الحقائق :

والقسم الثانى من السنن الجارية فى الكون هى العادات المتخذة لكل جيل وبلد كعادة العرب فيما بينهم وعادة العجم وهكذا وهذا القسم لاقيمة له ولا وزن لافى الشرائع ولا عند العقول ولا ماساغ للبحث فيه لانه واه واهن : نعم ينبغى الكلام على القسم الاول لاعلى كلاسقيه بل على الثانى منهما لنصامد الاجيال عموما على قبح القتل العدوانى والتعدى على حقوق الناس جزافاً : والقسم الثانى من الشقين المزبورين ليس محل النزاع

كل انسان بل لخاصة المتجددين الذين لا يراعون عمق المطالب بل يدرجون على الذوق الشهوى الاباحى من دون تأمل فيما يأتون ويذرون ويرون التوسع فى تناوش اللذائذ ولو كانت غير مشروعة بالاتحاش :

و لو ان التجدد اقتصر على هذه الولايات باختيار ذلك لنفسه من دون ان يقننه قانونا ويمشيه على الجوامع قهرا وآدمذهباله فى قبال زهد الزاهد ورياضة المرئاض لما كان فى ذلك كثير بأس و ان استلزم انشعاث الجوامع قهراً و بقى الزاهد والعابد والمرئاض والمثالى على حريتهم فى افعالهم واقوالهم فيكون معنى الحرية عندهم هو رفع الحواجز والموانع امام كل انسان حتى الفاحشة فى ترويجها لعملها وعاصرى المسكرات فى تحريضهم على تناولها : فلو ان دنيا اليوم مشت كذلك لكان صف الحقائق اطول و او فر من صف التوافه والخلاعات قطعاً لان للحقيقة منطقاً به تصول و تقول وتملك المسامح والقلوب الا انه مع الاسف خصوصاً فى المجامع الشرقية اصبحت القوى النافذة ضداً للحقائق واهلها وللمثالية ورجالها و عوناً مساعداً بجحد السيف البتار للخلاعات وغصب الحقوق والتوهين بالمثاليين:

ولارىب ان الحقيقة مهما ضمخت وعظمت يتقلص ظلها عن افق الجوامع بهذا التنديد والتشريد الجافين؛ ونوع الناس يهون الحقيقة قلباً ولبا الا ان المماشاة معها اذا استوجبت تاخر دنياهم و فليج مادياتهم تركوها جانباً وزفوا مع زافة الخلاعيين ولما كان دأب المتنفذين فى الشرق هو ذلك منذ الحرب العالمية الاولى الى اليوم خفت كلمة الدين وقل احرام المتدينين و اصبحت المثالية لفظاً عارياً لامصداق له واتسع الميدان لفريق الخلاعيين كل يوم يأتون برأى ويتصامدون على شهوة ومع كل هذا وذاك اذا حصلت فرجة من الزمان للدين و صرخ بتعاليمه المنظمة كثر حواره المستمعون و اصاخوا لمنطقه لما واجهوه مع تلك الزافة الخلاعية من شتى الامراض الروحية والواجاع القلبية والتدهور فى الاجتماع:

واهم عريضة للمتجددين فى قبال الدين والمتدينين ان الدين الذى اشترع قبيل مئات السنين فاقد لصلاحية المماشاة مع الادوار الذرية : نعم كانت له صلاحية الاجراء

حين كان الجمل أجمل مركوب والحصان اسبق وسيارة والظروف نحاسية او خشبية والملابس من غزل اليد والمطاعم والمشارب من المواد الاولية اما حين مشى القطار بوسيلة البخار وطوت الطائرة اجواز الفضاء و شعت اسلاك الكهرباء وهتف الراديو و جسمت كل شىء شاشة التلفزيون و تعددت انواع المرافق من كل لون وتعبدت الشوارع وسالت المياه المصفاة فى اجواف المنازل وما الى ذلك من كثير وفيه فلامجال للدين مع هذه الوسائل ولا مساغ للتعبد بالشرائع والحضارات كما تراها كل عين :

وما املينا عصاره ما يحتوى عليه منطقتهم وهو اسخف من كل سخيف فان الدين لا يرتبط بهذه الامور لافى موضوع ولا فى محمول: ان الدين نظام الاخلاق وميزان التروك والافعال مضافاً الى ان هذا التراث الذى ذكره المتجدد نتيجة العلم الذى طالما عزز وقعه الكتاب و السنة ولكن أزم وضعه فى مواضعه القائمة بالعادة لا السخافة : ولا ريب ان الفلاح فى سابقه لاجل ان يقيم وزن أعماله بصرف كل او قاته فى عالم الزراعة ابقاء على رفقته فى الحياة فيبقى عاطلاً من المعرفة المتوقفة على النفخ اما حيث اخترعت الجرارات والحواسيد الميكانيكية والسماد الكيمايى ونظير ذلك فقد خفت عليه الكثير الثقيل من عمله وجعلت له من اوقاته فسحة يستطيع التدرب والتعلم فيها وهكذا اوقات الناس التى كانت مصروفة فى الاعمال البدنية الشاقة تفرغ اكثرها من طريق الوسائل الجاهزة التى يسرت الاعمال على العمال و هذا الفراغ يجب كبسه بالتعلم والتعليم ابتغاء حياة أصلح :

اذن فتمشية نظم الدين العالية فى هذه الأوان يجب ان تكون أسرع من السابق لمواجهة الديانات فى سابقها بالجهل الفاحش والعصبية المبعوثة عنه وحيث تحلل الجهل نسبياً فى حاضره و خفت وزنة العصبية صار ميدان الدعاية اوسع من سابقه ولا ريب ان العقول متى تعالى دركها وارتفعت عنها اغشية الجهل كانت لقبول المعانى الصحيحة أسرع خصوصاً و ان الاجهزة الحاضرة التى اخذت تمد صوت الخطيب و شعر الشاعر وكتابة النائرو تبليغ المبلغ بما وسع رفقته وطير سمعته حتى صار سكان الكرة الارضية باستطاعتهم ان يقفوا فى السويغات المحدودة على ما يجرى فى الكون كله بطوله

وعرضه وبجميع الوانها والسنته وعموم قضايها:

والقرآن فضلا عن تكفله بالادلة القائمة على اثبات الصانع و وحدانيته و لزوم بعثة الرسل لاصلاح الجوامع و البحث عن المعاد الى الله لتوفية الجزاء و سرده لقصص الانبياء و طرزدعوتهم وما واجهوه في المجامع كل ذلك لاجل العبرة والاعتبار : تكفل ذكر الاخلاق العالية مع التدليل والبرهنة عليها بما لا سابق له في شريعة سابقة وعمم في ذكر الاخلاق ما هو واجب فعله وفريضة تركه وما هو مستحب يثاب عليه فاعلمه ومكروه لا يبلغ ذرجة العصيان : ونحن للتدليل على ذلك من باب ذكر النموذج ثبت فصلامنه ونعقبه باللازم من التحليل: قال تعالى في سورة الاسراء :

و قضى ربك الا تعبدوا الا اياه و بالوالدين احسانا : و آت ذا القربى حقه و المسكين وابن السبيل ولا تبذرا تبذيرا : ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً : ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم و اياكم ان قتلهم كان خطئاً كبيراً : ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة و ساء سييلاً : ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل انه كان منصوراً ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده و اوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولاً و اوفوا الكيل اذا كلتم و زنوا بالقسط المستقيم ذلك خير و احسن تأويلاً و لا تقف ما ليس لك به علم ان السمع و البصر و الفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولاً : ولا تمس في الارض مرحاً انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولاً : كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً : فهذا فصل واحد من عدة فصول تعرض لها الكتاب المجيد في شتات آيه و سورة :

فأول ما ذكر تعالى انه لا تجوز في شريعة المنطق عبادة غير الله وقد دل عليه في آيات اخرى ان كل ما يفرض من دون الله فهو عاجز مخلوق محتاج فلا ينزل بالفقير فقره و بالضعيف ضعفه و بالصغير صغره و بالمسود مسودته امام ثروة الثرى و قوة القوى و كبر و عظم الكبير و سيادة السيد بحيث يعد هذه المقامات عندهم من مؤهلاتهم للعبادة - لا- فان فقرا الفقير كغنى الغنى من الحالات المتبادلة على الانسان حسب الحوادث و السوانح و المقارنات

الخارجية وهكذا ضعف الضعيف وقوة القوى ومسودية المسود و سيادة السيد فكم فى العيان من شوهد فقيراً ثم استغنى وغنياً ثم افتقر وكم من ضعيف قوى وقوى ذل ومسود شخص وسيد انحط وهلم دوايك اذن فليس الغنى والفقر من ملاكت العظمة والانحطاط وهكذا القوة والضعف والكبر والصغر: و الذى تجوز عبادته هو من ضم الصلاحيات والكفآت اليه من قوة وقدرة وغنى وعظمة وعلم وحكمة وعطف ورحمة بلا استجداء من غيره ولا استحصال عليها من طرق الحوادث والسوانح ولان هذه المؤهلات حاصلة له فى وقت دون وقت: بل يجب ان تكون هذه المؤهلات فيه من ذاته لا مكتسبة من غيره وتدوم بدوام ذاته لان الحوادث والاقترانات تجلبها اليه او تحذفها منه وهذا الملاك لا وجود له فى عموم الموجودات الا فى الله الخالق وحده: اذن فما يفعله الفقير امام الغنى من الخضوع والضعيف امام القوى من الخشوع والمسود امام السيد من الخنوع كله ناشىء عن ضعف النفس والجهل وكل آثار ضعف النفس والجهل لا وزن لها ولا قيمة:

و ذكر ثانياً لزوم الاحسان بالوالدين: وجهة ذلك واضحة من المنطق فان الابوين لحدود بعيدة يقومان بوظيفة تنمية الطفل حتى يصيراه شاباً قوى العضلات اقدر ما يكون على جلب المنافع ودفع المضار والقيام بتربيته و تهذيبه و اعداده لان يخوض معارك الحياة ومع صيرورته مستغنياً عنهما لا تراهما الا يحدبان عليه و يجلبان له الخير و يدفعان عنه بجهدهما الشر و مثل هذا الوجود اقل ما يجب له الاحترام و الاكرام لانه محسن بجهد و هل جزاء الاحسان الا الاحسان:

وتعرض ثالثاً للتمولين: وفرض عليهم ما هو مفروض من طريق العاطفة الصحيحة وبين ان ذا السعة لا يجوز له الاحتكار لسعته والاقتصار بها على نفسه بحيث يبذخ ويتوسع و ارحامه فقراء والمساكين بؤساء و اهل الحاجة فى شدة و عناء بل من لازمه الشرعى العاطفى ان يقتصر على المصالح اللازمة فى حقه وحق من يعول به و يصرف الفاضل من ثراه فى سبيل الفضائل فيصل ارحامه ويعطى المساكين و اهل الحاجة بما يسعه عطاء غير ممنون فان من لم يفعل ذلك عرض نفسه اغضب الله اولاً و غضب عباده ثانياً و خلق من وضعه على نفسه وعلى ثروته اجواء كدراء تعود عليه بنهب ماله و هتك شرفه و ما خلق الشيوعية فى الكون

الاهذالاستثمار البغيض حيث يظن المتجددون المخترعون لهذه الطرائق فيما يزعمون انهاوليدة افكارهم ونتيجة ثقافتهم ولكن الحق فانهم بمراحل شاسعة فان القرآن قرر هذه المعارف بنهجها الاحسن قبل مئآت السنين والزم حكومات الشرع بتنفيذها و لكن الجامعة المذبذبة هي التي خنقت الشرع وحكومته وفي اخيرها التجأت الى الشيوعية الغاشمة الخارجة عن حدود الاعتدال و حبنت طريقة تعديل الثروة على ما في اجراء هذا التعديل من حيف و اجحاف واعمال ميول و نفوذ فضلا عن اصل فانونه الجائر في نوع مواده :

وتعرض رابعاً : الى ملازمة خطة الورع والحلم وسعة الصدر وانتظار الفرج وانه لايجوز للانسان ان يجزع من الفقر و يستكين له و من الضعف فيخضع من اجله فان تقلبات الاحوال والانتقال من حال الى حال لا تحصى كثرة في كل آن وزمان فمن وظيفة الانسان ان يكدح لتأمين نفسه و ربه من وراءه مساعد ومعين من حيث يحتسب و من حيث لا يحتسب فلايسأ الى زوجته واهله واطفاله لمجرد انه يفتقر حيناً او يضعف حيناً آخر بل يجب ان يمشى في سيره الحيوى على جادة شارعة غير مأبوس وهذه الانتحارات التي شاعت في عصر الثقافة والتنور لادنى حادثة يواجهها الانسان من دلائل ضعف النفس و ضيق الحوصلة على أنها لا تثمر سوى الهلاك المؤيس فما عليه الله تعالى من رياضة النفوس خير مما عليه المتجددون من اليأس والقنوط :

وتعرض خامساً : لسيئة الزنا وان جماع ما تستلزمه هذه السيئة هي انهتدام العوائل رأساً وضياع المواليد ومصيرهم فى الحياة مصير كلاب الهراش و شيوخ التهلك والميوعة فى الاخلاق وانتشار الامراض الجنسية انتشاراً هائلاً وكثرة التشاجر والتزاحم من طريق هذه الاختلاطات بما هو مشهود محسوس وعود كل من المرأة الزانية والرجل الزانى بعد زهاب رونق حياتهما بائسين شقيين لا كافل لهما لفرض انحلال العناصر من هذا الطريق المعوج وبهذا ينعى القرآن على جملة من المتجددين الذين يفرون من الزواج المشروع جنوحاً الى تأمين رغباتهم من الطرق الملتوية فيبقون الى الآخرة "ابامذبذبين لا يمكن" لهم ولا مكان ولا عائلة ولا أسرة ولا تشكيل مجتمع فضلاً عما يوا جهونه من أخطار مرض

الجنس الشائع بكثرة المعجز برؤه وشفأؤه .

و تعرض سادساً : الى حرمة ان يهاجم الانسان اخاه النوعى بغير حق اما طمعاً في ماله او ناموسه او مقامه بل يجب على كل انسان ان يحترم كل انسان في كل ما يعود له و ينتسب اليه فلا يتكبر عليه في حضوره ولا يغتابه في غيابه ولا يصدق عليه التهمة ولا يبغضه حقه في بيع او شراء فان كل فرد اذا راعى اخاه بالقليل من هذه المراعاة بطل سوق العداوات بين الناس وكثير بينهم التحاب فلم يحتاجوا الى حاكم ولا الى اعمال قوة و يعيش الناس اسعد ما يكونون وارفه ما يمكن لهم ولا تنتابهم الحوادث ولا تشرع بينهم الحروب ولا تزهد الارواح ولا تلتف الاموال ولا يخاف الناس ولكن عدم مراعاة هذه الحقوق بالمره مما اوجب انهيار الجوامع حتى في جده حضاراتها وتنور افرادها واتساع ثقافتها فلا تزال تسمع عن الشحاذين اخبارا عجيبة حتى في اهم الحواضر المتمدنة وعن المهرجين اخبارا طوالا وعن الفساق الواناً من الحديث المزعج وعن سائر السفلة ما يقضى منه الانسان عجباً وهذا الانحراف الواسع والقلق المتغلغل في اعماق الجوامع كله نتيجة اللأبالية و جنون العنجهية و الانفلات من القيود الصحيحة و التعاضم على الموازين الحقة ولا ريب ان الانفلات على القانون كما لا يبقى في نفسه لا يبقى معه القانون و كل نظام يخرج عن الميزان الطبيعى لا قرار له ولا استمرار بل لا تزال التعاكسات متبادلة والآراء متضاربة و نتيجة هذا التضارب والتذبذب اضطراب الجامعة مادياً ومعنوياً والاضطراب لاحياة معه : الفصل الثانى فى :

هوية الفلسفة و تأثيرها فى العقول و كيان المجتمعات

لسماع لفظ الفلسفة فضلا عن تفهم معناها تأثير محسوس فى نفس السامع و اثره خضوع النفس و اكبارها لهذا الملفوظ و لوعلى اجمال ما يراد به و انفعال النفس بالطوارى العارضة لها كثير جدا الان اكثر هذه المجالى بدوى لا يلبث مفعوله فى النفس الالحظات قصيرة ثم يتفه شيئاً فشيئاً حتى يعود سمجاً بخلاف مجلى هذا المسموع الذى نحن بصدد التحدث عنه فانه لا يفاجىء النفس عروضاً عليها الا ويزداد شرفاً لديها كلما تميزته اكثر و بذلت

فى تفهمه زمناً أوفر:

والسبب فى ذلك ان الفلسفة لاتستهدف على تنوع بحوثها الا البحث عن حقائق الاشياء كائنة ما تكون فمنها يستمد الشاعر الرصين والمؤرخ الوزين والاجتماعى الخطير والسياسى الكبير وهلم دواليك حتى الفقيه الذى هو أبعد الناس عنها : فيما يعرفه به الناس لان الفلسفة بمفهومها الواسع تعطى من نفسها انها المقياس الذى لا يخطئ والمعيار الذى لا يجازف والوسيلة التى ان اخطأت برمية صاحبها صميم الحق لم يبعدها القصد من اصابة حاشيته حد الاقل و كفى بذلك ضامناً للباحث و دليلاً للمتحير و هادياً لمن قذفت به وساوس النفس بل والحس ايضاً الى متاهات هذا الوجود الواسع و منذرشد العقل البشرى فى دنيا الوجود اخذت جوانب البحث الفلسفى تتشعب بمقدار المعدات التى تنهياؤها وليست الفلسفة المادية والا لاهية الأشعبة واحدة من شعبها المتكثرة والذى أهاب بالافهام والاقلام أن تجول حول هاتين النقطتين اكثر من غيرهما هو انضمام سائر الجنبات اليهما فى النتيجة العملية .

وذلك لان الفلسفة المادية لم يقصد به اهلها فى غاية مطافهم الاعتراف بالطف حلقه فى سلسلة الموجودات: وهو الانسان: كالكثف حيوان وقف على هويته البشر ورآه اخف كفة فى كل شىء يفرض و هذا الاعتراف العلمى يعود فى النتيجة العملية الى سحق كل المدنيات العالمية وتعطيم كل السنن الاجتماعية والتدهور بنظام الحياة الى هوة لا منفذ فيها الى اقل بصيص من نور الوجود:

وبالمناقضة التامة من هذا الملاك يقال فى الفلسفة الالهية التى تحسب لكل شىء من الكائنات حساباً يليق به ويكون من نتائجها العملية احياء سنن الاجتماع و تقويم المدنيات وترقى نظام الحياة:

ولانزال سلاسل الزمن تحمل الينا فى مطاوى حلقاتها مناقضات جملة بين هاتين الفلسفتين ومناوشات مهمة حدثت بين اهليهما وحتى فى يومنا الحاضر خصوصاً بعد ما استشرى داء الباشفة والاشتراك وعززت القوى المدمرة هذا المبدأ الهدام الخائف لانهام النفس البشر والمشرى بالكون والكائنات على التلف: الفصل الثالث:

الالحاد منشؤه وأثره

الالحاد بطور مطلق معناه انكار ما وراء الطبيعة وما يمت الى ذلك من شرائع سماوية واديان ومنشؤ الالحاد في طبقات الناس ثلاثة امور اثنان منها رئيسيان و الامر الثالث وان كانت عليه صبغة علمية فقد دمرته الادلة القاطعة ايما تدمير.

(الامر الاول) ما يلوح على جوامع البشرية منذ الاول من الاهمال و الفوضىة بمعنى ان جوامع البشر قد القى بهافي احضان الطبيعة المتوحشة فكاسر وضارى ومعتدى وظالم وفاتك ومتجرم وشحاذ ومذلس وغشوش؛ والارباء والضعفاء والمثاليون والمستعضفون واهل الورع والتقوى والشيوخ الكبار والعجائز والعجزة و الايتام و الناقصوا الخلقة والمرضى والمكذوبون يرزحون تحت نير اولئك الكواسر وتتفاعل بهم الطبيعة تفاعلا يتأثر له اقل وجد انبى بنى آدم حيث لامغيث ولا منقذ:

(الامر الثانى) مع صرف النظر عن ذلك ترى جوامع بنى آدم فى مدونات الاديان خرافات كثيرة ومدعيات نائية عن المنطق كذب جملة منها العلم باكتشافاته غير القابلة للتشكك كما تقرأ فى مدونات الاديان ان قوم نوح لما كفر واواصر وا على الكفر اخذهم الطوفان وان قوم هود و صالح لما لم ينقادوا لهذين النبيين اخذتهم الصيحة والخسف وان قوم لوط لما اصروا على فعل الخنا قلب بهم وان فرعون و قومه لاقوا كل عنت من طريق الغيب حتى اجترفهم فى الاخير عباب النيل وهلم دوا اليك:

لكنها لم تجد من ذلك اقل اثر فيما يقرب من عشرين قرناً احد اليوم على ما حصل فى مضامين هذه القرون من ارهاق واعنات و اراقة دماء وتخريب بلدان و حروب شعواء ومظالم ينبوعن سماعها السمع وما حصل فيها ايضا من اطلاق على الكفر و اصرار على انواع المعاصى فازانا و اللواط و شرب الخمور و القماروا لرقص والتعري و التهتك و الاستهتار بلغ غاية ماورائها فى هذه العصور و لم يحدث طوفان جارف لهؤلاء العصاة المتهتكين ولا اخذتهم الصيحة ولا الخسف ولا غير ذلك من موجبات الانتقام مضافاً الى كل ذلك كم كتب فيلسوف فى الالحاد و كم قال فيه شاعر محبين ذلك الى الناس باغواآت

تفوت على المتنورين فضلاً عن البسطاء حتى عمّ الألحاد ارجاء البسيط ولم يحقّ بهم من وراء الطبيعة مكروه بل عاشوا معززين و ما توا معظمين ولم تذكر اسماؤهم بعدهم الا بكل تبجيل و تجليل .

(الامر الثالث) ان الطبيعة ازلية ابدية و من طريق تفاعلها بعضاً ببعض لاعن قصدا وهدف بل صدفة و اتفاقاً انتجت هذه الكثرات المهولة في منطقة السماء من مجرات وشموس وأقمار وكواكب ونجوم ومدارات على سعة مناطقها وعجيب اوضاعها وغريب تشكيلاتها وفي منطقة الارض من بحار وارضى وجبال واودية وحيوان وانسان ونبات وجماد : هكذا تسمع من علماء الالحاد :

و الجوامع البشرية في طول سيرها مع الحياة لاقت مثقفين واجتمعت بعلماء متنورين فخففوا عنها كثير أمن ويلات هذه التهوريات الا ان حب الانسان لحياته الدنيوية ومزيد اغراقه فيها مما زهده في اقناع العلماء له واصر على استحصال دنياه من اى طريق رآه مشروعاً كان ام غير مشروع يلتقى مع وجدانه ام لا يلتقى صحيحاً كان من طريق المنطق ام باطلا ونحن للاصحاح بالحقيقة نكتب عن كل واحد من تلك الامور الثلاثة ما لا يرى المنطق محيصاً عن الاعتراف به والتسليم له :

(اما الجواب عن الامر الاول) فهو ان الانسان لا بد ان يعترف بان حياته من المستحيل ان تتدرج على مدرجة المادة الصرفة وباطنه راض عنه و اخوانه في النوع غير شاكين منه فان المشى مع المادة الصرفة معناه ان يكون الانسان من اقصى الحيوانات الضارية و اقل نظرة الى ما كان عليه الحجاج وچنكيز - من باب المثال - يعطى ذلك بوضوح اذن فمما شاة المادة الصرفة ليست معياراً لحياة الانسان و اقل دليل عليه انا نرى البدوى على شدة مزاجه وبيس طبيعته لا يقننى الحيوان الشرس لانه يلاقى منه عنثاً و شدة لا يعود يتحملها طويلا ولا يحسب المنافع العائدة منه منفعة بالمرّة لانها منفعة محفوفة ببلاء شديد وقعه ثقيل تحمله وهو بهوى اعتدال حياته مهما تمكن فالانسان العادى اذن في حاجة الى جنبتين جنبية الاخلاق والمعنويات و جنبية المعيشة والماديات وبتعادل كلتا الجنبتين يمكن ان تعادل له حياته الاعتيادية :

والمراد بجنبة الاخلاق و المعنويات هو انطواء النفس على شىء من الحياء و
الوفاء والعفاف والكفاف والصدق والرفق و الامان و الايمان و الخضوع و الخشوع
والحلم والسماح و لين العاطفة و نزاهة الضمير و العدل و الانصاف و التأثير للضعفاء و
البؤساء و ان يحسب لنفسه حساباً غير ما يحسب للحيوانات لانه يجد بالعيان هائزاً
محسوساً بينه وبينها هذا اقل ما يلزم فى الانسان العادى :

و اما الذى يربأ بنفسه و يعتد بمشاعره و لا يحسب للمادة الاحساب قوام بنيته
و حفظ حياته كما عليه المثاليون و العلماء و المعنويون و الزهاد من بنى آدم فحساب
مثل هذا الانسان لا يرتبط بالمادة اصلاً : و مثل هذه النوات يهوى ان يعيش بنو آدم
قاطبة فى راحة لا نظير لها حيث لا احتياج الى حاكم و محكمة و شرطة و سجون ووزعة
و جنود : حيث لادماء تراق و لا بلدان تخرب و لانساء تؤيم و لا اطفال يتيم : حيث لا بؤس
و لا نحس و لا شقاء و لا شكوى انسان من انسان ، حيث الناس بأسرهم علماء و متعلمون
مثاليون و معنويون اخلاقيون ، حيث لا مجال الالخير و لا منفذ الاللسعادة و لا مصير الال
الى الخلود ، فاذا جاء هذا الحساب بطل كل ما ذكر فى الامرالاول من اصله ، لكن
زافة الناس لما لم تعرف غير المادة اركسها التكالب عليها حتى من المبطن المتمول
الى هوة عميقة و لذلك وهنت كواهلها عن تحمل اثقال الحياة كما وهنت افكارها القصيرة عن ذك
ماتلاقيه و تراه .

(واما الجواب عن الامر الثانى) فان جملة من الحديث الذى ينسب الى مبلغى
رسالة السماء مزور مكذوب عليهم ارتجلها الدجالون لعدة دواعى منها استيجار الساسة
لهم بائمان بالغة حتى يضعوا من الحديث ما يسكت السنة البسطاء المعتقدين بما ينسب
الى السماء : ومنها الحب و البغض و اعمال الطائفيات : ومنها الحط من كرامة الدين
و تحقيره من ناحية المنافقين و قد قام بهذه الرذائل مئات من قبيل ابى هريرة الدوسى و كعب
الاحبار و كل خرافة يقرؤها القارئ لكتب الحديث فهى من هذا المتاع : بعد اعتراف
اهل الفن به : هذا و انك تقر فى جملة طائفة من الحديث ما هو معجز فى بلاغته و ابانته عن
مقاصد عالية تحكم نفسها بنفسها انها نتاج عالم كبير و الهى خبير و حكيم بليغ و يكفيك

من ذلك ما صحت روايته عن النبي والوصى والائمة الباقين ومقارنة هذا المتاع بذاك من اقوى الادلة على اختلاق ذلك الرديف من قسم الحديث و لهذا لا تجد فى القرآن ما يحكم العقل بضلاله عن الحق وما فيه من متشابهات لا يجوز مدّ اليداليه بحكم الله الذى انزله :

فاذا كان الاسلام القريب التناول منا هذا حكم احاديثه و رواياته فحال الرواية الاسرائيلية جدمكشوف مضافاً الى ان الحديث مظنة الاختلاق لدراعى مهمة اسلفنا جملة منها : لكن هلم واقراء عن واضعى مفردات اللغة واخبار ايام الجاهلية والفقرات النثرية والمقطعات الشعرية تواجه الغرائب والاعاجيب فالدواعى الرمزية التى تهيب باصحابها الى ان يتعرضوا بالوضع والاختلاق لمثل هذه الاسور لامحالة تكون اقوى بكثير فى الدعوة الى الوضع والتزوير فى امور الدين المربوبة بالافراد ربطاً وثيقاً :

واما ان الطوفان اخذ قوم نوح وحل بالقبط والغزاعنة كل ويل وثبور فذلك مما له آثار شاخصه تعرب عنه فضلا عن اطباق المؤرخين عليه ونطق الكتب المنتمية الى السماء عنه نعم يبقى الاشكال بالنسبة الى عدم ايقاع الله بملاحظة وفسقة وعتاة هذه العصور وتأديبهم بطرف من ذلك التأديب ونحن نعتزف بذلك ونجهل وجهه : وما اكثر ما نجهل نحن جماعة البشر ما دين كنا ام مبدأين ولا يجوز فى كل وقت ان يكون الجهل بالشىء مادة انكار له :

(واما الجواب عن الامر الثالث) فهو ان اصل الادعاء بان خلقه الكون بجميع شراشره وشتات ما فيه شىء حصل عن تفاعل المادة بعضاً ببعض سميح بارد تافه للغاية لاعتراف الماديين انفسهم ان هذا الزند الذى يورى به ويبيع فى الاسواق بثمن بخس على بساطة صنعته مصنوع لعاقل قد استهدف به استفادة الناس منه فكيف اجازوا لانفسهم ان خلقه العالم ليست كذلك وانها غير مصنوعة لعاقل ولا استهدف بها شىء بل حصلت بالصدفة والاتفاق وان النتائج المتحصلة منها اتفافية ايضاً: على ان هؤلاء الجدد يجب ان يكونوا بالنسبة الى الاعتراف بالصانع العظيم اشدّ اعتناقاً له من غيرهم فان الاغيار لا يعرفون من حديث الارض والسماء الا ما تلمسه احد اقدمهم فقط والقوم بفضل معارفهم واستطلاعهم الدقيق

عن نشأة كل ناشيء في هذا الوجود كتبوا في ذلك آلاف الكتب المهمة المزينة بالآلاف الخارطات والمطالع فبالاعن الباحث يقف من ذلك على ما يحارفيه العقل ويدهش له اللب و يبهت له الفكر: و بعد هذا فإى عاقل يسبخ لعقله ان يحسب هذا كله حصل من تفاعل المادة بعضها ببعض عفواً لا قصداً وصدفة لاعن داع :

على ان الجامعة البشرية لو صدق أحرارها وتصامدوا على احقاق الحقوق ومطاردة الظلم والظلمة لما وصلت الحالة بالناس الى هذه الدرجة لكن الاكثريه الساحقة فى البشر الذين هم عكاز الاحرار عليهم يتوكثون وبهم يعتمدون ويصلون - مع تمام الاسف - ماديون لا يعرفون الاحب الجاه الكاذب وتأمين المعيشة من اى طريق حصل ولا جرم ان المادة اذا كانت هى المحرك الرئيسى لنوع افراد البشر كان من جراءها ما نراه جميعاً من حيف واجحاف وظلم وتعدى وبؤس وشقاء وارتباك فى الاحوال و تبليل فى الاوضاع لا يفترق فى ذلك قديم الانسان الذى يقال عنه انه وحشى وجديده الذى يقال فيه انه مثقف متنور فان الجميع وحشيون فى عواطفهم ووجداناتهم :

اثر الدين والاحاد فى جوامع البشر: الدين وان كان لم يؤثر فى جملة من معتنقيه من الوجهة العلمية فان العصاة والفسقة فى المتدينين منذ الاول كثيرون و ايس كل من أصر على المعاصى غير معتقد بالدين و نفس هؤلاء العصاة قد يرتكبون المعصية مع استنكارهم لما ارتكبوا وكثيراً ما ندموا وأقلعوا وكفروا عن ذنوبهم وقصدوا من اذنبوا اليه فاستحلوا منه: لكن الاحاد ليس كذلك فان الملحد لا يعرف مفهوماً للمعصية ولا يستنكر من نفسه أصغر ذنب يرتكبه ولا يندم كما لا يقلع عما ارتكب ولا يستحل من اى انسان أجرم اليه بل يعد الدنيا مجالاً للاقتراس سواء فى ذلك الهيئات الحاكمة وافراد الشعوب: وفضلاً عن مسألة تلاعب الدول اليوم بعضها ببعض القوى منها بالضعيف من دون ميز فيها اغربى على شرقى فان هذه الولايات المائلة لارجاء البسيط النانجة عن شرب المسكرات اكثر من شرب الماء القراح و تعاطى الجنسيات غير المشروعة بل و غير الجنسيات واكل المال بالباطل ازيد من اكله بالحق ناتجة عن روح الاحاد المبتوثة فى بواطن الناس ونرى ان الدول مهما كثرت مؤاخذتها للمنحرفين لا يؤثر ذلك منها

فى الوضع الاجتماعى اقل اثر فهذه المشائق تعدم والرمدى بالرصاص يلمتهم والسجون مكتضة وتبعيد الجناة والتشريد بهم غير منقطع ومع هذا و ذلك نرى الزمان مملوء بالحوادث المتنوعة حتى من الصغار فضلاً عن الكبار ومن البسطاء فضلاً عن المتولعين اذن فالدين مهما كان اثره ضعيفاً فى النفوس فانه خير من الالحاد لا الافراد فقط بل للحكومات ايضاً فانه اكبر مساعد لها على تحصين داخلياتها وراحة اعضائها و افرادها : الفصل الرابع :

رؤس الفضائل

بعد الفحص التام اثبت علماء الاخلاق ان رؤس الفضائل اربعة : الحكمة : والشجاعة : والعفة : والعدالة : والحق مع ما ارتأوه .

(١) الحكمة معناها استبطان حقائق الاشياء بالرياضة العقلية وتركيز كل شىء فى نصابه فاذا انتجت الرياضات المتواصلة هذه الصفة الثمينة فى الانسان جاء من أجلها أسوس ما يكون بالسياسة الحققة واصوب الناس علماء وعملا وأبعدهم عن الخطأ والانفرار واكثرهم نتائج ذات قيمة واوفرهم اصدقاء واقلهم اعداء و اقربهم من القلوب واشدهم ارتباطاً فى الحياة واخفهم عانقاً من انقالها واما اذا كان الانسان سفيهاً فان هذه الصفة تزرع فى طريقه الشوك وتكثر منه العثرات ولايستطيع معها أن يسوس نفسه فضلاً عن ان يسوس عائلة او امة وكان اخطأ الناس قولاً وفعلاً بعيداً عن القلوب كثير التدهور والارتباك فى الحياة :

(٢) الشجاعة معناها المغامرة فى سبيل الاعتزاز بالذات و الحثيات وباللزم المحتم يجب ان يكون صاحبها شهماً و قوراً على الهمة حراً لا يخضع لما يمس بالكرامة و الحيشية و المعتقد صبوراً على المصائب النازلة و لا تراه يوماً من الدهر متملقاً او مستكيناً او معطى يد ذلة اما الجبان فلا ذات له ولا حيشية و يستحيل عليه ان يكون شهماً ذا و قار و اتزان و علوهمة و صاحب حرية و لا تراه الاجزوعاً عند المصائب مستكيناً فى اقل الحوادث متملقاً لكل احد لا يعرف العزة بالمرة بل هو دائم

الذلة والضعف والانكسار :

(٣) العفة معناها تماسك النفس في مقابل الشهوة ولذلك يسهل على العفيف ان لا يزنى ولا يمد بعينيه الى اعراض الناس بل ولا الى اموالهم ولا ينظر الى الدنيا الا بنظرة هادئة فلا ترى فيه شرها او ضراوة او انكباباً على تحصيل الحطام او اغراقاً في متاع الدنيا وشهواتها بخلاف الوقيح فان صلافته وانهياب نفسه يؤديان به الى الشره ومزاحمة اعراض الناس وامرهم والتكالب على تحصيل الحطام والتوسل الى احراز الشهوة باى طريق امكن فلا ترى مثل هذا الا ساقطاً جلفاً :

(٤) العدالة ومعناها اعطاء الشيء حقه اللازم له من طريق المنطق ومتى تربعت هذه الروح في الانسان صيرته منصفاً حتى مع الحيوان الزهيد في الاضمار ولا تعود تنفق الالباء والامهات والعناصر والالوان والمقامات والاحترامات امام هذه الروح فهي توصل الحق لاهله كائنين من كانوا ولا تعرف في الميزان المزبور قريباً ولا بعيداً ولا نابها او خاملاً ولا رئيساً او مرؤساً ولا معتداً بنفسه او منكر لذاته: اما الظالم فلا تراه الا منحازاً للمهوى النفسى والغرض الشخصى و تراه يابه المعنوين ولو كانت كاذبة ولا يعير الحقيقة اقل نظرة و مهما كانت راهنة وهو على طول الخط مفرط او مفرط مفسد ومخرب و لو تعالى مقامه وعظم بطشه :

ولا ريب ان الانسان اذا استجمع هذه الصفات الاربعة صار أعظم مثالى في بنى آدم و كان حريماً ان يتبوء مقعد رياسة الدين و الدنيا الا انه ويا للأسف لا نرى من مصاديق الصفات المزبورة الا اعداداً يسيرة على طول خط الزمان يتمثل الجيل بعد الجيل بالواحد منهم كما يتمثل بلقمان وعلى ابن ابي طالب و الحسين بن على و اما السفهاء والجبناء والصلاف و الظلمة فهي الزافة التي ملأت عرض الدنيا و طولها بل نرى كل من ازداد سفهاً وصالفة و ظلما كبر اسما وعظم شخصاً وتحدث التاريخ عنه وعن بطولاته في هذه المراحل وليس كل من ذكر الحجاج و جنكيز و من تأسى بهما وهم مئات والوف ذكرهم ناقداً شاملاً بل نرى جملة من المؤرخين يعتزون بمقاماتهم وينظرون اليهم بنظرة اكبار و يرونهم من القادة الاول اللائقين لاحراز المقامات العالية والزعامة على

الناس وهذا هو المغرر الوحيد لادنياء الناس في الظلم والاغراق وعليه مشت السيرة لحد
اليوم : الفصل الخامس :

هل الاحاد بالمبدء من لازمه الانهيار الاخلاقي

لاشبهة ولا ريب ان العقيدة اذا استحكمت في صاحبها واندمجت في مشاعره كما
تندمج المحسوسات المكشوفة في حواسه بعنته الى القيام بهامضطر اليها ومقهوراً عليها كما نجد
ذلك بوضوح في اولياء الله والمثاليين العظام حيث نراهم يذبيون وجودهم في سبيل معتقدهم
ويرون اهمالهم لانفسهم في عرصة الماديات ضرورياً لهم لالانهم لا يدركون معنى الجمال
وموقع الجاه والمال في الحياة الدارجة فانهم بشر نظير السائرين الذين يتهافتون على
حب الدنيا لنيل تلك الغايات في المعدّات الفطرية الداعية اليها - بل - لان عقائدهم
المتركزة تلوى بهم جانباً عن ذلك الحطام الى جانب المعنويات والكمالات التي هم
بصددها دائماً :

ومن هنا نستكشف ان كثرة المعاصي و الرذائل التي نشاهدها في الجرم الغفير
مبعوثة عن ضعف في العقيدة او خلومنها بالمرّة و لذلك نتمكن ان نحكم اكثر اهل
الاديان بالضعف المبدئي وان سبيلهم في ذلك سبيل المشككين و لهذا السرّ الدفين
في اعماقهم نراهم يرتكبون المعاصي حين يرتكبونها غير متأثرين ولا متحرجين ولا متلومين
- هذا كله مالا كلام فيه -

لكن ياترى هل ان الاخلاق الفاضلة البانية للمجتمعات الصحيحة والنظم المتركزة
مقترنة بالدين وجوداً وعمداً وان غير المتدين لا يلزمه اعتناقها لانها ليست من طراز
عقائده اوانه لا تلازم بين الاخلاق الفاضلة والدين بحيث اذا لم تشعب فكرة انسان بمبدء
ديني كان من لازمه اعتناق اللاأبالية في الاخلاق - كلا - فان حياة هذا الموجود الذي
يقال له انسان غير متمسرة الآفي حكومة الخلق الفاضل حتى ان الافراطيين من الماديين
الذين يعتبرون الحياء والوفاء والصدق والرفق من ضعف النفوس وانه لافرق بين الانسان
والحيوان يستحيل عليهم ان يعيشوا مع اعمال هذه العقائد فان كل موجود حساس يهوى

ان يعيش مرفهاً ولارفاه مع الفوضوية لان التكالب على ما تهواه النفوس اذا خرج عن النظام ادّى الى التمانع والمتمانعان لا يكونان بحكم الطبيعة :

نضرب لك مثلاً اطباق المتجددين على لزوم ايجاد المساراة التامة بين عناصر الذكور والاناث في كافة المزاييا ويهدفون بهذه الكلمة الى ان تخول المرأة حرية غير محدودة في كل ما تنزع اليها رغباتها ويعدون تحديدها بنظام خاص ضرباً من القسوة والتوحش ومن الغرائز القهرية الوجود فيهم وفي كل انسان حبه لمصونية نفسه وحيثيته واحترام ذاته وأن لا تمتد الى ما يخصه ويعود له اية يد تفرض كما ان من اللوازم القهرية لارسال رغبات المرأة اصرارها البليغ على ابراز نفسها بأحسن شكل يفرض والمرء بطبيعتها ميالة الى الرجال اكثر من اختلاطها بالنساء والرجل كذلك يميل الى معاشره النساء اكثر من الرجال :

ومما لا ريب فيه ان ضراوة الذكورة والانوثة مما يزيد في اشتغالها توهج النفس بما يهيجها خصوصاً مع انكساح كل المحاذير امامه ان فلاريب في تكالب هذه الضراوات والاندفاعات النفسية تكالباً يؤدي الى جنایات غير قابلة للاحصاء فمن اباحة للنواميس بلا مشاركة وحمل غير مشروع واسقاط جنين تعمداً او طرحه بعد وضعه في احضان الشوارع والمزابل والآبار وصيرورة المرأة فاحشة ذات علم كما قد يؤدي به ذلك الى تشردها عن اهلها باغواء المغوين والى قتلها احياناً جمرة وكل هذا الذي صورناه متكاثر الوقوع في طول الزمان ومن المستحيل على الشرطة ان تقوم بقمع هذه الويلات فالزوج والاب والام والاسرة يهونون راحة انفسهم وحفظ حقوقهم وحيثياتهم و مصونية أعراضهم مع اعترافهم بالحرية التي عبرنا عنها كما فرض التجدد عليهم هذا الاعتراف : انن فهم قد جمعوا بين ارادتين متعاكستين واحبوا وجود شيئين متمانعين غير ان ما لا يهونونه حصل وما احبوه لم يحصل :

وهذا مثال واحد من آلاف الامثلة لما يعتور حياة الانسان وقد رأيت ما في خروجه عن النظام من حزازات ومحاذير يستحيل على القوى الجبارة سحقها ومحقها وبه تعرف ان الخروج عن النظام ومن حوزة الخلق الفاضل اماتة للانسان لا احياء له و خلق لحياته

لاتحرير وان الهوية التي دفع الافراطيون من الماديين بنى الانسان اليها لا مخرج منها الا بتغيير الخطة وتعويض البرنامج :

فمن هذا يعرف ان الالحاد لا اساس له بالدعوة الى انهيار الاخلاق بل الوضع الحيوى الطبيعى للمتدينين والملاحدة جميعاً قاض بلزوم وجود الاخلاق الفاضلة فى طباق البشر حتى تيسر الحياة للافراد : وما نراه فى كل فترة من فترات هذه العصور من بروز دعوة جديدة بداعى التحرر وهو بالعيان من نتائج الاسترزال انما هو انهيار جنونى لابقاء معه قطعاً : الفصل السادس :

حب النوع

حب النوع ينشأ عن الاعتقاد بان للانسانية حقوقاً ووظائف فى عواقب الافراد وتلك الحقوق والوظائف هى :

(١) ان الفرد ومهما فكر فى نفسه انه يستطيع الحياة منفرداً و منعزلاً فانه عاجز عن تحقيق هذا الفكر عملاً فان العزلة وان كانت تقطع الارتباطات التجاملية من استقبال قادم ومشايعة مسافر وتشجيع جنازة وعبادة مريض ومواساة فى الافراح والاحزان الا انها عاجزة عن قطع الرابطة الحيوية اللهم الا ان يعيش الانسان عيشة احقر حيوان طعامه فئات النبات وشرا به ما تيسر من الماء ومكنته الكهوف والغارات: وهذا اللون من المعيشة لم يعهد لبنى الانسان الا فى العصر الحجري وذلك لارضاً بهذا الوضع البائس بل خضوعاً للعوز القاهر وهذه الضرورات المرهقة هى التى الجأت الافراد الى التعاون الاجتماعى حتى تيسر الحياة للفرد باستعانتة ومعاونته للاغيار فان التحصيل حتى على المواد الحيوية الاولية يستحيل تحققة الا بالتعاون الاجتماعى فهذا اول حق للانسانية يجب الاعتقاد به والاذعان له :

(٢) نفس الارتباطات التجاملية التى اوعزنا اليها مما تخفف الولايات عن الانسان وتعينه على قطع مشاق الحياة فان السفر والمرض والختان و الاقتران و الموت وما الى ذلك من الاحتفافات المسايرة للفرد على طول حياته وهو فى حاجة ماسة الى التجمع حوله

والتعاون عليه اما تحقيقاً لاصل موضوعه او ترفيهاً عن خاطر المبتلى به : ومن هنا يدرك العقلاء بما هم عقلاء لزوم احترام بعضهم لبعض في استقبال قادميهم ومشايعة مسافريهم وعبادة مرضاهم وتشجيع جنائزهم و الاحتفال بختاناتهم و اقتراناتهم ومجالس تعازيهم وهذه المجاملات وان كانت في مرتبة ثانية للحاجات الاولى في الحياة الا انها من الوشائج القوية التي تعين الافراد على قطع شقوق الدهر وبدونها يقع الفرد في مأزق محرجة ولا تراها بدونها الامثقل الكاهل جريح العاطفة :

(٣) الالتزام بالفضائل العالية الاخلاقية و التجنب عن الرذائل فان العدل و الانصاف و المواساة و الصدق و الرفق و الامان و الاحسان و الحياء و الوفاء مما تقوى جنبه الربط و تحكّم عرى التجمع بنتائجها الطبيعية لادراك كل انسان ولو كان لا يقرل بمبدأ ديني حسن ذلك في نفسه و بالعكس يكون الظلم و الاعتساف و التجبر و التكبر و الكذب و النفاق و الخشونة و الخيانة و الصلابة و العدر و الختل مدعاة الى تفكك الاواصر و سوء ظن الفرد بالآخر و انهيها المجتمع و كل انسان يدرك سوء ذلك من نفسه بالقرينة الطبيعية .

(٤) لزوم الاعتراف بالدين الصحيح القائم على حفظ الحدود و الحقوق فان الشرائع الصحيحة لم تقم الا على المبادئ الانسانية الكاملة و تلك المبادئ هي الالتزام بالفضائل و التجنب عن الرذائل و قضية الدين معناها ايجاد رابطة مشتبكة العرى و الحلقات يعدّ الخارج عنها منبوذاً عن الاجتماع فلا يزوج اذا خطب ولا يستقبل اذا قدم ولا يشايح اذا سافر ولا يعاد اذا مرض ولا تشيّع جنازته اذا مات تنكيلا به و تأديباً للاخرين : ومن هنا يعرف السر من حكم الشرائع الصحيحة بنجاسة الكافر و الابتعاد عن الفاسق و حرمة الدنو من الظلمة كما ان تالشي هذه الروح بين الافراد هو الذي اهاب بالجوامع - على اغراقها في التمدن الآلى و توسعها في الكماليات - ان تقطع الحياة بائسة شقية وان يكثر فيها المنتحرون و الحمقى و الممتوهون و الظلم و الظلمة و الاجحاف و الاعتساف :

و انك لترى العجيب في دائرة هذه التمدنات المتعالية في نظراهم فيها وبينما تراها تشيد المستشفيات المهمة و دور الايتام المجهزة و تعتمد بالرياض الزاهرة لرفاه الناس

وترويحهم تراها فى مقابل ذلك تقذف بنار جهنم على من رام منها احقاق حق وابطال باطل فترى الناس حتى البعيدين عن هذا المرام صرعى فى الشوارع والبيادين العامة لالمبرر يعقل : ومن الغرائب اننا نرى التمدن الحاضر بعد الاسائة الى الكلب والهرّة من بوادر القسوة والتوحش لكنه لا يرى مانعاً من اندلاع الصواريخ بنيرانها الحمر وانفجار القنابل الذرية المبيدة للنوع والمهلكة حتى للحشرة العمياء فى اطباق الارض لاقبل شهوة جنونية تنعكس فيه : غير ان هذا وما هو اعظم منه ليس بشيء مع عدم الايمان بالمبدأ الصحيح بل ذلك كله واضعاف فوقه من نتائج التحرر المقيت والتفتت على كل شيء :

ولافرق حقيقة بين طرفى الحياة فى العصر الحجرى والآخر الذرى فان النتائج العملية من الطرفين فى التوحش والانهيار واحدة : الفصل السابع :

عوامل التفرقة والانشعاع

كما ان تكثر المهن و تعدد الحرف من اللوازم الطبيعية للبشر حتى تعادل لهم الحياة الاجتماعية وتأمين مرافق المعيشة كذلك تعدد الآراء و تكثر الانواق من النتائج الطبيعية لهم و ان كانت مبادئها و دواعيها ليست بطبيعية بل ناتجة عن سوء ترتيب المقدمات او الجهل بالمبادئ ذات الانتاج لكن بين المقاس والمقاس عليه فروقاً جمة فان تعدد المهن و تكثر الحرف يكون احد الافراد عطاراً والآخربقالا و الثالث بزازاً و الرابع حنطاً و هلم جراً لا يوجد فى النفوس حزازة ولا فى القلوب انحرافاً فلا ترى البزاز ماقناً للخباز و لا الحنط نايباً عن الخراز بل لا ترى البعض بالنسبة الى البعض الا فى حالة اعتيادية :

بخلاف ما نراه فى تشمت العقائد و الآراء فاننا نجد الجميع متباعضين متعادين على اساس ان هذا يرى افعال العباد مخلوقة لهم وذاك يراها مخلوقة لله بوسيلتهم-مثلا- فانك لا تجد الاشاعرة والمعتزلة الا كما تجد وترى عسكريين مسلحين متقابلين بهم احدهما بالاخر ليقتضى على حياته وروحه ولا جهل حقاً اعظم من هذا الجهل : وما مثلنا به مثال

في عرض آلاف الامثلة وكل نتائجها عين ما أشعرنا به :

ومن الطريف انك ترى عشرات الفرق المتباغضة مما يجمعها هدف واحد قريب كالاسلام والمسيحية واليهودية مثلاً فكم ترى اذن من الفروق الواسعة بين الفرق في عالم التوحيد والالحاد وغيرهما من العناصر المبدأية في بنى آدم : لكن الانسان اذا جمع اليه فكره مرة واحدة من زمانه العريض الطويل و عابن ما هو فيه و ما اخوته في النوع عليه و ناشد نفسه عن بواعث هذا الانشعاع - اولاً - و عن داعى هذه الغضاضات - ثانياً - عرف انه مخطئاً منحرف ضال فان دعوة اى نبى يفرض محدودة النواحي من اول بعثته الى آخر دقيقة من حياته و ليس التابع له مكلفاً باكثر منها فعلا نراه بعد موت نبيه يمطط اطراف هذه النبوة بما يخلق منها عشرات المذاهب الرئيسية : فعل ذلك على انه راي و ذوق و نوع تفسير لغوا مض الشريعة : لكن لم يحسب نفسه هو الناجي و قبيله هو الهالك و ينحاز هو في جانب و قبيله في جانب : وليته اقتصر على هذا فلم يفت باباحة دم قبيله كما نراه اليوم علناً بين الوهابيين و غيرهم من المسلمين : و كما رأته المسيحية بين فريقها - الى غير ذلك : أفترى ذلك مبعوثاً عن دافع العقيدة المتركة - قطعاً لا - بل اكثره مبعوث عن حب الانحياز الى جانب لتحصيل مقام و جاه و رياسة و ثروة و اتساع في امور الدنيا : و لا تسئل عن تأثيره في تمزيق الجوامع و نشوب الحوادث و ارتباك الامور و نظرة عابرة فيما حدث من طريق البروتستانتية و الكاثوليكية و الحروب الصليبية و بين السنة و الشيعة و الوهابية وغيرها من فرق المسلمين تعطيك نتائج سيئة لا يأتى عليها حساب و لا تقوم لها العواطف المتحجرة :

هذا عامل واحد من عوامل الانشعاع في جامعة البشر :

(العامل الثانى الفقر) وحدة الاجتماع البشرى كوحدة الاعضاء المتعددة في الانسان الواحد فكما ان كل عضو في الانسان ذو امتياز خاص و فعالية خاصة و كم وكيف مخصوصين و لا يمنعه ذلك ان يعمل مع عضو غيره و يعينه على القيام بمهمة البدن اجمع و يستعين به كذلك كل فرد في الجامعة على انه ذو امتياز خاص و فعالية خاصة يجب ان يكون معيناً للغير و مستعيناً به حتى يحصل من ذلك القيام بمهمة الاجتماع

الواحد : والعامل الذى يقضى على الفقر يتصور فى عدة امور .

- (١) تهيئة المصانع و المعامل التوليدية سواء أكان من طريق الحكومات ام المقندين حتى يتهيأ لفاقدى البضاعة مجال العمل باليد او اعمال الصنعة من واجديها و المتخلف عن ذلك مع قدرته عليه يجب ان يعاقب :
- (٢) اىصال الحقوق الشرعية لمستحقيها .

- (٣) مواساة المقندين للمعوزين اولى الاعذار خارجاً عن ما سلف من الامرين السالفين وبسوى ذلك لا يقضى على الفقراًصلاً الا من طريق الاعنات و غصب حقوق اهل الحق كما عليه المرام الشيوعى الهدام :

واما اذا تحيز المقننر بقدرته والثرى بشروته ودعاه الخوف مما يراه من سيماء الفقراء المدقعين الى الحرص على ما عنده من ناحية و التكالب على تحصيل المال ولو بالشحن والسرقه من ناحية ثانية فهناك كل الويل والثبور على بنى آدم غنيهم وفقيرهم واجدهم وفاقدهم بل لا ترى الدنيا مع هذه الروح الا كالحة المنظر عابسة الطلعة قد اخذها البؤس والشقاء من جميع جوانبها كما يرى ذلك فى البلدان الشرقية المنحطة لما انجرحت اثرهاؤها بمالهم حتى عن بطونهم وجزع فقراؤها اكثر من اللازم فلا ترى فيها الاظلمة غامرة وشقاء وبؤساً مخيمين بما يقبض الصدور يحز بالعاطفة انصافاً كما ترى الافراد مع هذه الحالة متعددين متباغضين الفقير يشناً الغنى لتمرده على الانسانية ونبوءه عن الخلق الفاضل والغنى يبغض الفقير لانه يراه فى نفسه مزاحماً لترفه وتنعمه وموجباً لانجحاره بشروته وانكماشه بماله :

(العامل الثالث الجهل) الجهل وان كان من الاصول الاولية للبشر الا انه بنفسه كان الداعى الوحيد لانشعاع الافراد فى عصرهم المظلم فان الجاهل بمعنى النظام وبما يرام بالاخلاق الفاضلة والنازلة لا يعود بستوحش من السرقة والتعدى على روح الغير او ناموسه او حقوقه الاخرى ولا من الغدر و الختل او الصلافة والوقاحة ولا من اعمال الزور والقوة فى اى مجال يراه امامتمشييين معه و اذا تربعت هذه الروحيات فى بواطن الافراد انهم يحق الاجتماع وتشتت الافراد وهام كل بنفسه يطلب لها القرار والبقاء :

و كما ان الجهل مدعاة للتشتت من ناحية الاخلاق و برامج النظام مدعاة له ايضاً من ناحية فقد ما يستثمر به العيش فان انتاج الوسائل الحيوية والكمالية مرتين بالعلم طبعاً فاذا عدت الوسائل المزبورة مشى كل انسان في طلب مظان العيش في طول الارض وعرضها علماً يجد في انتاجات الطبيعة ما يسد عوزه العلم الذي ينفع كسبه فصيلتان درس الاخلاق الفاضلة وتشبع الارواح بها حتى يتيسر النظام الكافل لحياة الانسان وراحته واحترام حقوقه وتعلم ما يوجب الرفاه والكمال في الحياة المادية كالتعرف بالصنائع والمهن القائمة على استخدام الطبيعة والاستثمار منها وما سوى ذلك من علم يفرض ان لم يضر بجنبه الاخلاق الصحيحة لا يكون تعلمه الا من باب التوسع فحسب :

(العامل الرابع الظلم) الظلم في كل شيء هو الانحراف عن الجادة المعتدلة والاخذ بواحد من طرفي الافراط والتفريط فكما ان الارهاق والاعنات موجبان لاستيحاء الطرف وفراره بنفسه وبماله وبعرضه وناموسه وبحقه وبما يمت اليه ان استطاع الفرار: كذلك اهمال الوظيفة اللازمة موجب للفرار المزبور عيناً حتى يلون صاحب الحق بمن يحميه ويحمى حقه ويقطع يدا المعتدين عنه وليس الظلم الموجب للتفرق والتشتت مقصوداً على القوى المتنفة وان كان هؤلاء من أظهر مواقع الانحراف والانهيار بل ظلم رئيس العشيرة وكبير العائلة يكون على النمط المزبور: بل اعنات الانسان بنفسه او تراخيه في حقها موجبان لانهياره قطعاً :

فهذه العوامل الاربعة معاولهدامة للاجتماعات كلها صغيرها كنفس الانسان ودائرة بيته وكبيرها كالقوى المسيطرة صغيرة كانت ام كبيرة ومن المستبعد بل المستحيل عادة القضاء عليها تماماً بل المنظور من سوق البحث حذف جملة من زوائد ما وكسر شئ من حدتها وشدتها : الفصل الثامن :

ثورة الأبحاث في ربوع الشرق

تمر على ربوع الشرق قرابة اربعة عشرين عاماً كان الاسلام وبعبارة أمثل كان الخلق الانساني

خلالها حاكماً عليها بمعنى ان الامم والقوى الحاكمة عليها كانت خاضعة لبرامج الشرائع السماوية و كان الاعتقاد بالله و باحكامه و المعاد عليه و الحساب بين يديه ضاراً باطنابه بحالة اعتيادية لا يفسر فيها ولا الجاء فكان من جراء ذلك طبعاً قلة فى الفحشاء والفواحش وندرة فى التهلكة والخلاعة ونزارة فى الانحراف العلمى والعملى وكثرة فى الاعتزاز بالحيثيات و النواميس واعتداد بالخلق الفاضل وسيطرة للمبادئ الصحيحة :

لكن العلوم الطبيعية التى من لازمها القهرى تحسين الوضع المعيشى وتكميل أدوات الحياة المادية عادت وبالاعلى الانسان و عاراً على الانسانى وارجافاً بالحياة المادية: وعلى انه لاتماس بواضح الضرورة بين الاستطلاع والاطلاع على مجموعة النظم الحيوية وكوامن الطبيعة و اسرارها و بين الاعتراف بصانع للكون حتى تلجأ المقاييس العلمية كافة الناس الى الالهاد: بل الملائمات العلمية قاضية بلزوم اشتداد عقيدة التوحيد والاعتراف بالصانع لما يجده قارئ العلوم الرياضية والطبيعية بخاصة فى تحليل الانسان والحيوان والنبات من عظمت مدهشة فى مجموعة الاجهزة المتجاوزة عشرات بل مئات الجهيزات الجبارة العمل فكيف يستسيغ الاعتراف بان الميكانيكيات على اطلاقها حادثة عن صانعين علماء قد كدوا عقولهم وجدوا فى تركيب هذه الادوات لغايات عالية و أهداف راقية : اما هذه المجموعة الكونية التى كل زاوية من زواياها جهاز عظيم فهى كائنة لاجل صانع عالم خبير دقيق ولم يستهدف بها هدف ولا رمى منها الى غاية بل كانت عن جزاف محض وصدفة صرفة : نجد الدنيا يوماً بعد يوم لموقع انتاجات العاوم المزبورة منها تزداد مروفاً عن الدين وقرباً من الالهاد :

دع عنك العقائد واية كانت ولكن هلم الخطب فى الارتكاس الاخلاقى و الانهيار الحيوى فانك ترى اعظم الرجال شحاذاً واكبرهم دجالاً واعرفهم محتالاً وانقهم مدلساً متلوناً لاتلوى على احد ركوناً اليه الاغشك ولا تعطى الثقة من نفسك لاي انسان الاضرك ولا تأتمن اى شخص الا خانك: ناموسك الذى دأبت عليه طوال السنين اذا به من طريق المدرسة او السينما او الملهى ليس لك من ناحية و يعود عاراً وسبباً عليك من ناحية ثانية : وما لك الذى حدثت عليه بالكد والتعب اذا بدى ينتهب من بين يديك بحجة التعاون

العمومى وليته يصل الى هذا الهدف بل ينصب في المصارف بنفع آحاد الافراد نتيجة :
عجباً يقيم العاقل و يقعده عند ما يتسائل مع نفسه ويقول ان كان هذا الانشعاع
العمومى ناتجاً في كل صقع عن فرد فيها فذلك غير معقول اذا كان الباقون غير راضين به
وان كان ناتجاً عن كثرات مهمة استطاعت بحول القوى المدمرة ان تسيطر على الناس
راضين كانوا ام غاضبين فهو وان كان له وجه الا ان عقلاء هاته الجوامع و محنكى هذه
الكثرات المترامية كيف سكتوا على مضمض أفترى انهم رضوا بهذا التفكك و التفسخ
فذلك بعيد جداً البعد من تركز عقولهم فيهم وتأثيرها عليهم ام انهم استسلموا الى ما لا بد من
الاستسلام له فذلك لعمر الحق اقتل لعواطفهم من الموت المريح .

ليتنى ادري و هيهات بما هو المقصود من الثقافة الزمنية وعلام تدور رحى
معارف اليوم وما يستهدفه البروفسور والدكتور في بحوثهم و محاضراتهم أتري الجسيم
يقودون هذه الحركة المتفسخة من طريق هذه الثقافات . لا يعقل . فان التهمك والخلاعة
والانحراف الاخلاقي لا يحتاج الى علم و معلم بل باستطاعة كل انسان ذلك من نفسه لتركزه
في السفلة والطرقية فضلا عن المحصلين و المتقنين : ام تراهم مسوقين اليها بسائق الوقت
مع نبوءهم عنها روحاً - فذلك كسابقه . فان الآلام الروحية لا يطاق القرار عليها فكيف
مع ما يزعجون لانفسهم من قوة في الحس و لطف في الدرك و تأثر في العواطف اصاخو لذلك :
بم نعتذر اليوم في مقابل مغامرة اسلافنا أمس وان يكن في البين مخطأ فمن هو ذلك
المخطأ رجل أمس ام رجل اليوم وليت ان الدين اذ قضى نجبه في عصر الذرة سدت الاخلاق
الفاضلة و المبادئ الصحيحة مكانه الذي كان يشغله فنقول و نحن في عيشة رغيدة و اوضاع
معتدلة و احوال مستقيمة يكفيننا ما نحن فيه اما الدين فله رب يحميه و لسنا مكلفين في
تركيزه باكثر من التبليغ فاذا لم ينجح فما حيلتنا : اما حيث أخرجتنا الحياة فقطعنا اللبالي
مسيبين مضطهدين لا عيش و لا قرار فما نقول ان كان الدين له رب يحميه فمن الذي يحمينا
نحن و اذا اعوز الحامي لنا فهل نتعاس حتى عن حماية انفسنا :

ألا يتدبرون القول ام على القلوب افعالها ان انساناً واحداً وجد ضميراً و عقلاً
و تصميماً و أعوز حتى من الدرهم الواحد و الانصار القلائل و المحيط المنقذ استطاع

بصوده لمناصرة الحقيقة أن يؤسس عقيدة معززة ويغرسها في قلوب الملايين ولم يتوسل
لكل ذلك بسوى الوسائل الظاهرية الصرفة للانسان الحر الصارم ذلك الانسان هو محمد بن
عبدالله نبي الدعوة الاسلامية التي فازت على نوع العقائد الدارجة وهيمنت على الوافر من
بقاع المعمور يومذاك واوجدت دولا جبارة في العلوم و الافكار والحريات :

وتلاه انسان مغامر في سبيل الحقيقة تخرج عليه فبرهن بعمله المتواصل ومثاليته
الغراء لكافة بنى آدم على ان الانسان يستطيع بثقافته وحرية ومغامرته ان يبني للانسانية
معالم تبقى شاخسة ما بقى الدهر: ذلك على بن ابي طالب موضوع حديث المتحدثين ومحور
كتابة الكاتبين :

وعززهما ثالث فأبدى امام الانبياء الخلقى والميوعة في الحياة والانحراف عن
العقيدة الصادقة بطولة وشهامة دك بهما عروش الباطل حتى انهار على سفوحه ذلك
هو ابو الاحرار الحسين بن على : اذن : ألم بأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر
الله : الفصل التاسع :

رجال الحقيقة

كل احد من الناس - الامن شد - يهوى أن ينوش عظمة يعجل و يبجل
من طريقها غايته ان طرق التفكير في الوصول الى الهدف المزبور تختلف كمية وكيفية
لاختلاف طرز التفكير في ذلك كاختلاف معدات اصل الفكرة وللجميع قواعد ثابتة تنبعث
عنها هذه الاهداف .

(١) التربية ووجهتها في الحياة فان من يتربى في محيط تغلب عليه اللوصية
لا يكون همه اذا كان نشيطاً الا في اتقان درس التلصص على اهله نقلا و تجربة حتى
يجيء بنفسه بعد بضع سنوات قائد حملة وزعيم لصوص طائراً ذكره معروفاً أمره مهاباً
وقعه مخوفاً شراً : و هكذا من يعيش في بيئة ظاهرتها الاولي الغناء والرقص او
الرياضة والمصارعة او النطق و الكتابة او العلم و الفضيلة او التهجد والعبادة الى غير
ذلك : ونوع مشاهير الدنيا في كل فضيلة و رذيلة و علم و عمل و فن و صنعة انما كسبوا

شهرتهم من التدرج بأنفسهم على الظاهرة السائدة في محيطهم الذى منه نهضوا وعليه درجوا والبيئة التى فيها عاشوا :

(٢) النشاط وحس التطلع الى نابه الامور فان من ينخزل بنفسه ويأوى بهالى الجمود والانزواء ويكتفى من وجوده بصرف تأمين حياته ولومن طريق افاضات الطبيعة الصرفة يستحيل عليه ان ينبه حتى فى عين اللصيق به محشراً ومعشراً .

(٣) الجرعة والشجاعة فان الجبان الذى يأخذ الوسواس من اقل واهمة تعرض لنفسه لا يكون شيئاً فى الدنيا بالمره :

(٤) تصرف الفكر فان الجامد فى تفكيره البعيد عن التجول فى عقلياته لا يكون الا كالحجارة حيث لا تتغير الا بتعاريف الطبيعة فقط :

هذه الاصول الاولية شرط أساسى فى كل من يروم اسماً و عنواناً ومعروفية بلا تفاوت فى كم ذلك وكيفه نعم مجارى التفكير تختلف فى عنوان هذا الهدف اختلافاً واسعاً جداً كالاختلاف الواسع بين زعيم اللصوص وعظيم المثاليين ومنه ما هو مضر بالحياة الفردية والاجتماعية ضرراً أيسره انهيار الحياة و تمزق اشلاء الانسانية كالفكرة التى تطفو على فسدة العالم ومخربى الدنيا ووحوش بنى آدم نظير الحجاج وچنگيز ونظائرهما الذين لعنهم جميع اهل الارض وعمّار السموات : وما هو نافع فى الحياة نفعاً اقله تأمين الرفاه وسيادة الامن وهدوء الوضع و تمشى الانسانية المطلقة فى كل مجال كالفكرة التى تسود على الانبياء والمثاليين العظام :

وهناك امر يجب التنبيه عليه وهوان الانسان اذا كان مبعوثاً عن هدف مادي ولو كان هدفه شريفاً كان طالب عظمة وراصد سمعة ومستهدف عنوان من اول تحركه لهذا المقصد : وان كان مدعواً من طريق وجدانه ومدفوعاً بدافع ايمانه استحاله عليه ان يكون هدفه من سيره تحصيل العظمة وغرضه من حركته تأمين جاه و عنوان نعم تكون هاته العظمت من اللوازم القهرية الترتب على شخصه :

فاذا تمهدت هذه المقدمة فلنعاين اى الفكر المطروقة لحصول العظمة أحرى بالانتخان وأولى بتوجيه الحواس اليها : وقل فكر فى الدنيا لأهل له ولو كان من السقوط والوهن

بمكان الا ان البحث في هذه الدائرة الوسيعة ليس من شغلنا فالاحرى بالبحث هو التعرض لفكر معدودة لها دخل في تنمية الحياة وخدمة الانسان :

(١) فكرة التطرق الى نيل الحكم وتحصيل النبوغ والرفعة من هذا الطريق وهذا الفكر انما يحسن اذا كان داعيه حب العنوان من طريق الخدمة النوعية بان يقف امام المفاسد والخلاعات ويطلق السبيل للمنافع والخيرات :

(٢) فكرة التوصل بالصنائع والحرف الى ان يكون الانسان مصوراً بارعاً ونقاشاً ماهراً ونجاراً دقيقاً وبناءً ضليعاً وعلى مثل ذلك وهي فكرة جيدة لان الجامعة تستثمر منها رفع مستوى الحياة المادية :

(٣) فكرة استخدام المال و الذهنيات للحصول على ثروة واسعة تتوزع في مشاريع اقتصادية متوسعة وهي فكرة ممدوحة اذا لم تكن مشوبة باحتكار وخيانه وذلك لرفعها من مستوى الحياة وتأمينها المعاش كثيرين من الناس وقيامها بمتطلبات وفيرة للبشر (٤) فكرة استخدام الطبيعة بالعلم لتوسعة العلم واستثمار المواهب الكامنة فيها لخدمة الحياة وهي فكرة ازقى من تلك الفكر لقيامها بحفظ البنية الطبيعية على اطلاقها في المجتمع البشرى :

(٥) فكرة استخدام العقل والضمير والوجدان لرياضة الارواح وتهذيب النفوس ورفع مستوى العواطف وتعديل الاخلاق وتقويم المعنويات الكافلة بسعادة الجميع سعادة مطابقة وهذه الفكرة قاعدة الحياة الثابتة والمعيشة الصحيحة والبحث عنها احرى بالتعرض من كل بحث يفرض : ذلك لان الانسان الصحيح لا يضمن وجوده ولا يريح روحه ولا يهدأ بضميره وبعبارة اخصر لا يحدد موقفه من الحياة بحيث يكون راضياً عن وضعه الا السير تحت راية العدل المطلق بحيث يستوفى جميع ماله من حق ولا يزاحمه على حقوقه اعظم انسان وروح العدالة لا توجد الا في جوانب المثاليين فقط ولا منفذ لها في السلطان بما هو حاكم مقتدر ولا في الاثرياء بما هم متمكنون ولا في المكتشفين بما هم علماء طبيعيين ولا في اهل الصنائع والحرف بما هم كذلك لكن المثالي بما هو مثالي محطة ذلك وعنه تنشأ العدالة وبه يتقوم ملاك الحياة :

المثالي يدفع بالانسان الى الانسانية ويحثه دوماً على الفضيلة وبعده ابدأ عن المادة الموداء التي هي مشار كل سوء وكل ما تحدثت عنه الدنيا ورأتا بناؤها من هرج وارتباك وارقاة دماء وتمزيق نواميس واعراض واقلاق نفوس فهو بأسره من نتائج لصوق الانسان بالمادة وبعده عن الفضيلة :

ومن هذا السريستكشف معنى عظمة الانبياء والعلماء العاملين و تسربها الى ارواح الناس لشعورهم ان هذا الفريق هو الضامن للسعادة و الطارد للظلم على ان هؤلاء لا يملكون لتثبيت عظمتهم في القلوب والابصار ما لا يرضخونه اوسلطة يعملونها حتى يهابوا من طريق ذلك :

و من هنا ترى في كل زمان و مكان و على جميع الحالات نبوغ اللاهوتيين ضارباً عظمتهم على فلك الافلاك فلا ترى انساناً بفطرته لا يعظم موسى وعيسى و محمداً و علياً و اشباههم نعم انما تحول الطائفيات بين بعض الناس وبين بعض هؤلاء الاعاظم وليس الباعث لعظمة هؤلاء العظام في قلوب الناس انهم يدعون الى الاعتقاد بما وراء الطبيعة و ان هناك جنة و ناراً بل ما هو اهم في نفوس النوع هو تلبسهم بالفضيلة عملاً و دعوتهم لها علماً :

فليس بدعاً ان يعيش النافذ بقهر قوته مبعوضاً في قلوب رعاياه و ان يحيى المتمول المحتكر ممقوتاً لبنى آدم : كما ليس بدعاً ان تشاد الذكريات الجميلة والحفلات الرائعة على اثر تولد او وفاة كل واحد من هؤلاء الاعاظم :

لكن لما كانت صلة الاراذل وما اكثرهم في طول الكرة الارضية وعرضها بالشروط اكثر كان بعدهم عن المعنويات ازيد ولاصرارهم في تركيز انفسهم و فرضها على الحياة لم تر لسيرة المثاليين في اطباقنا تطبيقاً و يرى من يهيم بالفضيلة من الناس نفسه مجهداً في هذا الطريق اذا حاول سلوكه بصدق و امانة وليست الحياة بهينة على نوع الافراد ولا التضحية بالراحة زهيدة عليهم لذلك نجد دائماً رواد الشراكر من رواد الخير و طلاب مدرسة الرذائل او فرعوناً من تلاميذ جامعة الفضائل : الفصل العاشر :

التقدمية والرجعية

التقدمية اصطلاح اتسم به القرن العشرون في مقابل ما تقدم عليه من القرون ذلك حيث خطت فيه التزويقات الظاهرية خطاها الواسعة فكانت فيه الطرق المعبدة والجسور الجميلة والسدود الضخمة و طارت فيه الطائرة ومخترت الباخرة و انسابت السيارة وصدح الراديو وتجاوب المكرفون وتموجت شاشة التلفزيون وقامت بعملها المكيفة والمروحة والمدفئة وشع الكهرباء واستنبط من تخوف الارض الماء وأبدع مشراط المشرح بعملياته وفاض الطب بتشخيصاته ومعالجاته وأشبعت العلوم بحثاً وتدقيقاً والطبيعة كشفاً وتحقيقاً الى ما سوى ذلك وهو كثير:

والرجعية شتمة يطلقها المتجدد على كل من يعترف للقديم بخلق او عاودة فالذى يلتزم بالحياة والوفاء والصدق والرفق والورع والاحتياط والعفة والنزاهة عنده كمن يلتزم بركوب الحيوان مع وجود الطائرة والقطار والسيارة بلا تفاوت:

وعلى هذا فليُنظر بدقة ما عليه دنيا اليوم من تقدمية ترفع مستوى الحياة فى الانسان وما هو منطلق من يقال لهم رجعيون فى قبال ذلك وما هو المنظور بحياة الانسان قبل كل شىء:

الانسان موجود حى ويمتاز عن سائر الاحياء من نبات و حيوان بانه ذو غرائز خاصة تلجأ بالفطرة الى ان يتطلب لنفسه الا استقلال التام عن الوقوع تحت حاكمية غيره حاكمية تعبت بوجوده و باختصاصه اللالزمة له فهو بفطرته لا يخضع للعبودية ولا لأن يستغل جهوده و اتعابه غيره من دون رضاه ولا ان يزاحمه على ناموسه وممكنه وما فى عشته من افراخ و عيال ومنتسبين و حطام كما لا يرضى أن يستخف به فى معبر او مجلس اوفى حق من حقوقه هذا ادنى ما يتطلبه الانسان وراء تأمين ضرورات حياته بما هو موجود حى يحاول استمرار البقاء:

وهذا هو الذى أهاب بالدول من قديم وحديث ان تسعى له و تخصص لكل جانب

من جوانبه هيئة خاصة للنظر في شؤنه فوزارة للفلاحة والرى واخرى للاقتصاد و للماء والكهرباء والعمران والمعارف والشؤون العامة والاشغال وللداخلية والخارجية وللعدل وما يتبعه من شرطة وسجون وما الى ذلك مما هو مرسوم كان فى القديم طرف منه وأضيف اليه فى الجديد أطراف وتشكيلات :

كما انه هو الذى أهاب بالمفكرين ان يضعوا له جامعة الملل ومنشور حقوق البشر ويخترعوا له وسائل الراحة فى شتى جنبات حياته فطائرة وباحرة وسيارة وقطار وهاتف ومذياع ومكيفة ومدفئة ومدرسة وجامعة ومستشفى وما سوى ذلك من متطلبات الحياة الكمالية وهو كثير وكثير :

لكن هذه الحواشى والفروع لاتقع من حياته الأعلى الهامش :و العمود الفقرى لها هو تأمين الاصل والاساس من حفظ استقلاله الداخلى وشؤنه الخاصة واحترام جهوده واتعابه و نيله للعدالة التامة فى اختصاصاته اللازمة له فاذا تم له هذا الاصل وثبت لحياته هذا الاساس توجهت نفسه بعد ذلك الى طلب المكيفة والمدفئة والنزهة فى الحدائق والشوارع المعبدة وما هو شبيه ذلك من كمال وزينة واما اذا لم يتم له هذا الاصل الاصيل فهو بطبيعة ارتبائه فى المواد الحيوية الاولى لا يروح يسأل عن المكيفة ولا المدفئة ولا اية زينة وكمال :

فهل رأت عينك او حدثت ان مريضاً تتناوبه الالوجاع وتمض به الآلام ويقلقه عدم الراحة ايّما اقلق يتطلب وسائل اللهو والزينة هذا ما لا يكون قطعاً بل كل رغبته النابعة من صميم فؤاده طبيب حاذق يقف على منبع آلامه وواجاءه ودواء ناجع يستأصل جذور مرضه ويؤمن له راحته واستقراره وهكذا اصول الحياة الاولى تتطلب الاستقلال والعدل وتأمين موادها الضرورية ولاتلتفت قبل تحقق هذا المطلوب الى موجبات الزينة والشهوة والفرح :

والجامعة التى تفقد الحياء والوفاء والصدق والرفق والعفة والاباء والصراحة والصفاء والورع والاحتياط والانصاف والاحسان والتحمل والتكرم وما الى ذلك تفقد المواد الاولى الضرورية لحياة اى انسان يفرض ولا يعود ينفع وجود الطائرة مع الصلافة ولا الباخرة

مع الغدر ولا السيادة مع الكذب ولا المكيفة والمدفئة مع العهر والزنا ولا الهاتف والمذياع مع الدجل وخبث الضمير ولا الشوارع المعبدة والقصور المشيدة مع التسرع وقلة الاحتياط وعدم الايمان ولا السينماء والتآثر مع الظلم والاجحاف والحقق والحسد والشتر والشرة والغش والتدليس وما الى ذلك مما هو شعار الانسان الطبيعي الذي يعتبر الحياة مجال مغالبة وفهر قوى ضعيف وهيمنة مشعون على بسيط و تحكّم متلون منافق دجال في نزيه صريح حرّ طاهر:

فالتقدمة المجسمة في عالم اليوم هي:

(١) ابتذال النواميس في الرجال والنساء بصورة لامسافة ورائها .

(٢) الغش والتدليس والدجل والشيطنة في كافة الاعمال والمعاملات وكل ما

حاول انسان اليوم بلباقته واستحضاره لشعوره ان يصون نفسه في هذه المجالات فشل و خذل :

(٣) الهيمنة الرامية الى الاستلاب والانتهاك لكل مادي ومعنوي في الضعفاء:

(٤) الجهل بسمة المعرفة والتهمتك بعنوان الثقافة والوحشية باسم التمدن والظلم

الفاحش من طريق العدل :

(٥) نسيان القيم والمعنويات والركض وراء النزوات والشهوات :

وبالنتيجة لا ترى في دنيا تقدم اليوم الاهياجاً وازعاجاً وتموجاً للشور والاشرار ومغالبة من الاقوياء للضعفاء بصورة توجب البهت والحيرة ومطاردة الحاكمين للمحكومين

بلون سمج ومناضلة جافة شديدة في كل شؤون الحياة من عموم الاحياء : و لا ترى الانسان النوديع المؤمن النزيه الحيي الوفي العفيف الابي الصريح الصفي الامضام

مظلوماً منهوكاً مغبوناً ينظر الى حياته نظراً ملؤه مظلومية ومحكومية واجهاد لاشيء سوى انه انسان طيب و مخلوق هادء يحب الخير ويمقت الشر ويهوى السلم والسلامة لنفسه

ولغيره فلم يستحصل من روحياته هذه الا الآلام المزعجة والاوراجع المقلقة وبعبارة اخص ان دنيا امثال هذا الانسان في هذا العصر التقدمي دنيا يمتاز عليها القبر بكثير في وداعة

وراحته وقراره وطمانيته و تربو عليها دنيا الوحوش بمحدودية شرورها و تعدياتها

فدنياه دنيا لاحاكم فيها ولا حكيم قد ضربها الاهمال والتسيب من كافة جوانبها ولا نجاة منها الا بالفناء الماحق :

واما الرجعية وهى هذه الشئمة التى تطلق على عقلاء المعتدلين الذين لا يعتبرون قديماً ولا جديداً وانما بهمهم تطبيق سير المجتمع على الموازين الصحيحة والمقاييس الصائبة فليس المنظور بها ان يترك الانسان استخدام الطائرة والباخرة مثلاً ويركز الى ركوب الحيوان مع تهيؤ هماله او انه يفضل سكنى الكوخ على القصر المشيد وما الى ذلك : فان هذا المعنى لا يتطرق الى خيال المجانين من بنى آدم فضلاء عن عقلائهم : بل المنظور بها انه يخالف مزاوله اللهو وتبرج النساء وخفتن وممارسة المغرى من افلام السينما و سهرات التآترات ومرادوة المواخير والحانات ولا يرى للمرأة والرجل حقاً اكثر من حقهما المشروع و يبارز الخلاعات والترسلات المائعة ويعتبر الملكية الفردية من طريقها الصحيح حقاً لا بد منه ويصر على ايقاع كل شىء فى موقعه الصحيح :

و اننا نرى اليوم كل امر بالمعروف وناه عن المنكر ينبز بالرجعية : وكل مفند لمزاوله مجالس الطرب والاستهتار يشتم بها كذلك : وكل متبرم من تبرج النساء وتبذلها يوصم بها ايضاً : وعلى هذا المنوال كل من يعنى على سخف السينما و السهرات المائعة والترسلات المقيتة و يلعن الفاحشة وما خورها والحانة ومشروبها و الشيوعية و ماتفرع عنها نراه ينبز ويوصم بالرجعية ولولا هذا وذاك لمارأت مفهوم التقدمية و الرجعية بالمرّة فان الموازين العقلية الصحيحة والمقاييس العلمية الموقرة لا تحتمل معنى للتقدمية و الرجعية اصلاً اذ الحقيقة لا قديم فيها ولا جديد والحق كما هو دائماً حق :

لكن الجدد تحصنوا بهذا النبز الجاف ليبرروا مواقع جهالاتهم وضلالاتهم بتهميهم المخدرات عن اكنانها حتى يعبثوا بشرفها وقد فعلوا ذلك وتجاوزوا حدود الاسراف ايضاً و باشاعتهم اكل فحشاء من طريق الافلام السينمائية و شاشات التلفزيون و السهرات التآثرية وما خور المومسة وحانة الخمار و ابتزاز اتعاب الناس اصبح انسان اليوم لا يعرف مفهوماً للحق وللفضيلة حتى يعمل بهما ويوصى غيره بحقهما والعجب ان القوم مع هذه المخازى يدعون التحرر و مناصرة الحرية والاحرار : الا لعن الله التقدمية و اهلها اذا كانت

بالوصف المارّ واهلها باللون الذي شخصناهم به : الفصل الحادى عشر :

اسرار نهضة سيد الشهداء وآثار شهادته

ودواعى صلح الامام الحسن وسكوت الباقيين من الائمة ضد الجور والانحراف

وقبل كل شىء يجب أن يعلم ان كل عظيم تحاك حول مشروعه و موضوعه أساطير و خرافات و اوهام وان كل خامل اذا قيل فى حقه شىء فهو دون ما هو عليه فى حال ان الحق لا هذا ولا ذاك ، اما الدفاع عن الخامل فهو مما لا يثير غيرة لانه ضعيف الهوية عند الناس يجهلونه ولا يهتمون له لكن الكلام فى نقاش ما يدور حول العظيم وعلى الاخص اذا كان من اعمدة الدين واساطين المبدأ فهناك تقوم كل قيامة و يثور كل هاء و تكثر الغوغاء بصورة مذهلة والسرف فى ذلك يعود لنا حيتين :

(الناحية الاولى) ان الذهن اذا أنس بشىء وعده من المسلمات المتأصلة وفوجىء بان ذلك لأصل له استكبر استكباراً شديداً و استنكر استنكاراً عظيماً لان تصديقه بما يفاجأ به معناه تخطأة نفسه طول حياته التى قضاها و اذا كان ما يعتقده واصل اليه بالوراثة فأضافة على ذلك يلزمه تخطأة آباءه واجداده والاجيال التى عاشوا فيها وخضوع النفس لذلك يكاد يعد من المستحيلات و انما طالت مبارزة الانبياء للعوام من هذا الطريق لا اكثر والا فهؤلاء الروحىون لم يحاولوا من هؤلاء الطغام الاتشفيةهم و تهذيبهم و سعادتهم فى الدارين (الناحية الثانية) و هى مما تختص بالاوهام التى تحاك حول الدين وذلك ان الانتساب للدين يكثر بصورة قوية فى اشباه العوام لتأمين الحياة والجاه من هذا الطريق وهؤلاء فضلا عن كونهم يساندون الخرافات تراهم يخلقونها من انفسهم ليعيشوا عليها لان تحصيل الحق بالبرهان مما يصعب عليهم اولو يعسر تفهيمه للعوام ثانياً ولا عيش معه ثالثاً لان المتنورين لا يعطون الدرهم الا بعد طول نقاش ولو كثرت الدراهم عندهم اما العوام البسطاء فانهم يعطون دراهمهم لكل وهم يساق اليهم فالمحافظة على عامية العامى من اهداف من يريد أن يعيش على ما يخرج من ايديهم : لهذه الدواعى نرى هؤلاء اذا المساوا من أحد اقل انتقاد لما عليه العوام من سنن و عادات أقاموا القيامة على هذا المنتقد بحجة انه ضال

في نفسه ويريد اضلال الناس وتخريب عقائدهم ومن هنا سلمت الخرافات من أن تمس
بقيامه او كثير الا ان يضحى الانسان بنفسه ويطوح بها وهذا من الندره بمكان :

الجيل المسلم انما كان يعرف نفسه مسلماً بالترديد حينما كان نبي الاسلام بين
ظهرانى أهله لان الهواجس النفسية ان تداولته فعندهم رجوع لا يشك فيه ولم يكن هناك
معها رأى لذى رأى او تفسير لمفسران هؤلاء لا وزن لهم مع وجود النبی نعم كل الهناث
جاعت بعد وفاته عليه السلام ان - كما يقول ابناء السنن - جاء كل من يدعى الصحبة مجتهداً
عادلاً فترى هذا يخطأ ذاك باعتبار ان كلا منهما شهد رسول الله وصحبه ولو آتت قصيرة
وذاك يعارض هذا للملاك نفسه : هذا من الوجهة الذوقية البعيدة عن الرمز في تفسير
وتحليل الامور الدينية واما في الانحيازات السياسية فقل ما شئت ولا حرج حيث جاء من
يحاول التقدم سياسياً يقول ما يشتهى ويفرض شهوته على الناس فرضاً و يركز ارادته
قهرأ ويتحيز لبعض وينشمر عن بعض آخر ويقرر بدعة ويحدث تشريعاً من جديد للعاطفة
تارة و للسياسة اخرى وان كانت القضايا الظاهرية تغلب عليها المسحة الدينية لعدة
عوامل اهمها قرب الفاصلة بين حياة النبي و زمان الشيخين فليس بالمقدور قلب الامة
رأساً على عقب بالمفاجئة حتى لو اشتبهى ولاية الامور ذلك نعم لما وصلت القضايا الى دور
بنى امية من طريق اول خليفة لهم عثمان بن عفان فوجئت الامة بقضايا جملة لم تكن تألفها
بالمره من تولية الفساق والتصرف ببيوت الاموال وايقاع المكروه بالافاضل من الصحابة
ولذلك تحركت عواطف كثيرين ادى بهم استنكارهم للمنكر الى تحطيم عرش ابن عفان
لكن المنكرات المذكورة و ان استنكرت من قبل الصالحين لكنها اصلت نفسها في
الوجود بمعنى انها لو تكررت لم يكن لمكررها اثر عميق لشبه العادة التي جرت بين
الناس وأصاب الخلافة الاسلامية من ذلك هو ان ما حتى امكن ان يدعيها معاوية بن ابي
سفيان ويورنهما من بعده ليزيد واذا وصلت الى يزيد هان الخطب في التحدث عن يزيد بن
عبد الملك والوليد وكل من كان على هذا الطراز كما ان ولاية المسلمين على عهد عثمان
لما وصلت الى الوليد بن عقبة هان عليهم ان يروا عبداً لله بن زياد والياً عليهم وهكذا كل
من كان على غراره :

هذه مقدمة : ومقدمة ثانية في موازين الامر بالمعروف والنهي عن المنكر : فنقول لاشك أن كل ما أمر به الشرع فهو حسن وان كل ما نهى عنه فهو قبيح والحسن هو المعروف والقبيح هو المنكر ووظيفة علي كل ذي مبدأ جهد المقدور الامر بالاول والنهي عن الثاني ومقدور كل مكلف تابع لمقدار تأصله وتشخصه فتكليف الطبقة الضعيفة يدور حوالى محورها آمراً وأموراً وناهياً ومنهياً وهكذا الطبقة المتوسطة والطبقة العليا كل فى حدود محيطه ومستوى مقامه ومع أمن الاضرار المعتد بها يجب تداول الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى مع عدم التأثير اشاعة للمعروف وتخفيفاً من مقام المنكر ومع الطغيان العارم وانهايار المبادئ الفاضلة يتورم التكليف حتى يصعد الى افق عال وتنجر القضايا الى مرحلة دفاعية عن الحيشيات والنواميس والحريات : فان المنكر ليس كله شراً للخمير من غير عردة ولا مزاحمة ولا ملايسة للفواحش فى اطار مواخيرها بما لا يتعدى ضرره الى الاعفاء ولا غيبة للناس من غير اثاره فتنة على ان ذلك فرض مجرد الآفى اقل مصاديقه فتسعون بالمائة ممن الفوا الفواحش يضايقون نواميس الناس وتبدر منهم حركات جافة ومزاحمات مرّة خصوصاً بالنسبة الى من يستضعفون من النساء والعلمان وقد تحقق ما اعربنا عنه بصورة قذرة فى جملة من الازمان بل من المنكر الاعنات بالناس والضغط عليهم وسلب اموالهم وتسخيرهم مجاناً فى مصالح المقتدرين والعبث بكافة حيثياتهم كما هو الشأن فى كل حكومة يتزعم حركتها وادارتها الاجلاف والمتسفلون فى الروحيات والمصابون بالعاهات الخلقية ومع فرض هذه السيطرة الجافة الجافية لابقى حياة للناس كما لم تبق للناس حياة مع كافة المتهجمين فى جميع ادوار التاريخ ودفاع الانسان فرداً وجملة عن حيثياته الموماً الى طرف منها جائز بل لازم وواجب كوجوب الهجرة عليه من بلاد الكفر الى بلاد الايمان وكوجوب الجهاد عليه مع احتمال النجاح عقلا من موقفه الذى يقف فيه وليست التقية التى تؤدى الى اذابة الوجود بجائزة قطعاً :

وهناك مقدمة ثالثة وهى انه ما هو موقف المشرعين السماويين من الواقع الراهن وما هى وظيفة الاجتماع فى مقابلهم : المشرع وان كان معناه جاعل الشريعة و منظم القوانين الاجتماعية لسعادة المجتمع ولصالحهم الواقعى الذى ربما جهلوا اكثره : كما

ان التكليف من الشريعة وان كان في أطار اختيار المكلف لالجاهه الى امتثاله الا ان المكلف فضالاً عما توقعه الخالق المشرع به من المؤاخذه على الانحراف وعصيان الوظيفة يوم الحشر والحساب موظف بالوظائف الالجابية فيما به الامن والاستقرار ووثبات الحريات وتأمين حقوق الاغيار ولذلك قرر في هذه الدنيا وظائف الحدود و التعزيرات والقصاص والديات لان في صرف الايكال الى عالم الآخرة تشويشاً للنظام فان الجاهل لا يعير الوعيد التفاناً اذا كان بعيداً عنه على فرض اعتقاده بأصله: وها نحن نرى الجهال مع محدوديتهم بالدين من ناحية و بالحكومات من ناحية ثانية اذا وجدوا مسرباً للتجاوز و التعدي تجاوزوا و تعدوا فكيف تراهم حيث تضعف عقائدهم الدينية و يأمنون من مؤاخذه القوى الحكومية :

اذن وان كانت وظيفة المرشحين ما اسلفناه الا ان نفس تسيير القانون بين الافراد ولو عقيدة يحتاج الى كدح وبذل متاعب وركوب احوال وصعوبات كما تحمل ذلك كله انبياء الله و الدعاة اليه فضلاً عن تطبيق القوانين على سيرة الافراد والتزعم على الهيئات المطبقة لذلك فالنبي والامام ليسا كقاصين يقومان بسرد القصص على المجامع فمن أحب قصصهم استمع لها و من أبأها كان موسعاً له يفعل ما يشاء و يقول ما يريد : هذا موقف المشرع من المجتمع و اما وظيفة المجتمع فهي تأييد الدعاة الى الحق لصالح انفسهم في ضمن المجتمع العام الذي يسلكهم في نظامه و يحيل من عديدهم واحداً بالهيئة الجماعية :

ومقدمة رابعة : وهي انه ما ذا فعل نبي الاسلام حين خوطب بالنبوة وهل تكليف الامام كتكليف النبي لانه خليفته الخاص باعتراف الامامية : ونحن مشياً مع الظواهر التي لمسها الوجود المحسوس من سيرة نبي الاسلام نتكلم على هذا الموضوع لاننا لندري بما جرى او يجرى و راء غيب الشهود فنقول ظهر الوجود بمحمد بن عبدالله عليه السلام داعياً الى توحيد المبدأ ونبذ الاصنام ولزوم الاعتراف بالنشأة الاخرى وما يجرى فيها للمحسن والمسيء بلا ان تكون معه قوة داعمة او مؤيد يصل صوته بصوته ومشى وحيداً في هذا الميدان و لقي على ما هو مخفور به من ناحية عمه ابي طالب من التنديد و

الاستهزاء و المقاطعة مالا يصيخ له انسان عادى واشتد عليه البلاء بعد عمه ابي طالب حتى ضاقت عليه الارض بما رحبت و استمر على هذه الحالة قرابة ثلاث عشرة سنة و بعد الهجرة الى المدينة و ان استطاع ان يشهر سيفه بافراد محدودين الا ان الغلبة لم تكن له فى عامة مجالاته بل انكسرت فى كثير من المواطن و انتصر فى مثلها فلم يشهده العيان متكئاً الا على احتمال التقدم قبل الهجرة و بعدها و على هذا المنوال المشفوع بالتصميمات العالية والعزائم الثابتة بدأ حياته التشريعية وختمها و يجب ان يكون الامام مثله و على مجراه لانه خليفته و القائم مقامه فى حفظ دعوته و بسطها و تعزيزها و اجرائها مادام احتمال الانتصار متهيئاً له سواء فى مرحلة القول يقوله كما كان النبي ﷺ قبل الهجرة او العمل يقوم به كفعل النبي بعدها :

والائمة كل فى دوره قام بوظيفته فسكت على* بعد انعقاد بيعة السقيفة لانه رأى ان مناهضته للشيخين موجبة لانهيار الاسلام قطعاً لشيوع الارتداد فى الاعراب و كثرة ضعفاء الدين فى افراد المسلمين و ابدى كل صرامته عند ما بويع بالخلافة لانه وجد مجالاً يتراوح على جنباته لنصرة الحق و ذلك الباطل و ان كثرت فى وجهه المشكلات و تكالبت عليه الحوادث و قام الحسن بادئا اثر و فاقا بيه و خضع للصلح حين وجد نفسه شبه اسير متى دفع به مشدود الكنفين الى معاوية أطاح بكل شىء منه و من اصحابه و ان لم يثمر الصلح مما وقع عليه الا فى قليل : ولم يستطع الحسين ان يحرك اقل ساكن بعد الحسن فى زمن معاوية لا احتراماً للصلح لان معاوية لم يحترمه و داسه تحت رجليه ولكنه لم يجد اى مساع للنهوض عليه لاستحكامه فى وضعه و ثبات قدرته فى محيطه و اجتماع الامور له و صفاء الجو له من عامة نواحيه :

لكنه لما هلك فقد جاء دور جديد و هو دور يزيد الذى ابنى البيعة عليه كثيرون و اظهر المتدبنون ما فى اعماق قلوبهم من الضجر و ليس الحسين باقل من عبد الله بن الزبير شهامة فى امتناعه على يزيد مع العلم بان عبد الله لا دين له و الحسين نودين قويم و مع العلم ايضاً بان ابن الزبير لا موقع له فى النفوس و الحسين له كل الوقوع و مع العلم ايضاً بان الناس فعلاً فى تحول جديد و ان جهلت ما هيئته فهذا هو سبب امتناع الحسين عن

البيعة و هو اول قدم رفعها فى هذا المجال و اما سبب مسيره الى العراق فاقبال الناس عليه وعلمه جزمًا ان الناس اذا حصلت لهم اقل فرجة رفضوا آل ابى سفيان بالمرّة و توجهوا اليه من دون مؤنة يتكلف لها ومع كل احتمالات الفشل فاحتمال النصر موجود: واما الحديث عن بقية الاثمة فواضح جداً لان الاوضاع السائدة كانت محتكرة لهم ومع خضوعهم لسياسة الوقت فقد كان الرصد عليهم آخذاً منهم بكل مخنق وقد عاش اكثرهم مكبوتاً حتى لا يستطيع ان يجتمع باثنين ويفيض عليهم شيئاً من معلوماته والفرجة التى حصلت بين دولة الامويين والعباسيين كانت لبنى العباس والدعاة اليهم كما هو واضح من ثنايا التاريخ :

وكان احد من اعرف من المحصلين فى حوزة قم الف كتاباً فى النهضة الحسينية (١) وبعد طبعه ناولنى نسخة منه للاطلاع على مضامينه و انتقاد نقاط الضعف فيه فكتبت على عناوينه المحررة ما تقرؤه من الانتقادات ومن خلال ذلك تقف على جملة من النكات العلمية المربوطة بنهضة الامام عليه السلام :

قال ذلك المؤلف (٢) باعتبار ان شخصية الحسين بن على على اثر شهادته بالصورة التى وقعت عليها اصبحت شخصية عالمية عرفها الناس من طريق قيامه المعروف لذلك نحن نبحث عما هو مربوط بقيامه فى شعاع اوسع من ميدان التشيع وتتكلم عن الموضوع بما هو مجرى من مجارى الطبيعة:

فعلقنا عليه ان نوابغ العالم ومشاهيره لا يجوز نظمهم فى سلك واحد والمجارى الطبيعية لا تنطبق الاعلى بعض دون بعض فمثلا لا يشك انسان فى نبوغ محمد بن عبد الله الذى سخر الاجيال المعاصرة له والمتأخرة عنه و حتى الملاحدة تعترف بهذا النبوغ له لكن كم من فرق بين عقيدة الفرد المسلم بنبوغه وعقيدة الانسان الملاحد فان الملاحد يرى ان القرآن من تأليفه والمسلم يراه كذا باسم او بالابد له فيه والملاحد يرى وقعة بدر حرباً عادية ولا يرى لما وراء الطبيعة اية دخالة فيها والمتعبد بدين الاسلام يعتقد بان الملائكة لها شركة فى هذه الحرب وفس على ذلك كافة الافتراضات التى اقترنت بحياة هذا الزعيم العظيم اذن

فايقاع المقايسة بين نبي الاسلام ونابليون بونا برت من الغلط المقتضح ونظير هذا القول يقال في الحسين بن علي فان الشيعي يرا داما ما مقترض الطاعة منصوص الامامة وغير الشيعي يراه انقلابيا من طراز ابي مسلم الخراساني وبين العقيدتين بون شاسع والتعبد في الامور الدينية امر لازم في حال انه لا يرتبط بالامور الطبيعية اى ارتباط فالكاتب عن نهضة الامام اذا كان من الشيعة يجب ان يراعى في مسير كتابته ما يلزمه به تشيعة وان تحدث عن المجرى الطبيعي بمقدار ما تسمح له عقيدته لاكثر:

قال (١) وانما كتبت على طراز المجارى الطبيعية ليقع حديثي موقع القبول من كل احد وحتى لو لم يكن شيعياً او مسلماً :

فعلقنا عليه بانه لا يشترط في اى دين يفرض عقيدة الفرد الخارج عنه بتعدياته لان التعبد في اطار الدين من خصائص الدين نعم اثبات اصل الدين وكيانه بالمنطق الذى يقبله كل عاقل باعتبار عقله امر لا بد منه لكل من يريد تثبيت ركيزة اساسية ودين متأصل وتثبيت اصل الديانة الاسلامية بالمنطق امر مقدور لعلماء الاسلام اما اثبات ماجاء في هذا الدين من قول لاصالة الابقاثة الكتاب بالمنطق الذى يقبله العقلاء بما هم عقلاء وأمر غير مقدور وانما قبله المسلمون بالتعبد لان التعبد فى اطار الدين كما اسلفنا من خصائص الدين :

قال (٢) نحن نعتبر كتابنا هذا فى بحثه عن قيام الامام كفرضية تاريخية نعرضها على بنى الانسان مسلمين كانوا ام غير مسلمين :

فعلقنا عليه بانك وانت فرد شيعي يجب عليك بان تنظر الى العقيدة المذهبية نظرة أصالية لانك تعتبر الحسين بن علي اماماً منصوص الخلافة معصوماً من الخطأ والزلل لا أنه نائر كآحاد الشائرين المعروفين نظير لومومبا بطـل الكونغو او عبد القادر الجزائري :

قال (٣) منذ ازمان بعيدة كنت اسمع من كثيرين ان الحسين عليه السلام كان من حين حركته من المدينة قاصداً لآن يراق دمه وتؤسرح ريمه فيقشع ربدنى لسماع هذا القول اذلا

اعقل معنى لهذا القصد من الامام :

فعلقنا عليه ان هذه الكلمة اذا كانت نتيجة سلسلة مقدمات مطوية لم تكن محلا للاستغراب و لكن من اللازم التبصر في المقدمات المنتجة فعاها تكون هي الباطلة كما قد تكون صحيحة و لكن جاء التعبير عن النتيجة تعبيراً فاسداً وسيوضح المقام بعد حين قال (١) تحت عنوان معرفة الاجتماع و روحيات اهل الكوفة ما خلاصته ان الامام من طريق فن معرفة الاجتماع و فحضر لروحيات اهل الكوفة حصل عنده اطمئنان تام بالانتصار:

فعلقنا عليه بقولنا يجب ان يتوجه المؤلف وغيره الى ان الفرد و الجامعة ليس لهما قاعدة كلية يوزنان بها بل حالات الفرد كحالات الاجتماع في الحياة لها تارات و تقلبات لا يستطاع فهمها على ضوء المنطق و لا تفسر الا بتحريك العواطف لاعن داع معقول فكم شوهد انسان أعطى سائلا سئله عن رحابة صدر من دون سابقة معرفة او أية صلة اخرى وهو بنفسه من جميع الحثيات سئله آخر مثل الاول فطرده و لو سألناه لم اعطيت الاول عن رحابة صدر و طردت الثاني لانحصر جوابه باننى هشتت للاول ولم تتحرك عاطفتي للثاني مع جهلى بسبب كلتا الحالتين منى : وكم شهد العيان تمخضاً عنيفاً حصل لامة فحوّرت جيلا برأسه وكم شهدها هي بنفسها هاضت هيضة عارمة و بردت لاقل حادثة و وجهت بها : و قد صف يزيد بن المهلب جيشاً عرمرماً امام مسلمة بن عبد الملك قرب واسط فأحرق مسلمة الجسر حتى ينقطع العبور ففر جميع انصار يزيد المهلبى من دون ان تقوم حرب حتى قال لهم و يحكم اتمن باب دخن له فطارولم يبق فى الميدان سواء و سوى اخوته : و هذا جيش التوابين منع نصرته عن مسلم بن عقيل و عن الحسين بن على و بعدما انتهت هذه الحوادث خرجوا فقتلوا عن بكرة ابيهم لاعن طائل : فهذه القضايا و آلاف من نظيرها لاتعلل بما يعقل و دوافعها مرة تكون عرامة النفس و اخرى خمودها مع الجهل التام بمنشأ العرامة و النخم و دان فلانقلابيون يكفيهم احتمال النجاح و الحسين لم يعد هذا الاحتمال لعلمه القاطع ان الناس لا يوازنون بينه و بين يزيد و هذا دور جد يدطرأ على

الناس فلعلهم يتوقفون لما يريدون مضافاً الى ان الاندفاع الديني اقوى من كل اندفاع لاحتفائه بدواعي مهمة لهاوزنها في نظر الانسان المؤمن فكيف والثائر امام له رابطته الوثيقة بالله واما حديث الناس في حالتى المدح و القدح فهو مالاقيمة له بالمرّة فأننا نراهم يهتفون باسم المنتصر و لو كان اخف الناس وزناً و يهزؤون بالمنكسر و لو كان اعظم قدّيس :

قال (١) ناقلاً عن تاريخ ابن اعثم الكوفي ان الامام قبل خروجه الى مكة لاذيقبر جده ص فاخذته عنده غفوة فرآه في المنام قائلاً له يا بنى انت في القريب العاجل تقتل فاستيقظ الامام مستوحشاً ورجع الى اهل بيته فاخبرهم بخبره فضجوا بالبكاء والعويل ومن بعد قليل توجه الى مكة بعد ما كتب وصيته وسلمها لآخيه ابن الحنفية: ويستظهر المؤلف كذب هذا النقل وانه مخصوص بابن اعثم من السابقين و كل من ذكره بعده اخذه منه وان هذه الرؤيا لم تكن هي المحركة لسفر الحسين من المدينة الى مكة ثم منها الى العراق حتى يستشهد هناك مطيعاً بذلك قول جده :

فعلقنا عليه ان الكلام على هذا الموضوع ينحل الى موردين الاول تكذيب نقل ابن اعثم اذ لا مدرك عليه وهذا المعنى يجوز للباحث ان يدقق عنه فان التساهل في النقل وقبوله مما اوجب و يوجب شيوع الاكاذيب في العالم وليس لاحد حق الاعتراض على المؤلف من هذه الناحية : المورد الثاني حتى مع الاعتراف بصحة الرؤيا لا يستطيع عاقل ان يفهم من مجرد قوله عليه السلام عن قريب عاجل تقتل وان الحسين مضى لتحقيق هذا المطلب اقل معنى فان الذهاب الى القتل يحتاج الى سبب عقلائي يمارسه الانسان حتى يتصل بنتيجته فلا بد ان يكون معنى تلك الرؤيا انك تقوم وتنهض بالاسباب العقلائية و شهادتك بالنتيجة تكون حصيلة لقيامك وهذا معنى لا مانع منه فان القيام العقلائي من طريق صحة اسبابه حتى لو تركز في ذهن صاحبه انه يقتل من اجله لم تكن فيه حزازة اذا كانت للثائر شخصية اصيلة مركزة تبتنى عليها آثار مهمة وقضية الحسين بن علي حتى مع احرازه للشهادة في طريق هذا القيام من هذا القبيل فان واقعة الطف وان أوجعت القلوب من ناحية

فانها حركت الادمغة من ناحية ثانية تحريكاً مستمر مع الزمان وتحريك الدماغ نحو الفضائل والتذمر من الرذائل وهكذا استفزاز الارواح نحو المبادئ الفاضلة و ضد الطغيان العارم من اعظم ما يهدف اليه عقلاء العالم المبدئيون وعلى هذا المحور سوف تقرأ فصولاً اخرى :

قال (١) تحت عنوانين من النقل احدهما حديث القارورة عن ام سلمة وثانيهما حديث اخرج فان الله قد شاء ان يراك قتيلاً ما خلاصته ان هذين النقلين لا يصحان :
 فعلقنا عليه ان هذين الحديثين صحهما لم يصحافا فهما لا يؤثران في معقولية مفادهما فان مفادهما وان دل على تحقق قتل الحسين في قيامه هذا وان زمان ومكان قتله معينان منذ الازل الا ان ذلك لا يهدم مساعي الامام وأجره والنتائج العظيمة المترتبة على شهادته ذلك لان الامور التكوينية وان كان لا بد من تحققها الا أن ما يكسبه الانسان بارادته في طريق مقدماتها من خير وشر له طابعه الخاص من الثواب والعقاب والمدح والذم فالسارق وان قدر عليه ان يقتل في سفره الذي يطويه للسرقة الا ان سعيه لما كان سعياً انحرافياً فانه يذم عليه كما انه يعاقب وكذلك يذهب دمه هدرأ اذا قتله القاتل دفاعاً عن نفسه او ماله او حرمة وهكذا لو قدر على زيد ان يموت في طريقه لحج بيت الله الحرام الا ان سفره لما كان سفر طاعة وتحمل بسببه زحمت السفر فانه يمدح عليه ويؤجر ان فعل الفرد المكلف ان ينتخب طريق الحق مسيراً له واما الوصول الى الهدف فليس اليه والحسين بن علي فعل ذلك وترتب على قيامه ما شهد به التاريخ من اقتضاح المستبدين و عزة المؤمنين والقات الاذهان الى لزوم المخاطرة مع الدواعي المشروعة لهدم عروش الطغاة وادخال الرعب في قلوبهم حتى لا ينجرفوا مع ميولهم فيعيشوا و يفسدوا ويستعبدوا خلق الله او يعبثوا بكراماتهم فان الولاة اذا أمنوا الغوائل فعلوا من الطيش ما لا تقوم له الجبال فان الجاهل المغرور المخلى سر به يفعل الاعاجيب وقد شهد الزمان كل هذا و ذلك.

قال (٢) تعليقا على الخطبة المنسوبة للامام (خط الموت) التي من فقراتها وكأني

(١) ص ١٣٥ وما قبلها

(٢) ص ١٣٦ فما قبل

بأوصالي هذه تقطعها عسلان الغلوات الى آخر ما قال عليه السلام ان هذه الخطبة لم يوردها الامام بجميع فقراتها في مكة ليعطى ان الامام في مسيره هذا وعلى الاخص في مكة لم يعلم بشهادته وانما تأكد قتله عنده في اواخر اوقاته في كربلاء :

فعلقنا عليه ان ما شكك فيه لا محل له من التشكيك فان الثائر من سائر الناس يدلى في خطابه بمثل ما ادلى به الامام عليه السلام بنوع فرضية كونية معرباً عن قوة روحه وصلابة عزمه و توطين نفسه على الفناء وانه لا يجد للخضوع الى شخصه طريقاً وليقف من ذلك على روحية اجناده واتباعه ومن هو الصلب منهم والرخو وقوى الارادة وضعيفها وليفهم العالم انه بثبات جاشه انتصر في موقفه هذا امامات ليزلزلن عروشاً ويطيح بنخوات فرعونية وينقش في الواح الخواطر ما يعطى ثمراته حيناً بعد حين ولقد تعقب ثورة الحسين عليه السلام قيام التوابين و المختار وعبدالرحمن بن محمد الاشعثي وزيد بن علي وتواترت ثورات الخوارج وتلا ذلك قيام الانقلابيين بنفع بنى العباس والقضاء على كل اموى في الشرق وتأسى بالحسين كل من جاء بعده :

قال (١) معقباً على مقالة القائلين بان شهادة الامام جاءت مؤيدة لتقدم الدين والاسلام بأن مفهوم ذلك ان وجود الامام كان مانعاً من تقدم الدين والاسلام وهو امر غير معقول :

فعلقنا عليه بان ما حسبته غير معقول هو المعقول لا غيره فان الامام اذا بايع يزيد كان من لازم بيعته اقراره بكل ما يصدر عنه وعن دولته وامراءه و تقرير ذلك كله وعضائه والالتزام به و الناس اذا شاهدوه في غمار غيره لا يعودون يستكثرون على يزيد ولا نه اي انحراف يصدر عنه و عنهم و يحسبون ذلك مرضياً عند رؤساء المسلمين وصحیحاً في اصل الدين و اي تقهقر للدين أعظم من ذلك :

وقال (٢) معقباً على مقالة القائلين بان دولة الامويين أضعفها قتل الحسين عليه السلام بأنهم عاكسوا الواقع بذلك فان دولة الامويين بعد قتلها للحسين تساطت على الاوضاع اكثر من اللازم ودام بقاؤها قرابة سبعين سنة :

فعلقنا عليه بان قولك هذا موهون جداً فان دولة آل ابي سفيان انقطعت بيزيد ولم يستطع اخلافه القيام لها بالمرّة واما حكومة المروائيين وان استمرت مع الزمان سنين الا ان السبعين سنة في حجم الدول شيء لا يعتد به وقد اسلفنا ان واقعة الطف اذ كت الازهان الى حدود بعيدة ونفخت القلوب بالتنفر من كل اموى بما عاد عنوانهم سبة لكل انسان ولعنة على كل لسان منذ ايامهم الى ابد الدهر وهل يتصور ضعف مثل هذا الضعف مضافاً الى ان هذه الواقعة استأصلتهم بالثوار العباسيين حتى لم تبق منهم في الشرق بقية ولا مجال للبسط هنا باكثر مما اسلفناه والتاريخ العمومي شاهد بذلك :

قال (١) معلقاً على قول القائلين بان حياة الاسلام قامت بقتل الحسين بأنه كيف يعقل قيام حياة الاسلام بقتل امامه :

فعلقنا عليه بان المنظور من حياة الاسلام هنا اعلام الناهض بان لهذا الدين في فترات خاصة رجالا لهم واقعهم الراهن ينكرون المنكر باعلا درجاته و ينتقدون الاوضاع من جميع جوانبها و اذا اعوز الدين من امثال هؤلاء الافذاذ لا ترى العالم الا خاضعاً للذهول و السكون ومع هذا الذل والهوان يستحيل ان يبقى دين او متدين فهذه الحوادث المتناوبة التي تصدر باسم المبدأ هي التي تشجع المتدينين على ملازمة دينهم والتظاهر به والعمل بمقرراته والاعتزاز بالانتساب اليه : ونحن قد شاهدنا الجيل الذي نعيش فيه فرأينا كيف ذابت فيه المقدسات لهوان حمايتها حتى اخذت حوزة المتدينين تتذوب في الاحيان القصيرة واما لقلقة بعض الالسنّة ان أرخى لها والاقلام ان فسح في مجالها بنفع الدين فذلك بالتجارب المستمرة مما لا اثر له الا سطحياً فالذي يفرز الاحساسات ويوجه الانظار هو قيام الحق ضد الباطل سواء انتصر في قيامه انكسر فالقيام بنفع الدين او بضره هو الذي ينصره او يكسره فكلم من قيام كسر الدين و محاه كقيام الشيوعيين و آخر جرده و بناء كقيام الحسين واما الالسنّة والاقلام مع القبول على الذلة والهمود فهي عاربية عن الاثر المحسوس بعله ان اكثر افراد الجوامع هم اهل المكاسب والمهن وهؤلاء ان ارتبط منهم احد بالعلم واهله فانما هو ارتباط سطحي ولكن

الجميع بالاسريه وون من اعماق قلوبهم كل شجاعة وكل قيام على الاخص اذا كان ذلك في مقابل الظلمة والمستبدين والحسين انما كان لقيامه هذا الانزال العميق والتصويت العام فلهذا السرالذي اعر بنا عنه :

قال (١) كيف يتصور ان تكون حياة الاسلام واستقراره نتيجة لقتل زعيم الاسلام

وعاضده :

فعلقنا عليه ان تصور هذا المعنى موقوف على ان تتصور ان الحسين الذي هو امام في الواقع تراه محكوماً في الظاهر بمتابعة يزيد بن معاوية مقرر القوانينه راضخاً لحكومته تابعاً لجميع ما يجري في دولته وانه لا يميز بينه وبين غيره من الافراد في نفى ولا اثبات بحكم خضوعه لحكومة الوقت و اعترافه بها و هيمنتها عليه فهل ترى ان هذا الامام الواقعي يكون منشأ اثر و يترتب على وجوده ثمر و ظاهره كما رأيت و اما اذا تصورته مصحراً بالامتناع عن البيعة لاعتناً لحكومة الجور متنزهاً من دولة الارانل معرباً للناس بان امثال هذه الحكومات لاصلة لها بالاسلام ولا بالقرآن ولا بالوجدان ولا بأى مفهوم له صلة بالواقع ومصالح الاجتماع وأن اطلاق كلمة امير المؤمنين على هؤلاء القروء الممسوخة اطلاق للفظ على ضد معناه ومن وظيفة كل فرد يريد ان يعيش بعزة اولاً و بايمان ثانياً ومسلماً كما يريد منه الله ثانياً ان يعرض بكله عن هؤلاء وان ينتقد منهم كل حركة وسكون و ان الراضى بأعمالهم شريك لهم في أجرامهم و بعد أن تستعرض هذين التصويرين تقطع جازماً بان الامام المقتول الذي اثره هذا الاصحار الجاهرو الخالف الظاهر للباطل واهله هو الامام المثمر وان الامام الخاضع التابع المقهور فاقد لكل نتيجة و اثر ولا يجوز لك ان تقول ان فالائمة من بعد الحسين امام يقوموا كما قام لانك قد قرأت في صدر هذه البحوث ان زمانهم احتكرهم حتى سد كل منفذ عليهم فلم يترك لهم اقل مظنة للقيام والحسين في قيامه كان يملك بعض الحرية من فرصة زمانه فاستطاع ان يمشى في موكب وان يخطب في مجمع وان يقول بملاء لسانه و لاجل الثمرات المهمة التي ترتبت على قيام الحسين صار له اسم اعلامن اسمائهم ومقام اعظم من مقاماتهم واعترف بامامته كل مشايخ لاهل البيت

وبحريته كل انسان على الاطلاق :

قال (١) معلقاً على ماجاء فى زيارة عاشوراء : مصيبة ما اعظمها واعظم رزيتها فى الاسلام : ان قتل الحسين عليه السلام مصيبة عظيمة وردت على الاسلام واهله لانه احياء له ونفع لهم :

فعلقنا عليه بانه لاشك فى كون قتل الامام مصيبة وما اعظمها من مصيبة حيث لم يتوفق الاسلام واهله للاستفادة المستمرة من وجوده المديد ولم يستفد هو ايضاً من مقام امامته بين الناس وانه وراء ذلك لفظ انفاسه وتابعه على ذلك زمرة عامرة من اهل بيته واصحابه و لكن هذا المعنى لاربط له بما حاوله الوجود منه بين ان يعيش محكوماً لافئد حاكم تابعاً لاضل حكومة مقرأ ببيعة جلف من مشاهير اجلاف العالم مقرأ لما يصدر فى حكومته منه ومن ولاته الذين هم من سنخه و بين ان يشعشع بدعوة الحق وينكر على هؤلاء الزعانف مخازيهم ويعيش لحظاته الاخيرة أعز انسان ويموت اكرم موجود ويشتهر فى العالم صيته وصوته ودعوته وانكاره للمنكر و اعلامه بانحرافات الظالمين : ولاشك ان خضوعه فى قبال هذه النهضة هى المصيبة واستبداد الجهاد به هو البلاء العظيم وموت المعروف بالمرء و حياة المنكر ادهى وأمر : وما الامام الا الشاهر الظاهر الذى يثمر نمراً وينتج اثرأ و اما القابع بالخمول الذليل حتى للابواش من الناس فهو ميت الاحياء وهذا على ابي طالب على قلة ايامه فى الخلافة وكثرة مشكلاته فيها انما عرفه الوجود وشخص الناس مقامه المحمود وطار له اسم وصيت من طريق هذه الايام التى استطاع ان يبث فيها بنات افكاره ويعطى نماذج عالية للعدالة من اعماله ولولذلك لما كان على الآفى غمار الصحابة خصوصاً مع تقدم الاشياخ عليه فى الحكومات الزمنية وكثرة هوانهم من ابناء التسنن الذين ادعوا التعصب لهم وعليه ظاهرة قوية طيروا من طريقها كثيراً من الاكاذيب وعلى كل حال فالانسان اماماً ومأموماً وجوده مقرون بآثاره ونتائجه فمن توفيق للانتاج ثبت له رسم وعلاله اسم ومن حرم من ذلك فكأنما لم يخلقه الله تعالى اصلاً وهذا المطلب من الوضوح بمكان :

قال (١) معلقاً بعد استشهاده بهذا البيت .

ويكبرون بأن قتلنا وانما قتلوا بك التكبير والتهليلا

بان الامام لولم يستشهد لبقى التكبير والتهليل بين الناس ومع هذا فكيف يكون

قتل الامام بنفع الاسلام :

فعلقتنا عليه باننا مع مزيد التأسف نعجب غاية العجب من المؤلف كيف اختلطت عليه هذه المطالب حتى ركز في ذهنه هذا الاصرار على ان حياة الحسين مع بيعته ليزيد خير من قتله و ما اقترن به من فجائع عظيمة و نحن فيما سلف كشفنا عن وجه اشتباه الرجل ونعيد ذكر ما اسلفناه بطور عصاره و خلاصة فنقول لا يستطيع عاقل ان يتصور ان قيام الحسين كان لاجل ان يقتل هو واهله واصحابه و تؤسر نساؤه و تنهب امواله لان هذا التصور بصورته هذه غلط واضح لا يصدر من ذى شعور : اما فهرست قيام الامام فكان بهذه الصورة وهى ان الامام منذ دعى لمبايعة يزيد كان مصمماً على الامتناع عن بيعته و لوجاء عليه ما جاء فقد ابى عليه دينه و مقامه ان يفسح للفاسق و الفسوق اكثر مما انفسح لمعاوية بن ابى سفيان لانه ببيعته ليزيد و اقراره له بالخلافة يقر جميع اعماله و افعاله و ما يصدر عنه و عن ولاته و لا يصدر عن يزيد الا ما يسانخه من فكر و عمل و ما افكاره و اعماله الا الفجائع و الفضايح :

ثم هو بامتناعه عن البيعة ان استطاع ان يقلب الدور على هؤلاء الاجلاف فذلك هو الهدف الاعلا و الغاية القصوى و اذا لم يستطع فعلم مستقبله عند الله: فقيام الحسين فى بادئه تدمرى تضجرى و فى وسطه عند ما كوتب من الاقطار احتمال عقلائى و فى آخره دفاعى عن الحيثية و كرامة الامام مربوطة بكرامة الله و ليس هو كاحد العاديين من الناس: و اما أسر النساء فهو سنة جاهلة تقوم و قامت بها حكومات الوباش فى كل عصر و زمان و حتى لو ناهض الامام حكومة الوقت فى المدينة لاصابه سنخ ما اصابه فى كربلاء فان وقعة الجرة التى تعقبت واقعة الطف بسنة واحدة فعل فيها من العجائب و الغرائب و الوحشيات ما تنبوعنه الا لسنة و الاقلام و كل قيام فى العالم حتى لو تسلمه كافة العقلاء

بالقبول لا يخلو من مرارات و تحمل مشاق وصعوبات و اذايا و ابتلاآت و اذا لم يتوفق
 الثائر في قيامه فلا تسل عن الوحشيات التي تعمل معدوم كل من يمت اليه ولو بطرف
 خفى بلا فرق بين القرون السابقة واللاحقة المتوحشة والمتنورة كما لا فرق في الثائر
 بين السياسي العادى والعالم الربانى :

نعم قتل يزيد و عماله و آله التكبير و التهليل بقتل الحسين من السنة الناس و
 لكنهم او غروا بذلك قلوبهم و جعلوها كالقدور البهاجة لانفتر عن الغليان فكانت وقعة
 الحرة والتوايين و المختار و حادثة عبد الرحمن الاشعنى و جدلة حوادث الخوارج و
 ثورة زيد بن على و انقلابات ابى مسلم الخراسانى و غيره من نتائج وقعة الطف و قلما
 استؤصلت اسرة مالكة بعد انهيار ملكها كما استؤصل بنو امية فى الشرق و بقيت واقعة
 الطف ممددة لكافة القلوب بالتورم من كل استبداد و طغيان: و تهبأة القلوب للانفجارات،
 المتواصلة من الاعمال العظيمة ان لا يتهيأ ذلك لكل واحد و قد فعله الحسين و استثمر منه كل
 ما تعقب حادثته من الانقلابات الصغرى والكبرى ضد الجور والاستبداد والظلم والطغيان
 فياله من موقف ما اجل خطره و اعظم نفعه :

و اما بقاء الحسين مقترنا بالبيعة ليزيد والخضوع له و لعماله و اقراره ولو قسراً
 بما يكون منه و من ار كان دولته و ولاته ففى ذلك اماتة له و للدين جميعاً و قد مرّ متنوع
 الحديث عن ذلك فلا تطيل:

قال (١) كل احد يعلم ان فاجعة كربلاء اخذت من افاضل المسلمين عدداً هو الندونج
 للقرآن و فضائله و تعاليمه و فى طليعتهم ابو عبد الله الحسين اولئك الذين باستطاعتهم ان
 يشعشعوا العالم بثقافتهم العالمية :

فعلقتنا عليه انه لا شك فى ان قتل الحسين و اصحابه الافاضل من الخسارات التي
 لا تجبر كما ان وجودهم مع عقم الانتاج بتسلط الاجالاف عليهم و جعلهم تحت شعاع يزيد
 بن معاوية و عبید الله بن زياد خسارة اخرى لا تجبر والفرق بين الخسارتين ان خسارة وجودهم
 مع العقم لا وزن لها ان لا وزن للعقيم و خسارة قتلهم مصحرين بفضائح المستبدين معلنين

بفسادهم و فساد حكوماتهم ناعين على الناس رذيلة استنامتهم الى حكومة هؤلاء الطغام الذين يتصرفون بحيثياتهم و مادياتهم و مبادئهم شرّ تصرف واجدة الكلكراماة مطالعة بكل شهامة مقترنة بكل شرف وهذا لا يستطاع غض النظر عنه ولا غمض الاجفان عليه:

قال (١) ان غاية ما يملكه الناس آمالهم بالشخصيات الكبيرة اللائقة مثل الحسين بن علي لينقذوهم مع الشرائط المساعدة من ذل الهوان و حكومة الطغيان و بقتل الحسين بن علي ذابت آمالهم بالمرّة .

فعلقنا عليه ان الشرائط المساعدة لم نرها حصلت في العالم بنفسها ومن نفسها لاي عالم عامل فرضناه والذي يقبع في زاوية الخمول بانتظارها انسان بائس نعم الشرائط المساعدة دائماً هي من خلقه الانسان و مساعيه سواء كانت بخفاء او بجلاء : نعم نحن لانكر مماطلة الاقدار : وكافة اهل الهمم في الدنيا ما زالوا يعملون في ايجاد المناسبات بشتى الصور و الالوان حتى توجد و أمل الناس بالحسين مادام خاضعاً - و لو قهراً - لحكومة يزيد منتظراً لانفراج الزمان بنفسه ومن نفسه يعدّ حلماً من الاحلام كما قال ذاك المتمنى .

لعل الله يجمعني بسلمى فان الله يفعل ما يشاء

وهو قاعد في كسر بيته لا يحرك اقل ساكن : وعلى فرض ان الزمان اهلك يزيد بن معاوية بعد فترة قصيرة فهل ترى ان الخلافة تتحول منه للحسين - لا - لا تتحول لامن طريق الارث فان الحسين ليس وارثاً ليزيد بن معاوية ولا أن هواة الجاه يخلّون بينها وبين الامام بل يتذرعون لنيلها بكل وسيلة من تملق و وعد كاذب و تزوير و بذل مال و ارتكاب أعمال يبعدها اقل الناس شرفاً حتى يتفوقوا على الوضع ذلك لان العدل والانصاف والفضيلة وان كانت مفاهيمها من احلا المفاهيم عند العموم الا ان هذه الحلاوة وحلاوة ذهنية لا يطبقها الانسان من نفسه لاعلى غيره ولا على نفسه متى عورضت بما هو احلامها عند النفس من مال عتيد و جاه منقود و رغبة نفسية حاضرة فالفضائل مفاهيم صرفة لامصدق لها الا في النوارد وانما حسنت مفهوماً لان المفهوم لا يعارض الديول والاهواء وانما قلت مصداقاً

لان في تحققها المصداقي مزاحمة لرغائب النفس فاغلب الناس عقلاء علماء جهلاء عملا والعقول العلمية كثيرة اما العقول التطبيقية فأقل من كل قليل حتى ان الناس يرمون العاقل التطبيقى بالعجز وقلة الدربة كما قالوا في حق علي انه نبي غير مطبوخ في مقابل معاوية وان اجاب علي عن هذا الزعم بقوله مامعاوية بادهى منى ولكنه يغدرو بمكرو يمنعني ديني عن ارتكاب هذه الهنات فاعرف حق هذا المطلب كما ينبغي :

قال (١) ان عبدالله بن مطيع لما لاقى الحسين عليه السلام بين مكة والمدينة قال له في ضمن ما قال لئن هكت لنسترقن بعدك :

فعلقنا عليه ان الحسين بن علي لوبايع يزيد بن معاوية وخضع له وصار فرداً من رعاياه فهل ترى ان عبدالله بن مطيع يبقى حراً من اجل بيعة الحسين هذا ما لا يكون اصلا كما لم ينتفع الحسن بصلحه مع معاوية لان نفسه لانه مات مسموماً من معاوية والاشيعته فانه تتبعهم وقتلهم تحت كل حجر ومدر .

قال (٢) و سئل ابو اسحاق السبيعي متى ذل الناس قال حين قتل الحسين: فعلقنا عليه ان ما قاله ابو اسحاق اشتباه كبير فان هؤلاء الذين شاهدوا انلاء بعد قتل الحسين كانوا انلاء قبله ولو كانت روح العزة لها منفذ في وجوداتهم لما قتل الحسين ولا تسلط عليهم مثل يزيد وعبيدالله بن زياد : ان الدليل ذليل حيثما كانا : وليت شعري من اى منفذ تسرب اليهم العزة والحسين بنفسه (لوفرقت مسالمة ليزيد) اعطى المقادة عن يد نعم عزتهم منوطة بعزة الحسين وعزته منوطة بتفوقه على يزيد وتفوقه عليه منوط بقيامه في مقابلته حتى لو قتل في ساحة الكرامة شهيدا :

قال (٣) ان الحسين كان الامام الاكبر للاسلام

فعلقنا عليه ان هذه السمة انما تكون للحسين عليه السلام في الظاهر كما هي في الواقع متى ترفع عن البيعة ليزيد والخضوع لحكومته وامامه تابعيته له في مفقودة لعقم اثرها كما فقدتها الحسن عليه السلام بصلحه مع معاوية ولم يقل شيئا من قال (و انما الامر يا ليلي لمن غلبا) وهذا النبي محمد صلى الله عليه وآله على عظيم مقامه لم يستطع قبل هجرته الى المدينة ان يكون

نبيا على قریش فی الظاهر لانه كان محكوماً لمحيطهم اما لما هاجر الى المدينة وسخرهم بعد ذلك صار نبيا عليهم مؤثراً فيهم وكل شيء مرتين بآثاره :

قال (١) ان العالم الدينى اذا مات اثر في الدين اثرأ واضحاً :

فعلقنا عليه ان ذلك حق لو كانت له شخصية اجتماعية اما اذا ذوب شخصيته بالذلة والهوان فلا فان عبدالله بن عمر كان من المرشحين لخلافة المسلمين من هواة ابيه حتى على عهد هذا الاب لكنه بعدما بايع رجل الحجاج بن يوسف لعبد الملك بن مروان أصبح اذل من النعل عند الناس :

قال (٢) ان الحسين بن علي عليه السلام هو اعظم شخصية علمية سياسية ولوقى حياً لكان اثره في الاسلام بمقدار سعة شخصيته :

فعلقنا عليه ان ما تقوله مع فرض بيعته عليه السلام ليزيد و تابعيته لحكومته و خضوعه لدولته ليس بصحيح وهذه العبارات التي تسوقها له مأخذها من اللحنين من شخصية خلقتها له شهادته وعظمته و كونه نهباً شهامة و كرامته فليلتفت لذلك انم التفات :

وقد أشدنا في قصائد عديدة بما السيد الشهداء من بطولة مركزه شعشعها في الخافقين بنهضته الدامية فقلنا في ضمن قصيدة عنوانها (دنيا الحضارات) وقد نشرتها مجلة العرفان في العدد المزدوج لشهرى ذى القعدة وذى الحجة من سنة ١٣٨٦ هـ

هلا عاروا النبي المصطفى نظراً	وتكيف نال العلاء بالمشرفيات
ماركز الدين عبد في تهجده	وانما قيام دهرأ بالبطولات
هى الحياة فكن في حربها بطلا	ان النزاع بها من طبعها الذاتي
ولاعليك اذا جدت عن شمم	وخاب سعيك من بعد المعاناة
فكم جواد يبذل الريح حافره	قدعاه الوضع عن ادراك غايات
هدا النبي وكم انكت موافقه	قدعاه في بعضها جم الجراحات
و تيك صغين عزت في نهايتها	على على ابي كل الفتوحات
وذا الحسين الذي ضحى بمهجته	واهله خير اشراف و سادات

فمات لكن عزيز النفس تغبطه
وقلنا في ضمن قصيدة عنوانها (هلاهل الطير) وقد نشرتها مجلة العرفان في العدد المزدوج
لشهرى رمضان وشوال من سنة ١٣٨٤ هـ

افدى حسيناً ابا الاحرار حين غدت
قروم ابى ان يذل الدهر جانبه
رأى بأحدافه جداً له وأباً
فصار ع الموت فرداً غير مكترث
حارت عقول البرايا من بطولته
ماخرت للارض بدرأتستضىء به
مبارز ناهض الدنيا فما فشلت
فكم تدهده منه تاج مغتصب
وكم تأسى به فى درك غايته
وقلنا فى ضمن قصيدة عنوانها (حيرة الفيلسوف) وقد نشرتها مجلة العرفان فى

العدد التاسع من سنة ١٣٨٤ هـ
ومذانبها الهدى من آل حرب
نازل الكفر حسين فاحتفت
صارع الدهر له روح ابى
ضخمت سمعته فى الكون لماً
هكذا تبنى المعالي هم
ارخصوا اعمارهم لماً دروا
و بهم أوى عن الحق صدوف
بنزىل ما اجد منه الطفوف
للمعاليها ووللذل عيوف
ازهق الكفر له حد رهيف
تقهر الصعب وان تأبى الظروف
انهم فى هذه الدنيا ضيوف

وقلنا فى ضمن قصيدة عنوانها (وقفه على اطلال) وقد نشرتها العرفان فى العدد

العاشر من سنة ١٣٨٥ هـ

هذى الشدائد ما تنفك عاصفة
قرمان قدا عجز الاحرار شأوهما
ومن لهاك حسين او ابى الحسن
فى الكر والصبر والانتدام واللسن

أما على* ففيه القول ذوسعة
وبالحسين فنافس كل ذى خطر
فذا* احاط به جيش له لجب
واحرز النصر مقتولا على ظمأ
حييت من بطل عز الوجود به
وقلنا فى ضمن قصيدة عنوائها (بين الجفن والماق) وقد نشرتها العرفان فى العدد
المزدوج لشهرى ذى القعدة وذى الحجة من سنة ١٣٨٧ هـ

ان الاولى حاولوا عزأ بساحتها
فسل علياً على ما فيه من قيم
وسل حسينا وعن يوم الطفوف فسل
قضوا عطاشى وماء النهر منهمر
وصوح الروض منها بعدما انتثرت
وقلنا فى ضمن قصيدة عنوائها (الزمان قدومه وجدیده) وقد نشرتها مجلة العرفان
فى العدد السابع من سنة ١٣٨٣ هـ

بأبى بل بالناس اقدى حسيناً
من أعار الحياة طرف عزيز
جاء للدهر كى يعيش فعاشت
لم يكن قبله من الناس حر
فانبرى للحياة يملى دروساً
علم الناس كيف يحيون لكن
صغرت منهم النفوس فعاشوا
-الفصل الثانى عشر- :

ذلك الشهم و الابى الوحيددا
فأعارته ظلها الممدودا
ذكريات له ومات فقيدا
يزن النفس نشأة و وجودا
خلدته فضلا و عزاً وجودا
لم يفده التعليم منهم رشيدا
كوحوش الفلاوما توا عبيدا

الدين بين مفاهيمه ومصاديقه

الدين بمعناه العام هو تحديد خطى البشرية فى اجواز الحياة حفظاً لحقوق الجميع ومصدر هذا التحديد هو الله سبحانه وبمعناه الخاص بسط هذا المفهوم وافراغه فى قوالب خاصة كالصلاة والزكاة والحج والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وما الى ذلك : وكل ذى شعور من افراد البشر ين هذا الهدف بميزان قويم لعلمه ان ارسال الافراد فى اودية الاهمال مما يزعج الحياة والاحياء بطور مطلق والازعاج لاحياءه معه بل يكون مبعث شقاء و منطلق بؤس ماحق :

فان قيل نحن قد نفهم معنى للدين فى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لما فى ذلك من تعديل جنبات الانسان الهائج والبشر الضارى وفى الجهاد ايضاً لما فيه من سوق المتعمردين الى ميادين السعادة وفى الزكاة كذلك لما فيها من مواساة الضعفاء ومعاونة البؤساء : لكن لانفهم معنى للدين فى مجموعة اذكار الصلاة التى تلوكها اشواق المصلين بما تلوك به آيات القرآن وفقرات الادعية ترسلا من غير تفهم وطياً للسان من دون تدبر وكذلك لانفهم معنى له بصرف الطواف حول البيت والوقوف بعرفات والمشعر والسعى بين الصفا والمروة ونرى تعبد المتعبدين بالدين بهذه القضايا اكثر من تعبدهم بقضايا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد وما الى هذه الاهداف من مقومات الاجتماع البشرى ومعدلات الحياة الصحيحة : فهل ترى ان مهمة الدين هى هذه المطالب المعمات على الفهم اوان وراء هذه الظواهر بواطن و وراء ما التزم به الناس من قشور لباب :

قلنا فى دفع هذه الشبهة وحل هذا المعنى قبل كل شىء ان مفاهيم الدين غير ما عليه جماعة المتدينين فى كافة الاديان الا ما قارن عصر الرسل انفسهم وما فرغ به العلماء العاملون المثقفون وكل امروراء ذلك ففهم ما فيه وان وضع فى حساب الدين و وصف بانه من شعار المتدينين : نعم - قبل كل شىء - يجب تحكيم العقل والميزان الفنى فى القضاء للدين او عليه فان الامر بالمعروف الذى عرفناه محدداً لخطى الانسان الهائج

يراه جماعة المتجددين مخالفاً للحرية التي يجب ان يتمتع بها كل انسان غافلين او متغافلين عن ان كلمة الحرية لها معنيان - احدهما - هو الافلات والارسال و الالهال - وثانيهما - هو الخروج من تحكيم المستبدين كائنين من كانوا ولا ريب ان المعنى الاول هو التوحش نفسه و مغالبة القوى للضعيف و الغنى للفقير و عبث الحاكم بالمحكوم فان ارسال كل قوى و غنى و حاكم من لازمه القهرى هو الفتك بكل ضعيف و فقير و محكوم و هذا المعنى تجب مطاردته بكل قدرة مؤاتية حفظاً لحقوق الناس عن الانهيار - و اما المعنى الثانى - فهو فى حدود المنطق حق يجب تركيزه تنجيزاً لحقوق المستحقين المقهورة بقوى الغاصبين :

نعم ان الصلاة التى شرعها محدد خطى البشرية الضارية هى الصلاة التى قال فى حقها - ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر - ولم يقل ذلك فى مدحها جزافاً كما يصف الانسان متاعه و مهمها كان مغشوشاً بانه واجد لمزايا الكمال بل وصفها بذلك لان التدبر فى مضامينها و التحقق من معانى اورادها و اذكارها و الآى الفخمة التى تجب تلاوتها فيها مما يزع بالنفس عن كل قذرا اخلاقى و عن هذا الهدف الاصيل شرعها و اعتبرها قربان كل تقى و خير موضوع و انها معراج المؤمن و اما صرف استطراد اللسان لها و محض تلاوة آيات الذكر الحكيم و مجرد طى اللسان بفقرات الادعية كما عليه العوام فذلك خارج عن الداعى الى تشريعها و عن الهدف الباعث الى توظيفها :

و الدعوة الى الحج بقوله لله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا اريد بها هدف اجتماعى تربوى من طراز عال و ذلك بتشكيل مؤتمر عالمى يحضره الذكور و الاناث و بيض الالوان و سودها و حمر الوجوه و صفرها و شرقى الامم و غربها على اختلاف مساكنهم من محذب الكرة و تفاوت السننهم فى التعبير عن المقاصد و مشاعرهم فى درك المطالب و انواقهم فى السنن و العادات و المذاهب يتناقون فيه الحديث، من شتى وجوهه و العقائد من عامة نواحيها و ما يختص به قوم دون قوم من سنة و عادة و عقيدة و ماهى صبغة السياسة عند كل فريق من فرقانهم كل ذلك يدور بين هذه الجماهير طوال ايام لا تحد بحد ولا تحصر بحاصر مضافاً الى اداء المناسك الخاصة و هذه هى المنافع التى يشهدونها و الغنائم التى يحصلونها لا صرف

التجمعات الخرساء والتراوح بين المدينة والصحراء والهدف الذي أجمعنا به مما يبذل العقلاء على تحصيله كل قواهم ولا يحصل لهم كما هو مشهود في متنوع مؤتمرات الدنيا: هذا هو الدين في نموذج من مفاهيمه: واما مصاديقه فان قصرنا النظر فيها على رسل الدعوة وحوارييهم الذين تخرجوا على أيديهم وعلى العلماء العاملين المتقنين من أتباعهم ومؤيدي طريقتهم كان محصول الدين منهم قليلا في عدده وان كان جسيماً في معناه :

وان توسعنا فيها على من يتلمض لسانه بسورة الفاتحة والتوحيد ويخون حتى اهله وولده ومن يطوى نهاره جوعاً وعطشاً قياماً بفريضة الصوم وهو في عرض ذلك يستبد بدرمه وقدمه وقلمه وجاهه وكل ما وقع تحت قبضته ويحتكر كل ما وصلت اليه يده واحتوت عليه خزائنه ومن يصل المرحلة بالمرحلة والليل بالنهار في سفره الى مكة اداء لفريضة الحج لكنه لا ينطوى الاعلى روح مظلمة وباطن غير نزيه وروحية مستنكرة وعواطف متلبدة ومن لا يبارح المسجد للصلاة جماعة غير انه في اكثر خطواته نمائم فتان محرك مفسد اما لصالحه المادى او لانحطاط خلقه و ساقط تربيته : ومن يكثر من نصب المآتم على روح الصالحاء و لكنه لا يتأسى بقليل ولا كثير من اخلاقهم ومن يطعم على حساب المقدسين ولا يبالي في جمع ما صرفه في هذا السبيل وما كدسه في اكياسه الواسعة : نحن ان توسعنا في هذه المصاديق ونظيرها وجدنا الكثيرين الوفيرين في دفتر المنتسبين للدين الا ان البلاء بهؤلاء وهم بهذا السمة مما لا يطاق تحمله ولا تهضمه أفسى العواطف : هذا كله في جانب .

وغلط تطبيق المفاهيم الدينية على مصاديقها الواقعية اعظم بلاءً وانكى اثرأ في المجتمع البشرى وقد حقق هذا الغلط في التطبيق جهالات وضلالات جاءت على مرور الزمان من النقاط الرئيسية في الدين وهاك امثلة على المقام :

(١) لاشك ان من ادرك النبي و شاهده انما يجوز ان ينسب له شرف الصحبة فيما لو كان هذا الشهود منشأ اعتبار بان حصل من طريقه علم رفع جهلا وتاس اوجب عملاً صالحاً و الأفضرف الرؤية له و مشاهدته بالاحداق لاقيمة له بالمرّة : و اما اذا

اعطت الصحبة نقيض عمل بان جاء الصحابي منحرفاً او بقى في سيرته على ضلال الجاهلية فهذه الصحبة ادعى لذمه من مدحه و لتشديد الجريمة عليه من التخفيف عنه هذا و نحن نرى جملة من جفاة المتزمتين من المتدينين يرون ان الغبار الذى دخل في خياشيم بغلة معاوية في آن انسلكت به في قافلة النبي ص خير من الف انسان من طراز عمر بن عبدالعزيز مع اعتقاد هؤلاء ان عمر بن عبد العزيز خير في سيرته و هديه من معاوية بن ابي سفيان لكن الذى صيرهم يفضلون الغبار الداخلى في خياشيم بغلة معاوية فضلاً عنه نفسه على ألف من اشباه عمر بن عبدالعزيز هو عنوان الصحبة لكنهم جهلوا ان هاتمة الصحبة التى عدت الناسى بالنبي الاكرم تعود نعمة على صاحبها لقيام الحججة عليه : ومن هذا الطريق المنحرف كم جنى من ادعت له الصحبة و تجنى على الحق فكان مغفوراً بل محققاً به بمجد و يبجل ويقال في حقه رضى الله عنه ولو كان من امثال بسر بن ارطاة و تتخذ اقواله حجة و طريقته الزائفة محجة :

(٢) وجاء في الشرع الاسلامى ان الله جعل اجر رسالة الرسول هو مودة ذى القربى منه ^{والقربى} وهو معنى في حد نفسه صحيح ومعقول بل لا يخفى رجحانه بالاعتبار الصادق لكن هذا انما يطلب في القريب منوط بان لا يكون انساناً منحرفاً و ضالاً عن الطريقة غاوباً فان المنحرف عدو لله قطعاً ولا تعود تنجع مع عداوة الله قربي اى قريب من اى انسان كان : و نحن نرى الزافة من المسلمين تحترم حتى الفسقة من المنتسبين لبيت الرسالة بما عاود هذا المعنى من المغريات بالضلالات لجملة من افراد هذا البيت و الخطأ في هذا العنوان هو عين الخطأ في عنوان الصحابي من حيث الملاك :

(٣) وجاء في الشريعة ايضاً لزوم تعظيم شعائر الله و هو معنى ضرورى التصور والتصديق لكن هذا المعنى في تطبيقه خرج من قبضة المنطق و المثقفين و صار تحت تصرف العوام و الوهميين فأهمل تعظيم الشعائر الصادقة من تجليل العلم المشفوع بالعمل و الاخلاق الفاضلة القائمة بتربية المجتمع و الشخصيات الدينية المرهوفة بما ينشر معارفهم القيمة و حسناتهم المستحقة للتقدير و جاء الى الميدان التوسع باختراع الاوهام و لاغرابة في ذلك بعد أن جاء مصدر هذا التعظيم هو العامى الذى لا يفترق عن الحيوانات العجم

الابالصورة الفارغة فقط وعلى هذه التوافه بل الضلالات صرفت الاموال الطائلة من اهل
الاديان وعطلت لها اوقات لو صرفت في عمل مشمر لانتجت نتائج لها وزنها :

وقد كان احد افاضل النجف في العلوم الاصطلاحية يقول انا أؤيد فكرة تعظيم
الشعائر و لو من طريق الخرافات فقلت له عفا الله عنك ان الخرافات اذا راجت بين
الناس تحللت الحقائق وصار الدين القويم ضحية لها فلا يبقى للدين وجود بالمرتوقد
حصل هذا المعنى عياناً في عالمنا الحاضر لان انسان اليوم توزع بين فريقين فريق
المتنورين - وهم على مرور الزمان يتزايدون - و فريق العوام الخرافيين - وهم على
تطور الوقت يتحللون: اما فريق المتنورين فانهم طفروا من ميادين ومجالات المتدينين
طفرة واحدة لمآل بروا غير هذه الظواهر العلمية التافهة ولم يجيزوا لانفسهم تمحيص الحقائق
من اهلها حتى يتعبدوا بالحقيقة كما هو المعتم على كل مكلف وهم من جملة المكلفين:
واما فريق العوام فهم وان تمسكوا بالدين الا ان دينهم هو الذى خلقوه لانفسهم من
شد الخرق على الاشجار وتعليق الاقفال على الضرائح ونظير ذلك مما لا يليق باهل الفضل ذكره
ولولا حصول خطباء لامعين وعلماء متحمسين لتثبيت الدين لسانا على منبر خطابة
و قلما على صفحات كتاب او مجلة لعفى الدين و اندثر : وقد ساعد هؤلاء العوام
المنحرفين على هذه الضلالات التى يبتدعونها وجود فشريين من عوام المعممين اولئك
الذين لا يستطيعون تمييز الغث من السمين فى الحديث ولا فهم اتجاهاته الخطائية والكلامية
الا ان هذا الرعيل المخذول وان كان كثير الافراد آ نفا غير انه تذوب الشىء بعد الشىء
على مرور الزمن :

(٣) وفى الشريعة عناوين كثيرة من الزهد فى الماديات والقرب من الله بالطاعات
والتجافى عن المهازل والمضحكات وما الى ذلك مما هو مدون فى علم الاخلاق لكن
الشرع لم يهدف بذلك الآلى تعديل جنبات الانسان اذا بقى هو وميوله والقى نفسه فى
احضان اهوائه وشهواته ورغباته المنحرفة ولم يدع بذلك الى التزمت المقيت الذى
شهبه على اسارير جملة من المتصوفة والمتحذلقين الذين يحسبون انهم مقدسون اولئك
الذين لا ترى وجوههم الا عابسة واخلاقهم الا شرسة وعواطفهم الا جافة وحركاتهم الا جافية

والسنتهم الامتشددة والفاظهم الاخشنة ومعاشرتهم الافى التوحش البغيض زاعمين ان رياضتهم لانفسهم اوصلتهم الى هذه الحدود القربية من الله قد عزب بهم جهلهم عن ان الله سبحانه خاطب نبيه بقوله ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك للعلم للقاطع بان الدين ابوالفضائل النفسية والاخلاق المرضية وان هذا الجفاء الذى هم عليه من اخلاق الوحوش الكواسر التى تعد انيابها للوثبة ومخالبتها للاطاحة بالطرف:

ولانى انى يوماً من ايامى التى قضيتها قبل ثلاثين سنة فى العراق دخلت صحن الشيخ عبدالقادر الكيلانى فى بغداد لاجل الوقوف على ما فيه ومن فيه فما توسعت الساحة الا ووجهت بعدة هنود من المتصوفة على طريقة الشيخ عراة الابدان الا من الازرقد تجملت وجوههم و اكتافهم بالشعر الكثيف و عبست وجوههم حتى ليخالهم الناظر اليهم انهم فى صدد الوثبة عليه فتراجعت الى الوراء محاذرة على نفسى : وبعد المتزهدون من اهل الاديان امثال هؤلاء المتوحشين اهل عبادة و انقطاع الى الله يصل بهم الى حضيرة القدس:

ولما انخت ركابى فى بعض البلدان التى هاجرت اليها وقضيت فيها سنين طوال على اثر سماعى عنها من افواه الغوغاء انها بلد مقدس يسود على عمارته اثر الدين وتلوح على اساريرهم سيما المتدينين وعلى اخلاقهم آداب الشرع المبين:

اخذت الابس الوضع الدارج بحكم اقامتى فى المحيط فوجدت البلد على اكتضاض مساجده بالمصلين ونواديه الخاصة او العامة بذكر مصيبة اهل البيت فيها ومدارسه الغاصة بالمحصلين كثير القذارات و المزابل تموج الا وساخ فيه على طول دكا كينه و عرضها و مياه حماماته اشبه بمياه المستنقعات و ترى العبوس و التزمت فيه شازة كل انسان يقطنه فلم اعرف السرفى ذلك حتى اندمجت فى هذا المجتمع فوجدت ان الركيزة الاولى التى بنيت عليه اخلاق هذا المحيط هى جهل هدايتهم المنبريين باخلاق الشريعة الاسلامية السمحاء فانهم لا يعرفون فى وعظهم لهؤلاء القوم سوى الاكثار عليهم بفضل الصلاة و الزيارات و تلاوة الادعية و نصب المآتم على روح سيد الشهداء فما كان المستمعون يعرفون من اخلاق الدين وراء ذلك شيئاً و بحكم انقطاعهم الى انفسهم و بعدهم عن المجامع الراقية نشأوا

نشأة ناقصة مبتورة تتخللها روح السقوط والامتهان في كل اشيائهم ومن هناسات معاملاتهم
المادية الى أبعد حد يتصور :

سبحان الله ما ذا يواجه هذا الدين القويم من صدمات و عواثر تقف به من النفوذ
الى المجتمع حتى يصلحه كما اصلح محمد بن عبدالله بهجيل الجاهلية و أحال من اهله
مثالين ترمقهم انظار الملائكة بالاعجاب و الاستغراب مالنا نحن المسلمين بين مترمت
متعجرف خشن الملتقى و آخر مائع مسترذل في حركاته و سكناته فمديننا وحش و
البعيد منا عن الدين وحش كذلك ذلك في انكماشه و انقباضه وهذا بسخافته واستهتاره؛
نحن حتى لو بعدنا عن تاريخنا المجيد وعن سيرة نبينا وامناؤه الامجاد و علماءنا المثقفين
العاملين و عن كل حديث صحيح و سنة راقية لانستطيع ان نتباعد عن مضامين آيات
الذكر الحكيم اذ ليس بيت من بيوتنا لم يعثو عليه ولا فرد من افرادنا لم يتلمذ ولو على
صفحات منه وهو في الاعم الاغلب من آياته نراه يدعو الى الخلق الفاضل و الى بنیان
المدينة الفاضلة و الاستفادة من السكنى فيها و قليل من التدرب عليه كثير في الوجهة
الاجتماعية : اخذ الله بأيدينا الى صوب الكمال و جنبنا طريق الاعتساف و الضلال انه
قريب مجيب : - الفصل الثالث عشر -

النجف مصدر النبوغ ومنطلق النوابع

تحتل بعض المدن في العالم موقعية كبرى في التاريخ ذلك لانه مر على تخطيطها
آلاف السنين ولانها تحتضن بين جدرانها بقية من آثار متلاشية كانت في باكورة عمرها
مائلة على سوح العيان يذكرها الذاكر و يتمثل بها المتمثل وهذا هو تمام قيمتها فحسب:
اما النجف فهي و ان فرضت نفسها على الوجود رغم من سائه ذلك و احتلت موقعية
كبرى في العالم الاسلامي بل العالم كله الا انها لم تستوف القليل من حقها فان بابل ان
خلدها اسدها و مصر أهرامها و لبنان أرزها فان النجف يجب ان تهز اعطافها تيمها بفظاحلها
الاسود و نوابغها الصيد و رجالها الافذاذ الذين نشروا منها العلوم و المعارف و البطولات
والاثار الفاتنة حد الاحصاء و فوق كل هذا و ذاك يجب ان تفتخر بأسدها الوحيد و بطلها

المغوارو ربانيها العظيم ولاهويتها الخطير مقيم صروح الانسانية الامام على بن ابي طالب -
 بهذا مجمل ما توفر لديها - واما التفصيل .

الحوزات العلمية فى النجف : تمتاز الحوزات العلمية فى النجف على كافة
 الحوزات العلمية فى العالم بالضبط (١) بانها واجهت من اعنات الزمان بها و برجالها
 ما لم تواجه به اية حوزة علمية فى اى دور من ادوار التاريخ ومع هذا الاعنات اغذت
 تستمر بدراساتها استمراراً مدهشاً اعربت عنه آثارها الخالدة فى الشرق والغرب (٢)
 فخامة الفكر العلمى فى المسائل النظرية وكل من يقارن بين الاثار المتقنة النجفية
 وآثار غيرها من الحوزات يعرف ذلك بسهولة فان سائر الحوزات لم تنتج الا القليل من
 المتاع الثمين (٣) التنوع فى كافة الفنون حتى الاسرار والاطلاسم والحوزات الباقية انما
 تعانى ما تعارف عندها من معقول او منقول ولا تتجاوز ذلك الى ما سواه (٤) كثرة التأليف
 والتدوين ولوان الحوادث المتناوبة و الغارات المشنونة و فلتات الزمان الهجامة رحمت
 هذه المدينة وما تحتفظ به من آثار علمية و هكذا مقدروا التراث العلمى لو صرفوا
 همهم فى صونه ونشره لكان محصول النجف رقماً واسعاً جداً تقل مساحتها عن القيام
 بكمياته الوفيرة وهذا بتلك الخصوصيات معدوم النظير فى غير النجف :

كيف تستطيع النجف ان تحتفظ بتراتها العلمى و هى كانت تواجه من الطغيان
 الموجه اليها ما تسد نهمته بارواحها فضلاً عن تراثها وكانت حالة محصلها المادية يرئى
 لها من الضعف والوهن والانهيار فكانت الارضة وسائر الحشرات المتلفة و غير الحشرات
 رقيبها الملازم لآبادة آثارها و قلمها عن صفحة الوجود : ولما برز دور الطباعة الى ساحة
 العيان بقيت محرومة منه مئات السنين ولما وصلت يدها اليه وصلت منه الى واهن لا يسمن
 ولا يغنى و اقل شاهد عليه هذه المطبوعات الحجرية المائلة للرفوف و خزائن الكتب
 المشوهة فى نفسها العابثة بكرامة المؤلف وتأليفه بل و بكرامة القرطاس والمداد والى
 الآن والطباعة فى زهرة نشاطها لم يوفق للطبع الجميل من كتبها الا الرقم الضئيل : وكم
 حملت مكتبة اثر مكتبة كلها من قسم المخطوطات باسعار متواضعة من بيوت النجف
 العلمية الى خزائن الغرب و هى اليوم مكيدة فيه لا يعرف عنها النجف حتى اساميتها

المجردة : وواحدة من هذه العلل كافية في اتلاف كل تراثها ولم تواجهها بة حوزة علمية في اى مكان من ناحية تراثها العلمى بعضاً مما واجهته النجف ومع ذلك فالمحفوظ من الآثار التى دونت في ساحتها رقم واسع متنوع في ابحائه كثير بفنونه وعلومه :

هذا الحديث كله عن امس النجف الذى كان المدرسون فيه فطاحل المجتهدين و اعظم المفكرين والمتعلمون خلاصة أهل الفضل والكمال الذين لا يعينهم سوى التحصيل ومهما قسى عليهم الوقت : سمعت من المرحوم والذى وهو يتحدث عن استاذة العلامة الغد الشيخ محمد حسين الاصفهاني ان استاذة الموماً اليه قال له لم يقنتى منذ حضرت دروس الآخوند الخراساني الى حين وفاته الأبحث ليلتين اماليلة منهما فقد كنت فيها ارمد شديد الرمد بحيث ازعجنى وضعى حتى عن الاستقرار فى منزلى واما الليلة الاخرى فقد أرسلت السماء فيها شأيب المطر حتى احوالت طرق النجف مائجة بمياها فأيقنت فى نفسى تعذر حضور الاستاذ والتلاميذ فى مثل هذه الحالة و صبيحة غد فهمت ان الآخوند على كبره سناً ومقاماً خاض تلك الوحول معتمداً على بعض المساندين له وجاء على مواعده من كل ليلة و القى دروسه على قلائل ممن كلف نفسه الحضور فى مجلس درسه : و مثل هذا التصميم الذى لا يتشظى بالعوامل المهمة مفقود هذا اليوم فى النجف كفقده امثال اولئك الاساتذة واولئك التلاميذ فى كل حوزة من حوزات العالم الاسلامى بل العالم كله :

وهناك هنات اخرى يجب على اهل الصلاحيات القائمين باعباء الحوزات العلمية رفعها بكل مجهود يستطيعون بذله فى حراسة الدين وأهله - منها - صرف همهم فى المحافظة على النخبة الصالحة من رجال الروح و توليد امثالهم بتعبيد الطرق امامهم فان البيوت العلمية العريقة خلت من كل روحى فيها او كادت والناشئة المستعدة اخذت طريقها الى التوظيف لفقدان الضمان فى المدرسة الروحية على عظيم ما يجبى لها من مال بشتى الوجوه واذنا بقى الوضع على صورته هذه من كثرة المعتمدين الفارغين وقلة المحصلين من اهل الدين وتوزيع المال على الفئ اكثر من السمين فماهى الا ليلة او ضحاها لبقاء الدين نفسه فى احناء العالم المسلم - ومنها - المواظبة الثامة على مادة الدرس ولون التدريس وتقليل اوقات التعطيل وانقاذ المستعدين من هذا الارتباك الذى يواجهونه فى

فى الحوزات فلامادة للدرس منقحة ولالون للتدريس معلوماً ولا المدرس متبهاً ولا الغاية النهائية معروفة ولا ضمان المعيشة له برنامج خاص واذا لم يقض على هذا الارتباك قضت الاوضاع المسيطرة على كل شىء كما فعلت فى اكثر الاشياء - ومنها - الوقوف امام مجهولى الهويات من الطامعين ببزة الروحيين والمرموزين من هذا القبيل الذين اتخذوا هذه الظاهرة وسيلة اقتناص من ناحية وتخريب من ناحية ثانية فان هذين الفريقين من المعاول الهدامة لبناء الدين ومثارسوء ظن الناس بكل روحى على الاطلاق :

المثل الرائعة والاخلاق الدينية البارعة : كان المتدينون المترسمون لخطى اهل بيت النبوة يتسابقون الى التحلى بأخلاق هدايتهم فكانت الفضائل فى جميع شعبها مورد تنافس بين اهل الدين سواء فى ذلك ما يتعلق بالبدن ام بالمال ولهذه النزعة كان فى اطباق اهل العلم اخلاقيون كبار ومر بون عظام تتشكل من طريقهم حوزات دراسية خاصة تموج بالقدسيات المرموقة حتى اثمرت هذه النزعة الرائعة على السلاطين وولاتهم فكانوا يندفعون من صميم قلوبهم الى اشادة المساجد العظيمة والمدارس الرفيعة وسائر الخدمات الاجتماعية واذ لاحظنا دفتر الاوقاف فى شتى الوجاهات وجدنا الكثير الجزيل من منقول وغير منقول قدر صدده امله بارشاد من الهداة الاخلاقيين الى المنافع العامة او الخاصة بفريق خاص وهدف معين والى الآن لاتزال هذه الاوقاف باقية وان كان العصر المادى قد احتجز هالنفسه وصرف ريعها خارج منظور الواقف ولم يبق من بينها الا القليل الدارج على وجهته التى أرصد لها :

اذن فبالاحرى ان تطلع النجف فى يومها ذاك طلعة ملكوتية وان يكثر اهل الورع والتقوى والفضائل النفسية بين اطباق اهلها . بخاصة اهل العلم فيها ولا يستكثر على جامعة يكون زعيمها امثال الشيخ مرتضى الانصارى و الشيخ محمد حسين الكاظمى والشيخ محمد طه نجف و الافارضا - الهمداني - ان تبني لنفسها مدينة فاضلة فلا ترى فيها الا المتبهج المتعبد المحسن المواسى الساعى بالخير الفاعل للمعروف :

وانا بدورى ادركت بقية من ذلك الزمان المتصرم فكانت البيوت العلمية تنعقد

نوادبها باستمرار وما اهل نوادبها سوى الاخيار الابرار الذين رضوا من العيش بما تيسر وجمعوا انفسهم لخدمة الناس بكل مجهودهم وما كان حديثهم يدور - انى كانوا - -
 الأعلى الفضائل والتبسط فى شرحها و كيفية التحلى بها : ولقد كان الحرم والصحن
 الحيدر يان والمساجد تعج بالمصلين والمتهجدين والذاكرين لله كثيرأ كما كانت المحافل
 الحسينية على طول الزمان من اكثر الباحات تجمعا يسرد على منابرها الوعظ والارشاد
 و التعاليم الدينية الاخلاقية :

اما مع تمام الاسف وبفضل عصر الذرة لم يبق من ذلك عين ولا اثر فلا اخلاقى
 يقتدى به ولا ربانى ترسم خطواته: المدارس منفصلة عن اهدافها والمحافل تفقد بهاثها
 الذى كان يسود عليها وبالاخرة اصبحت الديار بعيدة عن قدسيها بتجافى اهلها عنها
 وانصرفهم الى قشريات المادة السوداء :

البطولات الناشئة عن الايمان بالمبدأ : من الطبيعى المسجل اذا قلنا ان المؤمن
 لا يكون جبانا لان الايمان باى مبدأ يفرض هو بنفسه قوة جبارة تدفع بصاحبها الى أن
 يخوض من اجله كل مشقة حتى يفرضه على الوجود ومن هنا استطاع نبي الاسلام ان يبني
 دينه بعدة محدودة من المؤمنين وان تتوالى انتصاراته فى الاونة بعد الاونة بعد أن كان مواجهها
 بأقسى المبارزات وأحدها وما اندلعت الشجاعة من جميع اطراف على عليه السلام الأمن
 ينبوع ايمانه الراسخ بما يعتقد وهذا المبدأ هو الذى ركز الحسين واصحابه فى ميادين
 الطف فكان الواحد منهم كالجبل الراسخ لا يقلق ولا يميل .

وهذه الروح لما تبطنها العلماء المقدسون كانوا من طريقها اشجع من كل شجاع
 فى مرابطة مواقفهم حتى النفس الاخير فكان النهى عن المنكر له اثر والامر بالمعروف
 مشفوعا بالعمل وعن هذا الثبات المدهش استطاع الدين من طريق اهله ان يرغم مناوئيه
 على احترامه وتجليل اهله وان يتنازل الزعيم المستبد لقبول فتوى المجتهد : وماركز
 الدستور فى الحكومات المتعنتة و قرر القوانين الاساسية على طبق برامج الاسلام
 الأسطورة ايمان اهل العلم على المستبدين وما دحر الاستعمار واثره السوء عن ديار الاسلام
 بعد الحزب العالمية الاولى الانطلاق المؤمنين للترفيه عن اوطانهم وايمانهم :

اما لما ذابت تلك الروح فلا يمان بمبدأ ولا عقيدة بمرام حتى اخذت البلدان الاسلامية
 تنهار الواحدة بعد الاخرى من دون سلاح جرّد عليها اوقوة زحفت اليها وانما هو فشل
 التحلل العقائدى والميوعة فى الاخلاق و كفى بهذا الداء داءً فأتى ولا ينجع مع هذا
 الفشل الروحى حماس الشاعر وفيهقه الناطق كما لم ينجع بالفعل لان الكلام الفارغ
 هراء فى هواء : وايت ان البلاد الاسلامية لما اعطت دينها من يدها بزعم مثقفها ان
 العلم طرد الدين احتفظت بعزتها واستقلالها وكيانها : وان الثقافة العاطلة عن حماية
 اهلها اشقى من الجهالة الجاهلاء بحكم الطبيعة :

الدجل والانتهاز من اعظم الموبقات الدينية والاجتماعية : الدجل مرض اخلاقى
 منشؤه هواية الاتصال بالهدف الشخصى والميل النفسى من اقصر طريق وبلا مشقة ولا ريب
 ان ذلك يستلزم ارتكاب خيانات جمّة وجنابات مهمة لان مخالفة السير الطبيعى تستدعى
 كل ذلك : و النفاق وهو التدرع بظاهرة الحق للتسرب منها الى الباطل قديم الوجود
 فى البشر و كل ما كثر فى امة دلّ على ارتكاسها فى الجهل و بعدها عن الايمان
 بالمبادئ القويمة و قد واجه نبي الاسلام فى الطبقة الاولى من معاصريه هذه الروح
 التى زرعتها الجاهلية الجاهلاء غير انه ^{بالتفكير} لما ندب بهذا الفريق المتلون اخذ المؤمنون
 يتحامون المنافقين حتى من كان فيه اقل شائبة من النفاق وبنوا لصدق اللهجة والصراحة
 ارفع كيان وهذا المعنى هو الذى خلق من ناس الجاهلية عمارة و ابا نذر والمقداد و حجر بن
 عدى و اشباههم كما خلق الكمّل الافاضل فى العلماء فكانوا يفعلون الخير العميم ولا يتظاهرون
 بفعله حذراً من تلونهم بالرياء المتلف لاخلاص عملهم والصحة فى العمل ملاك ائمار
 العمل ولهذا كانت مساعيهم موفقة واعمالهم مركزة ولا وجود للثغ فيهم بالمرتوة كان موقف
 الحق غير مشوب بموقف الباطل واهل ذاك الجانب ممتازين عن اهل هذا الجانب :

غير ان الانهيار الروحى لما لبس الكثيرين من المنتسبين للدين فشى النفاق فى الطوائف
 الهادية للناس فاختلف توازن الحق بين اهلهم ودخل المرمر وزون فى حوزة الواقعيين فكان من نتيجة
 ذلك سوء ظن الناس بهدايتهم لان الدجل ينكشف بعد حين قطعاً فيكون مثار ريب فى الآخرين :
 وسوء ظن الناس بالهداة مما يفرق جماعات الناس ويهيئهم الى اوزاع والتفرق من اقل نتائجها

السيئة ان مئات ملايين لا تقاوم عشرة افراد متصامدين بالضبط خذلك مثلا قضية الخوارج في العهد الاموى فقد كان خمسون خارجياً يهددون المملكة الواسعة الارحاء الموفورة الاعداد بخطر التلاشى وما ذلك الاواقعية الخارجى فى نفسه ونفاق الملايين امامه ووقس على ذلك الحالة السائدة اليوم عقائدياً واجتماعياً :

نرى ناطقنا يتفهبق باننا ستمائة مليون مسلم ولكن الحقيقة ان حفنة من المعجدين فى تركيز منوياتهم اثروا على روح ستمائة مليون انسان : صحيح نحن ستمائة مليون انسان مسلم ولكن كما وصف الشريف الرضى مجتمع المقابر بقوله :

بادون فى صور الجميع وانهم متفردون تفرد الآحاد

بم يستعيد المسلمون كيانهم والمحقوقون حقوقهم : الاسلام ضرب مثلا من نفسه على نفسه بتعاليه تارة وانحطاط اهله اخرى اما تعاليه فكان بالنخبة الصالحة من اهله حيث كان المسلم يذود عن دينه بعصاه فضلا عن سيفه وحيث كان الداعى له فى صدر كتائبه لاقا بعا فى كسر بيته وحيث كانت العقيدة نخيلة قلب لاسمة ظاهر فمتى وقف المسلمون فى منا جزاتهم ومبارزاتهم ودخائل فلو بهم موقف المسلمين الاول عادوا كما كانوا اقوياء اعزاء حافظين لحيثياتهم متدرعين بكراماتهم منظمين باعمالهم الصالحة وسيرتهم الناجحة يخاف منهم ولا يخاف عليهم :

واما التصفيق و الهتاف و قول - ليحى و ليتم - و اشادة المحافظ بسرد القصائد والكلمات فهو من شأن مجالس الافراح والاعراس لامن مقومات الامة والمحافظة على الحرمه ، واصدار الفتاوى المجردة والقبوع فى البيوت من شأن العجزة المساكين لا الهداة القائدين والدعاء بالنصر وراء العمل لاحراز النصر ولو كانت الفتيا بمجردا والدعاء بمفرده من مؤهلات الحقيقة لاكتفى بهما محمد بن عبد الله قبل كل احد لمطابقة فتواه للواقع وقرب دعائه من الاجابة لكنه لم يكتف بذلك لان الميدان ميدان عمل متواصل و كفاح مر و تقدم مستمر : و يستحيل على أهل الحقوق استعادة حقوقهم من طريق هذه المحاكم الدارجة بين الناس و هؤلاء القضاة المتربعين على منصاة القضاء فان هذه الصلاحيات لما فقدت اهلها الواقعيين وتبدلت بعد كونها دواوين عدل دكاكين

لشخص عادت من المهازل انصافاً :

و مع كل هاته الهنات الموجعات في العالم الاسلامي : فالنجف بنسبته للموضع الدارج اليوم يعد ام القرى للاندفاعات القوية التي تصدر منه و تكون فيه فمعابده في حدود معابد اليوم عامرة و مساجده دائرة ومدارسه حاشدة ومدرسه قائمون بوظائفهم الملقاة على عواتقهم من هذه الناحية ومحافلها الخطابية ببركة انفاس ابي عبدالله الحسين سلام الله عليه متشعبة و نواديه الادبية حافلة بالاديب المتيقظ والادب الحي ومع ذلك كله فالحركة الصحافية التي هي اكبر مدرسة سيارة للمعارف و اهم اداة في التعبير عن مقاصد الجماعات والافراد والوسيلة الفذة لنشر الاراء وتسجيل البحوث العلمية و اهنة ضعيفة في هذا البلد الذي من شأنه ان يصدر عشرات الصحف وهو يفقد آحادها المعدودة على ان هذه الاحاد التي تنشر عنها هي نتيجة مجهود افراد مخصوصين ولامنة للحوزة عليها بالمرّة و هذا الفراغ العلمي العقائدي الخطابي الثرى الشعري لم يفكر قادة الحوزة في سده بما يقوم بشأنه وللآخر لأراهم يفكرون:

وختاماً : فقد اضافت النجف الى مزايا شرفها الانف بأن تربتها من أخصب ما خلق الله من تراب ارض حيث اضطمت احناؤها على هياكل قدس لا تحصى بالالوف من امام معصوم ولا هوتي عظيم ومقدس كريم وعالم عامل و انسان كامل وعباد صالحين ونفس اختيار المؤمن هذه التربة في حياته مدفناً له بعد مماته يشعر بان لها قدسية في نفسه مستمدة من بركات امير المؤمنين والعلماء الربانيين الذين تشرّفوا بجواره وافتخروا بقرّبهم من مرقده احياء وامواتاً : الفصل الرابع عشر:

مطلع الحقائق - او- مولد الامام الصادق

ان يكن تكثر الريب في جملة من آراء الفلاسفة الاقدمين سواء في مبادئ الناس ام في سياساتهم و اقتصاداتهم و شؤونهم الاجتماعية فتكلموا عن وهم وأطالوا القول في خرافة و ارتجلوا الحقائق بزعمهم ارتجالاً و تبرعوا فيما يرون على دست اماراة العلم فقد نزع هذا الغرور ايضاً في فلاسفة القرون الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين فجاؤا

بعد أن رصدوا منطقة السماء فعرفوا حسبما يدعون شؤون المنظومات الشمسية والسيارات الاخر بمداراتها وأقمارها و اضافة عددها بملايين المرات على ما تميزه الا سبقون و اطلعوا على أبعاد بعضها عن بعض وتميزوا حجم كل واحد منها ونسبة البعض الى البعض وامكان سكنى البشر فى اى منها دون الاخر و فحصوا بطون الطبيعة فاستخلصوا منها الذرة و النور و النار و البخار و وقفوا على مدى تفاعلها و آثار تراكيبها بما ملاؤا منه وجه البسيط مالم يكن الاقدمون يعرفون منه اثراً من مليارات الانار الشاخصة اليوم فى الامم المتمدنة ينعون على كل انسان سواهم و يعدون كافة الاراء والمشاريع خارج آرائهم ومشاريعهم اضحوكة باردة وأوهاماً فارغة و ان الناس ما كانوا يعرفون من الكون الا لفظه الفارغ و ان تلك العقول التى كانت تمد بتلك الامدادات اشباه عقول وليست بها وان كل فلسفة و شريعة تتعدى حدود خراطيمهم جزاف لا مقيل لهمن الواقع ولا ارتهان لهفى الخارج وزف ورائهم معاصروهم من كافة الطبقات خاضعين لآخر تلويح يكون منهم فضلاً عن التصريح :

كما زف وراء مقاتل ابن سليمان الذى كان يقول عن الله سلونى فيه عن كل شىء يكون فى الاجسام الحية سوى الفرث والدم اتباعه والمولعون به ولكن هل للنقاش فى ذلك وهذا ميدان فيما يخص الانسان من ناحية حياته الصحيحة و اجتماعه الصحيح اولا ميدان الافراط القديم او تفريط الجديد : نعم الميدان كما هو فى سمته : بعد تشخيص ماهو اللازم للانسان فى حياته بما يضمن له السعادة النقدية :

نعم لا يسوغ لنا ونحن نريد اخذ النتيجة من قريب كما نريد ان نواجه بكلامنا دنيا واسعة الاطراف تعج بالكثرات المهمة من المادة والماديين الذين ينكرون ما وراء الطبيعة و يعدونه وهماً بلا تأمل ان تتناول سعادة الانسان من طريق آخرته ومعاده ولذلك عبر ناعن سعادته الضامنة لوجوده بالسعادة النقدية فلنعابن بأحد اقننا المفتحة تماماً ان الانسان على كافة ادواره وتشتت اعصاره باية وسيلة يتمكن ان يعيش سعيداً والى اية وسيلة يحتاج فى تقضية عمره وطى ايامه و ايامه مرتاحاً :

نحن اذا عاينا الانسان وقد اخذ من ست جهاته الاختلاف الطبقاتى الفاحش كما فى

العهود القديمة وجدنا ادناها طبقة اذل من العشرة العمياء في اجواف الارض فهو فضلاء عن
فقدانه للسعادة بالمرّة وواجد لكل ما يوجب العذاب الدائم والانزعاج المستمر حتى لو كان
ضعيف الدرك قليل الحس :

واذا عايناه في يومه هذا حيث اخذت سفينة الفضاء تقطع تيارات هذه الاجواء
وحيث شع الكهرباء وقطر الماء ورغت امواج الراديو وجسمت الخيال شاشة التلفزيون
وقام لكل نعيم في الخيال وجود واقعي يحس ويلمس كذلك لم نجد لادنى الطبقات في
دوره هذا مائزاً يسعد به بالنسبة الى ذاك الدور ولعلك تعجب اشد العجب من هذا الحكم
بل لا ترى فيه شائبة من الحق ولكن الحق كما قلناه بالامارة فان الاختلاف الطبقاتي
الفاحش لا يزال متجلياً بهذه السمة في ارقى مدن المغرب واعظم عناصره تمدناً ولان
لا يزال حديث انحطاط الاسود في عين الابيض في امريكا مهد التمدين الغربي ومخزن
ثروته بصورة لم يعهدها اقسى عصر شرقي في اوحش أممه كيان الاسود يباع في أسواق
الشرق ولم يكن الابيض يمنعه من انحشاره في مجالس البيض ولا عن المذاكرة معهم
ولا عن انصافه في صفوف المحصلين البيض في مدرسة واحدة وصف واحد بل فضلاء عن
تجويز ذلك له طالما شخص الاسود عند الشرقيين فملك ووزر ونهى وأمر وحظى بمقامات
مهمة تتلطف عليها البيضان فلا تنالها وتاريخ الامم الشرقية طافح بذلك والعيان اليوم
في الشرق والغرب قاض بما قلناه ومع هذه المنقصة الشائنة ونظائرها فأدنى الطبقات
اليوم اشدّ لوعة من ناحية فقره بالنسبة الى أخيه الفقير يوم امس فان المادسة اليوم
لما ملأت ادمغة الكثيرين من الناس وراحوا من أجلها لا يعرفون مبدءاً ولا معاداً و
لا يدينون بشريعة مثالية قبضوا بكلتا يديهم على ما فيها فلا ترى صدقة او زكوة ان
لا موضوعية لهما بعد الكفر ولا برأوا احساناً بعد تركر المادة مكان الوجدان الفطري
وما نراه من المشاريع الدولية العامة فهو قبل كل شيء حق المقتدرين والمتنفذين
و لو بالواسطة و حظ الفقير منها اتسامها باسمه و حرمانه منها تماماً فليس في تخوت
البيمارستانات العامة تخت لفقير لا يملك واسطة قوية مشفوعة بدراهم ولا من ادويتها
الغزيرة دواء ينجع وعلى مثل ذلك فقس :

وطبعاً موضوع كلامنا ادنى الطبقات ومن لازمه القهرى الافلاس فاذا كانت قيمة البطاقة حتى للقطار العادى مبلغاً يعتد به ويفقده الفقير بطبيعة وضعه فأين مكان المنة عليه باختراع القطار مكان الناقة و الحمار :ومن اى طريق يمتن عليه بوجود الطبيب الجراح اذا توقف العمل على مالية ضخمة يتعذر عليه تحصيلها فاذا كان فقير امس بموت بعلمته فقير اليوم مثله بلا ادنى تفاوت ومن هذا المجرى يعرف انه لا حظ له فى شغل الكهرباء ولا فى انماء المقطرولا فى موجات الراديو ولا فى كل كمال الى عظام حقر :

واذا جاءتك الشيوعية على اثر هذا الحديد ومدت رجلها فى الوسط وقالت الان طاب الحديد فان جميع ما تقوله حق فى الدول الرأس مالية اما المرام الاشتراكى فقد قضى على هذه النزعة فى كل ما نالته يده من قطع الارض وعمارها فأقل جوابنا له ان ذلك كله دجل وتزويروا قل مدرك عليه قصر كرملين الذهبى لزعماء الاشتراكية و طينية الفلاح الروسى التى يسكنها فضالما فيها من خنق كل شعوروايا كان وسلب الحرية المطلقة من كل انسان و الحرية فى نفسها من اعظم الامال الحية له :

واذا عطف عليك المتجدد بفرعونيته فائلا كانت الطواعين والاباء بين حين وآخر تجترف آلاف الناس و مآتها و بفضل الطب الحديث و سائر الوسائل الاختراعية ارتفع ذلك الكابوس فقل له ذهب للقديم طاعون و جاءت من ناحيتكم طواعين تجترف فوق النفوس معمور الارض و مافيه جاءت الذرة التى اصبح كل واحد منكم يخاف خيالها المرير فضلا عن عيانها الماحق وجاءت القذائف المستأصلة التى طالما فتكت بكل شىء : جاءت عنكم هذه الوسائل فاستفحل امر الاستعمار وخار الضعفاء تحت كلاله بما لا خلاص لهم منه الا بالموت الاحمر فان يكن تاريخ التمدن الحاضر ينمى على القدماء وحشية الاسكندر وبخت نصر والحجاج وچنگيز فايقاعه اليوم بالانسانية لاعهدله فى كافة العصور على الاطلاق واقل دراسة فى تاريخ الحربين العالميتين الاولى و الثانية فضلا عن شتات الايقاعات المزعجة فى كل مملكة وبلد تكفى فى الاستشهاد عليه :

اذن فبم يكون الضمان اسعادة الانسان : الانسان بوضعه فى وسط عادى بهمه ان تنهياً له مرافق معيشته بطور متعارف كما بهمه تأمين روجه من المزعجات فلا ظلم

يخفق عواطفه ولا انحرافات يواجهها في سيره الحيوى من صديق وجليس و بائع ومشتري ومعاشر ومجاور ولا خوف على حيثيته ولا حذر على ناموسه ولا مزاحم له فى حقوقه الشخصية ولا دافع يدفعه عن حقه الثابت له : فلاريب ان هذا الشرط متى تحقق لصاحبه عد سعيداً لأنه على بساطته فى نفسه عديم الوجود دائماً فلا ترى ملكاً او سوقة الا وهو متأثر جد التأثر فى اشواط الحياة لتخلف هذا المالك البسيط عن مقارنة حياته و تأمين هذا المالك انما يكون بتطبيق الحالة الاجتماعية العامة على برامج الاخلاق الصحيحة : فمتى سادت العدالة والصدق والرفق والحياء والوفاء والامانة و العفة و الورع صلحت الجامعة قطعاً حتى لو فقدت النور الامن طريق الشمس والقمر ولم تستحصل من القوت الا ما يسد الحاجة ومن سائر احتياجات الانسان الا ما يقوم بدفع الضرورة ولا يسد هذا الفراغ الاخلاقى تموج انوار الكهرباء وتدافع نسيم المكيفات ولا تسنم الطائرات : ولا : من كل كمالى يفرض فان هذه الحسنات المادية على فرض حصولها لكل انسان لا تدفع الظلم ولا تكتسح الانحرافات كما لا تطعم لها مع الظلم والانحراف : ومن هنا تجد الجامعة البشرية دائماً تفتش على المصلح ولا يهمها من امر المخترع شىء الا اذا نالت الراحة من مجتمعاتها :

الامم المضطهدة فى هذا العصر على ما تتمتع به من نور و نار و بخار مثل الامم الراقية فى سنخ هذا التمدن لا تراها فى ادوار حياتها الا كسفة الملون ذابلة الروح مختنقة العواطف للهوان الذى تواجهه من طريق الظلم والدجل والاستعمار والتحكم وما يمت الى ذلك و لا تعد تلك المتع متاعاً يبلغها الى ما تهدف من الحرية والعدالة و حسن المعاملة كما يهدف الى ذلك كل ذى شعور ومن هنا كان المثالى فى دنيا بنى آدم أسمى مقاماً من كل انسان يفرض على انه لم يجهد قواه فى البحث عن المنظومة الشمسية وسائر السيارات ومنظوماتها لانفصال هذا البحث عن حياة الانسان بالمرّة فالارض سواء أكانت مسطحة ام كروية ثابتة ام متحركة قديمة فى الوجود ام حادثنة وسواء أكانت السيارات سبعة ام تسعة ام اكثر كانت قابلة للسكنى ام لم تكن كان بعد بعضها عن بعض كذا كيلومتراً وما الى ذلك من مباحث الهيئة الجديدة التى انفق فى سبيلها اموال

وعطلت اعمال وتخصصت للوقوف عليها و البحث عنها رجال لا ترتبط بحياة الانسان وما يهدف اليه في نشأته : و ما يرتبط من ماديات الكون عرفت مرتبة مساسه بالنسبة الى ما يقتضيه الاجتماع الصحيح:

فالجامعة البشرية في حاضرها وغابرها في حاجة اولية الى المثل العليا وتلك لانكون الافى تركيز الاخلاق الصحيحة وهذا ما لا يكون الافى المثاليين الافذان واخلاء الميادين لهم حتى يقوموا باعمالهم الصالحة في توجيه المجتمعات المستعدة ومن هنا اكبر ملاحظة العالم مقام الانبياء العظام كموسى وعيسى ونبي الاسلام و استحسنوا خطتهم وعدوا مبارزاتهم الاخلاقية احسن خدمة للانسانية عامة ولم ينحرف عن هذا التمجيد لهذه الذوات المعظمة سوى دعاة البلشفة ذلك لانهم لا يرومون الادعم سياسة و تشييد مملكة يتقوون بها و يستعمرون الآخرين و من يكون هذا هدفه لا يدين بالانسانية ولا يرى للمخلق الفاضل معنى ابداً سواء أكان مادياً صرفاً ام منتسباً الى دين وكل جبايرة الدنيا على هذه الروية وما تهافت العلم على سفوحها ونهارت الدنيا لاطئنة وتمزقت اشلاء المثاليين ومات الخلق الصحيح واصول الفضيلة وتقدم الاجلاف واصحاب الرذائل وكثرت زافتهم وتوسع عنصرهم الامن نتيجة تحكّم المتغطرسين الذين لا يهمهم سوى تحكيم منوياتهم التي ما اندفعت الاعن حالة سكر وتخدیر حواس ولم تزل كما لاتزال جوامع بنى آدم تمنى بهؤلاء الوحوش فتنسحب الى الوراء للضغط الفاحش عليها ولكن رجال الروح والمثاليين لم يتركوها هذه الصخرة للمخر بين وان استنام لحكوماتهم المستضعفون فهم لا يتركون الفرص المناسبة ولو كانت من وراء ستار فكم اختفى موسى بن عمران للضغط من الجبايرة على وجوده لكن روحه مند لعة تناجى العابر والمستطرق والبعيد والقريب على حساب الفرصة السانحة بما يشوه منظره الظلم و الالحاد والاستنامة الى الباطل وكم انزوى عيسى بن مريم عن اليهود مخافة ان يحطموا وجوده فلا يعود يستفيد من طريقه التبليغ الى الحق واداء رسالته في تقوية الانسانية وتنمية الشعور الانساني وكم طورد محمد ﷺ فلم ينفك عن القيام بواجبه الروحي وهؤلاء العظام وان قاومهم طغاة عصورهم الا انهم فتحوا في نهاية المطاف فكانت لشرائعهم التأثيرات الواسعة

فى نشر الفضائل وتعميم الخير و على هذا المدرج استن على بن ابى طالب وآله الغر الميامين فذاقوا انواع العص ووجهوا بأشق الاحوال والمصائب فلم ينخذلوا عن نصره الحقيقه وكان سبهم منها الخلود وسبهم مناوئهم الغناء وسوء السمعة واللعن الدائم :

الاسلام دين علم وفضيلة ونشر للاخلاق الصحيحه ; تمتاز الديانة الاسلاميه من بين كافة الشرائع السماويه والمبادئ الارضية بانها جاءت للبقاء المستمر وتركيز العدالة الاجتماعيه ولنشر الفضائل المعنويه وابطسط الخير كله للبشر كله فاهتمت قبل كل شىء لتلئين العواطف المتحجرة ففرضت الرأفة على الانسان لآخيه حتى لو كان بعيداً عنه فى كل الوشائج ماسوى وشيعة النوع فكان من تأثير هذا التشريع الغاء امتيازات العناصر ومنع الوأد واستقبال المتوطنين للجاليين عليهم المهاجرين اليهم ومشاركتهم لهم فيما يسر ويضر ومشايعة المسافرين واستقبال القادم وعبادة المريض وتشجيع الجنائز ومئات سوى ذلك مما لم تفرضه الاخوة الحقيقية على الاخوة زمان الجاهلية كما ان اكثره كان مفقوداً وحتى فى العناصر الحية يومذاك من الامبراطوريات الحاكمة للشرق والغرب :

كما فرضت الشجاعة على المسلمين وان المؤمن لا يكون جباناً لانه فى مبارزاته بين حسنتين اما الفوز بالمقصد واما كسب رضوان الله وبهذه الروح القوية تمكن الاسلام ان يبتدأ اول كسبه للعالم كله يومذاك الاماندر بثلاث مائة وبضعة عشر رجلا و اخذت فتوحاته بعد ذلك تترى تباعاً لانا انقطاعاً بما بهر العقول مضافاً الى الاحسان اكل انسان يقع تحت قبضته ولو كان قبل ذلك لاجاً :

وهذه الروح هى التى كثرت الاحرار فى المسلمين بعد ان لم يكن لهم تاريخ مسجل لندرتهم واول من ركز هذا التصميم القوى فى الاجيال المسلمة و جعل للحرية كياناً اسمى من كيان هو سيد الاحرار عزيز بنى آدم الحسين بن على عليه السلام فقد بنى بمواقفه العظيمة و بطولاته النبوية وشيمه العالية صرحاً للانسانية ما بناه انسان والآن لا يزال ذاك الصرح باقياً بل اعمر من سابقه وانصر :

وفرضت العلم على كل مكلف فرضاً لا محيص عنه لانه محط مسؤوليات طويلة السلسلة يعاقب على اهمال الحلقة الواحدة منها وتلك هى تعرفه بالنظام الذى حدد به فى كافة

افعاله وتروكه من عباداته ومعاملاته و السياسات المربوضة به و المربوط هو بها و اذا
 بجفافة العرب بعدزم من محدود فقهاء مفسرور و رواة محدثون و ادباء ناطقون و كاتبون
 بما جعلهم اساتذة بارعين حتى درس على الصادقين عشرات الالوف من اكابر المحصلين
 الصادقان ابو جعفر و ابو عبدالله عليهما السلام: كما وعزنا نأفان ميادين الحياة لو اخلت
 للمصلحين من بنى آدم لكان العالم قبل آلاف السنين مدينة الفضل والفضلاء لان المصالح
 تركزاً قوياً في النفوس فاذا عضته السياسات الحاكمة جرى على مدرجه عاطفاً لاحقه
 على سابقه و لكن نيات السوء و الانحرافات الموبقة لاتدع المتغلبين لازمين
 لطريقة الحق بل تدعوهم الى ارتكاب الباطل فيكونون محل مقت المؤمنين و هذا
 الوضع في الخلافة الاسلامية اخذوره منذ تحكم بنو امية فكان الخليفة جلفاً و امرؤه
 اسمعج منه و اقدر و كان عداؤهم الخاص متوجهاً الى عبادة الله الاخير و كان الفضلاء دريئة
 لسيوفهم حتى الزهاد البعيدون عن المجتمعات و تحت هذا الركام السائدوا الغيوم المتلبدة
 و مع هذا الضغط و الاختناق ترى اوزاع الناس من طرق رمزية يتصلون بأهل العلم ليأخذوا
 بغيتهم من المعرفة اللازمة التعرف و لا يهتمون انفسهم و ان تعذبوا في طريق تعريفها رجا
 ان تنقش هذه الاوضاع الخائفة فيكونوا و اصلين جبل السابق منهم في احياء العلم
 لتستمر سلسلة الافاضل و لتتم حجة الله على عباده و ليقوم المسلم الغيور بدوره في الخدمة
 لدينه و لمبدئه و للانسانية العامة :

و لازم هذا الاختناق طول عمر السجاد عليه السلام و فاصلة واسعة من عمر الباقر صلوات
 الله عليه فلم يستطيعا خلال ذلك - لا استمرار الرصد عليهما - من التبليغ المنظور
 لهما نعم كانت الفترات الطفيفة تؤاتيهما في بيان بعض الاسرار و كشف طرف من المعضلات
 و حل قائل من الرموز حتى آذن الحكم الاموي بالانحلال فانفجرت حلقتنا البطان عن
 خامس الائمة ففتح بابها على مصراعيه و اخذ يفيض بمحاضراته العالية على مئات بل الوف
 المحصلين و سرعان ما سارت الركبان بعلومه يتناقلها بلد عن بلد و فاضل عن فاضل حتى
 تخرج عليه في فترة محدودة كميات من افاضل العلماء لاتزال معاجم التراجم تنوه بهم
 و بمعلوماتهم و مضى الى رحمة ربه مستخلفاً بوليده العظيم القدر الجليل المكنانة ابي-

عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام .

الدور الصادقي : للقرون الاسلامية حدود وفواصل وليس مسيرها العلمي من مبتداه الى منتهاه على نهج فذو وتيرة واحدة : كانت قضية التدريس و التدرس من زمن النبي الاكرم عليه السلام الى الدور الصادقي بسيطة اللون مقصورة في غالبها على سؤال الفرد من الفرد - اولاً - وعلى الفقه والتفسير والحديث - ثانياً - لا يتعدى ذلك الا في طرف قليل فلما جاء الدور الصادقي جاء دور المجتهدين والاجتهاد والكلام والفلسفة و تبسطت علوم الشريعة و تشكلت حلقات التدريس ونشطت الحركة العلمية بما لا ربط للونها بلون سابقها فكان الصادق عليه السلام محور ذلك كله كان استاذ الائمة الاربعة و لو بالواسطة وكان المصدر الوحيد في توجيه الاسئلة الكلامية المعضلة والجواب عنها و تحرير المسائل الفقهية المشككة والكلام عليها وعنوان الايات القرآنية والتبسط في حل رموزها و بيان وجهتها وما تهدف اليه من غرض عال :

وكان الآخذون عنه على كثرتهم و استمرارهم في التلمذ عليه صفوفاً واصنافاً فمتخصص في الحديث ومتكلم ضليع وفقيه ما هو ومفسر اختصاصي وفيلسوف ورجالي وهكذا شعب ممتازة ورجال علم لهم مكانة ودوى اسم يعرفهم بهذه السمات ويعترف لهم بذلك مؤالف الصادق ومخالفه فكانت الجامعة الصادقية في يومها ذاك من اهم الجوامع العلمية : فلا بدع اذا حاز الصادق في يومه ذاك وما بعده على سمعة علمية وافية تصافقت عليها الاجيال بالاعتراف والخضوع ولا تناسع نطاق فضله اكبره تلامذته ومعاصروه ومن بعدهم اكبارة قلة من سمعة السابقين عليه واللاحقين له حتى طفحت الكتب الفقهية والحديثية والكلامية وصحف التفسير وزبر متشتمات العلوم بعالمه وتكرار اسمه في كل صفحة فضلاً عن كل كتاب برمته هذا الى وقاره العظيم وشخصيته الجليلة وانتساب الفرقة الامامية الى اسمه مع اعترافهم بامامة احد عشر اماماً غيره :

الى هنا نختم هذا الجزء و نستقبل فيما يجيء

بحوث الجزء الثالث من

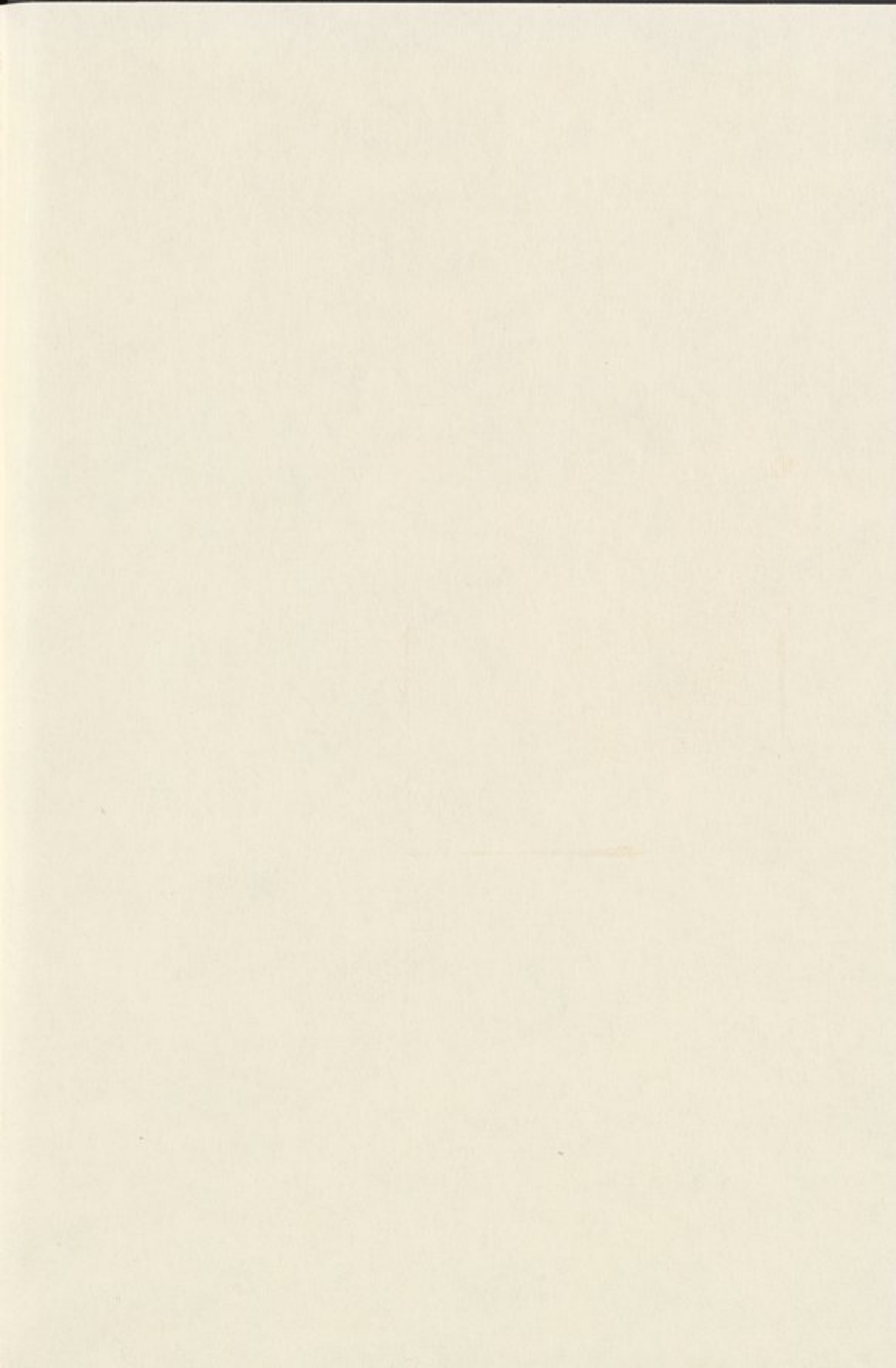
هذا الشرح

النفيس

دليل مطالب الكتاب

الصفحة	العنوان
٣	نهج البلاغة فى المواعظ والزواجر
٨	لماذا خلق الله الخلق
١١	الى اى حد تجيز العقول تفاوت الناس فى ارزاقهم ومقاماتهم
١٤	اقسام البشر ثلاثة منحرفون ومعتدلون ومتقون
١٧	شرح خطبة همام
٣٤	فكرة وعبرة
٤٣	الحياة والموت بين المبدأى والمادى
٤٩	اخطار الاحتضار والموت
٤٣	تحقيق معنى الكذب و ادلة تسويغه و تحريمه
٧٦	الاحتضار وتوجيه التهويلات الواردة فيه
٨٥	شرح خطبته عليه السلام لقوله تعالى الهاكم التكاثر
٩٨	سفن القضاء
١٠١	قال لى وقلت له
١٠٧	عظمة المثاليين
١١٢	المرتضى الانصارى
١٢٠	الامر بالمعروف والنهى عن المنكر
١٢٦	وظائف المصلحين
١٣٢	وظائف الافراد
١٣٥	علل فساد الجوامع وطرق اصلاحها
١٣٨	كيف يجب ان يكون الزعيم المخالص
١٤٦	المادة والمعنى
١٤٨	مدارس الفلاسفة
١٥٢	الاسلام والمبادئ الارضية
١٥٦	الانحطاط فى عالم التحول

العنوان	الصفحة
الحسنان وعناية النبي والوصى بهما	١٤١
شهداء الطف	١٦٤
سيد الشهداء	١٧٠
التشييع	١٧٤
وصية الامام لولده الحسن	٢٠٢
الانسان بين المادة والمعنى	٢٣٢
الحياة بين المادى والمبدأى	٢٣٦
المولد النبوى	٢٤٤
المقايسة بين الرجل والمرءة	٢٥٩
الزمان قديمه وجديده	٢٦٤
حياة تعاليم القرآن	٢٧١
هوية الفلسفة وتأثيرها فى العقول وكيان المجتمعات	٢٧٧
الاحاد منشؤه واثره	٢٧٩
هل الاحاد بالمبدأ من لازمه الانهيار الاخلاقى	٢٨٤
حب النوع	٢٨٨
عوامل التفرقة والانشعاع	٢٩٠
ثورة الاحاد فى ربوع الشرق	٢٩٣
رجال الحقيقة	٢٩٤
التقدمية والرجعية	٣٠٠
اسرار نهضة سيد الشهداء	٣٠٤
الدين بين مفاهيمه ومصاديقه	٣٢٥
النجف مصدر النبوغ ومنطلق النوابع	٣٣١
مطلع الحقائق	٣٣٨





Princeton University Library



32101 058324474